

رلالت
D E L A L A T

مجلة العلوم الإنسانية والتربوية
دورية علمية محكمة

- تصدر عن -

جامعة طبرق - ليبيا
Tobruk University- libya

رئيس التحرير
د. فوزي عمر الحداد
Fawzi.hadad@tu.edu.ly

السنة الأولى
المجلد الأول
العدد الثالث
نوفمبر 2021 م

دلالات

مجلة دورية علمية محكمة متخصصة

تصدر عن جامعة طبرق- ليبيا

موقع الجامعة : www.tu.edu.ly

موقع المجلة : d.journal.tu.edu.ly

صفحة المجلة على الفيس بوك : www.facebook.com/delalatt

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية بنغازي: 2021 / 52

رقم الإيداع الدولي : ISSN : 2788 - 6956

تستند المجلة إلى ميثاق أخلاقي يحكم عملية النشر في أعدادها، وإلى لائحة داخلية تنظم عملية التحكيم من خلال لجنة علمية استشارية متميزة من ليبيا وخارجها. المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة في البحوث المنشورة في أعدادها.

تُنشر المجلة إلكترونياً على المنصات الآتية :

AskZad



دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH

هيئة التحرير

المشرف العام
رئيس التحرير
مدير التحرير
منسق التحرير

د. حسن علي حسن
د. فوزي عمر الحداد
د. علاء جابر الضراط
د. أحمد محمد الميداني

لجنة المراجعة والتدقيق اللغوي

كلية التربية جامعة طبرق
كلية التربية المرج / جامعة بنغازي
كلية الآداب جامعة سبها

د. علي ماضي العبودي
د. فيصل عبدالله حيدر
د. فتحي حسن خطاب

الاجراء الفني

أنور الشريف الأمين

اللجنة الاستشارية العلمية

1. أ.د. أحمد عمران بن سليم
 2. أ.د. أحمد عيسى فرج
 3. أ.د. خليفة صالح حواس
 4. أ.د. زهران عبدالله الرواشدة
 5. أ.د. سعديّة حسين البرغثي
 6. أ.د. عبدالرحيم محمد البدري
 7. أ.د. عبدالله سالم مليطان
 8. أ.د. عياد أبوبكر هاشم
 9. أ.د. فتحي رمضان الماقوري
 10. أ.د. محمد أحمد الوليد
 11. أ.د. فريدة الأمين المصري
 12. أ.د. مسعود حسين التائب
 13. أ.د. مهند سامي العلواني
 14. أ.د. وليد شعيب آدم
 15. د. أحمد مزهار
 16. د. حافظ الصديق منصور
 17. د. خديجة زيدي
 18. د. رضاء عبدالحليم جاب الله
 19. د. زهرة عبدالعزيز الثابت
 20. د. سالة صالح العمامي
 21. د. سليمة عمر التائب
 22. د. شوكت نبيل المصري
 23. د. صفاء احمد فنيخرة
 24. د. عادل إبراهيم المحروق
 25. د. عاصم زاهي العطروز
 26. د. علي عبدالأمير عباس
 27. د. فرحة مفتاح عبدالله
 28. د. كريمة المبروك الرقيعي
 29. د. محمد مفتاح فضيل
 30. د. هاشم منصور مفتاح
 31. د. هدى عطية عبدالغفار
 32. د. هنيء محلية الصحة
 33. د. يحيى عمر القويضي
 34. د. وريدة علي المنقوش
- كلية الآداب - جامعة بنغازي
كلية السياحة والآثار - جامعة عمر المختار
عميد كلية القانون - جامعة سرت
كلية الآداب - جامعة درنة
كلية التربية - جامعة بنغازي
كلية الآداب - جامعة بنغازي
عميد كلية الآداب - جامعة طرابلس
عميد كلية الفنون الجميلة والإعلام سابقاً- طرابلس
الأكاديمية الليبية للدراسات العليا- طرابلس
كلية الآداب جامعة بنغازي
كلية اللغات - جامعة طرابلس
كلية الآداب - جامعة الزاوية
كلية التربية - جامعة الزاوية
كلية الآداب - جامعة طبرق
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين-فاس مكناس - المغرب
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة طبرق
كلية الآداب- جامعة سيدي محمد بن عبدالله / المغرب
كلية الآداب - جامعة طبرق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان / تونس
كلية الآداب - جامعة طبرق
كلية الآداب- جامعة مصراتة
أكاديمية الفنون- القاهرة / مصر
كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية - الجامعة الأسمرية
كلية الآداب - جامعة غريان
الجامعة الإسلامية- مينسوتا- أمريكا
رئيس تحرير مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم الإنسانية/ الأردن
عميد كلية الآداب - جامعة سرت
كلية الآداب والعلوم - جامعة درنة
كلية الآداب - جامعة عمر المختار
كلية الآداب - جامعة درنة
كلية الآداب - جامعة عين شمس القاهرة / مصر
كلية الآداب- جامعة مالانج الحكومية / إندونيسيا
كلية التربية - جامعة مصراتة
كلية التربية - جامعة مصراتة

مجلة دلالات للعلوم الإنسانية والتربوية

في سياق الحرص على مواكبة التطور في مجال النشر العلمي ورغبة في توفير نافذة رصينة للنشر الأكاديمي، تسعى نحو العالمية، نعلن إطلاق المجلة العلمية المحكمة: دلالات (DELALAT) المخصصة لنشر الأبحاث الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والتربوية، وفقاً للضوابط والمعايير المعتمدة عربياً ودولياً.

تهدف المجلة إلى:

- السعي نحو إدراج المجلة ضمن قواعد البيانات العالمية للمجلات ذات معامل التأثير / Impact Factor، وذلك عبر ضوابط التحكيم والنشر الدقيقة التي تتبعها المجلة.

- توفير نافذة نشر رصينة للباحثين الأكاديميين، وإتاحة الفرصة أمامهم لنشر بحوثهم حسب جودة محتواها العلمي، مع مراعاة الالتزام بقواعد التفكير العلمي منهجاً ولغةً في عرض الأفكار وتقديمها أو تحليلها.

- تغطية التظاهرات الثقافية ذات العلاقة باختصاص المجلة، مثل الندوات والمؤتمرات ومعارض الكتاب وعرض لأهم المؤلفات الصادرة حديثاً في كل فروع العلوم الإنسانية.

رؤيتنا:

مجلة علمية عربية ليبية المنطلق، تسعى للتميز لتكون خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم ودراساتهم في مجالات اهتمام المجلة.

رسالتنا:

نسعى لنقدم محتوى يجعل المجلة مرجعاً علمياً أصيلاً للباحثين وفق المعايير العالمية من حيث الأصالة، والمنهجية، والتميز العلمي.

أهدافنا:

- المشاركة في بناء مجتمع المعرفة من خلال نشر الأبحاث العلمية المحكمة من متخصصين ذوي مستوى رفيع.

- تقديم بحوث مميزة وإنتاج المعرفة التي تخدم المجتمع، ودعم الإبداع الفكري والتوظيف الأمثل للتقنية والشراكة المحلية والعالمية الفاعلة.

- استقطاب الباحثين المتميزين، في عضوية هيئة التحكيم الاستشارية سعياً لتجويد البحوث المقدمة للنشر في المجلة، وإنشاء بيوت خبرة علمية ذات كفاءة عالية وتميز رفيع.

- تلبية حاجات الباحثين على المستويات المحلية والعربية في مجال بحوث العلوم الإنسانية والتربوية.

- إنشاء محتوى الكتروني فارق للنشر العلمي المتخصص لخدمة الباحثين والدارسين ومؤسسات المجتمع كافة.

شروط النشر في مجلة دلالات

- تنشر المجلة البحوث باللغتين: العربية، والإنجليزية.
- يقبل للنشر في المجلة البحوث، والنصوص المحققة والمترجمة وعروض الكتب الحديثة الصادرة في مجال اختصاص المجلة.
- يشترط في البحث المقدم للمجلة أن يكون أصيلاً وغير منشور أو مقدّم للنشر لدى جهة أخرى. ويوقع الباحث بذلك تعهداً خطياً مرفقاً بالبحث، حسب النموذج الموجود المرفق بهذه الشروط، ويمكن سحب النموذج من موقع المجلة الإلكتروني.
- أن يكون البحث المقدم خاضعاً لأسس البحث العلمي، مدققاً لغوياً وخالياً من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية، مستوفياً شروط البحث العلمي المتعارف عليها.
- أن يكون البحث المقدم للمجلة مطبوعاً بوساطة برنامج (Word) وهوامش (2.5سم) وحجم الورقة (A4) ولا يتجاوز البحث (25) صفحة، بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي وقائمة المراجع والمصادر، ولا يقل عن (15) صفحة، ونوع الخط لبحوث اللغة العربية هو (simplified arabic) بنط (14) في المتن وبنط (16) في العناوين، وبنط (12) في الهوامش، ويكون نوع الخط في بحوث اللغة الإنجليزيّة Times New Roman، بنط (14)، والهوامش بنط (12).
- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها وعنوان بريده الإلكتروني وهاتفه الشخصي على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث، ثم تتبع بصفحات البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث في متن البحث أو في مراجعه صراحة، أو بأية طريقة تكشف هويته.
- يرفق البحث بملخصين (عربي وإنجليزي) لا تزيد كلمات كل منهما عن 150 كلمة، يليهما كلمات مفتاحية (key words) لا تزيد عن خمس كلمات غير موجودة في عنوان البحث تعبر عن مجالات البحث لتستخدم في الكشف.
- تدرج الهوامش أسفل الصفحات، وتكون أرقامها متسلسلة حتى نهاية البحث. مع مراعاة ذكر المعلومات كاملة عند ذكر المرجع لأول مرة، وإذا ذكر مرة أخرى فيكتفى باسم الكتاب والصفحة، ويتم وضع قائمة بالمصادر والمراجع في نهاية البحث وترتيبها أبجدياً، ويراعى في كتابة أسماء المؤلفين ذكر الاسم أولاً ثم الكنية، أو بالطريقة المكتوب بها على غلاف الكتاب.
- في حالة قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز للباحث

نشر بحثه أو تقديمه بأية طريقة لأي جهة نشر أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

- لا يمكن للمجلة قبول أي بحث بدون مراعاة ضوابط النشر السابقة.
- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء مؤلفيها، ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو جهة الإصدار.
- ترسل الأبحاث كاملة مستوفية للشروط المعلنة على البريد الإلكتروني للمجلة:

Delalat@tu.edu.ly

| الصفحة | المحتويات | ت |
|--------|--|----|
| 15 | التطور الأصولي لسد الذرائع عند المالكية بين الإمامين القرافي (684هـ) والشاطبي (790هـ) د. رافت محمود حمبوظ | 1 |
| 37 | استدراك على جواب لابن عذوم في حقيقة الإعذار للشيخ إبراهيم بن عبد القادر الرياحي ت1266هـ د. فرج علي جوان د. مصطفى محمد جهيمة | 2 |
| 62 | النزعة الفلسفية في شعر إبراهيم الأسطى عمر د. أحمد محمد محمود الميداني د. فوزي عمر سالم الحداد | 3 |
| 94 | الحدائث مفهومها، نشأتها ، غاياتها فاطمة عبد الحميد عبدالله الفاخري | 4 |
| 111 | الأخطاء الإملائية الشائعة وعلاقتها بالدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بليبيا د / عبد المقصود أحمد بدوي | 5 |
| 141 | المحاكاة والتخييل ودورهما في بناء الصورة الشعرية عند الفلاسفة المسلمين د. سهام أحمد الأريبع | 6 |
| 163 | الفن العام في الأماكن الحضرية أ. فيروز عبدالسلام نصيب الصوينعي أ. مريم عبدالسلام نصيب الصوينعي | 7 |
| 186 | الوفاء بين الشرع والطب د. منصور شعت ضيف الله المالكي | 8 |
| 208 | دور الخطاب الديني في مواجهة جريمة المتاجرة بالأعضاء البشرية د. محمد بومدين بطاهر | 9 |
| 221 | جوانب من تاريخ التعليم بالمساجد الأندلسية (6 - 8 هـ / 12 - 14 م) د. تهناني سلامة حسن سلامة | 10 |
| 243 | بعض المتغيرات الأسرية والتربوية وعلاقتها بالتحصيل العلمي دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة بنغازي. أ. مبروكة إبراهيم أمينية | 11 |
| 269 | وسائل الإعلام ودورها في عملية التنشئة الاجتماعية د. هاجر أحمد الشريف | 12 |
| 286 | الحق في الحصول على المعلومات وأهمية تداولها د. جبريل عوض موسى جبريل | 13 |
| 308 | ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية خلال مرحلة التحقيق د. منصور حمدي مصطفى | 14 |

| الصفحة | المحتويات | ت |
|--------|---|----|
| 327 | السياسات الوطنية لمكافحة الفساد في ليبيا (بحث استكشافي لمدى التوافق مع الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد) مرعية عبدالله موسى العبار | 15 |
| 351 | تأثير جودة التقارير المتكاملة في قيمة الوحدة الاقتصادية م.علي خلف كاطع الجبوري | 16 |
| 375 | تطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصال من منظور هيكلية (نظرية تكوين البنية نموذجاً) د. حسين موسى عبدالجليل جبريل | 17 |

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله
المنتجبين وصحبه المتطهرين.

وبعد:

على بركة الله نصدر العدد الثالث من دلالات مجلة العلوم الإنسانية
والتربوية، إصدار علمي محكم لنشر الأبحاث العلمية الرصينة والدراسات
الأصيلة، المنضوية تحت العلوم التربوية وما يتداخل معها من العلوم
الإنسانية كافة.

يأتي هذا الإصدار ليكون خاتمة إصداراتنا لهذا العام 2021 ، وبه
نقفل المجلد الأول الذي حوى ثلاثة أعداد صدر الأول منها في شهر مارس
والثاني شهر يوليو والثالث - الذي نقدمه اليوم- شهر نوفمبر، في نسخ
الالكترونية وأخرى ورقية ، جرى الاهتمام بها لتعكس العناية الكبيرة التي
نوليها في جامعة طبرق- وبرعاية خاصة من رئيسها الأستاذ الدكتور حسن
علي خيرالله- للبحث العلمي والارتقاء به وتحسين صورته وتيسير سبل
إخراجه في أفضل صورة وأبهى حلة.

في هذا العدد ننشر لباحثين جادين من مختلف أرجاء الوطن، من
جامعة طبرق إلى عدد من جامعاتنا الوطنية وصولاً لباحثين من الجزائر
والأردن والعراق، تحقيقاً لأهدافنا المعلنة في جعل المجلة منبراً علمياً ليس
فقط على المستوى المحلي وإنما على المستويين العربي والدولي.

كما يسرنا أن نعلن عبر هذا العدد عن إطلاق جائزة البحث المتميز،
التي تأتي في إطار تحقيق أهداف المجلة في الرقي بالبحث العلمي، وهذه
الجائزة ستعقد سنوياً لاختيار أفضل البحوث التي نشرت في الأعداد الثلاثة
التي تصدرها المجلة سنوياً، وستعلن التفاصيل كاملة في حينها على منصات
المجلة وموقعها الإلكتروني.

وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس التحرير
د. فوزي عمر الحداد

التطور الأصولي لسد الذرائع عند المالكية
بين الإمامين القرافي (684هـ) والشاطبي (790هـ)

إعداد :

الدكتور رافت محمود حمبوظ
محاضر غير متفرغ الجامعة الاردنية
عمان - الاردن

المستخلص :

جاء هذا البحث ليتناول موضع أصولي عند المذهب المالكي وهو سد الذرائع وبيان التطور في مصطلح سد الذرائع عند الإمامين القرافي والشاطبي، ببيان تعريف سد الذرائع وأدلة حجته، ثم ببيان التعريف الخاص لسد الذرائع عند الإمام القرافي والإمام الشاطبي، وكذلك بيان الأقسام المختلف لمصطلح سد الذرائع عند الإمام القرافي والإمام الشاطبي مع التمثيل على كل نوع، وبعد ذلك قام الباحث بالمقارنة بين تعريف الإمام القرافي وتعريف الإمام الشاطبي لبيان مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف بين كلا التعريفين، وبعد التطور الأصولي لمصطلح سد الذرائع عند المالكية بين الإمامين القرافي والشاطبي من الأدلة الواضحة في جهد العلماء في استيعاب المستجدات المختلفة لولقع العصر واستنهاض الأدلة المختلفة من أجل الإجابة على التساؤلات المختلفة.

الكلمات المفتاحية : سد الذريعة، المصالح المرسله، علم الاصول

ABSTRACT

This research came to address the fundamentalist position in the Maliki school, namely, the closing of the excuses and the statement of evolution in the term of filling the excuses at the graves and the karafi, with a statement of the definition of blocking the excuses and proofs of his argument, and then the statement of the special definition to fill the excuses at Imam Qarafi and Imam Shatby. Imam al-Qarafi and Imam al-Shatby with representation on each type, and then the researcher compared the definition of Imam Qarafi and the definition of Imam Shatby to indicate the terms of agreement and the difference between the two definitions, and the fundamental development of the term filling the pretexts between the Maalikip The evidence is clear in the effort of scientists to understand the different developments of the era and the mobilization of different evidence in order to answer different questions

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين رافع منازل العالمين و الصلاة و السلام على الهادي الأمين أما بعد، فالله عزوجل أنزل شرعه لإخراج الناس من غياهب الظلم إلى نور العدل و الطريق القويم الذي يتضمن كل مصالحهم وما ينهض بحياتهم إلى أرقى مستويات الكمال الإنساني، فمقصد الشارع هو تحقيق مصالح العباد، و هذه المقاصد لا تتحقق إلا بأسباب تفضي إليها؛ ولما كانت هذه الأسباب تابعة للمسببات (المصالح) فهي معتبرة باعتبارها ؛ فوسائل الطاعات و القربات في محبتها و الإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها ، ووسائل المحرمات و المعاصي في كراهتها و المنع منها بحسب إفضائها إلى غايتها ، فوسيلة المقصود (المصلحة) مقصودة، لكن المصالح المقصودة قصد الغايات و الوسائل و الأسباب مقصودة قصد الوسائل يقول الشاطبي: “ وضع الأسباب يستلزم قصد الواضع إلى المسببات”⁽¹⁾ فالأسباب مشروعة لتحقيق المصلحة أو درء المفسدة المسببة لأن درء المفسدة مصلحة؛ فتحريم الخلو بالأجنبية درءاً لمفسدة الزنا مصلحة لجميع المجتمع، ويقول الإمام العز بن عبد السلام: “ وللوسائل أحكام المقاصد ، فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، و الوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل ثم تترتب الوسائل بترتب المصالح و المفساد، فمن وفقه الله للوقوف على ترتب المصالح عرف فاضلها من مفضولها و مقدمها من مؤخرتها”⁽²⁾.

ولما كان لسد الذرائع هذه الأهمية جاء هذا البحث ليسلط الضوء على مفهوم سد الذرائع عند عالمين جليلين هما الإمام القرافي و الإمام الشاطبي وكيف نظر كل منهما إلى هذا الأصل العظيم من أصول التشريع الإسلامي.

وقد تكلم الإمام مالك في هذا الباب و تبعه فقهاء المذهب ومنهم هذين الإمامين، و إدراك مثل هذه القواعد يدل على المكانة العالية للعقل البشري⁽³⁾ في التشريع الإلهي وهذه هي المهمة العظيمة المنوطة بهذا العقل الذي يملكه المجتهد و الذي يمكنه من خلافة النبوة في مهامها، وفي هذا المعنى يقول الشاطبي: “ وتدرج النبوة بين جنبيه (المجتهد) وإن لم يكن نبياً”⁽⁴⁾ فالعقل والشرع هما قوام الاجتهاد في التشريع الإسلامي؛ فالشرع جاء بالنصوص والقواعد العامة

(1) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (المتوفى: 790هـ)، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط1، تاريخ الطبعة: 1417هـ / 1997م ج1ص194.

(2) سلطان العلماء، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، (المتوفى: 660هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ج1ص53 - 54.

(3) يقول المفسر ابن كثير في قوله تعالى: “ هل في ذلك قسم لذي حجر ” أي لذي عقل و لب و دين و حجي و إنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي مالا يليق به من الأفعال و الأقوال ومنه حجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامى ومنه حجر اليمامة و حجر الحاكم على فلان إذا منعه من التصرف ” ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1، تاريخ الطبعة 1419 هـ، ج4ص508.

(4) الشاطبي، الموافقات، مصدر سابق، ج1ص21.

والعقل⁽⁵⁾ جاء من أجل تطبيق هذه القواعد بما يحقق العدل والمصلحة في جميع الظروف والأحوال مع مراعاة الظروف المحتفة بالواقعة المراد تطبيق القاعدة عليها، يقول الغزالي: "وأشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي والشريع و علم الفقه وأصوله من هذا القبيل فإنه يأخذ من صفوة الشريع والعقل سواء السبيل فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشريع بالقبول ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد"⁽⁶⁾.

مشكلة البحث

ما المقصود بسد الذرائع عند الإمام القراني والإمام الشاطبي؟
 ما أنواع سد الذرائع عند الإمامين القراني والشاطبي؟
 ما هي مواطن الاتفاق والاختلاف في سد الذرائع عند الإمامين القراني والشاطبي؟
 أهداف البحث:

بيان مفهوم سد الذرائع عند الإمامين القراني والشاطبي.
 توضيح أنواع سد الذرائع عند الإمامين القراني والشاطبي.
 ذكر مواطن الاتفاق والاختلاف في مصطلح سد الذرائع بين الإمامين القراني والشاطبي.
 أهمية الدراسة:

بيان مصطلح سد الذرائع عند المالكية كمفهوم متطور بين الإمامين القراني والشاطبي.
 بيان الأثر الأصولي للإمام الشاطبي في المذهب المالكي.
 خدمة الباحثين فيما يتعلق بالأصول والتفريع عليها بما يتناسب ومستجدات العصر.
 منهجية البحث:

اعتمدت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي الاستنتاجي، وقد قمت بالرجوع إلى المراجع الأصيلة ناسباً كل قول إلى صاحبه مع مراعاة أصول التوثيق والنقل الصحيح.
 خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، وكانت على النحو التالي:
 المقدمة واحتوت أهمية الدراسة والمنهجية والخطة.
 التمهيد: ترجمة للإمام القراني والإمام الشاطبي.
 المبحث الأول: في تعريف سد الذرائع وأدلة حججه، وفيه طلبان
 المطلوب الأول: تعريف سد الذرائع لغة واصطلاحاً

(5) المقصود بالعقل هنا هو العقل الذي يملكه المجتهد، وليس العقل المجرد لأن العقل المجرد لا يستطيع تطبيق الشريعة لوجده لوجود الهوى والميل النفسي الذي جبلت عليه النفس البشرية.

(6) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط1، تاريخ الطبعة، 1413هـ - 1993م، ج1ص22.

المطلب الثاني : أدلة حجية سد الذرائع
المبحث الثاني : تعريف سد الذرائع و أقسامه عند القرافي والشاطبي ، وفيه ثلاثة مطالب
المطلب الأول : تعريف سد الذرائع عند الإمامين القرافي والشاطبي
المطلب الثاني : أقسام سد الذرائع عند الإمامين القرافي والشاطبي .
المطلب الثالث : المقارنة بين تعريف سد الذرائع وأقسامه عند الإمامين القرافي والشاطبي .
الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث .
وأخيراً فهذا الجهد المستطاع فإن وفقت فمن الله تعالى وله الحمد والمنة وإن
كانت الثانية فمن عجزى وتقصيري وأستغفر الله تعالى .

التهديد :

أولاً : ترجمة الإمام القَرَافِي (626 - 684 هـ = 1228 - 1285 م) التعريف باسمه ومولده⁽⁷⁾

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي المصري: الإمام العلامة الحافظ الفهامة وحيد دهره وفريد عصره المؤلف المتقن شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ ومصنفاته شاهدة له بالبراعة والفضل والبراعة، وهو أحد الأعلام المشهورين انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك رحمه الله تعالى وجد في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى فهو الإمام الحافظ والبحر اللافظ المفوه المنطيق والأخذ بأنواع الترصيع والتطبيق دلت مصنفاته على غزارة فوائده وأعربت عن حسن مقاصده جمع فأوعى وفاق أضرابه جنساً ونوعاً. كان إماماً بارعاً في الفقه والأصول والعلوم العقلية وله معرفة بالتفسير وتخرج به جمع من الفضلاء وأخذ كثيراً من علومه عن الشيخ الإمام العلامة الملقب بسُلطان العلماء: عز الدين بن عبد السلام الشافعي وأخذ عن الإمام العلامة شرف الدين: محمد بن عمران الشهير بالشريف الكوكبي وعن قاضي القضاة شمس الدين: أبي بكر: محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي: سمع عليه مصنفه كتاب وصول ثواب القرآن. مصنفاته العلمية⁽⁸⁾

التنقيح في أصول الفقه مقدمة للذخيرة وشرحه كتاب مفيد والذخيرة من أجل كتب المالكية والفروق والقواعد لم يسبق إلى مثله ولا أتى واحد بعده بشبهه والعقد المنظوم في الخصوص والعموم وشرح التهذيب وشرح الجلاب وشرح فصول الإمام الرازي والتعليقات على المنتخب والأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة في الرد على أهل الكتاب والأمنية في إدراك النية والاستغناء في أحكام الاستثناء والأحكام في الفرق بين الفتاوى والأحكام به فوائد غزيرة وشرح لأربعين لعز الدين الرازي في أصول الدين وكتاب الانتقاد في الاعتقاد وكتاب الأدعية وما يجوز منها وما يكره وغير ذلك. توفي في جمادى الآخرة سنة 684 هـ [1285م].

سارت مصنفاته مسير الشمس ورزق فيها الحظ السامي عن اللبس مباحثه كالرياض المونقة والحدائق المعرفة تتنزه فيها الأسماع دون الأبصار ويجني الفكر ما بها من أزهار وأثمار كم حرر مناط الأشكال؟ وفاق أضرابه النظراء والأشكال؟ وألف كتاباً مفيدة انعقد على كمالها لسان الإجماع وتشنفت بسماعها الأسماع منها: كتاب الذخيرة في الفقه من أجل كتب المالكية وكتاب القواعد الذي لم يسبق إلى مثله ولا أتى أحد بعده بشبهه وكتاب شرح التهذيب وكتاب شرح الجلاب وكتاب شرح حصول الإمام فخر الدين الرازي وكتاب التعليقات

(7) ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

(8) مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم (المتوفى: 1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424 هـ - 2003 م ج1 ص270.

على المنتخب وكتاب التنقيح في أصول الفقه وهو مقدمة الذخيرة وشرحه كتاب مفيد وكتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على أهل الكتاب وكتاب الأمنية في إدراك النية وكتاب الاستغناء في أحكام الاستثناء وكتاب الإحكام في الفرق بين الفتاوى والأحكام اشتمل على فوائد غزيرة وكتاب اليواقيت في أحكام المواقيت وكتاب شرح الأربعين لعز الدين الرازي في أصول الدين. وكتاب الانتقاد في الاعتقاد وكتاب المنجيات والموبقات في الأدعية وما يجوز منها وما يكره وما يحرم وكتاب الإبصار في مدركات الأبصار وكتاب البيان في تعليق الأيمان وكتاب العموم ورفعه وكتاب الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب بن نباتة وكتاب الاحتمالات المرجوحة وكتاب البارز للكفاح في الميدان وغير ذلك.
أقوال العلماء فيه⁽⁹⁾

قال ابن فرحون: كان أحسن من ألقى الدروس وحلي من بديع كلامه نحور الطروس إن عرضت حادثة فبحسن توضيحه تزول وبعزمته تحول. فلفقده لسان الحال يقول:

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفر
وكان القرافي رحمه الله كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين:

وإذا جلست إلى الرجال وأشرققت ... في جو باطنك العلوم الشرد
فاحذر مناظرة الحسود فإنما ... تغتاظ أنت ويستفيد ويحرد
وكان كثيراً ما يتمثل بقول محي الدين المعروف بحافي رأسه :

عتبت على الدنيا لتقديم جاهل ... وتأخير ذي علم فقالت : خذ العذرا

بنو الجهل أبنائى وكل فضيلة ... فأبناؤها أبناء ضرتي الأخرى

قال الشيخ شمس الدين بن عدلان الشافعي: أخبرني خالي الحافظ شيخ الشافعية بالديار المصرية أن شهاب الدين القرافي حرر أحد عشر علماً في ثمانية أشهر - أو قال: ثمانية علوم في أحد عشر شهراً.

وذكر عن قاضي القضاة تقي الدين بن شكر - قال: أجمع الشافعية والمالكية على أن أفضل أهل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي بمصر القديمة والشيخ ناصر الدين بن منير بالإسكندرية والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بالقاهرة المعزية وكلهم مالكية خلا الشيخ تقي الدين فإنه جمع بين المذهبين.

قال أبو عبد الله بن رشيد: وذكر لي بعض تلامذته: أن سبب شهرته بالقرافي: أنه لما أراد الكاتب أن يثبت اسمه في بيت الدرس كان حينئذ غائباً فلم يعرف اسمه وكان إذا جاء للدرس يقبل من جهة القرافة فكتب: القرافي فجرت عليه هذه النسبة. وذكر بعضهم أن أصله من البهنسا.

(9) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله (المتوفى: 764هـ)، السوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: 1420هـ - 2000م، 6 / 146، ينظر الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط15، تاريخ النشر: 2002 م، ج1ص94 - 95.

ثانيا : ترجمة الإمام الشاطبي (720 - 790 هـ = 1318 - 1388 م).
التعريف باسمه ومولده⁽¹⁰⁾

أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي: العلامة المؤلف المحقق النظار أحد الجهابذة الأخيار وكان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف أحد العلماء الأثبات وأكابر الأئمة الثقات الفقيه الأصولي المفسر المحدث، له استنباطات جليلة وفوائد لطيفة وأبحاث شريفة مع الصلاح والعفة والورع واتباع السنة واجتناب البدع. توفي في شعبان سنة 790 هـ [1388م].
مسيرته العلمية⁽¹¹⁾

أخذ عن أئمة منهم ابن الفخار لازمه وأبو عبد الله البنسي وأبو القاسم الشريف السبتي وأبو عبد الله الشريف التلمساني والإمام المقرئ وابن لب والخطيب ابن مرزوق وأبو علي منصور المشذالي وأبو العباس القباب وأبو عبد الله الحفار وغيرهم وعنه أبو بكر بن عاصم وأخوه أبو يحيى محمد صاحبه وانتفع به وورث طريقته وعبد الله البياني وخلق وله أبحاث شريفة مع كثير من الأئمة في مشكلات المسائل كالقباة والفشتالي وابن عرفة وابن عباد أجلت عن ظهوره فيها وقوة عارضته وإمامته.

وبالجملته فقدرة في العلوم فوق ما يذكر وتحليلته في التحقيق فوق ما يشهر. له تأليف نفيسة اشتملت على تحريرات للقواعد وتحقيقات لمهمات الفوائد منها شرح جليل على الخلاصة في أربعة أسفار والمواقفات في الفقه جليل جداً لا نظير له من أنبل الكتب وتأليف جليل في الحوادث والبدع في غاية الإجادة سماه الاعتصام والمجالس شرح به كتاب البيوع من البخاري فيه من الفوائد والتحقيقات ما لا يعلمه إلا الله تعالى وكتاب الإفادات والإنشاءات فيه طرف وتحف وملح وعنوان الاتفاق في علم الاشتقاق وله غير ذلك وفتاوى كثيرة وكان يرى جواز ضرب الخراج على المسلمين للمصلحة انظر نيل الابتهاج تستفد .
أقوال العلماء فيه⁽¹²⁾

وقال التنبكتي: " له القدم الراسخ والإمامة العظمى في الفنون فقها وأصولا وتفسيرا وحديثا وعربية وغيرها ... "

(10) مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم (المتوفى: 1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424 هـ - 2003 م، 1/ 332 - 333.

(11) عادل نويهض، معجم المفسرين، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط3، 1409 هـ - 1988 م، ج1ص23، ينظر الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (المتوفى: 1396هـ)، الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، تاريخ النشر 2002 م، ج1ص75.

(12) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (المتوفى: 1396هـ)، الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، تاريخ النشر 2002 م، ج1ص75.

المبحث الأول : تعريف سد الذرائع و أدلة حجيته.
المطلب الأول: تعريف سد الذرائع لغةً و اصطلاحاً.

الفرع الأول : سد الذريعة في اللغة.

السد لغةً: إغلاق الخلل و ردم الثلم⁽¹³⁾، و سد الشيء أصلحه و وثقه⁽¹⁴⁾.

الذريعة لغة: مأخوذة من (دَرَعَ) وهو أصل يدل على الامتداد و التحرك،
والذراع هو ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، والذريعة: الوسيلة،
يقال: تذرع فلان بكذا أي توصل به، وأصل الذريعة جمل أو ناقة يترك ليسير
مع الطرائد حتى تألفه ثم يقوم الشخص الذي وضعه بالسير إلى جانبه فيستتر
به يرمي الصيد إذا أمكنه، والذريعة حلقة يتعلم عليها الصيد⁽¹⁵⁾.
الاستعمالات اللغوية للذريعة:

الوسيلة

السبب

الدريئة : وهي الناقة المستخدمة في الصيد.

الحلقة التي يتعلم عليها.

الفرع الثاني: سد الذريعة اصطلاحاً.

عرف الأصوليون سد الذرائع بعدة تعريفات منها:

تعريف القرافي حيث قال: "سد الذرائع ومعناه حسم مادة وسائل الفساد
دفعاً لها، فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة للمفسدة، منع مالك من
ذلك الفعل في كثير من الصور"⁽¹⁶⁾.

وعرفها الشاطبي بقوله: "التوصل بما هو مصلحة إلى مفسدة"⁽¹⁷⁾.

وعرفها الفتوحى بقوله: " ما ظاهره المباح و يتوصل به إلى المحرم"⁽¹⁸⁾.

(13) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ، ج6 ص209.

(14) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، تاريخ الطبعة 1426 هـ - 2005 م، ص 717، ينظر الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي، (المتوفى: نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الناشر: المكتبة العلمية - بيروت ج1 ص367.

(15) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص717، ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج6 ص209، ينظر الفيومي، المصباح المنير، ج1 ص282، ينظر قلجعي، محمد رواس، قنبيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، الناشر: دار الفنائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، تاريخ الطبعة، 1408 هـ - 1988 م، ص 242.

(16) القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (المتوفى: 684هـ)، الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، الناشر: عالم الكتب، ج2 ص32، ينظر القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (المتوفى: 684هـ) الذخيرة، المحقق: جزء 1، 8، 13، محمد حجي، جزء 2، 6: سعيد أعراب، جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، تاريخ الطبعة 1994 م، ج1 ص152، ينظر القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (المتوفى: 684هـ) شرح تنقيح الفصول، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط1، تاريخ الطبعة 1393 هـ - 1973 م، ص448.

(17) الشاطبي، الموافقات، ج4، ص199.

(18) الفتوحى، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي (المتوفى: 972هـ)، شرح الكوكب المنير المحقق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، ط2، تاريخ الطبعة 1418هـ - 1997 م، ص597.

وعرفها ابن تيمية بقوله: "ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل المحرم، و لو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة، ولهذا قيل الذريعة الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى الفعل المحرم"⁽¹⁹⁾.

عرفها الدريني بأنها: "منع المشروع إذا أضحى وسيلة إلى الشيء المحرم أو الممنوع شرعاً"⁽²⁰⁾.

بناءً على هذه التعريفات يلاحظ أن سد الذرائع قائم على منع المشروع إذا أريد به غير المشروع، يقول الدكتور الدريني في معرض كلامه عن قاعدة المستثنيات والتي من بينها سد الذرائع: "قاعدة الاستثناء إذن ليست دليلاً مستقلاً، أو مصدرًا للتشريع وإنما هي "خطة تشريعية" لا تكاد تجد أحداً من أئمة الاجتهاد إلا وعمل بمقتضاها في معالجة الواقع"⁽²¹⁾.

المطلب الثاني: أدلة حجية سد الذرائع.

لقد نهضت أدلة كثيرة بحجية هذا الأصل، سأذكر بعضاً منها في هذا المبحث.

أ - من القرآن الكريم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: 104)، فالله عزوجل نهى المؤمنين من قول راعنا على جهة الرغبة في المراجعة، حتى لا يكون هذا القول منهم ذريعةً للتشبه باليهود الذين كانوا يقصدون بهذه الكلمة السب⁽²²⁾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ آمَةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 108)، يقول الشوكاني في شأن هذه الآية: "وهي أصل أصيل في سد الذرائع و قطع التطرق إلى التشبه"⁽²³⁾، فالله عز وجل نهانا عن سب آلهة الكفار حتى لا يسب الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 35)، يقول القرطبي: "إن الله تعالى لما أراد النهي عن أكل الشجرة نهى عنه بلفظ يقتضي الأكل وما يدعو إليه

(19) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم (المتوفى: 728هـ) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، ط1، تاريخ الطبعة 1408هـ - 1987م، ج6 ص 173.

(20) الدريني، فتحي، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1434 هـ / 2013 م، ص 487.

(21) المرجع السابق.

(22) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (المتوفى: 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، تاريخ الطبعة 1420 هـ - 2000 م، ج1 ص 470.

(23) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (المتوفى: 1250هـ) فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، تاريخ الطبعة 1414 هـ، ج2 ص 150.

العرب وهو القرب ، قال ابن عطية: وهذا مثال بين في سد الذرائع⁽²⁴⁾.
 والقاعدة مبنية أيضاً على ما يسميه أصل التعاون، ومن أدلته قوله تعالى:
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ
 الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا
 نُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
 عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: 2) فالفعل الجائز إذا
 كان موصلاً إلى حرام هو وسيلة إليه ويكون معاوناً على المقصد الحرام، فتأخذ
 الوسيلة حينئذ حكم المقصد، وإذا كان مؤدياً إلى مأمور به فهو وسيلة إلى البر
 ومعاون على المقصد المطلوب شرعاً، فيأخذ أيضاً حكم المقصد⁽²⁵⁾.
 ب- من السنة النبوية الشريفة.

قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا
 رسول الله وهل يشتم الرجل والديه، قال: نعم؛ يسب أبا الرجل فيسب أباه و
 يسب أمه فيسب أمه"⁽²⁶⁾ يقول الشوكاني: "قال ابن بطال: هذا الحديث أصل في
 سد الذرائع و يؤخذ منه أنه إن أمره إلى محرم حرم عليه الفعل و إن لم يقصد
 المحرم"⁽²⁷⁾.

قول النبي ﷺ: "لا تباشر المرأة المرأة حتى تصفها لزوجها كأنما ينظر
 إليها"⁽²⁸⁾، فالنبي ﷺ نهى عن وصف المرأة المرأة حتى لا يتعلق قلب الزوج بتلك
 المرأة ويترك زوجته، يقول الأhozني: "هذا أصل لمالك في سد الذرائع فإن الحكمة
 في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور فيفرض ذلك إلى تطبيق
 الواصفة أو الافتتان بالموصوفة"⁽²⁹⁾.

قول النبي ﷺ: "الحلال بين و الحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من

(24) القرطبي، عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، تاريخ الطبعة 1384هـ - 1964 م، ج 1 ص304.

(25) فاعور، محمود عبد الهادي، المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية، ط1، تاريخ الطبعة 1427هـ - 2006م، الناشر: بسيوني للطباعة صيدا - لبنان، ج 2 ص106.

(26) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث 90، ج 1 ص92.

(27) الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسن (المتوفى: 1182هـ)، سبل السلام، الناشر: دار الحديث، ج 4 ص166.

(28) الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤدة بن موسى بن الضحاك (المتوفى: 279هـ) سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1395 هـ - 1975 م، كتاب الادب، باب في كراهية مباشرة الرجال الرجال والمرأة المرأة، رقم الحديث 2792، ج 5 ص109، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(29) المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (المتوفى: 1353هـ)، تحفة الأhozني بشرح جامع الترمذي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ج 8 ص62.

الناس فمن اتقى المشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب“⁽³⁰⁾ فبين النبي ﷺ أن الابتعاد عن الشبهات محمود حتى لا تتخذ الشبهة وسيلة إلى الحرام. ج- من فعل الصحابة.

1- جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ﷺ خشية زهاب شيء من القرآن، جاء في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت ﷺ قال: “أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر: هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف و صدور الرجال حثة وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لك أجدها مع أحد غيره ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128) حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنه“⁽³¹⁾.

2 - فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدم تقسيم أرض العراق⁽³²⁾.

المبحث الثاني : تعريف سد الذرائع وأقسامه عند الإمامين القراني والشاطبي.

المطلب الأول : تعريف سد الذرائع عند الإمامين القراني والشاطبي.

الفرع الأول : تعريف سد الذرائع عند الإمام القراني.

يقول القراني في فروقه: “حسم مادة وسائل الفساد دفعا لها، فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة للمفسدة، منع مالك من ذلك الفعل في كثير من الصور“⁽³³⁾.

(30) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط1، تاريخ الطبعة 1422هـ. كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث 52، ج1 ص28

(31) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن الكريم، رقم الحديث 4986، ج6 ص183.

(32) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، الناشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا تاريخ الطبعة 1414 - 1994، ج9 ص135.

(33) القراني، الفروق، ج2 ص32، ينظر القراني، الذخيرة، ج1 ص152، ينظر القراني، شرح تنقيح الفصول، ص448.

والحسم هو القطع؛ أي أن أصل هذا المصدر يقوم على قطع كل وسيلة تؤدي إلى الفساد والوقوع في المحرم، والوسائل المقصود حسمها في هذا الأصل هي وسائل مشروعة بذاتها -جائزة شرعاً- إلا أن القيام بهذه الوسيلة الجائزة يؤدي إلى حصول المحرم الذي يجب اجتنابه واجتناب المحرم هو مقصد الشارع أما الوسيلة فهي طريق لهذا المقصد فكان المقصد هو الأساس وكانت الوسيلة هي الطريق؛ فتأخذ الوسيلة حكم المقصد.

الفرع الثاني: تعريف سد الذرائع عند الإمام الشاطبي وضوابطه.

أولاً: تعريف سد الذرائع.

يعرف الشاطبي سد الذرائع بأنها: "التوسل بما هو مصلحة إلى المفسدة"⁽³⁴⁾، فالفعل في أصله مباح وهو مصلحة لكن المكلف قصد من هذه الإباحة التوصل إلى المفسدة.

نلاحظ من التعريف أنه لا بد من وجود أمرين:

وسيلة: وهذه الوسيلة إما أن تمون مباحة أو مطلوبة وفي كلا الأمرين هي مصلحة. متوسل إليه: وهذا يكون فعلاً محرماً؛ وبالتالي فهو مفسدة لأن الله تعالى لم ينه عن شيء إلا وفيه مفسدة للمكلفين.

ثانياً: ضوابط سد الذرائع.

وفيما يلي بيان لضوابط سد الذرائع عند الإمام الشاطبي⁽³⁵⁾:

الضابط الأول:

أن لا يكون المباح مباحاً للحاجة أو للضرورة. فما كان كذلك فإن معارضته بالمال المحرم أو بما يعترضه من منكرات لا تصح. لأن الفرض أن المكلف مضطر إليه، والضرورات مغتفرة أصلاً في الشرع، بل إن هذا المباح قد صار واجباً كنتناول الميتة في المخمصة، أو محتاج إليه بحيث إذا تركه لحقه حرج وقد دل الشرع على رفع الحرج، وتحريم الفعل لأجل المال يوقع الحرج بالمكلف، فدل هذا على أن الفعل المشروع للضرورة أو للحاجة ليس محلاً لإعمال قاعدة سد الذرائع.

الضابط الثاني:

أن يكون التوصل إلى الممنوع مقصوداً للمكلف بالفعل المشروع، فإذا كان كذلك يصير الفعل المشروع غير مشروع.

فإذا كان الفعل مباحاً في الأصل فهذا يعني أن له مآلاً مطلوباً وهو مقصود الشارع بتشريع الفعل، فإذا تلازم مع هذا المقصود مقصود آخر، فهذا المآل الآخر إما أن يكون مآزوناً فيه وإما أن يكون ممنوعاً، فإن كان مآزوناً فيه فلا إشكال، وإن كان ممنوعاً فهذا يعني توارد الأمر والنهي على متلازمين أي على مآلين متلازمين، وهذا هو الموضوع هنا، ومثاله من زرع عنباً ليصنع خمراً ففعل زراعة العنب مباحاً شرعاً ومآله الشرعي المطلوب هو الاتجار به، وهذا

(34) الشاطبي، الموافقات، ج 4 ص 199.

(35) فاعور، المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية، 2 / 107 - 121.

الاتجار مشروع الا ما كان منه لمحرم شرعا وهو صناعة الخمر فلا يجوز.
الضابط الثالث :

أن يكون الفعل المأذون فيه شرعاً مؤدياً إلى المفسدة كثيراً لا نادراً، فإن كان أداؤه إلى المفسدة نادراً فهذا لا يحرم، أي لا يفتي المجتهد بحرمة، وإن كانت هذه المفسدة مقصودة لمكلف مخصوص فهذا مما لا يطلع عليه المجتهد ولا يحكم بناء عليه، واشترط أن تكون التأدية إلى المفسدة كثيراً لا نادراً هو بناءً على أن الحكم للغالب لا للنادر، مثلما كان اعتبار القصد بما هو أصيل غالب في المجتمع. وهذه الضوابط الثلاث تراعي الانسجام بين الاحكام الشرعية، وتمنع التعارض بين تلك الاحكام.

المطلب الثاني : أقسام سد الذرائع عند الإمامين القرافي والشاطبي.

الفرع الأول : أقسام الذرائع عند الإمام القرافي .

بناءً على التعريف السابق يقسم الإمام القرافي الذرائع إلى أقسام عدة هي:

ذرائع معتبرة بالإجماع: ومن أمثلتها حفر الآبار في طريق المسلمين وإلقاء السم في أطعمتهم، وسب الأصنام عند من يعلم من حاله أنه يسب الله تعالى عند سبها⁽³⁶⁾.

ذرائع ملغاة إجماعاً: كزراعة العنب، فلا يمنع المزارع من زراعة العنب خشية استعمال العنب في صناعة الخمر.

ذرائع مختلف فيها: ويقول القرافي في بيان هذا النوع: "كبيوع الآجال عندنا كمن باع سلعة بعشرة دراهم إلى شهر ثم اشتراها بخمسة قبل الشهر، فمالك يقول: إنه أخرج من يده خمسة الآن وأخذ عشرة آخر الشهر فهذه وسيلة لسلف خمسة بعشرة إلى أجل توسلاً بإظهار صورة البيع لذلك والشافعي يقول ينظر إلى صورة البيع ويحمل الأمر على ظاهره فيجوز ذلك وهذه البيوع يقال إنها تصل إلى ألف مسألة اختص بها مالك وخالفه فيها الشافعي وكذلك اختلف في النظر إلى النساء هل يحرم؛ لأنه يؤدي إلى الزنى أو لا يحرم والحكم بالعلم هل يحرم؛ لأنه وسيلة للقضاء بالباطل من القضاة السوء أو لا يحرم وكذلك اختلف في تضمين الصناع؛ لأنهم يؤثرون في السلع بصنعتهم فتتغير السلع فلا يعرفها ربها إذا بيعت فيضمنون سداً لذريعة الأخذ أم لا يضمنون؛ لأنهم أجراء وأصل الإجارة على الأمانة قولان وكذلك تضمين حملة الطعام لئلا تمتد أيديهم إليه"⁽³⁷⁾.

الفرع الثاني: تحليل التعريف والأقسام عند القرافي.

بعد العرض السابق لتعريف سد الذرائع وأقسامه عند القرافي، يلاحظ أن الإمام القرافي بنى هذا التعريف على النتيجة المتوقعة من هذا الفعل ولهذا نجده يقول: "الذريعة الوسيلة إلى الشيء وأصلها عند العرب ما تألفه الناقه الشاردة

(36) الدريني، فتحي، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 4، 1408 هـ - 1988 م، ص 172.

(37) القرافي، الفروق، ج 2 ص 32.

من الحيوان لتضبط به، ثم نقلت إلى البيع الجائز صورة المتخيل به على ما لايجوز وهو السلف الجار نفعاً، وكذا غير البيع على وجه التخيل به على ما لايجوز من كل شيء كان وسيلة لشيء ما عدا المعنى الحقيقي كأن يكرم بائع من أريد الشراء منه لأجل أن يغره بالبيع له بثمن مرتفع أو نحو ذلك على طريقة الاستعارة التصريحية بتشبيهه كل شيء كان وسيلة لشيء غير المعنى الحقيقي بالمعنى الحقيقي بجامع مطلق التوسل في كل، ثم صارت حقيقة عرفية⁽³⁸⁾.

وبالتالي يجب النظر في الفعل - الوسيلة - هل هو وسيلة للمفسدة أم لا؟ فإن كان وسيلة لها فهو ممنوع لا لذاته بل للنتيجة التي أفضى إليها ولهذا يقول في فروقه: "والوسيلة إذا لم تفض لمقصدها سقط اعتبارها"⁽³⁹⁾.

الفرع الثالث: تقسيم الذرائع عند الإمام الشاطبي.

قسم الشاطبي الذرائع باعتبارين:

الأول: بحسب موقف العلماء منها سداً وفتحاً⁽⁴⁰⁾ وهذا التقسيم هو نفس تقسيم الإمام القرافي السابق في المبحث الثاني.

الثاني: بحسب مآلها.

قسم الشاطبي الذرائع من حيث مآلها إلى عدة أقسام حيث قال في موافقاته: "جلب المصلحة أو دفع المفسدة إذا كان مأذوناً فيه على ضربين: أحدهما: أن لا يلزم عنه إضرار بالغير.

الثاني: أن يلزم عنه ذلك.

وهذا الثاني ضربان:

الأول: أن يقصد الجالب أو الدافع ذلك الإضرار كمن يرخص سعر سلعته مطلباً للعيش وإضراراً بالغير.

الثاني: أن لا يقصد إضراراً بأحد وهو قسمان:

أن يكون الإضرار عاماً كتلقي السلع وبيع الحاضر للبادي والامتناع من بيع داره أو أرضه وقد اضطر إليه الناس لمسجد جامع أو غيره.

أن يكون خاصاً وهو نوعان:

أحدهما: أن يلحق الجالب أو الدافع بمنعه من ذلك ضرر فهو محتاج إلى فعله كالدافع عن نفسه مظلمة يعلم أنها تقع بغيره أو يسبق إلى شراء طعام أو ما يحتاج إليه أو إلى صيد أو حطب أو ماء أو غيره عالماً أنه إذا حازه استضر غيره بعدمه ولو أخذ من يده استضر.

الثاني: أن لا يلحقه بذلك ضرر وهو على ثلاثة أنواع:

ما يكون أداؤه إلى المفسدة قطعياً أعني القطع العادي كحفر البئر خلف باب الدار في الظلام بحيث يقع الداخل فيه بلا بد و شبه ذلك.

(38) القرافي، الفروق، ج3 ص275.

(39) القرافي، الفروق، ج3 ص145.

(40) الشاطبي، الموافقات، ج2 ص390.

ما يكون أداؤه إلى المفسدة نادراً كحفر البئر بموضع لا يؤدي غالباً إلى وقوع أحد فيه أو أكل الأغذية التي غالبها أن لا تضر أحداً وما أشبه ذلك.
 ما يكون أداؤه إلى المفسدة كثيراً لا نادراً وهو على وجهين :
 أحدهما: أن يكون غالباً كبيع السلاح من أهل الحرب والعنب من الخمار وما يغش به ممن شأنه الغش ونحو ذلك.
 الثاني : أن يكون كثيراً لا غالباً كمسائل بيوع الآجال⁽⁴¹⁾.
 الفرع الرابع : تحليل التعريف والأقسام عند الشاطبي.

بعد العرض السابق لتعريف سد الذرائع و أقسامه عند الشاطبي نلاحظ أن الشاطبي بنى التعريف والأقسام على مبدأ عظيم من مبادئ الشريعة الإسلامية ألا وهو مآلات الأفعال؛ فتجده يقول: “النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً كانت الأفعال موافقة أو مخالفة وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلف بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب أو لمفسدة تدرأ ولكن له مال على خلاف ما قصد فيه وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به ولكن له مال على خلاف ذلك فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدى إلى استجلاب المصلحة فيه إلى المفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها فيكون هذا مانعاً من إطلاق القول بالمشروعية وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم مشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية وهو مجال للمجتهد صعب المورد إلا أنه عذب المذاق محمود الغب جار على مقاصد الشريعة⁽⁴²⁾.

بل إن الشاطبي صرح بأن سد الذرائع مبني النظر في المآلات حيث قال: “هذا الأصل (النظر في مآلات الأحكام) ينبني عليه قواعد منها قاعدة الذرائع التي حكمها مالك في أكثر أبواب الفقه⁽⁴³⁾.”

فهو يقرر أن المال معتبر كاعتبار ذات الفعل ولما كان كذلك فقد وجب على المجتهد المتعمق في أصول الشريعة ومقاصدها الذي ينظر في المآلات قبل الجواب عن السؤالات⁽⁴⁴⁾ أن ينعم النظر في ما تؤول إليه هذه الأفعال فإذا كان الفعل في أصله مصلحة سواء أكان بالجلب لها أو بالدفع للمفسدة وأدى القيام بهذا الفعل إلى :

استجلاب مفسدة مساوية للمصلحة أو تزيد عليها.

استدفاع مفسدة تساوي أو تزيد .

فلا يصح القول بمشروعية هذه الأعمال لما فيها من الضرر، ودفع الضرر مقصود شرعاً لحديث النبي ﷺ: “ لا ضرر ولا ضرار⁽⁴⁵⁾ .

(41) الشاطبي، الموافقات، ج2 ص348 - 349.

(42) الشاطبي، الموافقات، ج4 ص194 - 195.

(43) الشاطبي، الموافقات، ج4 ص198.

(44) الشاطبي، الموافقات، ج2 ص348 - 349.

(45) الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمويه (المتوفى: 405هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، تاريخ الطبعة 1411 - 1990، كتاب البيوع، باب وأما حديث معمر بن راشد، حديث رقم 2345، ج2 ص66، قال الحكام صحيح الإسناد وهو على شرط مسلم.

ويعمل الأستاذ الدريني مبدأ "الوسيلة تأخذ حكم مألها"؛ بأنه جاء لدفع مناقضة الشارع، حيث يقول: "و بالتأمل في تعليل هذا الحكم، أي حكم الوسيلة الجائزة أو المطلوبة في ذاتها، والذي تستمده من حكم ما أفضت إليه، يُرى أنه لدفع مناقضة الشارع"⁽⁴⁶⁾ وقال في موضع آخر: "لأنه (أي سد الذرائع) يمنع الافتئات على مقاصد الشريعة عن طريق غير مشروع، وذلك باتخاذ وسيلة مشروعة في الظاهر لتحقيق غرض غير مشروع أو بإفائها إلى مأل ممنوع في ظروف معينة"⁽⁴⁷⁾.

ويقول ابن القيم في هذا الشأن: "فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها تحقيقاً لتحريمه وتثبيتاً له ومنعاً أن يقرب حماه ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه كان ذلك نقضاً للتحريم وإغراء للنفوس به وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء"⁽⁴⁸⁾.

المطلب الثالث: المقارنة بين تعريف سد الذرائع وأقسامها عند الإمامين القراني والشاطبي.

الفرع الأول: نقاط الاتفاق والاختلاف.

أولاً: نقاط الاتفاق.

إن المتأمل في التعريفين السابقين والأسس التي قاما عليها وما تفرع عنهما من أقسام يجد ما يلي:

إن التعريفين متشابهان، فلا فرق بينهما؛ فالقراني يقول: "حسم مادة وسائل الفساد دفعاً لها"، وفسر الفساد بأنه الفعل السالم عن المفسدة، أي الفعل الذي ظاهره المصلحة، والشاطبي يقول: "التوسل بما هو مصلحة إلى المفسدة" أي القيام بفعل ظاهره المصلحة للوصول إلى المفسدة، فالتعريفان متشابهان.

إن الأصل الذي بنى عليه الإمامان تعريفهما واحد وهو اعتبار مأل الفعل ونتيجته.

ثانياً: الإختلاف بين التعريفين.

إن الشاطبي توسع في سد الذرائع أكثر من الإمام القراني وذلك يظهر من خلال: توسعه في مبدأ مآلات الأفعال؛ حيث فرع عنه الكثير من القواعد، منها قاعدة سد الذرائع، يقول الأستاذ الدريني في هذا الشأن: "وهذا الأصل من أبين الأدلة على استجابة الشريعة لما يقتضيه تطور الحياة بالناس، بما يلامس أوجه نشاطهم الحيوي فيها من ظروف، الأمر الذي يدعم صدق قضية عموم الشريعة وخلودها، بلا مرأ"⁽⁴⁹⁾.

(46) الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق، ص 179.

(47) الدريني، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، ص 487.

(48) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (المتوفى: 751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، تاريخ الطبعة 1411هـ - 1991م، ج 3 ص 135.

(49) الدريني، فتحي، بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط2، تاريخ الطبعة 1429هـ - 23ص.

تقسيمه لسد الذرائع؛ حيث قسمه إلى قسمين:
قسم بحسب اعتبار العلماء لها فتحاً وسداً.

قسم باعتبار المال.

وفي هذا دليل كبير على توسع الإمام الشاطبي في سد الذرائع أكثر من الإمام القرافي.
الفرع الثاني: التعريف والتقسيم المختار.

إن التعريف والتقسيم المختاران هو ما ذهب إليهما الإمام الشاطبي؛ لأنه بناهما على مآل الفعل، فاحتوى على الشمولية والدقة وهو بهذا لم يخالف القرافي بل أكمل السير على طريقه حتى جنى هذه الثمرة العطرة التي تركها لنا لننعم بتطبيقها وفق ما يريد الله تعالى.

الفرع الثالث: الأدلة التي أقامها الشاطبي لتنهض بحجية المال.

لأهمية نظرية الشاطبي في مآلات الأفعال سأذكر في هذا المطلب الأدلة التي اعتمد عليها في اعتبار المال.

أقام الشاطبي مجموعة من الأدلة تنهض بمجموعها بحجية اعتبار مآل الفعل، وهذه الأدلة هي:

الأول: إن التكاليف مشروعة لمصالح العباد و مصالح العباد إما دنيوية و إما أخروية ، أما الأخروية فراجعة إلى مآل المكلف في الآخرة ليكون من أهل النعيم لا من أهل الجحيم وأما الدنيوية فإن الأعمال مقدمات لنتائج المصالح فإنها أسباب لمسببات هي مقصودة للشارع والمسببات هي مآلات الأسباب فاعتبارها في جريان الأسباب مطلوب وهو معنى النظر في المآلات⁽⁵⁰⁾.

الثاني: إن مآلات الأفعال إما أن تكون معتبرة شرعاً أو غير معتبرة فإن اعتبرت فهو المطلوب وإن لم تعتبر أمكن أن يكون للأعمال مآلات مضادة لمقصود تلك الأعمال وذلك غير صحيح لأن التكاليف لمصالح العباد ولا مصلحة تتوقع مطلقاً مع إمكان وقوع مفسدة توازيها أو تزيد أيضاً فإن ذلك يؤدي إلى أن لا نتطلب مصلحة بفعل مشروع ولا نتوقع مفسدة بفعل ممنوع⁽⁵¹⁾.

الثالث: الأدلة الشرعية والاستقراء التام أن المآلات معتبرة في أصل المشروعية، كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: 21)، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: 183)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِمَّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 188)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: 108)، وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ

(50) الشاطبي، الموافقات، ج 4 ص 194.

(51) الشاطبي، الموافقات، ج 4 ص 196.

﴿حُبُّوا شَيْئًا وَهِيَ شَرُّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216)، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 179)، وهذا مما فيه اعتبار المال على الجملة⁽⁵²⁾.

الأدلة الدالة على اعتبار المال على وجه الخصوص:

الأول: قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث حين أشير عليه بقتل من ظهر نفاقه: "أخاف أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"⁽⁵³⁾.

الثاني: قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: "لولا أن قومك حديث عهدهم بكفر لأسست البيت على قواعد إبراهيم"⁽⁵⁴⁾.

الثالث: في حديث الأعرابي الذي بال في المسجد أمر النبي ﷺ بتركه حتى يتم بوله وقال: "لا تزرموه"⁽⁵⁵⁾.

الرابع: حديث النهي عن التشديد على النفس في العبادة خوفاً من الانقطاع⁽⁵⁶⁾.

ويكمل الشاطبي قائلاً: "وجميع ما مر في تحقيق المناط الخاص مما فيه هذا المعنى حيث يكون العمل في الأصل مشروعاً لكن ينهى عنه لما يؤول إليه من المفسدة أو ممنوعاً لكن يترك النهي عنه لما في ذلك من المصلحة وكذلك الأدلة الدالة على سد الذرائع كلها فإن غالبها تذرع بفعل جائز إلى عمل غير جائز فالأصل على المشروعية لكن مآله غير مشروع والأدلة الدالة على التوسعة ورفع الحرج كلها ورفع الحرج كلها فإن غالبها سماح في عمل غير مشروع في الأصل لما يؤول إليه من الرفق المشروع ولا معنى للإطناب بذكرها لكثرتها واشتهارها، قال ابن العربي حين أخذ في تقريره هذه المسألة اختلف الناس بزعمهم فيها وهي متفق عليها بين العلماء فافهموها وادخروها"⁽⁵⁷⁾.

(52) الشاطبي، الموافقات، ج 4 ص 195 وما بعدها.

(53) البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم، إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [المنافقون: 6]، رقم الحديث 4905، ج 6 ص 154.

(54) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، رقم الحديث، 1583، ج 2 ص 146.

(55) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الادب، باب الرفق في الأمر كله، رقم الحديث 6025، ج 8 ص 12.

(56) البخاري، صحيح البخاري (1 / 24).

(57) الشاطبي، الموافقات، ج 4 / 198.

الخلاصة :

وفيها أهم نتائج البحث وهي:
 يمكن تعريف سد الذريعة بأنها: "التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة" وهذا تعريف الإمام الشاطبي.
 إن قاعدة سد الذرائع منبثقة عن أصل النظر في مآلات الأفعال.
 إن الإمام القرافي بدأ فكرة المأل ولكنها تبلورت عند الإمام الشاطبي الذي صاغها صياغة دقيقة وشاملة.
 إن مبدأ أصل معنوي عام قطعي، وهو قاعدة للاستدلال بالنصوص في ضوء المصالح.
 إن تقسيم الشاطبي للذرائع أدق وأشمل من تعريف القرافي؛ حيث قسم الذرائع باعتبارين راعى في كل اعتبار حالة معينة الهدف منها تحقيق المصلحة والعدل.

التوصيات :

الاهتمام بتطور المصطلحات المختلفة داخل المذاهب الفقهية، لبيان اثر الفقهاء على تطوير المصطلحات المختلفة للمواكبة المستجدات المختلفة في عصورهم.
 إقامة المؤتمرات المختلفة التي تعتنى بالمذاهب الفقهية التي من شأنها خدمة الأمة وطلبة العلم في العلم المذهبي.
 العناية بكتب وعلماء المذاهب المختلفة لما فيها من كنوز دفينية من شأنها الاجابة او التاصيل لكثير من المستجدات المختلفة التي نعيشها في واقعنا المعاصر.

المصادر والمراجع

1. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (المتوفى: 751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، تاريخ الطبعة 1411هـ - 1991م.
2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم (المتوفى: 728هـ) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، ط1، تاريخ الطبعة 1408هـ - 1987م.
3. ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
4. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1، تاريخ الطبعة 1419 هـ.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ، ج6 ص209.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط1، تاريخ الطبعة 1422هـ، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث 52، ج1 ص28
7. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، الناشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا تاريخ الطبعة 1414 - 1994.
8. الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاک (المتوفى: 279هـ) سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1395 هـ - 1975 م.
9. الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (المتوفى: 405هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، تاريخ الطبعة 1411 - 1990.
10. الدريني، فتحى، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 4، 1408 هـ - 1988 م.
11. الدريني، فتحى، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأى في التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1434 هـ / 2013 م.
12. الدريني، فتحى، بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط2، تاريخ الطبعة 1429هـ.
13. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط15، تاريخ النشر 2002 م.
14. سلطان العلماء، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن

- السلمي، (المتوفى: 660هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.
15. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (المتوفى: 790هـ)، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط1، تاريخ الطبعة: 1417هـ / 1997م.
16. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (المتوفى: 1250هـ) فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط1، تاريخ الطبعة 1414 هـ.
17. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (المتوفى: 764هـ)، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: 1420هـ - 2000م.
18. الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسنبي (المتوفى: 1182هـ)، سبل السلام، الناشر: دار الحديث.
19. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (المتوفى: 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، تاريخ الطبعة 1420 هـ - 2000 م.
20. عادل نويهض، معجم المفسرين، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، ط3، 1409 هـ - 1988 م
21. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط1، تاريخ الطبعة، 1413هـ - 1993م.
22. فاعور، محمود عبد الهادي، المقاصد عند الإمام الشاطبي دراسة أصولية فقهية، ط1، تاريخ الطبعة 1427هـ - 2006م، الناشر: بسيوني للطباعة صيدا - لبنان.
23. الفتوح، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي (المتوفى: 972هـ)، شرح الكوكب المنير المحقق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، ط2، تاريخ الطبعة 1418هـ - 1997 م، ص597.
24. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: 817هـ)، القاموس المحيط تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، تاريخ الطبعة 1426 هـ - 2005 م، ص 717 ،
25. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي، (المتوفى: نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير الناشر: المكتبة العلمية - بيروت ج 1 ص 367.
26. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (المتوفى: 684هـ)، الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، الناشر: عالم الكتب،
27. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (المتوفى: 684هـ) الذخيرة، المحقق: جزء 1، 8، 13: محمد حجي، جزء 2، 6: سعيد أعراب، جزء 3 - 5، 7، 9 - 12: محمد بو خبزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، تاريخ الطبعة 1994 م
28. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (المتوفى: 684هـ)

- شرح تنقيح الفصول، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط1، تاريخ الطبعة 1393 هـ - 1973 م.
29. القرطبي، عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، تاريخ الطبعة 1384هـ - 1964 م.
30. قلعجي، محمد رواس، قنبيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، تاريخ الطبعة، 1408 هـ - 1988 م، ص 242.
31. المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (المتوفى: 1353هـ)، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
32. مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم (المتوفى: 1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424 هـ - 2003 م
33. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

استدراك على جواب لابن عظوم في حقيقة الإعذار
للشيخ إبراهيم بن عبد القادر الرياحي ت1266هـ

دراسة وتحقيق

د. فرج علي جوان
قسم الشريعة والقانون - كلية الشريعة والقانون - الجامعة الأسمرية الإسلامية

القبول: 2021 / 11 / 01

الاستلام: 2021 / 09 / 25

المستخلص:

البحث دراسة وتحقيق لرسالة للإمام إبراهيم الرياحي ت1266هـ، استدرك فيها على القاضي أبي الفضل ابن عظوم ت1009هـ الخطأ الذي وقع فيه من جعله الإعذار مركبا من ثلاثة أمور هي: إعطاء نسخة لمن يريد الحكم، وتأجيله، وقول القاضي للخصم: أبقيت لك حجة؟ وذلك بإثبات أن الإعذار بسيط وليس مركبا، وأنه عبارة عن قول القاضي للخصم: أبقيت لك حجة؟ مستدلا على ذلك بنصوص علماء المذهب المالكي من كتبهم المعتمدة، وجاء البحث في مقدمة، وقسمين: قسم دراسي تناول التعريف بالمؤلف والمؤلف، وقسم تحقيقي تم فيه إخراج الرسالة لأقرب صورة أرادها مؤلفها، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع. الكلمات المفتاحية: قاضٍ، خصم، إعذار، حكم، ابن عظوم

Abstract

Title: Correction of an Answer of Ibn Azzum about Invalidation of an Argument. This research is a study and verification of Ibrahim Alriahi (died 1266 Hijri) in which he corrected judge Abilfadhil IbnAzzum (died 1009 Hijri) as he made invalidation of an argument consist of three:

- (1) Giving a copy to whom he wants the verdict.
- (2) Adjuring it.
- (3) Judge saying to the opponent: Do you still have a proof.

Alriahi proved that invalidating others' argument is only about the judge saying to the opponent: Do you still have a proof? And he draws on the conclusions of the Maliki doctrine scholars and their approved books, .

This research falls into an introduction and two parts: the study part which introduces the writer and his work; and the verification part which has a conclusion and bibliography.

Keywords: judge, opponent, invalidation of an argument, verdict

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، شرع لنا ديننا قويماً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.
والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير.
ورضى الله عن أصحابه وآل بيته الطاهرين المطهرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فلما آلبنا على أنفسنا وحملنا على عاتقنا منذ سنين عدداً العناية بالمخطوط المالكي تحقيقاً وتعليقاً وتصحيحاً، إيماناً منا بالمكان الأرفع الذي يتبوأه بين المخطوطات، فقد وقع الاختيار على مخطوط في فقه القضاء، صغير الحجم كبير القدر، من تأليف فقيه مالكي محقق، ومجتهد مدقق، صار الفقه له من جبل الذراع أطوع، ومن طرف الثمام أقرب، في وقت قلّ فيه هذا الصنف من الفقهاء حتى صاروا لا يجاوزون عدد الأنامل ولا حركات العوامل كما قيل.

أهمية الموضوع وأسباب الاختيار:

- أهمية العلم الذي يتناوله المخطوط، فهو من أشرف علوم الفقه وأعلاها منزلة، وهو فقه القضاء.

- الحاجة الظاهرة لتحرير هذه المسائل وتدقيق البحث فيها، وبخاصة ممن بلغ هذه الرتبة وتبوأ تلك المنزلة.

- اشتهار مؤلف المخطوط بالتدقيق والتحقيق.

- أن المخطوط من تأليف فقيه ترجع أصوله إلى ليبيا.

أسباب الاختيار:

- خدمة المذهب المالكي بالمشاركة في تحقيق نصوصه.

- المسألة التي عاجها المخطوط من الأهمية بمكان يحتاج الوقوف عليها وتحرير القول فيها الفقهاء والمفتون والقضاة، إذ بها تتعلق حقوق العباد، وعليها مدار الفصل عند التنازع بين الخطاء، وإن كثيراً منهم ليبغي بعضهم على بعض كما قرره القرآن.

- من مقاصد التأليف الاعتناء بمسائل دقيقة من حيث الشرح والبيان، وهو عين ما فعله المؤلف في المخطوط قيد التحقيق.

إشكالية البحث:

الإشكال الذي يطرحه المخطوط للبحث والمناقشة يتعلق بموضوع الإعذار من حيث كونه بسيطاً أو مركباً، وهل التوقيف جزء من الإعذار؟ وما يترتب على ذلك من أحكام.

خطة البحث:

وانطوت على مقدمة، وقسمين رئيسيين، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع.

- المقدمة: وضمنها الباحثان حديثا مختصرا حول أسباب الاختيار والأهمية وإشكالية البحث.
- القسم الأول: القسم الدراسي: وتضمن ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: في التعريف بالمؤلف.
- واشتمل على المطالب الآتية:
- المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، وألقابه.
- المطلب الثاني: مولده، ونشأته.
- المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.
- المطلب الرابع: مؤلفاته.
- المطلب الخامس: مكانته العلمية.
- المطلب السادس: وفاته.
- المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط: وتحتة أربعة مطالب:
- المطلب الأول: توثيق عنوان المخطوط ونسبته لمؤلفه.
- المطلب الثاني: موضوع المخطوط وسبب تأليفه.
- المطلب الثالث: أسلوب المؤلف ومنهجه.
- المطلب الرابع: مصادر المؤلف.
- المبحث الثالث: منهج التحقيق ووصف النسخ.
- واحتوى على مطلبين:
- المطلب الأول: وصف منهج التحقيق.
- المطلب الثاني: وصف نسخ المخطوط.
- القسم الثاني: قسم التحقيق، واحتوى نص المخطوط كاملا، محققا تحقيقا علميا.
- خاتمة التحقيق.
- فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، وألقابه .

اسمه ونسبه: إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي ابن إبراهيم الحمودي، ينتهي نسبه إلى قبيلة المحاميد⁽¹⁾، وهم فرع من بني رياح الهلاليين⁽²⁾. وانفرد حفيده صاحب تعطير النواحي بأنه شريف النسب⁽³⁾، ولم يشاركه أحد في ذلك ممن ترجم له حسب اطلاعنا.

كنيته: أبو إسحاق⁽⁴⁾.

ألقابه: حليّ الشيخ بعدة ألقاب، وفيما يأتي سرد لها:

- الرياحي وهو أشهر ألقابه، إذ حلاه به أغلب من ترجم له إن لم نقل كلهم⁽⁵⁾، وسبب تلقيبه به إما لأن نسبه ينتهي إلى قبيلة المحاميد التي تعد فرعاً من قبيلة بني رياح⁽⁶⁾، وإما بسبب نزول جده إبراهيم بالموضع المعروف بالعروسة منزل رياح⁽⁷⁾، والتي تعرف الآن بمجاز الباب⁽⁸⁾.

- الحمودي⁽⁹⁾ نسبة لقبيلة المحاميد التي ينتسب إليها الشيخ.

- الطرابلسي⁽¹⁰⁾ نسبة إلى طرابلس الغرب؛ لأن أجداده قدموا منها⁽¹¹⁾.

- التونسي⁽¹²⁾ نسبة إلى مكان استقراره ومماته.

- التستوري⁽¹³⁾ نسبة إلى المدينة التي ولد بها⁽¹⁴⁾.

المطلب الثاني: مولده ونشأته

تاريخ ولادته: ولد مترجمنا -رحمه الله- سنة 1180هـ⁽¹⁵⁾، وذكر الشيخ محمد

(1) انظر: مسامرات الظريف لأبي عبد الله السنوسي 1/252، فهرس الفهارس والأثبات للكتاني 1/843، كتاب العمر لحسن حسني عبد الوهاب المجلد الأول /968، وتراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ 2/783، عنوان الأريب للشيخ محمد النيفر 2/427، تعطير النواحي لعمر الرياحي 1/7.

(2) تراجم المؤلفين التونسيين 2/783.

(3) 3/1

(4) انظر: إتخاف أهل الزمان لابن أبي الضياف 7/37، مسامرات الظريف 1/252، تعطير النواحي 1/7، عنوان الأريب 2/427، شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص683، الأعلام للزركلي 1/84، هداية العارفين 1/24.

(5) انظر: المصادر نفسها التي في الهامش السابق.

(6) عنوان الأريب 2/427، تراجم المؤلفين التونسيين 2/783.

(7) تعطير النواحي 1/7، تراجم المؤلفين التونسيين 2/783.

(8) ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي ص5.

(9) مسامرات الظريف 1/252، كتاب العمر المجلد الأول /968.

(10) مسامرات الظريف 1/252، شجرة النور الزكية ص683، فهرس الفهارس 1/843، سيدي إبراهيم الرياحي لأحمد السائح ص71.

(11) عنوان الأريب 2/427، تراجم المؤلفين التونسيين 2/783، سيدي إبراهيم الرياحي ص71.

(12) الفكر السامي لمحمد الحجوي المجلد الثاني/853، الأعلام 1/81.

(13) شجرة النور الزكية ص683.

(14) تعطير النواحي 1/7-8، سيدي إبراهيم الرياحي ص71.

(15) مسامرات الظريف 1/252، تعطير النواحي 1/8، فهرس الفهارس 1/834، العمر المجلد الثاني/968، تراجم

النيفر أنه ولد سنة 1181هـ⁽¹⁶⁾، ولعلّ الأول أصح؛ لأن أغلب من تعرض لتاريخ ميلاد الشيخ ذكر التاريخ الأول، وهو ما مشى عليه حفيده أيضا في كتابه تعطير النواحي⁽¹⁷⁾، وأهل مكة أدري بشعابها.

مكان ولادته: ولد الشيخ -رحمه الله- بمدينة تستور⁽¹⁸⁾، وهي مدينة تقع في الشمال الغربي لتونس⁽¹⁹⁾.

نشأته: نشأ مترجمنا في بيئة علمية، فقد كان جده أحمد يدرّس علوم أصول الدين، ويحفظ القرآن الكريم لأبناء تستور، وكان والد مترجمنا محفظا لكتاب الله أيضا، فاتجه الشيخ إبراهيم منذ نعومة أظفاره إلى طلب العلم، فحفظ القرآن الكريم على يد والده في مدينة تستور، وبعد أن أتم حفظه انتقل إلى زاوية سيدي علي العريان، فتعلم بها الكثير، وأخذ عن الشيخ علي العريان نفسه، وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري انتقل إلى العاصمة التونسية ليستكمل علومه بها، فتوجه إلى مدرسة حوانيت عاشور، ثم توجه إلى مدرسة بئر الحجار، ولازم دروس فحول العلماء كالشيخ صالح الكواش، وحسن الشريف، وإسماعيل التميمي وغيرهم، وكان كل ذلك لم يشبع نهمه من العلم، فالتحق بالجامع الأعظم الزيتونة حصن العلم الحصين وقبله طلاب العلم، فجلس إلى أكابر علمائه إلى أن شهدوا له بالعلم وأجازوه، وكان التحاقه بالجامع الأعظم في سنة 1218هـ⁽²⁰⁾.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

أولا: شيوخه:

أخذ إبراهيم الرياحي عن العديد من العلماء والأعلام الذين يشار إليهم بالبنان، منهم على سبيل المثال:

- 1 - أبو يعلى حمزة بن محمد الجباس، أحد شيوخ الإسلام ت1217هـ⁽²¹⁾، وقد أخذ عنه علم النحو⁽²²⁾.
- 2 - أبو الفلاح صالح بن حسين الكواش، ت1218هـ⁽²³⁾.
- 3 - أبو حفص عمر ابن الشيخ قاسم المحجوب، ت1222هـ⁽²⁴⁾، وقد أخذ عنه الشيخ البيان والمنطق⁽²⁵⁾.

المؤلفين التونسيين 2/783، سيدي إبراهيم الرياحي ص71.

(16) عنوان الأريب 2/427.

(17) ص8.

(18) إتحاف أهل الزمان 7/37، مسامرات الظريف 1/252، تعطير النواحي 1/8، عنوان الأريب 2/427، فهرس الفهارس 1/834.

(19) إتيقان الضبط للشيخ إبراهيم الرياحي ص71.

(20) انظر حول نشأته: إتحاف أهل الزمان 7/37-47، مسامرات الظريف 1/252، تعطير النواحي 1/7-8، عنوان الأريب 2/427-527، العمر المجلد الثاني/968، تراجم المؤلفين التونسيين 2/783، ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي ص5-6، سيدي إبراهيم الرياحي ص71.

(21) انظر: إتحاف أهل الزمان 7/24، 34.

(22) مسامرات الظريف 1/252، تراجم المؤلفين التونسيين 2/783.

(23) انظر: إتحاف أهل الزمان 7/44، مسامرات الظريف 1/452، شجرة النور الزكية ص563.

(24) انظر: إتحاف أهل الزمان 7/25، شجرة النور الزكية ص663.

(25) إتحاف أهل الزمان 7/47، تراجم المؤلفين التونسيين 2/783.

- 4 - أبو عبد الله محمد الطاهر بن مسعود الفاروقي، ت1234هـ⁽²⁶⁾، وقد أخذ عنه المعقول والمنقول⁽²⁷⁾.
- 6 - أبو محمد حسن بن عبد الكبير الشريف، ت1234هـ⁽²⁸⁾.
- 7 - أبو الفداء إسماعيل التميمي، ت1248هـ⁽²⁹⁾، وقد أخذ عنه الشيخ الرياحي الأصول⁽³⁰⁾.
ثانياً : تلاميذه :
- أخذ عنه العديد من الأعلام، منهم على سبيل المثال:
- 1 - ابنه أبو الحسن علي، ت1268هـ⁽³¹⁾.
 - 2 - ابنه أبو عبد الله محمد الطيب، ت1266هـ⁽³²⁾.
 - 3 - أبو عبد الله محمد بن صالح ابن ملوكة، ت1276هـ⁽³³⁾.
 - 4 - أبو عبد الله محمد بن محمد النينو، ت1277هـ⁽³⁴⁾.
 - 5 - أبو عبد الله محمد الطاهر ابن محمد الشاذلي ابن عاشور، ت1284هـ⁽³⁵⁾.
 - 6 - أبو العباس أحمد ابن الحاج ابن أبي الضياف، ت1291هـ⁽³⁶⁾.
 - 7 - أبو النجا سالم بن عمر بو حاجب، ت1342هـ⁽³⁷⁾.
- المطلب الرابع : مؤلفاته .
- صنف الشيخ العديد من المؤلفات في فنون مختلفة، نذكر منها:
- 1 - إتقان الضبط في الفرق بين السبب والشرط⁽³⁸⁾.
 - 2 - حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى لابن هشام، أشرف فيها على التمام⁽³⁹⁾.
 - 3 - حاشية على شرح الخرجية للقاضي زكريا في العروض⁽⁴⁰⁾.
 - 4 - ديوان شعر⁽⁴¹⁾.

(26) انظر: إتحاف أهل الزمان 801/7، شجرة النور الزكية ص763.

(27) شجرة النور الزكية ص763.

(28) انظر: إتحاف أهل الزمان 96/7، شجرة النور الزكية ص763.

(29) انظر: إتحاف أهل الزمان 11/8، شجرة النور الزكية ص173.073.

(30) إتحاف أهل الزمان 47/7، تراجم المؤلفين التونسيين 2/783.

(31) إتحاف أهل الزمان 38/8، مسامرات الظريف 1/143.

(32) انظر: إتحاف أهل الزمان 57/8، شجرة النور ص983.

(33) انظر: إتحاف أهل الزمان 901/8، شجرة النور ص039.

(34) انظر: إتحاف أهل الزمان 111/8، شجرة النور ص093.

(35) انظر: إتحاف أهل الزمان 07/8، شجرة النور ص293.

(36) انظر: شجرة النور ص493، الأعلام 1/831.

(37) شجرة النور ص624.

(38) طبع بدار الإمام المازري بتونس بتحقيق الشيخ معز المجولي سنة 6102م.

(39) إتحاف أهل الزمان 28/7، شجرة النور ص883، تراجم المؤلفين التونسيين 1/893..

(40) إتحاف أهل الزمان 28/7، تراجم المؤلفين التونسيين 1/993.

(41) طبع بدار الغرب الإسلامي ببيروت بتحقيق محمد البعلاوي وحمادي الساحلي سنة 0991م.

- 5 - رفع اللجاج في نازلة ابن الحاج .⁽⁴²⁾
- 6 - رسالة في الإعذار، وهي محل الدراسة والتحقيق.
- 7 - منظومة نحوية .⁽⁴³⁾
- 8 - منظومة في الصلوات التي تفسد على الإمام دون المأموم .⁽⁴⁴⁾
- 9 - النرجسية العنبرية في الصلاة على خير البرية .⁽⁴⁵⁾
- المطلب الخامس : مكانته العلمية .**
- حاز الشيخ -رحمه الله- مكانة علمية سامقة، شهد له بها القاصي والداني، فهذا شيخه محمد الطاهر بن مسعود كان لا يقرئ إذا غاب الشيخ إبراهيم عن الدرس، فسأله بعض تلاميذه عن ذلك، فأجابه : نحن ننتفع به أكثر مما ينتفع هو بنا .⁽⁴⁶⁾
- وذات مرة كان الشيخ محمد بن مسعود يلقي درسا بالجامع الأعظم فسمع الشيخ إبراهيم الرياحي يلقي درسا في مختصر السعد، فأصغى إليه مدة من الزمن، ثم قال لمن حوله: ما أحوجنا أن يحضر جميعنا هذا الدرس. وكفى بذلك له شهادة في مبدأ أمره كما قال الشيخ السنوسي .⁽⁴⁷⁾
- وهذا شيخه صالح الكواش عندما طلب منه حمودة باشا الذهاب إلى المغرب لجلب الميرة، اعتذر عن ذلك بسبب كبره، ورشّح الشيخ إبراهيم الرياحي لهذه السفارة، قائلاً للباشا: إنه يقوم مقامي⁽⁴⁸⁾، وسبب اختيار الشيخ إبراهيم دون غيره بينه الشيخ محمد النيفر بقوله: "وإنما اختاره لأن مثل مدينة فاس مُنَاخ العلماء، ولا يصلح لملاقاتهم إلا مثله... وناهيك بها من شهادة، فسعدت سفارته، وأبقى فخرا علميا لتونس بتلك الديار".⁽⁴⁹⁾
- وقال عنه الشيخ أبو عبد الله الستاري السوداني في إحدى مكاتباته للشيخ محمد البحري: "اعلم يا أخي أنني دخلت الأزهر واجتمعت بعلمائه وغيرهم من علماء المشرق والمغرب فلم نظفر بمثل شيخنا أبي إسحاق إبراهيم الرياحي، فشد عليه يدك، فهنيئاً لكم إن كان بين أظهركم".⁽⁵⁰⁾
- كما شهد له بالمكانة العلمية كل من ترجم له، حيث حلّوه بأوصاف ونعوت لا تليق إلا بمن هو مثل الشيخ إبراهيم، قال عنه الشيخ أبو عبد الله السنوسي: "وقد زان بعلمه وعمله المحراب والمنبر، وأطلق من عبر مواعظه المسك الأذفر".⁽⁵¹⁾

(42) مسامرات الظريف 303/1، تراجم المؤلفين التونسيين 793/1.

(43) نشرت في تعطير النواحي 271-961/1.

(44) تراجم المؤلفين التونسيين 993/1.

(45) المصدر نفسه.

(46) عنوان الأريب 57/2.

(47) مسامرات الظريف 852/1.

(48) عنوان الأريب 527/2.

(49) المصدر نفسه.

(50) المصدر نفسه.

(51) مسامرات الظريف 813/1.

وقال عنه الشيخ محمد النيفر: "فأصبح وحيدا في علماء جامع الزيتونة، بلغت سيول معارفه الزُّبى. فتصدر للإفادة، وأجرى في ميادين تحقيق العلوم جياده، فتهافت على حلق دروسه طلاب العلم... حتى كان يذكر مع شيخه وشيخ شيخه الشيخ الطاهر بن مسعود والشيخ سيدي حسن الشريف كأنهم في مرتبة واحدة، فالذي لا يعرف ترتيب تقدمهم الزماني يظنهم أقرانا... تخرج به الأعلام، وانتفع به أهل الإسلام، انتشر صيته في المشرق والمغرب، وأبان لسان علمائها عن فضله وأعرّب".⁽⁵²⁾

وقال عنه الشيخ محمد مخلوف: "شيخ الجماعة... رئيس المفتين بها، وإمامها وخطيبها بالجامع الأعظم، وعالمها النظار، أستاذ الأساتذة الأخيار، وخاتمة العلماء العاملين والأئمة المحققين".⁽⁵³⁾

وقال عنه محمد الحجوي: "شيخ المالكية، إمام جليل، جامع بين التبصر في العلوم والأدب ومكارم الأخلاق، وجمع شتات المعالي، مدرس، مؤلف، نفاع".⁽⁵⁴⁾
وقال عنه الشيخ الكتاني: "عالم الديار التونسية، وشيخ الجماعة بها".⁽⁵⁵⁾
قلنا: وما الشيوخ الذين أخذ عنهم، والتلاميذ الذين نهلوا منه، والمصنفات التي صنفاها، إلا أكبر دليل على المكانة العلمية العالية التي تبوأها الشيخ -رحمه الله - .
زد على ذلك المناصب التي تولّاها، فمن ذلك: خطة الفتوى سنة 1255هـ،⁽⁵⁶⁾ والإمامة الكبرى لجامع الزيتونة سنة 1255هـ،⁽⁵⁷⁾ وهو أول من جمع بينهما من العلماء.⁽⁵⁸⁾

المطلب السادس: وفاته .

توفي الشيخ -رحمه الله- شهيدا بوباء الطاعون في شهر رمضان سنة 1266هـ⁽⁵⁹⁾ ، قيل يوم الثامن والعشرين منه⁽⁶⁰⁾ ، وقيل السابع والعشرين⁽⁶¹⁾ ، وانفرد محمد محفوظ بأنه توفي في الثاني والعشرين⁽⁶²⁾ ، ودفن بزوايته التي أتمها المشير أحمد بعد وفاته⁽⁶³⁾ ، وقد حضر مشهد جنازته الأمير والمأمور، وتبرك بتشييعه الجمهور كما قال الشيخ السنوسي.⁽⁶⁴⁾

(52) عنوان الأريب 2/527.

(53) شجرة النور ص683، 783.

(54) الفكر السامي المجلد الثاني/853.

(55) فهرس الفهارس 1/734.

(56) مسامرات الظريف 1/792، تعطير النواحي 1/901.

(57) مسامرات الظريف 1/713، تعطير النواحي 1/941.

(58) المصدر نفسه.

(59) إتحاف أهل الزمان 7/18، مسامرات الظريف 1/043، تعطير النواحي 1/3، تاريخ معالم التوحيد لمحمد بن خوجة ص96، شجرة النور ص983.

(60) إتحاف أهل الزمان 7/18، عنوان الأريب 2/627، كتاب العمر المجلد الأول/078.

(61) مسامرات الظريف 1/043، تعطير النواحي 1/3.

(62) تراجم المؤلفين التونسيين 2/693.

(63) معالم التوحيد ص17.

(64) مسامرات الظريف 1/043، 143.

المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط

وتندرج تحته المطالب الآتية:

المطلب الأول: توثيق عنوان المخطوط ونسبته لمؤلفه.

أولاً: عنوان المخطوط:

بَدءُ أقول: واقع الحال أن المؤلف لم يختر عنواناً للمخطوط، فلم يقع منه لا في أوله ولا منتهاه أن ذكر عنواناً لما عزم على تصنيفه كما هو العادة. ولعل ما صرف المؤلف عن ذلك أنه لم يكن معنياً وقاصداً للتأليف في موضوع معين، وإنما كان عزمه التعليق والاستدراك، فلم يحتج إلى وضع عنوان. وعليه فإن ما ذكره المترجمون والمشرفون على خزائن المخطوطات من عنوان هذا المخطوط أنه من فعلهم، وهو لا يُنكر - وإن كان فيه شيء من التلبيس - لأجل التنظيم والتصنيف، فلا يعقل أن يترك المخطوط مجهول العنوان. وقد يدفعهم إلى ذلك الاغترار بما وضع على طرة المخطوط - وهو من عمل النساخ - فيعتمدونه عنواناً للمخطوط دون التثبت بالرجوع إلى المخطوط. وهنا يلتزم المحقق بالتدقيق والتحري وفقاً لمنهج التحقيق المعتمدة لاختيار العنوان.

وعليه، فقد جاء عنوان المخطوط في كتب التراجم وفهارس الخزائن كالاتي: رسالة في الإعذار.

والحق أننا لا نوافقهم في ذلك؛ لأن هذا العنوان يوحي بأن مصنفه قد أتى على الموضوع بأكمله، فلم شتاته، واستقصى فروعه، واستوعب مسأله. وهو أمر لا يصح، فالمؤلف عني بقضية تركيب الإعذار وبساطته، فلم يُحط بالموضوع على وجه الشمول.

ولذا كله عدلنا عن العنوان السابق إلى عنوان نراه أقرب إلى الحق وألصق للصواب، وهو:

استدراك على جواب لابن عظوم في حقيقة الإعذار.

ثانياً: نسبته لمؤلفه.

إن نسبة المخطوط من المهمات التي يجب على الباحث أن يعنى بها على وجه الخصوص، إذ مدار التحقيق أصلان - بعد تحقيق النص - هما: تحقيق العنوان والتوثيق منه، وقد سبق الحديث عنه. وتوثيق نسبة المخطوط لمؤلفه، وهو محط الكلام في هذه الفقرة، فلا يظن أنه من الفضل، بل هو من أكد الواجبات. وعليه نقول: إن نسبة الكتاب لمؤلفه مقطوع بها؛ للأمور الآتية:

- 1 - قطع بنسبته له حفيد المؤلف عمر بن محمد بن علي بن إبراهيم الرياحي في كتابه الذي نشر فيه هذا المخطوط وغيره من أعمال المؤلف⁽⁶⁵⁾.
- 2 - ما ذكره الناسخ في قيد الفراغ - ويسمى قيد الختام - من النسخة ت. وهي نسخة منقولة عن الأصل.

(65) ينظر: تعطير النواحي بترجمة العلامة إبراهيم الرياحي - لعمر بن محمد الرياحي - 041/1.

3 - كما ذكر الحفيد تقريظ بعض العلماء للمخطوط وثنائهم على مؤلفه، ومنهم تلميذه الشيخ بيرم الثالث. (66)
المطلب الثاني: موضوع المخطوط وسبب تأليفه.

أولاً: موضوع المخطوط:

هو استدراك من المؤلف على فتوى أو جواب للفقيه التونسي الشهير ابن عذوم، في حقيقة الإعذار للخصم من قبل القاضي، وكونه بسيطاً أو مركباً، وما يترتب على ذلك من تمكين الخصم -المدعي- من نسخ -الوثائق- المدعى عليه، وهل هو جزء من الإعذار على اعتبار أنه مركب من أجزاء، أم هو خارج عن الإعذار على اعتبار أنه بسيط لا مركب.

وكما سيرى القارئ أن المؤلف خلص إلى أن الإعذار بسيط، واستدل على ذلك بما رأى أنه ينصر رأيه ويصح مقاله.

ثانياً: سبب تأليفه:

لقد كفانا المؤلف -رحمه الله- مؤونة البحث عن سبب التأليف، فصدر به تأليفه.

وخلاصته أنه استدراك على جواب فقهي في موضوع الإعذار، وهو شأن المحققين والمجتهدين، مما يوحى بالرتبة التي تبوأها صاحب المخطوط.
المطلب الثالث: أسلوب المؤلف ومنهجه.

أولاً: أسلوبه:

كتب المؤلف تقييده بأسلوب سلس رائق، خال عن التكلف والغموض، مجاف للتشويق والتقعر، واضح الألفاظ، سهل التراكيب، بحيث يصل قارئه إلى طلبته منه دون عناء.

كما عمد -رحمه الله- إلى الاختصار في العرض والمناقشة والاستدلال، وفي الوقت نفسه غير مفتقر للدقة في بيان مراده والوصول إلى غايته، مع تحرير وتحقيق.
ثانياً: منهجه:

اعتمد المؤلف في مؤلفه منهجاً عقلياً نقلياً في استدراكه. ولتوضيح ذلك يمكن صياغة منهجه في النقاط الآتية:

1 - إيقاف القارئ على عبارة المستدرك عليه، وذلك حتى يكون قارئ تقييده ملماً بعبارته، فتظهر عنده قيمة الاستدراك، ويتبين له صوابه من عدمه، وهو مما يحمد للمؤلف.

2 - إيقافه على موضع الاستدراك من العبارة. وهو قول المستدرك عليه: "وهو مركب عند التحقيق".

3 - الحكم على موضع الاستدراك، وذلك بقوله: "وقد ظهر للفقيه أنه بسيط لا مركب".

4 - الاستدلال على صحة ما ذهب إليه، وذلك بالآتي:

(66) المصدر نفسه 1/341، 441.

- بيان حقيقة الإعذار -موضع الاستدراك- من عبارة المحققين في المذهب.
 - تعجيز صاحب الجواب بأنه ليس له سلف من الأئمة في المذهب فيما ذهب إليه.
 - تحقيق القول في عبارات من استند عليهم صاحب الجواب، وبيان موضع مجانبة الصواب في محل الاستدلال.
 وهو عمل فقهي جرى فيه على سبيل سواء ومنهج واضح، ولا يعوزه التحقيق، ولا ينقُضه التحرير والتدقيق، مع أدب جمٍّ يظهر منه القصد إلى إسداء النصح وبيان الحق.
 المطلب الرابع: مصادر المؤلف .
 اعتمد المؤلف على مجموعة من المصادر الفقهية الأصيلة. ولما كانت متنوعة، فقد تم حصرها تحت تخصصاتها على النحو الآتي:
 . المصادر الفقهية العامة: المدونة لسحنون، مختصر الشيخ خليل الجندي، الشامل لبهرام، المختصر الفقهي لابن عرفة.
 . المصادر الفقهية القضائية: وثائق ابن الهندي، المتيطة، النهاية والتمام، للمتيطي واختصارها لابن هارون الكناني، تحفة الحكام، العاصمية لابن عاصم الغرناطي، شرح التاودي، حلي المعاصم على العاصمية، لامية الزقاق.
 . المصادر الأصولية والقواعدية: جمع الجوامع للسبكي، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام للقرافي، ترتيب الفروق واختصارها للبقوري.
 . المصادر النوازلية: فتاوى ابن أبي زيد القيرواني، أجوبة ابن عظم القيرواني، أجوبة عبد القادر الفاسي.
 المبحث الثالث: منهج التحقيق ووصف النسخ
 المطلب الأول: وصف منهج التحقيق.
 سلك في التحقيق منهجٌ هذا وصفه :
 1 - لما كان المخطوط موضع التحقيق من نسخة واحدة، كُتبت في حياة المؤلف كما أثبتته النسخ في قيد الفراغ، كما أنه يوحى بأنه نقلها عن نسخة المؤلف. وبما أنها على هذه الصورة وفي تلك الرتبة، كان حرياً أن تكون نسخة أمّاً، وقد كان هذا العزم.
 لكن القدر والبحث المتواصل قادنا إلى أن المخطوط نشر قديماً عن نسخة يظهر أنها نسخة المؤلف، لكنها طبعة تجارية دون تحقيق علمي يرقى إلى قيمة المخطوط.
 ففكرنا وقدّرنا أن تكون عمدة التحقيق، وأن تكون سابقتها نسخة مكملة يشار إليها عند الاختلاف في الهامش. وبمعاودة القراءة ومعاودة النظر في المنشورة ومعارضتها مع النسخة المخطوطة، ومقارنة النصوص المنقولة مع أصلها، ظهر لنا أنها لا تصلح لذلك البتة؛ لما اعتورها من خلل تمثل في:
 - السقوط المتكرر في أكثر من موضع.
 التحريف والتصحيف الواقعيين في كثير من المواضع.

ولما كان هذا الحال تم إلى اعتماد منهج النص المختار، وهو منهج ارتضاه كثير من المحققين الأکفاء للوصول إلى النص الصحيح. وحقيقة المنهج المختار: اعتبار النسخ في رتبة واحدة، ويختار المحقق ما يراه أنسب للنص وأصلح بحسب سياقه، وبحسب النصوص المنقولة عن مصادر المؤلف، مع التزام التنبيه إلى مقابل المختار في الهامش.

2- جعلنا لكل من النسختين عمدة التحقيق رمزاً؛ لتتميز عن الأخرى، فرمزنا للمخطوطة بـ“ت“ إشارة إلى مكان حفظها، ورمزنا للمطبوعة بـ“ط“ إشارة إلى أنها مطبوعة.

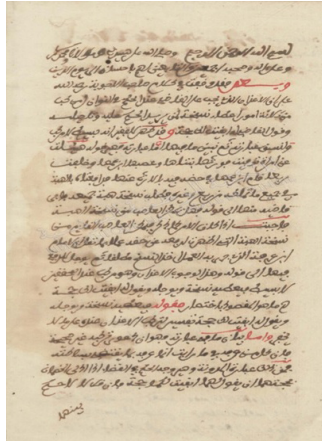
3 - نسخنا المخطوط قيد التحقيق وفق قواعد الإملاء المعروفة.
4 - قارنا بين النسختين، فأثبتنا المختار، ونبهنا إلى خلافه في الهامش.
5 - حلينا النص بما يحتاجه من علامات الترقيم؛ تسهيلاً لقراءته، وتقريباً لفهمه.

6 - الاعتناء بضبط النص بحسب القواعد النحوية والصرفية.
7 - الاعتناء بشرح ما يحتاج إلى شرح من الألفاظ والمصطلحات.
8 - التعريف بالأعلام الواردين في النص.
9 - توثيق نصوص المخطوط وإحالات المؤلف من مصادرها ما أمكن.
10 - وضعنا على الهامش الأيسر ترويسات تعين على فهم النص.
11 - وضعنا رموزاً تشير إلى نهاية الورقة من المخطوط.
المطلب الثاني: وصف نسخ المخطوط.
قدّمنا أن المخطوط له نسخة واحدة مخطوطة، وله أخرى مطبوعة، وفيما يأتي وصف لها:

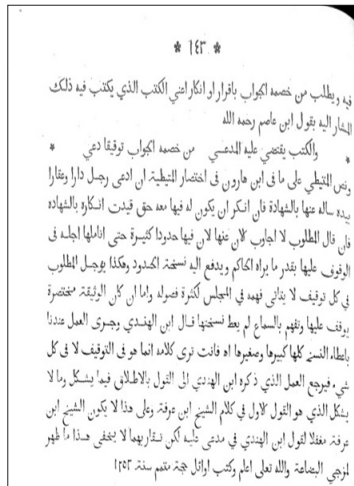
1 - النسخة الأولى: المخطوطة، ورُمز لها بالرمز “ت“.
- العنوان: غفل من العنوان. - المؤلف: إبراهيم بن عبد القادر الرياحي.
- النسخ: عبد الحفيظ بن رجب الطرابلسي. - الخط: مغربي واضح. - عدد اللوحات: ثلاث لوحات وصفحة. - عدد الأسطر: اثنان وعشرون سطراً في كل صفحة. - عدد الكلمات: عشر كلمات في كل سطر تقريباً. - تاريخ النسخ: الرابع عشر من شوال، أربعة وستين ومائتين وألف للهجرة. - رقم الحفظ: 9299/2 - عبدلية: 10281/2.

- ملاحظات: - كتبت بعض كلماتها بالمداد الأحمر.
- نسخت على حياة المؤلف.
- عنوان فهرس المكتبة: رسالة في الإعذار للمحكوم عليه.
2 - النسخة الثانية: المطبوعة، ورمزها “ط“. العنوان: رسالة في الإعذار. المؤلف: إبراهيم ابن عبد القادر الرياحي. عدد الصفحات: أربع صفحات من القطع المتوسط. عدد الأسطر: سبعة وعشرون سطراً في الصفحة. عدد الكلمات: ثلاث عشرة كلمة في السطر. تاريخ النشر: ثلاث وتسعمائة وألف للميلاد، ضمن كتاب

تعطير النواحي. - ملاحظات: فيها سقط، ولم تخلُ من التصحيف والتحريف. ويظهر أنها طبعت عن نسخة المؤلف؛ لأنه جاء في آخرها: كتب أوائل حجة متمم سنة 1253هـ. والمؤلف توفي 1266هـ.



صورة الورقة الأولى من النسخة ت



صورة الورقة الأخيرة من النسخة ط

القسم الثاني : قسم التحقيق

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ. وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰی سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَسَلَّمْ، وَعَلَى
 آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَبَعْدُ:
 فَقَدْ وَقَفْتُ فِي كَلَامِ صَاحِبِ (67) الْأُجُوبَةِ (68) -رَحِمَهُ اللّٰهُ- عَلَيَّ أَنَّ الْإِعْذَارَ (69) الَّذِي
 يَجِبُ عَلَيَّ الْقَاضِي عِنْدَ الْحُكْمِ فِي النِّوَازِلِ (70) مُرَكَّبٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ؛ إِعْطَاءِ نُسْخَةٍ
 لِمَنْ يُرِيدُ الْحُكْمَ، وَتَأْجِيلِهِ، وَقَوْلِ الْقَاضِي لَهُ: أَبَقَيْتَ لَكَ حُجَّةً؟
 وَقَدْ ظَهَرَ لِلْفَقِيرِ أَنَّهُ بَسِيطٌ لَا مُرَكَّبٌ (71)، وَلِنَسْقِ عِبَارَتَهُ، ثُمَّ نُبَيِّنُ مَا فِيهَا.
 أَمَا عِبَارَتُهُ؛ فَهِيَ قَوْلُهُ: "سَأَلْتُ عَنِ امْرَأَةٍ تُوَفِّقَتْ، فَوَرَّثَهَا بِنْتَاهَا، وَعَصَبَهَا ابْنُ عَمَّهَا،
 حَلَفَتْ رَبْعًا (72)، قَامَ ابْنُ عَمَّهَا فِي حَظِّهِ فِيهِ بِالْإِثْرِ عَنْهَا، فَدَافَعَتَاهُ (73) بِالْهَيْبَةِ فِي جَمِيعِ مَا
 تَمَلَّكَهُ مِنْ رُبْعٍ وَغَيْرِهِ، فَطَلَبَ نُسْخَةَ هَيْبَةِ جَمِيعِهِ، فَأَبَى قَاضِيهِ مِنْهَا". إِلَى قَوْلِهِ: "فَهَلْ يُمْكِنُ
 الْعَاصِبُ مِنْ نُسْخَةِ (74) الْهَيْبَةِ؟ فَاجَبْتُ: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَ، فَيُمْكِنُ الْعَاصِبُ الْقَائِمُ (75) مِنْ
 نُسْخَةِ الْهَيْبَةِ الَّتِي أَظْهَرَتْ لِدَفْعِهِ عَنِ حَقِّهِ؛ عَمَلًا بِمَا نَقَلَهُ الْإِمَامُ ابْنُ عَرَفَةَ: (76) الَّذِي جَرَى بِهِ
 الْعَمَلُ (77) أَحَدَ النِّسْخِ مُطْلَقًا، ثُمَّ يُوجَلُ لِلدَّفْعِ فِيهَا. إِلَى قَوْلِهِ: وَهَذَا لَوْجُوبِ الْإِعْذَارِ، وَهُوَ مُرَكَّبٌ
 عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ لَا بَسِيطٌ، فَيُعْطِيهِ نُسْخَةً، وَيُوجَلُهُ، وَيَقُولُ لَهُ: أَبَقَيْتَ لَكَ حُجَّةً؟" (78). انْتَهَى
 مَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِاخْتِصَارِ.
 فَقَوْلُهُ: "نُسْخَةً، وَيُوجَلُهُ، وَيَقُولُ لَهُ: أَبَقَيْتَ لَكَ حُجَّةً؟" (79) تَفْسِيرٌ لِتَرْكِبِ الْإِعْذَارِ عِنْدَهُ
 عَلَى مَا لَا يَخْفَى. (80)

خلاصة لرأي
 ابن عظم حول
 الإعذار

(67) ابن عَظُوم: قاسم ابن الشيخ زروق ابن الشيخ عَظُوم. القيرواني. أبو الفضل. من بيت علم وفضل. فقيه نوازي. له الأجابة وغيرها. كان حيا سنة 9001هـ. شجرة النور الزكية ص292. مسامرات الظريف 2/551.
 (68) الأجابة: أجوبة على نوازل في الفقه، في نحو ثلاثين مجلدا، محررة مع إطناب. شجرة النور الزكية ص292. اصطلاح المذهب ص315.
 (69) الإعذار: مصدر للفعل أعذر، يقال: إعداراً وعودراً، أبدى عذاراً. اللحياني: العرب تقول: أعذر فلان، أي كان منه ما يعذر به. لسان العرب لابن منظور، فصل العين حرف الراء. 6/912.
 (70) في ط: النازلة.
 (71) البسيط: ما لا جزء له، ويقابله: المركب الذي له أجزاء. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي 2/735. وينظر: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين لسيف الدين الأمدى ص901، 1011.
 (72) الربيع: حلة القوم ومنزلهم. والجمع رباع وأرباع وأربع وربوع. المصباح المنير - ب - ع. ص612.
 (73) في ط: فدفعته.
 (74) نسخة: سقط من ط.
 (75) القائم: سقط من ط.
 (76) ابن عرفة: محمد بن محمد، الوردغمي. أبو عبد الله. تونسي المولد والوفاء. إمام تونس وعالمها غير منازع. له: المختصر الفقهي وغيره. ت308. نيل الابتهاج 2/721-831. شجرة النور ص722.
 (77) ما جرى به العمل: أو الماخرجات: اصطلاح مالكي يعني: العدول عن القول الراجح أو المشهور في بعض المسائل إلى القول الضعيف فيها لاعتبارات. ينظر: مباحث في المذهب المالكي - عمر الجدي - ص181. وينظر: نور البصر في شرح مقدمة المختصر للهلال ص761 وما بعدها.
 (78) كتاب الأجابة لابن عظم 01/372-572.
 (79) انتهى ما هو ... حجة: سقط من ط.
 (80)

وَأَمَّا بَيَانُ مَا فِي عِبَارَتِهِ؛ فَهُوَ أَنَّ دَعْوَى تَرْكِبِهِ غَيْرُ صَحِيحَةٍ (81)؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ عَرَفَهُ فِيمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ عَرَفَهُ بِمَا يَفْتَضِي بِسَاطَتِهِ.

إبطال دعوى
تركيب الإعذار

تعريف الإعذار
وصورته
ن ج ت

فَمِنْ ذَلِكَ عِبَارَةُ الْمُدَوَّنَةِ (82)، وَهِيَ: "وَجِبَ الْحُكْمُ فِي الْقَضَاءِ: إِذَا أَدَّى الْخَصْمَانِ بِحُجَّتَيْهِمَا أَنْ قَوْلَ لَهُمَا: أَبَقِيَتْ لَكَمَا حُجَّةٌ؟ فَإِنْ قَالَا: لَا، حَكَمَ / بَيْنَهُمَا" (83) إِلَى آخِرِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ عِبَارَةُ خَلِيلٍ (84): "وَأَعْذِرَ لَهُ" (85) بِأَبَقِيَتْ لَكَ حُجَّةٌ" (86). فَاقْتَضَى أَنَّ الْإِعْذَارَ هُوَ السُّؤَالُ الْمَذْكُورُ؛ لِأَنَّ الْبَاءَ فِي كَلَامِهِ لِلتَّصْوِيرِ. (87)

وَمَثَلُ ذَلِكَ عِبَارَةُ الشَّامِلِ. (88)

وَحَسْبُكَ دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى بَسَاطَتِهِ تَعْرِيفُ الشَّيْخِ ابْنِ عَرَفَةَ لَهُ يَقُولُهُ: "هُوَ سُؤَالُ الْحَاكِمِ مَنْ تَوَجَّهَ عَلَيْهِ مُوجِبِ الْحُكْمِ هَلْ لَهُ مَا يَسْقِطُهُ" (89). انْتَهَى. فَانْظُرْ هَلْ تَرَى فِي كَلَامِ هَؤُلَاءِ ذِكْرَ أَجَلٍ أَوْ أَحَدٌ (90) نُسَخَةٍ (91)، فَضْلًا عَنِ الثَّلَاثَةِ؟ وَأَمَّا قَوْلُهُ: "وَهُوَ مُرَكَّبٌ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ"، فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ: إِذَا نَقَلْتَ نَقْلًا فَمِنْ عَادَتِكَ أَنَّكَ تَعَيَّنَ قَابِلُهُ وَتَنَسَّبُهُ إِلَى مَحَلِّهِ، وَلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ هُنَا، فَهَذَا مِمَّا يُوجِبُ رِيْبَةً فِي نَفْسِكَ. عَلَى أَنَّهُ لَا يَرْتَابُ فِي أَنَّ الْحَقَائِقَ الْفِقْهِيَّةَ إِنَّمَا حَقَّقَهَا الشَّيْخُ ابْنُ عَرَفَةَ، وَقَدْ عَلِمَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ بَسِيطٌ.

ثُمَّ مِمَّا يُبْطِلُ دَعْوَى تَرْكِبِ الْإِعْذَارِ قَطْعًا: أَنَّ الْإِعْذَارَ مُجْمَعٌ (92) عَلَى اعْتِبَارِهِ فِي الْحُكْمِ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ، وَلَا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَلَوْ كَانَ جُزْءًا مِنْ أَجْزَاءِ الْإِعْذَارِ

حد ابن عرفة
للإعذار

الإعذار عند
ابن عرفة
بسيط لا
مركب

ذكر الإجماع
على أن الإعذار
معتبر في الحكم
والقضاء دون
التمكين من
النسخ

(81) صحيح في ط.

(82) المدونة: كتاب سحنون، أصل المذهب وعمدته وأشرف دواوينه، مصحف المدارس ورأس مال الطالب. مذهبها هو المشهور عند المغاربة. الدليل التاريخي ص45. اصطلاح المذهب ص411.

(83) المدونة الكبرى لملك بن أنس 231/5.

(84) خليل: بن إسحاق الجندی، أبو المودة، ضياء الدين. إمام فقيه حافظ. فخر المالكية ومقدمهم في عصره. له المختصر والتوضيح، ت577هـ. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج لأحمد بابا التنبكتي ص421. شجرة النور ص322.

(85) زيادة من المختصر.

(86) مختصر العلامة خليل - في فقه الإمام مالك ص692.

(87) ينظر: شرح مختصر خليل للخرشي وبهاشية الشيخ العدوي 7/851. وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير على مختصر خليل وبهاشيه تقريرات العلامة عليش 4/841.

(88) الشامل: مختصر في فقه الإمام مالك - لتاج الدين بهرام الدميري - من أجل تصانيفه جمعا وتحصيلا، في غاية التحقيق والإجادة. اعتمده الفقهاء ونقلوا عنه، كما شرحوه وحشوه. الدليل التاريخي ص88. اصطلاح المذهب ص264. وينظر: الشامل - لبهرام - 2/388، 488.

(89) المختصر الفقهي - لابن عرفة الورغمي - 9/951.

(90) وأخذ في ط.

(91) نسخ في ط.

(92) يجمع في ط.

لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُجْمَعاً عَلَى اعْتِبَارِهِ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ، إِذِ الْمُرْكَبُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِتَحَقُّقِ جَمِيعِ أَجْزَائِهِ.

وَسَيَاتِي تَحْقِيقُ مَا يُؤَخِّدُ فِيهِ النُّسْخَةُ مِنْ غَيْرِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.
فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا عَلِمَ أَنَّ الْإِعْدَارَ غَيْرُ مُرْكَبٍ.

إبطال دعوى

النقل عن ابن
عرفة أن التمكن
من النسخ على
إطلاقه

نظت 1

ثُمَّ إِنَّ قَوْلَهُ: "فَيَمَكَّنُ الْعَاصِبُ" إِلَى قَوْلِهِ: "عَمَلًا بِمَا نَقَلَهُ (93) الْإِمَامُ ابْنُ عَرَفَةَ: الَّذِي جَرَى بِهِ الْعَمَلُ أَخَذَ النُّسخَ مُطْلَقاً، فِيهِ نَظَرٌ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَوْضُوعَ كَلَامِ الشَّيْخِ ابْنَ عَرَفَةَ مَطْلُوبٌ شُهِدَ عَلَيْهِ بِحَقِّ، طَلَبِ نُسْخَةٍ مِمَّا شُهِدَ بِهِ عَلَيْهِ، وَمَوْضُوعُ النَّازِلَةِ الْمَذْكُورَةِ طَالِبٌ (94) بِحُجَّةٍ فِي يَدِ غَيْرِهِ، طَلَبٌ أَنْ يَدْفَعَ فِي / الْحُجَّةِ بِمَا عَسَى أَنْ يَنْقُضَهُ، وَكَيْسَتْ الْهَبَةُ الْمَذْكُورَةُ شَهَادَةً عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هِيَ شَهَادَةٌ عَلَى الْمَرْأَةِ بِأَنَّهَا وَهَبَتْ جَمِيعَ مَا تَمَلَّكَهُ. إِلَى آخِرِهِ.

نص الإمام ابن
عرفة في تمكين
المشهد عليه من
نسخة الشهادة

وَهَذَا نَصُّ عِبَارَةِ الْإِمَامِ (95) ابْنِ عَرَفَةَ: "وَفِي (96) تَمَكُّنِ الْمَطْلُوبِ مِنْ نُسْخَةِ مَا شُهِدَ بِهِ عَلَيْهِ مُطْلَقاً، أَوْ إِنْ كَانَ فِيهَا يَشْكُلُ وَيَحْتَاجُ الْمَطْلُوبِ فِيهِ إِلَى تَأَمُّلٍ وَتَدَبُّرٍ؛ نَقَلَ الْمَازِرِيُّ (97) عَنِ الْقَاضِي أَبِي طَالِبٍ (98) وَالشَّيْخِ الْمَازِرِيِّ (99)، وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ" (100). انْتَهَى.

لَا يُقَالُ: الشَّهَادَةُ عَلَيْهِا (102) بِالْهَبَةِ يَلْزَمُهَا الشَّهَادَةُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ (103) لَا حَقَّ لَهُ فِي ذَلِكَ الرَّبْحِ؛ لِأَنَّ نَقُولَ: دَلَالَةُ الْإِلْتِمَامِ (104) غَيْرُ مُعْتَبَرَةٍ فِي الْحَقَائِقِ الشَّرْعِيَّةِ؛ الشَّهَادَةُ وَغَيْرِهَا، فَقَدْ قَالَ الْقَرَأِيُّ (105) -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "إِنَّ الْوَاجِبَ (106) أَنْ يَنْظُرَ إِلَى

دلالة الالتزام
غير معتبرة
في الحقائق
الشرعية. وكلام
نفي للقرافي في
المسألة

(93) نقل في ط.

(94) طلب في ط.

(95) الشيخ في ط.

(96) وهي في ط.

(97) المازري: محمد بن علي بن عمر التميمي. أبو عبد الله. إمام بلاد أفريقية وما وراءها. انفرد بلقب الإمام، وبلغ درجة الاجتهاد. له شرح التلقين، وغيره. ت635هـ. الديباج المذهب 2/132. شجرة النور ص721.

(98) القاضي أبو طالب: لعله عبد الله بن طالب. أبو العباس. تفقه بسحنون. ولي قضاء القيروان. فطن جيد النظر عدل صارم في القضاء. ت572هـ. ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض 4/803.

(99) لم نعرفه.

(100) المختصر الفقهي 9/161. هكذا بلفظه.

(101) إذ لا يقال في ط.

(102) عليه في ط.

(103) بأن في ط.

(104) دلالة الالتزام هي دلالة اللفظ على لازمه. نهاية السؤل للإسنوي 1/491.

(105) القرافي: أحمد بن إدريس الصنهاجي. شهاب الدين. أبو العباس. فقيه أصولي مفسر. له: الذخيرة في الفقه، والتنقيح وغيره في الأصول، والفروق في القواعد الفقهية. ت486هـ. الديباج المذهب 1/502. شجرة النور ص881.

(106) الجواب في ت.

كُلُّ حَقِيقَةٍ مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ، لَا لِمَا يَلْزِمُهَا وَيَعْرِضُ لَهَا؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْمَقْصُودِ الْأَوَّلِ بِالذَّاتِ لَا فِي اللِّوَاظِمِ، كَمَا تَقُولُ: الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ⁽¹⁰⁸⁾ مِنَ الْأَمْرِ الْوَجُوبُ وَإِنْ كَانَ يَلْزِمُهُ النَّهْيُ عَنِ الضَّدِّ وَتَحْرِيمُهُ، وَالْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ مِنَ النَّهْيِ التَّحْرِيمُ، وَإِنْ كَانَ يَلْزِمُهُ وَجُوبُ ضِدِّ⁽¹⁰⁹⁾ مِنْ أَضْدَادِ⁽¹¹⁰⁾ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، فَالْكَلَامُ أَبَدًا فِي الْحَقَائِقِ إِنَّمَا يَقَعُ فِيمَا هُوَ فِي الرُّتْبَةِ الْأُولَى لَا فِيمَا بَعْدَهَا. وَبِسَبَبِ الْعُقْلَةِ عَنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ قَالَ الْكُفَيْيُّ⁽¹¹¹⁾: الْمُبَاحُ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّهُ يَشْتَعَلُ⁽¹¹²⁾ بِهِ عَنِ الْحَرَامِ، وَتَرَكَ الْحَرَامَ وَاجِبٌ، فَالْمُبَاحُ وَاجِبٌ،⁽¹¹³⁾ فَجَعَلَ الْأَحْكَامَ أَرْبَعَةً وَأَسْقَطَ الْإِبَاحَةَ، فَنَظَرَ⁽¹¹⁴⁾ مَا يَعْرِضُ لِلْمُبَاحِ وَتَرَكَ مَقْتَضَاهُ فِي الرُّتْبَةِ الْأُولَى، وَالْجُمْهُورُ أُنْتَبِهُوا الْمُبَاحَ بِنَاءً عَلَى مَا تَقْنِصِيهِ الْحَقَائِقُ فِي الرُّتْبَةِ الْأُولَى⁽¹¹⁵⁾، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ الْمَكْرُوهُ وَالْمَنْدُوبُ وَاجِبَيْنِ؛ لِأَنَّهُمَا قَدْ يَشْتَعَلُ بِهِمَا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَيَكُونُ الْوَاجِبُ مَكْرُوهًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَشْتَعَلُ/ بِهِ عَنِ تَرَكَ مَنْدُوبٍ، وَتَرَكَ الْمَنْدُوبِ مَكْرُوهٌ، وَيَكُونُ الْوَاجِبُ حَرَامًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَشْتَعَلُ بِهِ عَنِ وَاجِبٍ آخَرَ، وَتَرَكَ الْوَاجِبِ حَرَامًا، فَالْوَجِبُ حَرَامٌ، وَيَتَسَعُّ الْحَرْقُ وَتَتَرْتَّلُ الْقَوَاعِدُ⁽¹¹⁶⁾. انْتَهَى.

ن ج 2 ت

عَلَى أَنَّا نَقُولُ: الشَّهَادَةُ إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِمَعْنَيْنِ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الشَّهَادَةِ وَالرَّوَايَةِ⁽¹¹⁷⁾ بَعْدَ اسْتِرَاكِهَمَا⁽¹¹⁸⁾ فِي مُطْلَقِ الْحَبْرِ. قَالَ فِي تَرْتِيبِ الْفُرُوقِ⁽¹¹⁹⁾: ”لَا شَكَّ أَنَّ الرَّوَايَةَ وَالشَّهَادَةَ اجْتَمَعَا⁽¹²⁰⁾ فِي الْحَبْرِ؛ لِقَبُولِ الْقِسْمَيْنِ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، ثُمَّ الْفَرْقُ: أَنَّ الرَّوَايَةَ هِيَ الْحَبْرُ عَنْ أَمْرٍ عَامٍّ لَا يَتَعَيَّنُ لِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ، وَالشَّهَادَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ“⁽¹²¹⁾. انْتَهَى.

الفرق بين
الرواية
والشهادة.
وإبطال
استدلال ابن
عظوم بكلام
ابن عرفة
المسطور
في النازلة
من جهة
أنها ليست
بخصوص
الشهادة

(107) سقط من ت.

(108) بالذات ... الأول، سقط من ط.

(109) بياض في ت. أحد في ط. والمثبت من الإحكام.

(110) من غير أفراد في ط، ت. والمثبت من الإحكام.

(111) الكعبي: عبد الله بن أحمد. شيخ الكعبية، طائفة من المعتزلة ينسبون إليه. له آراء ومقالات كلامية انفراد بها. ت. 713هـ. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لابن خلكان - 54/3. الأعلام - خير الدين الزركلي - 56/4.

(112) يستقل في ط.

(113) بجعل في ط.

(114) ينظر في ط.

(115) والجمهور ... الأولى - سقط من ط.

(116) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام - للإمام القراني - ص 43، 53. وينظر: الموافقات في أصول الشريعة - للإمام الشاطبي - 424/3.

(117) الرواية والشهادة في ط.

(118) باشتراكهما في ط.

(119) كتاب في ترتيب واختصار فروع القراني - لأبي عبد الله البقوري - بحيث اختصرها ورتبها وهذبها، وبحث فيه في مواضع منها. ينظر: شجرة النور ص 112. الدليل التاريخي ص 152.

(120) اجتمعت في ط.

(121) ترتيب الفروق واختصارها - لأبي عبد الله البقوري - ص 371.

وَقَالَ فِي جَمْعِ الْجَوَامِعِ (122): "الإخبار عن عام (123) لا ترفع (124) فيه الرواية، وخلافه - وهو الإخبار عن خاص ببعض الناس يمكن الرفع فيه إلى الحكام - الشهادة". (125) (126) انتهى.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَاصِبَ الْمَذْكُورَ فِي النَّازِلَةِ الْمَسْطُورَةِ غَيْرُ مَشْهُودٍ عَلَيْهِ بَعِيْنِهِ، إِذْ لَا يَشْكُ أَحَدٌ فِي أَنَّ عَذْبِي الْهَبَةَ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِمَا هَذَا الْعَاصِبُ حَتَّى يَشْهَدَا عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا حَقَّ لَهُ.

وَإِذَا تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ غَيْرُ مَشْهُودٍ عَلَيْهِ لَمْ يَدْخُلْ فِي كَلَامِ الْإِمَامِ ابْنِ عَرَفَةَ، وَلَمْ يَصِحَّ الْإِسْتِشْهَادُ بِهِ لَهُ فِي تَمَكِينِهِ مِنْ نُسْخَةِ الْهَبَةِ.

الثَّانِي مِنْ وَجْهِي النَّظَرِ أَنَّ نِسْبَةَ الْعَمَلِ عَلَى أَخْذِ النَّسْخِ مُطْلَقًا لِابْنِ عَرَفَةَ غَيْرُ صَاحِبٍ عَلَى مَا تَشْهَدُ بِهِ عِبَارَتُهُ السَّابِقَةُ، فَإِنَّهَا تَقْتَضِي (127) أَنَّ الْقَوْلَ الثَّانِي - وَهُوَ التَّمَكِينُ مِنَ النَّسْخَةِ فِيمَا يُشْكِلُ لَا مُطْلَقًا - هُوَ الَّذِي بِهِ الْعَمَلُ.

وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ التَّائِيْدِيُّ (128) فِي شَرْحِ التُّحْفَةِ. (129) عَلَى أَنَّ الْإِطْلَاقَ فِي الْقَوْلِ الْأَوَّلِ لَيْسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ فِيمَا يُشْكِلُ وَغَيْرُهُ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْمَوْضُوعُ مَطْلُوبًا (130) شَهْدَ عَلَيْهِ / بِشَيْءٍ، كَمَا هُوَ صَرِيحُ قَوْلِ الشَّيْخِ ابْنِ عَرَفَةَ: "وَفِي تَمَكِينِ الْمَطْلُوبِ". إِلَى آخِرِهِ.

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْعَاصِبَ الْمَذْكُورَ غَيْرُ مَشْهُودٍ عَلَيْهِ، فَلَا يُمْكِنُ مِنَ النَّسْخَةِ، فَضْلًا عَنْ كَوْنِ التَّمَكِينِ لَهُ (131) مَعْمُولًا بِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: مَا صَابِطٌ مَا تُعْطَى فِيهِ النَّسْخَةُ لِلْحُصْمِ؟ قُلْتُ: ضَبَطُوا ذَلِكَ فِي

(122) جمع الجوامع - لتاج الدين السبكي -: في أصول الفقه، مختصر مشهور، جمعه من زهاء مائة مصنف في بلاغة واختصار. له شروح كثيرة، ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - لحاجي خليفة - 1/695.

(123) لا يتعين ... عام، سقط من ط.

(124) تدافع. في ط.

(125) نص جمع الجوامع غير مستقيم في ط.

(126) جمع الجوامع - لتاج الدين السبكي - ص 963 - بتصرف.

(127) لا تقتضي في ط.

(128) التاويدي: محمد بن الطالب بن سودة المري، أبو عبد الله. الأندلسي أصلاً، الفاسي منشأً وداراً. جليل العلم والدين. له: شرح على التحفة وغيره، ت 9021هـ، سلوة الأنفاس ومحاضرة الأكياس - للشريف الكتاني - / 911. شجرة النور ص 243.

(129) شرح التحفة: للتاويدي "حلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم" - لخصه من شرح ميارة على التحفة "الإتقان والإحكام" وغيره - اعتمده الفقهاء أساساً من أسس التخريج في المذهب. اعتمده المفتون والقضاة. اصطلاح المذهب ص 335، 485. الدليل التاريخي ص 692. وينظر شرح التاويدي على التحفة "حلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم" بهامش البهجة في شرح التحفة للتسولي - 1/45.

(130) مطلق ما، هكذا في ت.

(131) له: سقط من ط.

إبطال دعوى ابن عظيم نسبة القول بأن العمل على التمكين من النسخ مطلقاً لابن عرفة

2 ن ظ ت

صور التمكين من النسخ

ثَلَاثِ صُورٍ: إِحْدَاهَا⁽¹³²⁾: مَطْلُوبٌ شُهِدَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ طَلَبَ نُسْخَةَ مِمَّا شُهِدَ بِهِ عَلَيْهِ، إِمَّا لِيَأْتِي بِدَفْعٍ فِيهَا، أَوْ لِيَسْأَلَ⁽¹³³⁾ الشُّهُودَ وَيَذَكِّرَهُمْ. ثَانِيَتُهَا⁽¹³⁴⁾: مَشْهُودٌ عَلَيْهِ طَلَبَ نُسْخَةَ لِيَتَأَمَّلَ فُصُولَ الشَّهَادَةِ، عَسَى أَنْ يَعْتَرِ عَلَى مَا يُخْلَصُهُ مِنْ وَرْطَةِ الإِشْهَادِ عَلَيْهِ⁽¹³⁵⁾. ثَالِثُهَا⁽¹³⁶⁾: طَالِبٌ لَهُ حَقٌّ فِي شَيْءٍ، طَلَبَ أَخَذَ نُسْخَةَ يُثَبِّتُ بِهَا⁽¹³⁷⁾ حَقَّهُ⁽¹³⁸⁾، كَأَنْ يَطْلُبُ نُسْخَ أَصُولِ دَارِ إِشْتَرَاهَا إِنْ⁽¹³⁹⁾ شَحَّ بِإِعْطَاءِ تِلْكَ الْأَصُولِ. أَوْ يَشْتَرِي مِنْ وَكِيلٍ أَوْ وَجِيٍّ، أَوْ حَاضِنٍ فِيمَا يَجُوزُ فِيهِ بَيْعُهُ عَلَى الْمُحْضُونِ، فَيَطْلُبُ نُسْخَةَ مِنَ الْوَكَالَةِ أَوْ الْإِيصَاءِ أَوْ ثُبُوتِ الْحِصَانَةِ، فَلَهُ ذَلِكَ. وَعَلَى هَذَا يُقَاسُ بِاقِي مَا فِيهِ حَقٌّ. وَإِلَى الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ أَشَارَ الشَّيْخُ⁽¹⁴⁰⁾ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ الشَّهِيرُ بِالزَّرْقَاقِ⁽¹⁴¹⁾، بِقَوْلِهِ:

وَاحْكُمَنْ
وَلَكِنْ بِلَا نَقْلِ، كَذَا مِنْ شَهَادَةٍ
لِخَصْمٍ⁽¹⁴²⁾ بِرِسْمِ الْإِنْتِسَاحِ لِيَسْأَلَ
عَلَيْهِ بِهِ وَاحْتِاجَ أَنْ يَتَأَمَّلَا
وَقِيلَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، أَمَّا وَكَالَتُهُ
وَشِبْهِهِ مِنَ الذِّفِّهِ حَقٌّ فَأَكْمَلَا⁽¹⁴³⁾
انْتَهَى.

فَظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ أَخَذَ نُسْخَةَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ فِي النَّازِلَةِ الْمَسْطُورَةِ لَا يُمْكِنُ مِنْهُ الطَّلَبُ.

وَلِهَذَا أَفْتَى الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْفَاسِيُّ⁽¹⁴⁴⁾ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بِأَنَّ الْخَصْمَ⁽¹⁴⁵⁾: «لَا يَلْزَمُهُ إِعْطَاءٌ مُوجِبَاتِهِ الَّتِي بِيَدِهِ لِحْصَمِهِ، وَلَوْ مُمْكِنَ الْخَصْمَ مِنْ هَذَا وَشِبْهِهِ

(132) أحدها في ط.

(133) يسأل في ط.

(134) ثانيها في ط.

(135) عليه: سقط من ط.

(136) ثالثها في ط.

(137) به في ط.

(138) منه في ط.

(139) إذا في ت.

(140) الشيخ: سقط من ط.

(141) الزرقاق: علي بن قاسم. أبو الحسن. فقيه فاس ومقدمها في عصره. عارف بالمذهب متقن للمختصر. له: اللامية والمنهج المنتخب، ت 912هـ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج - لأحمد بابا التنبكتي - ص 343، شجرة النور ص 274.

(142) تحصم في ط.

(143) لامية الزرقاق ص 142. وينظر: فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزرقاق - لميارة الفاسي - ص 382.

(144) عبد القادر الفاسي: ابن علي بن يوسف المغربي الفاسي المالكي. من كبار شيوخ عصره. اشتغل بالإفتاء وقصده المستفتون، وصدرت عنه أوجبة اعتمدها علماء الوقت، ت 1901هـ، شجرة النور ص 413، الأعلام 4/ 14.

(145) بأن الخصم. سقط من ط.

لَفْتِحِ بَابٍ عَلَى النَّاسِ يَعْسُرُ سَدُّهُ،⁽¹⁴⁶⁾ . انْتَهَى .⁽¹⁴⁷⁾

وَهَذَا لَا يُنَافِي مَا أَفْتَى بِهِ الشَّيْخُ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ⁽¹⁴⁸⁾ -رَجَمَهُ اللَّهُ- مِنْ أَنَّهُ: "إِذَا حَضَرَ الْحُكْمَ وَجِبَ إِخْرَاجُ الْوَثِيقَةِ لِلطَّالِبِ لِيَنْظُرَ⁽¹⁴⁹⁾ فِيهَا"⁽¹⁵⁰⁾ . لِأَنَّ إِخْرَاجَهَا لِلنَّظَرِ فِيهَا لَا يَقْتَضِي إِعْطَاءَ نَسْخَةٍ مِنْهَا.

فَإِنْ قِيلَ: فَذَ⁽¹⁵¹⁾ نَقَلَ الْمُتَيْطِي⁽¹⁵²⁾ عَنِ ابْنِ الْهَنْدِيِّ⁽¹⁵³⁾ أَنَّهُ قَالَ: "جَرَى الْعَمَلُ عِنْدَنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ بِإِعْطَاءِ النَّسْخِ كُلِّهَا، كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا"⁽¹⁵⁴⁾ . إِلَى آخِرِهِ . وَهَذَا⁽¹⁵⁵⁾ يَرُدُّ مَا قَدَّمْتُهُ مِنَ التَّفْصِيلِ الْمُتَقَدِّمِ؟

قُلْتُ: كَلَامُ ابْنِ الْهَنْدِيِّ إِنَّمَا هُوَ فِي التَّوْقِيفِ، وَهُوَ الْمَقَالُ الَّذِي يَدَّعِيهِ الْخَصْمُ وَيَطْلُبُ فِيهِ مِنْ خَصْمِهِ⁽¹⁵⁶⁾ الْجَوَابَ بِإِقْرَارٍ أَوْ إنْكَارٍ، أَعْنِي الْكُتُبَ الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ، ذَلِكَ الْمَشَارُ إِليهِ بِقَوْلِ ابْنِ عَاصِمٍ⁽¹⁵⁷⁾:

وَالْكَتُبُ يَقْتَضِي عَلَيْهِ الْمُدَّعِي مِنْ خَصْمِهِ الْجَوَابَ تَوْقِيفاً دُعِي⁽¹⁵⁸⁾

(146) لم نقف عليه في أجوبة الفاسي الصغرى والكبرى وذكره التاودي عنه. ينظر: شرح التاودي على العاصمية بهامش البهجة شرح التحفة 45/1.

(147) انتهى: سقط من ط.

(148) ابن أبي زيد: عبد الله بن أبي زيد القيرواني. أبو محمد. إمام المالكية في زمانه. جامع المذهب وشارح أقواله له: الرسالة، واختصار المدونة وغيرها. ت683هـ. الديباج المذهب ص322. شجرة النور ص69.

(149) ينظر في ط.

(150) فتاوى ابن أبي زيد -جمع وتقديم: حميد محمد لحر - ص22. وينظر: المعيار العربى للنوشرىسي 252/01.

(151) سقط من ط.

(152) المتيطي: علي بن عبد الله. أبو الحسن. فقيه عالم عمدة. عارف بالشروط وتحريم النوازل. له: النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام. اعتمده المفتون والحكام. اختصره أعلام، منهم ابن هارون. ت570هـ. كفاية المحتاج ص237. شجرة النور ص163.

(153) ابن الهندي: أحمد بن سعيد الهمداني. أبو عمر. فقيه عالم بالشروط والأحكام. ثقة عمدة. ألف كتابا في الشروط مفيدا. عليه اعتماد المؤقتين والقضاة. ت399هـ. الديباج المذهب ص98. شجرة النور ص101.

(154) سيأتي عزوه إلى ابن هارون وتوثيقه.

(155) وهذا سقط من ط.

(156) ويطلب من خصمه -في ط.

(157) ابن عاصم: محمد بن محمد الغرناطي. أبو بكر. قاض فقيه. له: أرجوزة في الفقه والقضاء، وهي تحفة: تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، شهرتها العاصمية، وبها اشتهر. ت829هـ. نيل الاجتهاد ص492. شجرة النور ص247.

(158) تحفة الحكام في نكت العقود والحكام -لابن عاصم - ص20. وينظر: البهجة شرح التحفة -للتسولي -1/54.

وَنَصَّ الْمَيْتِيَّ عَلَى مَا فِي ابْنِ هَارُونَ⁽¹⁵⁹⁾ فِي اخْتِصَارِ الْمَيْتِيَّةِ⁽¹⁶⁰⁾: "إِنْ ادَّعَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ⁽¹⁶¹⁾ دَارًا أَوْ عَقَارًا بِيَدِهِ، سَأَلَهُ عَنْهَا بِالشَّهَادَةِ فَإِنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهَا مَعَهُ حَقٌّ قَبِدَتْ إِنْكَارُهُ بِالشَّهَادَةِ، فَإِنْ قَالَ الْمَطْلُوبُ لَا أَجَابُ الْآنَ عَنْهَا لِأَنَّ فِيهَا حُدُودًا كَثِيرَةً، حَتَّى اتَّامَلَهَا، أَجَلَهُ فِي الْوُقُوفِ عَلَيْهَا بِقَدْرِ مَا يَرَاهُ الْحَاكِمُ، وَيُدْفَعُ إِلَيْهِ نُسْخَةُ الْحُدُودِ، وَهَكَذَا يُوجَلُ الْمَطْلُوبُ فِي كُلِّ تَوْقِيفٍ لَا يَتَأْتِي فَهْمُهُ فِي الْمَجْلِسِ لِكثْرَةِ فُضُولِهِ. وَأَمَّا إِنْ كَانَتْ⁽¹⁶²⁾ الْوُثِيقَةُ مُحْتَصِرَةً، يُوقَفُ عَلَيْهَا وَتُفْهَمُ بِالسَّمَاعِ لَمْ يُعْطَ نُسْخَتَهَا. قَالَ ابْنُ الْهِنْدِيِّ: وَجَزَى الْعَمَلُ عِنْدَنَا بِإِعْطَاءِ النُّسْخِ كُلِّهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا"⁽¹⁶³⁾. انْتَهَى.

فَأَنْتَ تَرَى كَلَامَهُ إِنَّمَا هُوَ فِي التَّوْقِيفِ، لَا فِي كُلِّ شَيْءٍ. فَبَرَجْعُ الْعَمَلِ/ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْهِنْدِيِّ إِلَى الْقَوْلِ بِالْإِطْلَاقِ فِيمَا يُشْكِلُ وَمَا لَا يُشْكِلُ الَّذِي هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ فِي كَلَامِ الشَّيْخِ ابْنِ عَرَفَةَ. وَعَلَى هَذَا لَا يَكُونُ الشَّيْخُ ابْنُ عَرَفَةَ مُغْفَلًا لِقَوْلِ ابْنِ الْهِنْدِيِّ الْمَذْكُورِ كَمَا قِيلَ⁽¹⁶⁴⁾، وَإِنَّ كَلَامَ ابْنِ عَرَفَةَ فِي مَشْهُودٍ عَلَيْهِ، وَكَلَامَ ابْنِ الْهِنْدِيِّ⁽¹⁶⁵⁾ فِي مَدْعَى عَلَيْهِ، لَكِنَّ تَقَارُبَهُمَا لَا يَخْفَى.

هَذَا مَا ظَهَرَ لِمَرْجِي الْبِضَاعَةِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.
قَالَهُ بِفَمِهِ وَكَتَبَهُ بِقَلَمِهِ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ الرَّيَّاحِيِّ - جَبَرَ اللَّهُ صَدْعَ قَلْبِهِ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِمَغْفِرَةِ ذَنْبِهِ. آمِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - وَأَوَائِلُ حَجَّةٍ مُتَمِّمٍ عَامَ 1253، ثَلَاثَةَ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ لِلْهَجْرَةِ. وَوَافَقَ الْفَرَاغَ مِنْ نُسْخِ هَذَا - عَلَى يَدِ كَاتِبِهِ لِنَفْسِهِ هَذَا اللَّهُ بَعْدَهُ، عَبْدُ الْحَفِيظِ رَجَبِ الطَّرَابُلسِيِّ - رَابِعَ عَشَرَ شَوَّالٍ. سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ⁽¹⁶⁶⁾.

خاتمة البحث

وتضمنت النتائج الآتية: - الشيخ إبراهيم بن عبد القادر الرياحي أحد أعلام تونس وفقهاء الغرب الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري.

(159) ابن هارون: محمد بن هارون الكنانسي التونسي. أبو عبد الله. فقيه مالكي. من أئمة الزيونة. شرح واختصر أمهات كتب المذهب. اشتهر باختصار المتيطة. ت. 057هـ. كفاية المحتاج ص 513. شجرة النور ص 112.

(160) اختصار المتيطة: هو اختصار كتاب المتيطة المشهور في الشروط والأحكام، اختصره في قدر ثلثه؛ استوعب مسأله، وتجاوز المكرر منها. الدليل التاريخي ص 113.

(161) على رجل: سقط من ط.

(162) كان في ط.

(163) ينظر: مختصر النهاية والتمام "المتيطة" لابن هارون 3/ 9861، 0961.

(164) قاله التاودي في شرحه تحفة ابن عاصم - انظره بهامش البهجة في شرح التحفة - للتسولي - 1/ 54.

(165) المذكور ... الهندي. سقط من ط.

(166) قاله بفمه ... العظيم: منتهى النسخة ت. وفي ط: وكتب أوائل حجة متمم 1253.

- له مؤلفات ورسائل وفتاوى ومباحثات مع فقهاء عصره وعلى الفقهاء ممن سبقه.
- تقلّد رحمه الله أهم الخطط الدينية على عهده، فكان مفتياً وشيخاً للجامع الأعظم.
- يعدّ رحمه الله أول من جمع بين الإمامة الكبرى ورئاسة الفتوى.
- أسندت إليه خطة القضاء وتنازل عنها لأحد أساتذته.
- أن المخطوط موضع الدراسة يحمل عنوان "استدراك على جواب لابن عظوم في حقيقة الإعذار".
- أنه من صنع مؤلفه إبراهيم بن عبد القادر الرياحي.
- كتب المؤلف استدراكه بأسلوب رائق خلا عن الغموض، جرى فيه على سبيل سواء ومنهج واضح، ولم يعوزه التحقيق والتدقيق.
- اعتمد في استدراكه على مصادر متنوعة: فقهية، وقضائية، وأصولية، وقواعديّة، ونوازلية.
- إن حقيقة الإعذار من البسيطات لا المركبات.
- إن الإعذار غير التمكين والتوقيف.
- إن الإعذار معتبر في الحكم والقضاء دون التمكين.
- إن دلالة الالتزام غير معتبرة في الحقائق الشرعية.
- فرّق رحمه الله بين الشهادة والرواية.

فهرس المصادر والمراجع

1. إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان. أحمد ابن أبي الضياف. تحقيق: لجنة من وزارة الثقافة والمحافظة على التراث. الدار العربية للكتاب. تونس. ط: بلا. ت: 2016م.
2. إتقان الضبط في الفرق بين السبب والشرط. إبراهيم الرياحي. تحقيق وتعليق: معز المجولي. دار الإمام المازري. رادس. تونس. ط: الأولى. ت: 2016م.
3. الأجوبة. قاسم ابن عظوم. تحقيق وتقديم: محمد الحبيب الهيلة. منشورات بيت الحكمة. تونس. ط: الأولى. ت: 2009م.
4. الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام. شهاب الدين القرافي. اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، وسليمان أبو غدة. شركة البشائر الإسلامية. بيروت. ط: الرابعة. ت: 2009م.
5. اصطلاح المذهب عند المالكية. د. محمد إبراهيم أحمد علي. دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث. دبي. ط: الأولى. ت: 2000م.
6. الأعلام. خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت. ط: السابعة. ت: 1989م.
7. البهجة في شرح التحفة. أبو الحسن التسوي. دار الفكر. ط: بلا. ت: بلا.
8. تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد. محمد الخوجة. تحقيق وتقديم: الجيلاني بن الحاج يحيى، حماد الساحلي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط: الثانية. ت: 1985م.
9. تحفة الحكام في نكت العقود والحكام. محمد بن عاصم. تحقيق: محمد عبد السلام محمد. دار الأفاق العربية. القاهرة. ط: الأولى. ت: 2011م.
10. تراجم المؤلفين التونسيين. محمد محفوظ. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط: الأولى. ت: 1982م.
11. ترتيب الفروق واختصارها. أبو عبد الله البقوري. تحقيق: الميلودي بن جمعة، الحبيب بن طاهر. مؤسسة المعارف. بيروت. ط: الثانية. ت: 2008م.
12. ترتيب المدارك وتقريب المسالك. القاضي عياض. تحقيق: عبد القادر الصحراوي. مطبعة فضالة. المغرب. ط: الأولى. ت: 1970م.
13. تعطير النواحي بترجمة العلامة إبراهيم الرياحي. عمر بن محمد بن علي. المكتبة العتيقة. تونس. ط: بلا. ت: بلا.
14. جمع الجوامع. تاج الدين السبكي. دراسة وتحقيق: عقيلة حسين. دار ابن حزم. بيروت. ط: الأولى. ت: 2011م.
15. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير. أحمد بن عرفة الدسوقي. وبهامشه تقارير العلامة عيش. دار إحياء التراث العربي عيسى بابي الحلبي وشركاه. ط: بلا. ت: بلا.
16. حلي المعاصم. محمد التاودي. بهامش البهجة في شرح التحفة للتسوي. دار الفكر. ط:

- بلا. ت: بلا.
17. الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي. د. محمد العلمي. مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي. الرباط. ط: الأولى. ت: 2012م.
18. ديوان الشيخ إبراهيم الرياحي. تحقيق: محمد البجلاوي، وحماد الساحلي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط: الأولى. ت: 1990م.
19. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس. الشريف الكتاني. تحقيق: حمزة الكتاني وآخرون. دار الثقافة. الدار البيضاء. ط: الأولى. ت: 2004م.
20. سيدي إبراهيم الرياحي. أحمد السائح الحسني الشريف. دار ك. أ. تونس. ط: بلا. ت: 2016م.
21. الشامل مختصر في فقه الإمام مالك. تاج الدين بهرام الدميري. تحقيق: أحمد عبد الكريم نجيب. مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث. ط: الأولى. ت: 2012م.
22. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. محمد بن محمد مخلوف. دار الكتاب العربي. بيروت. ط: بلا. ت: بلا.
23. شرح مختصر خليل للشيخ الخرشي وبحاشية الشيخ العدوي. دار الفكر. بيروت. ط: بلا. ت: بلا.
24. عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب. الشيخ محمد النيفر. تنييل واستدراك: ابن المؤلف علي النيفر. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط: الأولى. ت: 1996م.
25. فتاوى ابن أبي زيد القيرواني. جمع وتقديم: حميد محمد لحمير. دار الغرب الإسلامي. تونس. ط: الثانية. ت: 2008م.
26. فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق. محمد أحمد ميارة. تحقيق: رشيد البكري. دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء. ط: الأولى. ت: 2008م.
27. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. محمد الحجوي الفاسي. اعتنى به: أين صالح شعبان. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: الأولى. ت: 1995م.
28. فهرس الفهارس والأثبات. عبد الحي الكتاني. باعثناء: د. إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. تونس. ط: الرابعة. ت: 2013م.
29. كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين. حسن حسني عبد الوهاب. مراجعة وإكمال: محمد العروسي المطوي، بشير البكوش. دار الغرب الإسلامي. بيروت. بالاشتراك مع بيت الحكمة. تونس. ط: الأولى. ت: 1990م.
30. كشف اصطلاحات الفنون. لمحمد علي التهانوي. دار صادر. بيروت. ط: بلا. ت: بلا.
31. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة. مكتبة المثنى. بغداد. ط: بلا. ت: 1941م.
32. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج. أحمد بابا التنبكتي. تحقيق: عبد الله الكندري. دار ابن حزم. بيروت. ط: الأولى. ت: 2002م.

33. لامية الزقاق في فقه المالكية. مطبوعة مع متن العاصمية. دار إحياء الكتب العربية. ط: بلا. ت: بلا.
34. لسان العرب. جمال الدين بن منظور. الدار المصرية للتأليف والترجمة. ط: بلا. ت: بلا.
35. مباحث في المذهب المالكي. عمر الجيدي. مطبعة المعارف الجديدة. الرباط. ط: الأولى. ت: 1993م.
36. المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين. سيف الدين الأمدي. تحقيق: حسن الشافعي. دار وهيبة القاهرة. ط: الثانية. ت: 1993م.
37. مختصر العلامة خليل في فقه الإمام مالك. خليل بن إسحاق. صححه وعلق عليه: الشيخ الطاهر الزاوي. دار الفكر. ط: بلا. ت: بلا.
38. المختصر الفقهي. محمد بن عرفة الورغمي. تحقيق: حافظ عبد الرحمن محمد خير. مؤسسة خلف الخبتور. دبي. ط: الأولى. ت: 2014م.
39. مختصر النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام المعروف بمختصر المتيضية. أبو عبد الله محمد ابن هارون. دراسة وتحقيق: د. صحراوي حبيب خلواتي. دار ابن حزم. بيروت. ط: الأولى. ت: 2021م.
40. المدونة الكبرى. الإمام سحنون. دار صادر. بيروت. ط: بلا. ت: بلا.
41. مسامرات الظريف بحسن التعريف. أبو عبد الله السنوسي. تحقيق وتعليق: الشيخ محمد الشاذلي النيفر. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط: الأولى. ت: 1994م.
42. المصباح المنير. أبو العباس أحمد الفيومي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط: بلا. ت: بلا.
43. المعيار المعرب. أبو العباس الونشريسي. خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط: بلا. ت: 1981م.
44. الموافقات في أصول الشريعة. أبو إسحاق الشاطبي. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان. ط: الأولى. ت: 1997م.
45. نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول. جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي. تحقيق: شعبان محمد إسماعيل. دار ابن حزم. بيروت. ط: الأولى. ت: 1420هـ 1999م.
46. نور البصر في شرح مقدمة المختصر. أبو العباس أحمد الهلاي. تحقيق: أحمد عبد الكريم نجيب. مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث. ط: الأولى. ت: 2013م.
47. نيل الابتهاج بتطريز الديباج. أحمد بابا التنبكتي. عناية وتقديم: عبد الحميد الهرامة. دار الكاتب. طرابلس. ط: الثانية. ت: 2000م.
48. هداية العارفين. إسماعيل باشا البغدادي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط: بلا. ت: 1955م.
49. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ابن خلكان. تحقيق: إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت. ط: بلا. ت: بلا.

النزعة الفلسفية في شعر إبراهيم الأسطى عمر

د. أحمد محمد محمود الميداني د. فوزي عمر سالم الحداد
قسم اللغة العربية- كلية التربية جامعة طبرق

الاستلام: 2021 / 08 / 15

القبول: 2021 / 09 / 16

المستخلص:

إن الإبداع الذاتي هو الذي يميز إنساناً عن غيره ويرسم شخصيته ويبرزها، وإبراهيم الأسطى عمر من الشعراء القلائل الذين تميزوا عن غيرهم في عصره، فله منهج خاص جعله من أعلام شعراء عصره، ونحن في هذا البحث نلقي الضوء على جانب من جوانب شعره الذي تفرد به على كثير من أقرانه في بيئته وزمانه ألا وهو النزعة الفلسفية التي كانت خطأ ابداعيا ومنهجاً نفسانياً له أسبابه ومظاهره . وسنحاول في هذا البحث عرض بعض القضايا الفكرية الإبداعية التي ترصد في ديوانه وتحليلها والعوامل المؤثرة فيها علنا نساهم في إبراز جانب من جوانب الإبداع عند الرجل من خلال ديوانه الحافل بالقضايا التي تستحق الدراسة .
المفتاحية : فلسفة / الروح / السعادة / المعري.

Summary:

Self-creation is what distinguishes a person from others and draws his personality and highlights it, and Ibrahim Al-Usta Omar is one of the few poets who distinguished from others in his time. Many of his peers in his environment and time, which is the philosophical tendency, which was a creative mistake and a psychological approach that has its causes and manifestations.

In this research, we will try to present some of the creative intellectual issues that are monitored in his poetry and analyzed, and the factors affecting them publicly.

Keyword: philosophy / spirit / happiness / Al-Maarri

مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على جانب من جوانب إبداع الشاعر الليبي إبراهيم الأسطى عمر وهي محاولة نقدية للبحث عن ارتباط الشعر بغيره من العلوم التي عرفها الإنسان وتأثر بها. والشعر الليبي خاصة والأدب الليبي عامة ميدان خصب للبحث والدراسة وكلما تمعن فيه الناقد وجد الكثير من الموضوعات والقضايا التي تستحق الدراسة. وقد حاولت في هذه الدراسة إلقاء الضوء على جانب من الجوانب الإبداعية التي تفردها -إلى حد بعيد- إبراهيم الأسطى عمر ألا وهو الجانب الفلسفي الذي كان سمة بارزة في ديوان الرجل الحائر الذي كثرت استفهاماته وتعددت تساؤلاته في غير قصيدة، وسيطرت الحيرة والنزعة التأملية على أسلوب الرجل. أما عن المنهج فقد سارت الدراسة وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي وفق ما تقتضيه مراحل الدراسة وتأتي الدراسة في أربعة مباحث ومقدمة وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة عرض الباحث فيها للهدف من الدراسة وقيمتها ومنهجه في الدراسة

المبحث الأول: بين الفلسفة والشعر.

المبحث الثاني: قضية الروح.

المبحث الثالث: قضية السعادة.

المبحث الرابع: بين أبي العلاء والأسطى عمر.

الخاتمة ثم مصادر البحث ومراجعته.

المبحث الأول بين الفلسفة والشعر:

مما لا شك فيه أن الفلسفة في الشعر العربي لها جذور قديمة لا ينكرها متمعن في مسيرته المستمرة عبر العصور، فما صاغه المتنبي وأبو العلاء المعري ومن سار على دربهما وجاء من بعدهما إلا دليل على بداية تجذر هذا الاتجاه الذي لم يكن معروفًا من قبل في أدبنا العربي، ساعد على ذلك اتصال العرب بثراث غيرهم ونشاط حركة الترجمة في العصر العباسي.

فانتشار الفكر غير المطروق في شعر العرب في عصر العباسيين وسيطرة الحيرة والتساؤلات التي وجدناها في الشعر العربي القديم وامعان النظر في مظاهر الكون وظواهره، ومسيرة الإنسان وحياته ووجهة نظر هؤلاء فيها وشعر الحكمة الذي بدا ظاهرة جلية في العصور السابقة دليل على جذور الفكر الفلسفي والرؤى الخاصة لأصحابها التي تمثلت في صياغتهم لأحاسيسهم وتجاربهم الذاتية بصورة مغايرة لما وجدناه في عصر الملقات وفي عصر النبوة والخلفاء الراشدين.⁽¹⁾

(1) الفن ومذاهبه د. شوقي ضيف ص 382 بتصرف

وقد تعمقت هذه النظرة أكثر فأكثر في الشعر الحديث عندما تحرر الشعر من القيود الموروثة والقوالب المعروفة وتم الاتصال الحضاري بينه وبين الأمم الأخرى وزحفت المدارس الأدبية زحفها المتسارع إلى الأدب العربي فكان التأثير والتأثر.⁽²⁾ وإذا نظرنا إلى الفلسفة الشعرية فإنها تعد نتاجاً لمجموعة من الأفكار والآراء، التي كوَّنها الشاعر وأراد بها إسداء النصيح والإرشاد للمستمعين والقارئ لشعره أو الغوص في ماهيات وأسرار الكون من حوله، وهي مختلفة المواضيع ما بين النفس والروح و الحياة والموت والرزق والعمل والكسب الحلال وغيرها من الأفكار والرؤى التي لم تترك مجالاً إلا وخاضت فيه وأمعنت التفكير.⁽³⁾

ودائماً ما ينظر إلى العلاقة بين الشعر والفلسفة على أنها علاقة تصادم و تناقض وجذب، وليس علاقة توافق وانسجام وربما يكون السبب في هذا الانطباع هو اختلاف طبيعة كل من الفلسفة والشعر وماهية كل منهما في ذاته. فطبيعة الفلسفة قائمة على التفكير المجرد والبراهين العقلية، أما الشعر فيعتمد على المشاعر والأحاسيس والخيال و مخاطبة الروح والوجدان، لذا يبدو من الوهلة الأولى البون شاسع بينهما ولا وجود لعلاقة بينهما، وهذا واضح على مرّ التاريخ . لكن بنظرة فاحصة وموضوعية شديدة نرى أنّ هناك خيطاً رفيعاً بينهما في العلاقة رغم المقولة الشهيرة التي تقول إنّ موت الفلسفة يلازمه موت الشعر.⁽⁴⁾ ويجب أن نوضح أنّ الإنسان مركب من عقل مفكر و روح و جسم و يجب أن يوجد الاثنين لمخاطبة الجانبين أي العقل و الروح ، الفلسفة تخاطب العقل و الشعر يخاطب الروح ، وكلاهما يكمل الآخر، بمعنى أنّ هناك جانبان في الطبيعة البشرية الشعر يخاطب جانب العاطفة و الروح و الوجدانات، والفلسفة تخاطب العقل و التفكير ، ولا غنى عنهما في بناء الطبيعة البشرية. ويوجد عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين الذين يؤكدون على وجود هذه العلاقة الوطيدة أو بمعنى أدق على وجود الخيط الرفيع بين الشعر والعقل. فالفلسفة في أحد تعريفاتها هي محاولة لمعرفة الروح.

وقد حاول الكثير من الباحثين في هذا الاتجاه -علاقة الشعر بالفلسفة والعكس- التنقيب في إنتاج الأقدمين للبحث عن مدى العلاقة بين الشعر والفلسفة في انتاجهم عبر العصور.⁽⁵⁾

والقارئ لكتاب كمال اليازجي (جذور فلسفية في الشعر القديم والمولد) يلحظ اعتماد الكاتب في جمع مواد الكتاب على ما تيسر من مطالعته، من دواوين الشعراء ومجاميع الرواة، مما ثبت في جدول المصادر، فاختر منها ما جاء في

(2) بيان الحداثة -أودنيس مجلة مواقف العدد36 شتاء 1980 ص 154

(3) جذور فلسفية في الشعر القديم والمولد كمال اليازجي ص28 بتصرف

(4) زمن الشعر أودنيس ص 108

(5) جذور فلسفية في الشعر القديم والمولد-كمال اليازجي ص 72 بتصرف

الحكم والأمثال والوصايا والعظات، وكل ما هو من قبيل التوجيه والإرشاد، وبدا له بعد تنسيق المواد في ثمانية جذور، أن بعضها تكتف وتبلور في آثار واحد أو أكثر من كبار شعراء العربية، فرأى من المناسب اعتباره منها بمقام الركيزة والعماد؛ فعماد البطولية: أبو الطيب المتنبي، وزعيم الإباحية: الحسن بن هاني - أبو نؤاس، ورائد الانهزامية: أبو العتاهية، وداعي العقلانية: أبو العلاء المعري، وأمام المثالية: الشريف الرضي، وقطب الشمولية: ابن عربي.⁽⁶⁾

وكذلك المطالع لكتاب (نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد) لألفت كمال الروبي يرى تتبعا لنظرة هؤلاء في محاولة الربط بين تأملات الفلاسفة ورؤى الشعراء من خلال تجاربهم الذاتية للأشياء التي عبر عنها شعرهم .

فتأخذنا د. الروبي، إلى علم قائم بذاته يتصل بالشعر، فنحن في حضرة كبار الفلاسفة: ابن رشد، الفارابي، ابن سينا الكندي وإخوان الصفا، أما المصطلحات التي أنجبها هؤلاء الفلاسفة فهي تقع في باب علم المنطق، وعلم اللغة، وعلم الشعر، ومن هذه المصطلحات كما وردت في كتاب د. الروبي «المتخيلة»، وهي القوة الباطنة الثالثة، وهي مرتبة التجويف الأوسط من الدماغ عند الفلاسفة المسلمين ما عدا الفارابي الذي يجعل مكانها القلب، ويسميا الكندي (المصورة) أو (الغنتاسيا) أو (التخييل) وأحياناً (التوهم)⁽⁷⁾

بحسب د. الروبي، فإن التخييل الشعري أو عملية الإبداع الشعري عند ابن سينا هي نوع من «الفيض» أو «الوحي» أو «الإلهام الغامض».. أما ما يذهل حقاً، فهو سبق ابن رشد لمفهوم الشعرية الذي ينسف تماماً ما أشارت إليه نازك الملائكة» بقولها: إن النظم يسبق الشعر، هذه نقطة، والنقطة الثانية، إن كمال أبو ديب يتضح أنه ناقل عن ابن رشد في ما يتعلق بالتنظير لمفهوم الشعرية»، فابن رشد، وبحسب د. الروبي.. يرى «أن كثيراً من الأقاويل الشعرية التي تسمى أشعاراً، ليس فيها من معنى الشعرية إلا الوزن فقط، إذ ليس ينبغي أن يسمى شعراً بالحقيقة على حدّ قوله- أي قول ابن رشد - إلا ما جمع المحاكاة والوزن⁽⁸⁾».. أما «إخوان الصفا»، وبحسب د. الروبي فقد قاربوا بين قوانين الموسيقى، وأصول العروض، وهو ما أشرنا إليه قبل قليل .

«يشير إخوان الصفا إلى مماثلة أصول العروض لقوانين الموسيقى، ذلك أن الأصول التي تتشكل على أساسها تفاعيل أو مقاطع الأشعار العربية وهي: السبب والوتد والفاصلة هي ذاتها التي تشكل جميع ما يتركب من النغمات والألحان في جميع اللغات، وهذه الأصول في كل من الشعر والموسيقى قوامها الحركة والسكون⁽⁹⁾

وفي كتاب «ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور» نقترب أكثر من العلاقة بين

(6) ينظر جذور فلسفي مرجع سابق ص79

(7) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي لابن رشد - د. ألفت كمال الروبي ص 65 بتصرف

(8) السابق ص68 و ينظر الفلسفة السياسية عند الفارابي، عبد السلام بن عبد العالي الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، لبنان

(9) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي لابن رشد- مرجع سابق ص71

الشعر والفلسفة والموسيقى، ويستند مؤلف الكتاب سعيد محمد توفيق إلى رأي شوبنهاور حيث يقول: «.. إن الشعر يرتبط بالفلسفة كما ترتبط التجربة بالعلم التجريبي...»، ويرى أن العلاقة بين الشعر والموسيقى قديمة ويقول إن الشعر هو الذي يستطيع أن يداوي قصور الموسيقى ويكمل نقصها.. «.. لأن الكلمات تضيي على الموسيقى مزيداً من التحديد من خلال التصورات والأفكار التي تثيرها»⁽¹⁰⁾. وفي كتاب (جنوح الفلاسفة الشعري) كان للكثير من الفلاسفة علاقة مباشرة بالشعر ونضرب هنا مثلاً أسقطه الكاتب رغم الإشارات الخفية وهو الفيلسوف الكبير كارل ماركس الذي طرق باب الشعر باكراً، وكانت له تجارب مع نظم الشعر لم تلق حظاً من الرواج، لكن ماركس الذي عدل عن فكرة نظم الشعر رافقته فيما يبدو الشاعرية في أعماله ومقولاته الفلسفية وكثيرون كانوا يرون في البيان الشيوعي وأعمال ماركس الباكورة قصيدة تحفل بالأحلام المستحيلة في تغيير العالم.⁽¹¹⁾

نظرة النقاد المحدثين الواسعة للإبداع الشعري :

إن التطور الذي شهدته القصيدة العربية في خروجها على الموروث والفرار من قيوده لإثبات أن للشعر وظيفة قد ترقى إلى وظيفة العلم، أو تسمو عنها، وهي وظيفة لا تقوم على الارتباط بالواقع الاجتماعي والسياسي الذي يعبر عنه مبدأ الالتزام، وإنما ينهض على مجموعة من المفاهيم تستمد مرجعيتها من الحقل الفلسفي. وتفرق الحداثة بين "العالم"، و"الواقع". العالم هو وحدة يتأكد من خلالها الوجود بما يحوي من مرئيات وغير مرئيات، محسوسات ومعنويات. وبالتالي، فهو دوماً بحاجة إلى اكتشافه، إعادة تشكيله، ولا يمكن أن يقوم بهذه المهمة غير الشعر. أما الواقع فهو آلي ومجزأ وزمني، ولذلك لا يتوفر على حقائق ثابتة، انه ناقص، وبما ان الشعر يصبو إلى الكمال فالواقع لا يصلح موضوعاً للشعر. ولما كان العالم موضوع الشعر، فإن الشعر بهذا المعنى ضرب من المعرفة. يقول أدونيس: "إن الشعر الحديث نوع من المعرفة التي لها قوانينها الخاصة، في معزل عن قوانين العلم. انه إحساس شامل بحضورنا. وهو دعوة لوضع معنى الظواهر من جديد موضع البحث والشك، وهو لذلك يصدر عن حساسية ميتافيزيقية. نحس الأشياء إحساساً عفويًا، ليس وفق العلائق المنطقية، بل وفق جوهرها، وقيمتها الذين يدرکہما التصور. ان الشعر الحديث من هذه الوجهة هو ميتافيزياء الكيان الإنساني."⁽¹²⁾

إن الحساسية الميتافيزيقية التي يتحدث عنها أدونيس، هي التي تعطي للشعر مشروعية وجوده، بعد الإنجازات التي حققها العلم، إنها تقوم في تعارض مع العلم. فهل يمكن ان نقرر ان أدونيس يفكر بمنطق ثنائي: العلم / المادة في مقابل الشعر / الروح؟

(10) ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور سعيد محمد توفيق ص 65 و ما بعدها بتصرف

(11) جنوح الفلاسفة الشعري - كرسيتيان دوميه ترجمة ريتا خاطر ص 94 بتصرف

(12) زمن الشعر ادونيس مرجع سابق ص 108

إن الجواب عن هذا السؤال يتضح في المقارنة المشهورة التي أقامها هو نفسه بين الشرق الشعري والغرب التقني، حين أكد "أن الغرب اليوم هو تقنية/ تقدم - أي بقاء في حدود الظاهر-، وان الشرق هو هذا الهاجس الذي لا يرى الظاهر إلا عتبة للباطن، الباطن الذي هو موطن الحقيقة.⁽¹³⁾

إذا سلمنا أن الحداثة الشعرية تنيط بالشعر وظيفية معرفية تسمو عن المعرفة العلمية، فإنه يحق لنا ان نسأل الآن عن موضوع هذه "المعرفة" الشعرية.⁽¹⁴⁾ فقد رأينا أننا كيف أن حركة الحداثة تفرق بين العالم والواقع، وهذه التفرقة تقوم أساساً على التوازي والتقابل. فالواقع نهائي محدود، والعالم لا نهائي. الواقع زمني، والعالم لا زمني لا مرئي، لهذا كانت المعرفة بالواقع محكومة بمنطق وقوانين، أي أنها معرفة وصفية - إذا جاز التعبير-، بينما المعرفة بالعالم، خارج كل منطق وكل قانون، إنها اكتشاف مستمر، وبحث متواصل نحو اللانهائي، نحو الباطن، لذلك فإن "العالم الذي نعيش فيه، لا يجوز، ولا يصح ان يكون غاية الشعراء، وإطاراً لهم. إنه وسيلة لخلق عالم انضر وأغنى. فما أضيق العالم، أمامهم إذا كان العالم الواقعي. عالم الحساسية المشتركة هو العالم كله. ليس هذا العالم الواقعي إلا بوابة تصلنا بالعالم الكبير الآخر، العالم الذي يفتحه الشعر ويقود: إليه⁽¹⁵⁾

المبحث الثاني قضية الروح :

من أهم القضايا التي تتجسد فيها النزعة الفلسفية التأملية عند إبراهيم الأسطى عمر قضية الروح ،

وهي من القضايا التي شغلت فكر الإنسان ولا زالت فقد خاض في ذكرها والتفكير فيها كل ذي لب من زمن بعيد ، وقد اختلفت النظرة إليها ومحاولة الاجابة على سؤال مازال مطروحاً:

ما الروح؟ ما حقيقتها؟

هذا الاختلاف بين نظرة الدين ونظرة الفلسفة والفكر ظل زمناً طويلاً يشغل كل تفكير الناس على اختلاف مشاربهم. وهذا مما دفع شاعرنا إلى أن يدلوا بدلوه في القضية ويعبر عن نظرتهم إليها متساوياً في حيرة حيناً مقتربا من المعنى الفلسفي حيناً آخر متأثراً بكل ما اتيح له من مطالعات وبمنهج من يعجب بشعرهم وفكرهم كأبي العلاء المعري⁽¹⁶⁾ إلا أن ذاتيته مسيطرة وواضحة لا ينكرها متمعن مدقق.

لفظ الروح في اللغة :

وللوقوف على هذه القضية بموضوعية نبحت عن الروح في اللغة فهي تعني

(13) بيان الحداثة أدونيس -مرجع سابق ص154

(14) السابق ص 156

(15) زمن الشعر مرجع ص91

(16) ثقافة أبي العلاء من خلال ديوان لزوم ما لا يلزم د. على كيجيان ص51 وما بعدها بتصرف

الإحياء من الموات، يقول ابن منظور في لسان العرب⁽¹⁷⁾ : والروح بالضم في كلام العرب النفخ ، سمي روحاً لأنه ريح يخرج من الروح.
لفظة الروح عند علماء المسلمين :

عرّف ابن القيم - رحمه الله - الرُّوحَ في كتابه فقال: "الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نُوراني عُلوِي خفيفٌ حيٌّ متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في السُّورِد، وسريان الدُّهن في الزَّيتون، والنار في الفَحْم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفاضلة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي هذا الجسم اللطيف مُتَشابِكًا بهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحسّ والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارقت الرُّوحَ البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح"⁽¹⁸⁾

وقد أطلقت كلمة روح في القرآن الكريم، على عدة أشياء كل منها يبعث نوعاً من أنواع الحياة. ومن بينها: القرآن نفسه لأنه يحيي موات القلوب، و جبريل عليه السلام لأنه هو الذي ينفخ الأرواح في الأرحام ، والوحي لأنه نزل بالقرآن، والإسلام لأنه به تحيا القلوب ونبي الله عيسى عليه السلام لأنه كان يحيي الموتى بإذن الله من الحياة يمكن أن نصفه بأنه روح.⁽¹⁹⁾

وفيما سوي ذلك فإن كلمة روح في اللغة فضفاضة يمكن أن تأخذ معني الصفة وأن تطلق - مجازاً- على كل ما يبعث الحياة في شيء ما، وكلمة الحياة هذه بدورها أيضاً كلمة فضفاضة واسعة المعني جداً. فهناك أنواع كثيرة من الحياة منها ما هو حقيقي ومنها ما هو مجازي . من ذلك مثلاً حياة الجسد بالغذاء والماء والهواء ، وحياة الأرض بالزراعة والري ، وحياة القلوب بالعلم والإيمان والذكر، وحياة الجسد الخامل بالحركة والسعي وهكذا. كل هذه الأحوال يمكن أن تصفها بأنها حياة، وكل ما يتسبب في ظهور أي نوع في هذه الأنواع.⁽²⁰⁾

فالروح من الألفاظ التي خاض الناس في تعريفها ، وتخبط الفلاسفة في تحديد ماهيتها والوقوف على حقيقتها، وهي في النهاية من المعاني التي استأثر الله بعلمها، ولم يجعل للإنسان سبيلاً إلى معرفتها، عرف ذلك من عرف، وجهله من جهل، وكأبر فيه من كابر، قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ سورة الإسراء، الآية 85 .

ولذلك لا تعجب إذا أفرط الناس في إطلاق كلمة روح على كل ما يسبب حركة بعد

(17) لسان العرب ابن منظور مادة (روح)

(18) ينظر الروح-ابن قيم الجوزية ط دار الصحابة ص36- والنفس والروح فخر الدين الرازي ص200-197 بتصرف

(19) ينظر تفسير الحافظ ابن كثير سورة الاسراء- والجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي تفسير السورة

(20) ينظر مجموع الفتاوى - ابن تيمية ج5 فصل عن الروح والنفس

سكون أو ارتقاء في الحال أو تطوراً في الأفعال. وأطلقت صفة الروح على نفخة الملاك عليه السلام في الجنين في داخل الرحم؛ لأنها تبعث في بدنه حياة مستقلة عن حياة الأم، والقرآن لم يطلق عليها لفظ الروح بل أشار إليها بذكر النفخ، (فنفخنا فيه من روحنا) سورة التحريم (12)، وكلمة (من) هنا لا تدل على التجزئة، بل إنها تدل على المصدر أي إنما يدخل في الرحم ليس هو جزء من الملك الذي اسمه الروح بل هو النفخة الصادرة من ذلك الملك وسميت روحاً لما لها من خاصية بعث الحياة في البدن.⁽²¹⁾

وفي الحديث النبوي الشريف (عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً - نطفة ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغاً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها))؛ رواه البخاري ومسلم

فالحديث الشريف قد وصفها بأنها روح وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح) ⁽²²⁾ ومن بين ما أطلق عليه صفة الروح النفس أيضاً والسبب في وصف النفس بأنها روح هو أن الله عز وجل قد أودع فيها (أي النفس) خصائص كثيرة أهمها الوعي، وهو أول ما يميز بين الإنسان الحي وبين الجسد الهامد، والنفس هي التي تدرك المعاني وتشعر بالمؤثرات وتحس بالعواطف وغير ذلك من الأفعال التي نسبها القرآن للنفس. ⁽²³⁾ قال تعالى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [سورة النحل، الآية: 2].

ولفظ (الروح) ورد في القرآن على عدة معانٍ، نذكر منها الحياة التي يكون بها قوام الكائنات، الروح بمعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [سورة الإسراء، الآية: 85]، فسّر (الروح) في الآية هنا على أنه العنصر المركب في الخلق الذي يحيا به الإنسان. قال الشوكاني اختلف الناس في الروح المسؤول عنه، فقيل: هو الروح المدبر للبدن الذي تكون به حياته، وبهذا قال أكثر المفسرين. ونقل الشوكاني أقوالاً آخر في معنى الآية، ثم قال: "والظاهر القول الأول"، يعني ما تقدم ⁽²⁴⁾ - الروح بمعنى ملك من الملائكة ملك من الملائكة: منه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ

(21) ينظر الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي

(22) الوافي في شرح الأربعين النووية - مصطفى ديب البغا 24 والجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية 52

(23) ينظر مجموع الفتاوى - مرجع سابق الفصل الخامس الروح والنفس

(24) ينظر نيل الأوتار في شرح منتقى الأخبار - محمد الشوكاني الآية 85 سورة الإسراء - والجامع لأحكام القرآن الكريم نفس الآية

يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴿ [سورة النبا، الآية: 38]، قيل في معنى الآية: إنه ملك من الملائكة. وقد نقل الطبري أقوالاً أخر في الآية، بيد أنه لم يقطع بواحد منها. ومال ابن كثير إلى أن يكون المقصود بـ (الروح) في الآية بني آدم⁽²⁵⁾.
- الروح بمعنى القرآن والوحي

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [سورة الشورى، الآية: 52]، قال ابن كثير: "يعني القرآن".
- الروح بمعنى جبريل، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [سورة النحل، الآية: 102] ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 87]، قال الطبري: "الروح في هذا الموضع: جبريل".
- الروح بمعنى النصر: وقواهم بنصر منه على {قال تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [سورة المجادلة، الآية: 22 22]، قال الشوكاني: عدوهم في الدنيا، وسمى نصره لهم روحاً؛ لأن به يحيا أمرهم. وقيل: (الروح) في الآية هنا بمعنى: البرهان".

- الروح بمعنى الرحمة: قال تعالى في سورة يوسف 87 ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْئُتُ مِن رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال قتادة: "أي: من رحمة الله".
الروح بمعنى الراحة من الدنيا، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَحْتُ نَعِيمٍ﴾ [سورة الواقعة الآية 89]
، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: "فراحة من الدنيا"
قال الشوكاني: "معناه الراحة من الدنيا، والاستراحة من أحوالها"⁽²⁶⁾

الروح بمعنى القدرة الإلهية على الخلق :
ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [سورة الحجر، الآية: 29]، أي: إن الإنسان مخلوق من خلق الله وكائن بقدرته.
هذه أهم المعاني التي ورد عليها لفظ (الروح) في القرآن الكريم، والمهم في هذا السياق أن ندرك أن معرفة حقيقة (الروح) ليس لأحد من سبيل إليها، بل هي مما اختص الله سبحانه بعلمها. ولعل الحكمة من إخفاء علمها عن المخلوقات، أن يتأمل الإنسان ويتحقق أن الروح التي جعل الله بها الحياة والراحة والقوة والقدرة والحس والحركة والفهم والفكر والسمع والبصر (هي من أمر الله)، وهو يباشرها ويعايشها مدة حياته وطول عمره، ومع ذلك لا يصل علمه إلى شيء من كنه حقيقتها وإدراك معرفتها، فكيف يطمع في الوصول إلى حقيقة خالقها وبارئها الذي:
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام، الآية: 103]

(25) ينظر تفسير الآية في مختصر ابن كثير

(26) ينظر تفسير القرطبي وابن كثير الآية 89 سورة الواقعة

الروح عند الفلاسفة والمتكلمين :

تعددت آراء الفلاسفة ونظريات المتكلمين في ماهية الروح وهل هي عرض أو جوهر؟ وفي نشأة الروح وهل هي قديمة أو حادثة؟، وفي علاقة الروح بالبدن ومحلها منه وتعلقها به، وفي خلودها بعد الموت، وحقيقة سعادتها وشقاوتها، وغيرها من المباحث الكثيرة التي لا يتسع المجال لذكرها ولا الهدف من البحث، وقد عرضنا ما سبق في ايجاز لتبيان الاختلاف بين فهم الناس ونظرتهم للقضية وانعكاس ذلك على منهج الشاعر وفكره في عرضه لها. (27)

يقول :

(أنا)
أنتِ سرُّ حلِّ في جسمي وروحي وخيالي
أنتِ نورٌ شعَّ في عيني وسمعي ومقالي
أنتِ من يدري تحكمتِ لرشدي أو ضلالي
أنتِ من أنتِ أجيبني أنتِ عن هذا السؤالِ

(هي)
أنا في الجو وفي الدوح أغاريدُ الطيور
وأنا في الروض ألوان وعطر في الزهور
وأنا في النهر ترجيع لموسيقى الخريز
وأنا في الشعر تحريك لأوتار الشعور

(أنا)
يا ترى من أنتِ هل أنتِ جمالٌ في الفنون
أم ترى أنتِ خيالُ الشاعر الصَّبِّ الحزين
أم تُرى أنتِ سموُّ الفكر للحق المبين
من تُرى أنتِ أبيني واكشفي عني ظنوني

(هي)
أنا ما زلت من الإنسان سرا للحياة
لا يراني غير هاتيك الطيور الصادحات
همها التغريد في الأفراح أو في النائبات
أنا رمز الله سل عني العيون الناعسات

(أنا)
أه قد أدركت سرَّ الحسن في ورد الخدود
وارتفاع الصدرِ مزهواً برمان النهود
وخضوع القلب للمحبوب من غير قيود

(27) الروح والخلود بين العلم والفلسفة - عبد العزيز جادو دار المعارف 1998- وشرح كتاب سر الروح لأبي الحسن برهان الدين البقاعي - دار الكتب العلمية 2008

هو ما أورثنا دار الفنا بعد الخلود
 قمت من نومي مذعورا على صوت ينادي
 يا إلهي من ترى هذا الذي قض رقادي
 ما الذي يرجوه مني من ضلال أو رشاد
 وأنا أعمى وسيري فوق أشواك القتاد

وتجلى الصوت في سمعي غريب النبرات
 جاء من فوقي ومن تحتي ومن كل الجهات
 فيه لطف فيه عنف فيه حزم وأنشاة
 قال هب نفسك ميتا ثم قل لي ما الحياة
 قلت ألام وأحزان ويأس وشـرور
 وشقاء وضلال وجنون وغرور
 وأكاذيب وظلم وسخافات وزور
 وختام الفصل لا أدري إلى أين المصير
 قال كن من شئت علما ثم قل لي ما الوجود
 أين كان السر مدفونا في طي اللحد
 أم بقاع البحر أم بالجو أم بين الرعود
 أم وراء النجم أم في لهب الشمس وقود
 قلت لا تسأل عن السرر فقد أعيا الأنام
 كم حكيم حار فيه لم ينل منه مرام
 وأراد الله أن نبقى حيارى في الظلام
 وسبقى السر مكتوما إلى يوم الزحام
 قال هب نفسك عفريتا من الجن قدير
 وتواري عن عيون الناس وأسبح في الأثير
 باحثا في عالم الأرواح عن ضوء يثير
 ظلمة السر لي وقل هل لروحي من ظهور
 قلت من لي وأنا في قفص الجسم رهين
 بخلاص من قيود وشكوك وظنون
 ليت للتحليل في الإنسان مفعولا مكين
 يفرز الروح عن الجسم لنا قبل المنون
 أه إن الجسم والروح مزيج لا أراه
 قابلا للحل إلا بمساحيق الإله
 وهي سر المهنة الكبرى تواري عن سواه
 ليراه الخلق بالعجز إلهها في علاه.⁽²⁸⁾

(28) ديوان ابراهيم الأسطى عمر تحقيق على مصطفى المصراطي ص 103 والديوان حققه أيضا عبد الباسط الدلال- دار الفاتح - درنة- بدون تاريخ

فإبراهيم الأسطى عمرها هنا يحاول -في حيرة- البحث عما شغل كل البشر قبله وسيشغل من بعده البحث عن الروح ماهيتها وأسرارها وربما حقيقتها، فهو يخاطبها عليه يكشف بعضاً من أسرارها.

فهو يراها في مجموعة أحاسيس ورؤى فلعلها سرٌ من تلك الأسرار التي يشعر بها ويلمسها في جسمه وترتسم صورتها في خياله دون أن يدري ماهي!!! وهذه عادة الفلاسفة شك قد يقود إلى اليقين وتعمق ربما يوصل لتفسير. فهو يرقب كل ما حوله ويتأمل، فلعلها ذلك النور الذي يشعر به في عينه وسمعه نور غير مادي ولكنه يشعر به، ولعلها البرهان الذي ينطق به اللسان بالحنة البالغة والتعبير الصادق، هي موجودة ويلمسها دون أن يدري ماهي حقيقة!!! . والجديد في قصيدة الأسطى عمرها هنا المنهج الذي انتهجه في رسمه لصورة الروح. فهو يحاورها ويجسدها ويشخصها على عادة شعراء الرومانسية في نزعتهم التأملية الفلسفية الذاتية التي لا تخلو من الحيرة والإغراق في اللامعقول الذي قد يبدو للبعض لكنه الواقع كما يراه هو.

وفي تشخيصه لها ومحاورته لها لا يخلو حوارها مما نسميه (الشك الديكارتي) الذي ما ينفك يبحث هن الحقيقة وهي تخاطبه مفصحةً عن نفسها كما يعتقد في غير جزم. فهي ربما تتجسد في (أغاريد الطيور وألوان الزهور وصوت خريز المياه في الأنهار وهي الإلهام) الذي يميز الشاعر عن غيره فيعبر بشعور مرهف وفكر متقن فيه من العمق ما يحرك الشعور ويؤثر ويتأثر هي مجموع ذلك كله وربما غير ذلك لا يقطع رأياً ولا يوقف فكراً فهو يبحث عنها في استفهام دائم.

(أنا)
أنت سرٌ حلّ في جسمي وروحي وخيالي
أنت نورٌ شع في عيني وسمعي ومقالي
أنت من يدري تحكمت لرشدي أو ضلالي
أنت من أنت أجيبني أنت عن هذا السؤال

والحيرة- سمة من سمات المدرسة التي ينتمي إليها - الرومانسية - فهي بادية في هذا المطلع و ميطرة عليه بحثاً عن الأسرار التي حارت العقول فيها لعله يجد لأسئلته الجواب!!!

والحيرة والنزعة التأملية اتجاه واضح في ديوان الأسطى عمر، فكثيرة هي الأسئلة التي يفتتح بها قصيده أو تنتشر في ثناياها فتساؤلاته تنم عن فكر ينحو منحى التحليل لا التسجيل لما يدور حوله. فهو في ذلك يختلف كثيراً عن أبناء عصره ولعل ذلك مما ميز شعره عن غيره.

والشاعر هنا تزداد حيرته عندما يلمس الروح - كما يعتقد ويرى - في كثير من المحسوسات والمعنويات دون تحديد في أيها تكون حقاً أو يقيناً .

(هي)
أنا في الجوّ وفي الدوح أغاريد الطيور
وأنا لي الروض ألوان وعطر في الزهور
وأنا في النهر ترجيع لموسيقى الخريبر
وأنا في الشعر تحريك لأوتار الشعور

تجيبه في حوارٍ انتهجه في نصه، فهي من يعطي للفنون جمالها وللشعر شعوره ووجداناته المؤثرة فيمن يتذوقه وهي حقيقة الفكر الداعي إلى الحق الذي لا يشوبه باطل .

والحوار الفكري الذي ينتهجه الشاعر ومناقشة كل فكرة تجول بخاطره- بحثاً عن الحقيقة- يسلك مسلك الشك الذي يبحث صاحبه عن اليقين ذلك الشك الإيجابي القائم على طرح التساؤلات للبحث عن الإجابات التي تزيل الحيرة وتبدد ظلمة الجهل وتكشف جانباً من الحقيقة .

(أنا)
يا ترى من أنتِ هل أنتِ جمالٌ في الفنون
أم ترى أنتِ خيال الشاعر الصّب الحزين
أم ترى أنتِ سمو الفكر للحق المبين
من ترى أنتِ أبيني واكشفي عني ظنوني

فالرجل لا يقرر أن أفكاره ورؤيته واقعية أو حقيقة مطلقة ويعود للحوار الذي صاغه مستفهما: هل انت -الروح- سر جمال الفنون؟ أم أنت الإبداع الذي يهب الشعراء الخيال الخصب والتعبير المتقن؟ أم أنت الفكر الراقى والتفكير السليم الذي يظهر الحق أبلجا لا لبس فيه ولا غموض؟

(هي)
أنا ما زلتُ من الإنسان سرا للحياة
لا يراني غير هاتيك الطيور الصادحات
همها التغريد في الأفراح أو في النائبات
أنا رمزُ الله سل عني العيون الناعسات

وفي حيرة يعيد الحديث إليها لتكشف وتوضح وتبينَ عليها تُخرجه وتسعف فكره للوصول إلى الحقيقة :

(أبيني واكشفي عني ظنوني) ضعي حدا لهذه الحيرة فسري هذه التساؤلات هات ما عندك من اجابات لا تتركيني حائرا فماهي تحديدا؟! ويستمر الحوار وتأتي الإجابات التي تعمق الحيرة ولا تضع حدا لها . فهي لازالت سرا من الأسرار التي يُوَهَّبُ بها الإنسان الحياة، فالروح في بدنه علامة على حياته لا يراها بأمر عينه مجسدة ، وإنما يشعر بها الطير المغرد في سعادة ، ويراهها سرا في جسمه وفي خياله ونورا في سمعه وعينه ولسانه وبيانه ، وهو في ذلك يجعل المعنوي محسوسا، بل يجسده ويشخصه (نور شع في عيني وسمعي ومقالي) والروح عند الأسطى عمر- مع عدم تحديدها والكشف عن اسرارها التي لا يعلمها تحديدا ولا يعلمها غيره- شيء جميل وجمالها سر من الأسرار (فهي في اغاريد الزهور -ألوان وعطر في الزهور-في موسيقى الخريز -تحريك لأوتار الشعور....) وكلها صور غاية في الجمال و الإتقان مازج فيها بين عناصر الطبيعة المادية ومدلولاتها النفسية تؤثر فيمن ينفعل بها ويتوحد شعوريا معها منفعلا بجمالها متمعنا في آثارها وصدائها. ولإكمال الصورة والخروج بنتيجة بعد هذا الحوار يجعل قصيدته رؤيا منام حتى يرفع عن نفسه الحرج فلعله يُنقذ ممن حوله جراء الخوض في قضية جعلها الله في كتابه سرا اختص بعلمه سبحانه و حار فيها على مرّ الزمن غيره فجل تفكيره صدى لصوت بداخله لا يجعله يقر له قرار فهو دائم التفكير في قضايا قد يحق اولا يحق له التفكير فيها هذا الصوت الصادر من اعماقه سيكمل قضيته باحثا عن علة له يقول :

(أنا)
 أه قد أدركت سر الحسن في ورد الخدود
 وارتفاع الصدر مزهوا برمان النهود
 وخضوع القلب للمحبوب من غير قيود
 هو ما أورتنا دار الفنا بعد الخلود
 قمت من نومي مذعورا على صوت ينادي
 يا إلهي من ترى هذا الذي قض رقادي
 ما الذي يرجوه مني من ضلال أو رشاد
 وأنا أعمى وسيري فوق أشواك القتاد

ويختم الشاعر مناقشته للقضية بهذا المقطع الذي يركز فيه فكره محللا ، ويصل الصراع داخله إلى أشده.

فالتفكير الذي سيطر عليه وينمو في القصيدة من مطلعها رويدا رويدا وصل هاهنا إلى أشده وسيطر على كل حياته وفكره :

وتجلى الصوت في سمعي غريب النبرات
 (جاء من فوق ومن تحتي ومن كل الجهات
 فيه لطف فيه عنف فيه حزم وأنساء)

وهو هاهنا بعد أن كان يخاطب الروح مباشرة أصبح يخاطب ذاته فكره يسأل
كما سأل المعري من قبل عن الحياة وأسرارها

قال هب نفسك ميتا ثم قل لي ما الحياة
قلت آلام وأحزان ويأس وشـرور
وشقاء وضلال وجنون وغـرور
وأكاذيب وظلم وسخافات وزور
وختام الفصل لا أدري إلى أين المصير

فهو يتساءل: ما الحياة؟ ويوجه السؤال لمن يتخيل موته حتى يكون حكمه
متجردا من تأثيرها فيجيب بملخص شديد هي (الآلم و حزن وياس وشرور وشقاء
وضلال كل ذلك يجلب الاكتئاب والجنون والظلم و الظلم والزور والأكاذيب و يا
له من شعور يقود في النهاية لليأس (وختام الفصل لا أدري إلى أين المصير)
ثم يسأل عن سر الوجود ويطرح بعض الإجابات :

قال كن من شئت علما ثم قل لي ما الوجود
أين كان السر مدفونا في طي اللـحود
أم بقاع البحر أم بالجو أم بين الرعدود
أم وراء النجم أم في لهب الشمس وقود

فمع العلم الذي بلغه زمانك أخبرني ما الوجود؟ سؤال قديم جديد متجدد
فلسفي هو سر دفن حار الفكر فيه فيا ترى أين نجد تفسيره؟ أي اللحود
دفن؟ أم بقاع البحر استقر؟ أم في الجو بين رعوده أو في سمائه ووراء نجومها؟
حيرة وتفكير عميق يسيطر عليه.
ويجيب من افترضه محاورا فيقول :

قلت لا تسأل عن السرر فقد أعيا الأنام
كم حكيم حار فيه لم ينل منه مرام
وأراد الله أن نبقى حيارى في الظلام
وسيبقى السر مكتوما إلى يوم الزحام

فسر الحياة والروح حار الكل فيهما وستستمر حيرتهم لأن الله جعل ذلك
علما لا يعلمه غير سبحانه، ولكي يظهر لمن يحاوره أن قضية الروح معجزة
للإنس والجن وكل من في الكون من المخلوقات يقول:

قال هب نفسك عفريتا من الجن قدير
وتواري عن عيون الناس وأسيح في الأثير
باحثا في عالم الأرواح عن ضوء يثـير
ظلمة السر لي وقل هل لروحي من ظهور

هنا التحدي واطهار العجز، فلو كنت عفريتا من الجن ستعجز كما عجز

الانيس عن كشف هذا السر أو البحث عن تفسيره , والشاعر هنا في تفكيره وتحليله يفترض المحال حتى إذا ما صدر منه حكمٌ أقنع من يناقشه .
ويختتم الشاعر الحديث والبحث في القضية التي يعرضها بالتسليم , فالبشر كلهم عاجزون عن الاحاطة بشيء من علم الله الذي اختص به ذاته سبحانه :

قلت من لي وأنا في قفص الجسم رهين
بخلاص من قيود وشكوك وظنون
ليت للتحليل في الإنسان مفعولا مكين
يفرز الروح عن الجسم لنا قبل المنون
أه إن الجسم والروح مزيج لا أراه
قابلا للحل إلا بمساحيق الإله
وهي سر المهنة الكبرى توارى عن سواه
ليراه الخلق بالعجز إلهها في علاه

فهو حبيس الجسد (رهين) وهذه اللفظة تتكرر في غير بيت عتده متأثرا(برهين المحبسين) فالروح لا تنفصل عن الجسد - كما عرضنا لأراء الفلاسفة الغربيين والمسلمين أنفا - وهي سر من الأسرار التي ستبقى مادة للتفكير ليرى كل مفكرٍ معجزات الله فيها وفي غيرها .
قضية السعادة :

ومن القضايا الفلسفية التي يشتمل عليها ديوان شاعرنا وتنم عن إبداع يستحق الوقوف عنده بعمق قضية (السعادة) ,وهي لا تقل قيمة ولا عمقا ودلالة عن قضية (الروح), وقد تناولها شاعرنا بطريقته المعهودة. فقد جعل منها قضية لا بد من مناقشتها وسبغ أغوارها ليلتمس ويلتمس غيره ما يحقق الشعور بها والسير في الحياة وهو يشعر بها. وللسعادة مفاهيم متعددة ومختلفة في اللغة وعلم النفس والاجتماع والاسلام، ولكنها تشترك في عامل واحد وهو الوصول للطمأنينة والرضا والراحة وكل المشاعر الإيجابية، وتتعدد أنواع السعادة وتختلف وصورها كذلك.
يقول إبراهيم الأسطى عمر:

لا تسلني فأنا أجهل مدلول السعادة
غير لفظٍ ما له معنى ولا فيه إفادة
ربما توجد بالفردوس لكن بالشهادة
إنَّ ما حجب للصوفي إثثار الزهادة
علمه أن ليس في الدنيا سعيد بالإرادة
أه لو كان أبوكم ذا دهاء وقيادة
لم يذق ما ذاق حتى نال بالخلد مراده
غره إبليس بالخلد وعنه قد أحاده

فعصي مولاه ليت الحكم قد كان الإبادة
 ليس عندي غير هذا لا ترم مني زيادة
 أو فسل عنها أذا الأجواء قد يحيا سعيد
 بجناح وفضاء وحبوب من حصيد
 وغدير وأليف وغناء ونشيد
 وبوكر ضم أفرأخا على غصن يמיד
 هممة التغريد لا يعرف معنى للقيود
 ليس يغتر بوعده لا ولا يخشى وعيد
 ما له مال ففى المال شقاء للوجود
 ما له نطق فإن النطق بالجهل يزيد
 ما له علم وهل فى العلم من شيء حميد
 إنه خال من الهم ومن كاد يكيد (28)

وقد بدأت تناول هذه القضية منطلقاً أولاً من النص لأن المبدع تناول هذه القضية بشيء من الحيرة سأل عن أصلها واشتقاقها (مدلول السعادة)، فقد استهل النص متسائلاً عن حقيقتها؟ وصورها وأين توجد؟ إنه سؤال شغل تفكير الشاعر، شغل عقله الظاهر والباطن، الشعور وما تحت عتبة الشعور، سؤال شغل قلبه فلاسفة الشعراء، وشعراء الفلاسفة: أين الحقيقة؟ هنا ينصب الاهتمام والبحث في عناء عن الجواب، ولكن أين الجواب؟ أين الحقيقة؟

وفي معناها اللغوي جاء في "لسان العرب": مادة (سعد) السعد بمعنى اليمن، وهو نقيض النحس. والسعود خلاف النحوسة، والسعادة خلاف الشقاوة. ونقول سعد يسعد سعدا وسعادة فهو سعيد، نقيض شقي والجمع سعاء. السعادة من منظور فلسفي:

لقد تحدث أرسطو كثيراً عن السعادة، وقال إنها العيش الهنيء والنجاح في الحياة، وبمعنى عام هي الحياة السعيدة، وبالنسبة لأرسطو فإن السعادة تختلف من شخص لآخر؛ فلا يوجد اتفاق حول طبيعة السعادة، حيث يعتقد البعض أن السعادة هي الخير البديهي المرئي مثل الثروة أو المنصب، وبالنسبة للبعض فإن السعادة الحقيقية مختلفة وتختلف من فرد لفرد، فالمريض يجد السعادة بالصحة والشفاء والفقير يجد السعادة في المال، وآخرون يجدون السعادة في عمل الخير.⁽²⁹⁾

وفي المعجم الفلسفي لجميل اصليبا السعادة هي الرضا التام بما تناله النفس من الخير. والفرق بينها وبين اللذة أن السعادة حالة خاصة بالإنسان، وأن رضا النفس بها تام. إذ من شرط السعادة أن تكون ميول النفس كلها راضية مرضية،

(29) ينظر تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ابن مسكاويه أحمد بن محمد ص 29-87 بتصرف

وأن يكون رضاها بما حصلت عليه من الخير تاماً ودائماً. في حين أن "اللذة" حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان، وأن رضا النفس بها مؤقت.⁽³⁰⁾ وإذا كانت السعادة هي حالة إرضاء وإشباع وارتياح تام للرغبات يتسم بالثبات، فإنه متى سمت إلى مستوى الرضا الروحي ونعيم التأمل والنظر، أصبحت غبطة. وإن كانت هذه أسمى وأدوم.

وعند (افلاطون) السعادة هي في إتباع الفضيلة (أفلاطون)، ومنهم من يقول إنها في الاستمتاع بالملذات (الحسية المدرسة القورينائية)، أما (الرواقيون) فإنهم يرجعون السعادة إلى الفعل الموافق للعقل، وهي - أي السعادة - في نظرهم غير ممتنعة عن الحكم، وإن كان طريقها محفوفاً بالألم.⁽³¹⁾ السعادة من منظور فلاسفة المسلمين

يقول الفارابي عن السعادة، "العلم المدني يفحص عن أصناف الأفعال والسير الإرادية، وعن الملكات والأخلاق والسجايا والشيم التي عنها تكون تلك الأفعال والسير، وعن الغايات التي لأجلها تفعل، وكيف ينبغي أن تكون موجودة في الإنسان، وكيف الوجه في ترتيبها فيه على النحو الذي ينبغي أن يكون وجودها فيه، والوجه في حفظها عليه، ويميز بين الغايات التي لأجلها تفعل الأفعال وتستعمل السير، ويبين أن منها ما هي في الحقيقة سعادة، وأن منها ما هي مظلون أنها سعادة من غير أن تكون كذلك، وأن التي هي في الحقيقة سعادة لا يمكن أن تكون في هذه الحياة، بل في حياة أخرى بعد هذه، وهي الحياة الآخرة". ببساطة يحاول الفارابي القول بأن غاية الإنسان في تحصيل السعادة تبدأ قي تحصيله لها في الدنيا في الحياة الأولى، والسعادة القصوى في الحياة الآخرة، بحيث يتوقف ذلك على النيل والمعرفة.⁽³²⁾

السعادة في علم الاجتماع:

يأتي مفهوم السعادة بالنسبة لعلم الاجتماع في دائرة العلاقات الاجتماعية، فإن التفاعل الاجتماعي يؤثر على سعادة الفرد، ويُعرّف علم الاجتماع السعادة بأنها المشاعر الإيجابية الناتجة عن التفاعل الاجتماعي، ومن الأمثلة على العلاقات الاجتماعية التي تؤدي للسعادة: الزواج، والأصدقاء، والأخوة، وزملاء العمل، والجيران، كما أنّ علم الاجتماع يُلخص السعادة بأنها مقدار الدعم الذي تقدمه شبكة العلاقات الاجتماعية للفرد⁽³³⁾ السعادة في القرآن :

ورد الحديث عن السعادة صراحة في القرآن الكريم في سورة واحدة فقط هي

(30) ينظر المعجم الفلسفي - جميل اصليبا بيروت 1982- والمعجم الفلسفي مراد وهبة- دار قباء الحديثة القاهرة ط 5 2007

(31) موسوعة لا لاند الفلسفية - اندريه لا لاند ج2 دار عويدات للنشر والطباعة 2012

(32) التنبيه على سبيل السعادة للفارابي تحقيق وتعليق د. جعفر آل ياسين ط21987ص49 و76 بتصرف، وينظر كذلك السعادة من منظور اسلامي- عبد الله العامري - دار ابن حزم بيروت 2005 ص 30-32

(33) السعادة كما يراها المفكرون عبد الفتاح سيد صديق - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر دون تاريخ ص44-41

سورة هود، وفي موضعين: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود: 105).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود- 108) وقد فسر ابن عاشور «والسعيد: ضد الشقي، وهو المتلبس بالسعادة التي هي الأحوال الحسنة الخيرة الملائمة للمتصف بها»⁽³⁴⁾.

وقد أجمع أغلب علماء الإسلام على أن السعادة الحقيقية بالنسبة للمسلمين تتمثل في اتباعهم للأوامر الإلهية في الدنيا حتى ينالوا السعادة الأبدية في الآخرة في الجنة، وقد عرّف الأصفهاني السعادة بأنها تيسير الله الأمور للإنسان لينال الخير، ولو اختلفت الصياغة فإن السعادة في الإسلام هي راحة البال، والقصد بها القلب النقي والضمير الحي، ويوجد آيات عن السعادة في القرآن، حيث يهدي الله عباده إلى طريق السعادة في مواطن كثيرة من القرآن، وهذا أهم ما يشتمل عليه مفهوم السعادة في القرآن الكريم اجمالاً.⁽³⁵⁾

المبحث الثالث إبراهيم الأسطى والسعادة :-

والشاعر في بحثه عن السعادة لا يبتعد كثيراً عن مفهومها في اللغة ولا مدلولها عند الفلاسفة مع اختلاف مشاربهم وتباعد عصورهم واختلاف مذاهبهم، ولا عن مدلولها عند علماء الاجتماع وفهمهم ولا عن مدلولها في كتاب الله، ولكن تختلف نظرة إبراهيم الأسطى عمر في عدم انحسار فكره عند مذهب بعينه ولا تبني رأي أحد هؤلاء فقد ظلت الحيرة مسيطرة على فكره نلمح ذلك من كثرة تساؤلاته وبحثه الدؤوب، والشاعر في عرضه للقضية لا يبتعد عن مدرسته (الرومانسية) التي يغلب على أسلوب أصحابها الحيرة والقلق والتعمق في التعامل مع قضايا الحياة ومظاهر الكون من حوله.⁽³⁶⁾

يقول:⁽³⁷⁾

لا تسلني فأنا أجهل مدلول السعادة
ربما توجد بالفردوس لكن بالشهادة
إن ما حجب للصوفي إيثار الزهادة

فمع بحثه الذاتي عن مدلول السعادة وما هيتها يتخيل أن هناك حائر التفكير جاء ليسأله عن مدلول هذه القضية وهو في الحقيقة يحدث ذاته الحائرة على عادة الرومانسيين.

(34) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور-تفسير (سورة هود) دار العلم للملايين-بيروت

(35) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة-محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية-دار الكتب العلمية - بيروت

(36) مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث -إبراهيم خليل - دار المسيرة عمان 2007 ص121-112 بتصرف

(37) الديوان تحقيق المصراحي 66113

وبمنهج الشك الذي قد يقود صاحبه إلى اليقين أو يقترب يقول (لا تسلني فأنا أجهل مدلول السعادة) هذا منطلق الشاعر في بحثه عما صرح بجهله، ليس الجهل المطلق الذي هو نقيض العلم ولكنه جهل الباحث عما يجهله ليجد له تفسيراً وإجابة ويبحث عن حقيقته.

فهو ينظر إلى اللفظ في ذاته فلا يجده إلا منحصراً في جذره اللغوي - كما بين السن منظور أنفا - ومع ذلك لا يطلق حكماً نهائياً فينفذ منه إلى بعض ما يردده عالمه المادي فيفترض فرضاً جدلياً (ربما توجد) هذا الحكم غير القطعي على عادة الفلاسفة والمفكرين لا ينكره، ولكن ليست متاحة لكل البشر (السعادة) فهي إن وجدت بزعمه (في الفردوس) لكن ثمنها باهظ (بالشهادة) وهنا يجمع الشاعر - في إبداع يستحق الثناء - بين الفكر وروعة الصياغة .

وفي جدة تحسب له - لم يتناولها الفلاسفة ولا علماء الاجتماع - يذهب إلى فكر المتصوفة وحبهم للشطحات (ان ما حب للصوفي إثارة الزهادة) فهو يرى الصوفية - الذين يعرفهم ويراقب سلوكياتهم - يسلكون مسالك الزهد في حب ورغبة مفترطة يعبر عنها بقوله :

سل إذا شئت دراويش الطريقة
فهمو أدرى بها مني حقيقة
قد تجد فيهم جواباً للسؤال
إذ لهم شوق بتصديق المحال.

فالعلة في تفكير المتصوفة وسلوكهم حياة الزهد - كما يرى - (ليس بالدنيا سعيدة بالإرادة) فالسعادة بالنسبة للصوفي الاستسلام لما هو آت فلا يتعب نفسه في البحث لها عن سبيل فلن يحصل عليها بإرادته فهو يؤمن يقيناً بأنه مسيرٌ لا مخير ومسلوب الإرادة فإيمانهم (إذ لهم شوق بتصديق المحال) والشطح الصوفي شيء ذاتي لا يعمم عليه حكم ولا تنبني عليه قضية لذاتيته واختلاف مدلوله بين شخص وشخص في الفريق الواحد ويفسر أبو نصر السراج الطوسي الشطح الصوفي بأنه (عبارة مستغرقة في وصف وجد فاض بقوته، وهاج بشدة غليانه وغلبته).⁽³⁸⁾

وفي قوله (إذ لهم شوق بتصديق المحال) لعله إشارة إلى بعض شطحاتهم التي تجاوزت كل حدٍ كما في قول أبي زيد البسطامي مثلاً :

”رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك!! فقلت: زيني بوحدانيتك وألبسني أنايتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رأني خلقك قالوا: رأيك فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا“

وكان الشبلي أيضاً يقول: ”لو خطر ببالي أن الجحيم نيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة كنت مشركاً“⁽³⁹⁾.

(38) اللمع في التصوف - لأبي بكر نصر السراج الطوسي-تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور- دار الكتب الحديثة مصر 1960 ص 453

(39) السابق ص479

- ومن يطالع كتب الصوفية وكتب الفقهاء يجد بونا شاسعا بين الفريقين فمثلا ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة يرى أن اللذة الوحيدة والشعور بالراحة في أداء الفرائض والبعد عن النواهي الفعلية والقولية وأن الصبر على الطاعة سببها معرفة الصابرين أن الدنيا دار (كبد) ومشقة وأنها دار شقاء لذلك أخرج الله آدم من الجنة وسكن الأرض ليعود إلى دار السعادة بثمن يدفعه.⁽⁴⁰⁾

- والغزالي في إحياء علوم الدين ينظر للإنسان على أنه جسد وروح ويتصل في كل قسم منهما صفات تحتاج للإشباع حتى تحصل على السعادة، منها الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والملائكية.....الخ⁽⁴¹⁾

والحديث يطول مع الصوفية واختلاف مشاربهم وآرائهم .

وفي أقسام ابراهيم الأسطى عمر للصوفية عند معرض مناقشته لمدلول السعادة ما هو الا تكملة لتلك الحيرة التي يشعر بها في كل قضية يناقشها في ديوانه.

فالحيرة مسلك واضح في ديوان الشاعر , حيرة الباحث عن الحقيقة المتأمل فيما حوله بتمعن لا مجرد الراصد لما تقع عليه عينه فالشعر عنده ليس للتسلية أو مجرد المتعة الذاتية أو الشعر للشعر , وإنما هو أنات النفس وحوارات الفكر معا, يستنبط مادته من ذاته, فهو وشعره صدى لوجدانه وفكره معا ولا غرو أن يلمس الباحث منهجا مختلفا لهذا الشاعر عن غيره من أبناء عصره وزمانه.

والرجل يهب ألفاظه من مكنون نفسه وصدق انفعاله وحيرته - التي تلازمه - الكثير. فمثلا لفظة (الزهادة) مع عدم إلف السمع لها وتعوده على مرورها إلا أنه كان بارعا في استخدامها. فالزهادة كما جاءت في كتاب (العين) مادة زهد يزهد في الأشياء كلها أي زهد مطلق وهذا ما يتلاءم مع أحوال الصوفي - كما يراه- فهو مولع ب (تصديق المحال) فهل السعادة يراها الصوفي هكذا وهل هذا مدلولها عنده ؟ ربما لأن الشاعر لا يعرف مدلولها محمدا لها وهذه الحيرة تلازم تفكيره وشعوره في أغلب قصائده , حيرة الباحث عن حقيقة الأشياء من حوله يقول:

حار الفؤاد فما أدري أأنتحر أم أرتضي بالذي يأتي به القدر

ويقول

جئت يوما أسأل المرأة عن شخصي الصريح
علني أدرك كنهني فأرى جسمي وروحي

(40) مفتاح دار السعادة ابن القيم - مجمع الفقه الاسلامي جدة 2011

(41) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ج3 ص 62

معوقات السعادة

والشاعر في تفكيره الفلسفي هذا وبحثه عن مدلول السعادة وأسباب تحقيقها وموانعها يذهب أبعد من تفكير الصوفية وشطحاتهم فيتحسر على موقف آدم ووسوسة الشيطان له التي جلبت الشقاوة وذهبت بالراحة والسعادة - بزعمه- لأبنائه فقد أخرجته هذه الوسوسة أو كانت سببا في إخراجهم من الجنة بنعيمها المقيم وسعادتها الدائمة إلى الأرض وما فيها من حياة الضنك والشقاء تضمينا لمعنى قوله تعالى ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف 20]

أه لو كان أبوكم ذا دهاء وقيادة
لم يذق ما ذاق حتى نال بالخلد مراده
غره إبليس بالخلد وعنه قد أحاده
فعصي مولاه ليت الحكم قد كان الإبادة
ليس عندي غير هذا لا ترم مني زيادة

فرؤيته تتجسد في هذا الفكر : سبب شقاء بني آدم وسلب السعادة منهم آدم نفسه لأنه بعصيانه لمولاه وانقياده لنواذعه التي وسوس الشيطان بها له ، أخرج من الجنة دار النعيم والخلود والبقاء وأنزل إلى الأرض داء الشقاء والعناء والفناء .

وبتفكيره ودون (زيادة) كما يقول :السعادة باننت عن بني آدم بسبب آدم ووسوسة الشيطان وعصيان الرحمن وخروجه من الجنة .
- وهو لا يعد رأيه هذا رأيا نهائيا أو قولاً فصلاً ،ولكنه ربما يكون سببا من جملة أسباب لأنه بعده لايزال يبحث عنها وعن ماهيتها.
يقول :

أو فسل عنها أذا الأجواء قد يحيا سعيد
بجناح وفضاء وحبوب من حصيد
وغدير وأليف وغناء ونشيد
وبوكر ضم أفراخا على غصن يميم
همه التغريد لا يعرف معنى للقيود
ليس يغتر بوعد لا ولا يخشى وعيد
ما له مال ففي المال شقاء للوجود
ما له نطق فإن النطق بالجهل يزيد
ما له علم وهل في العلم من شيء حميد
إنه خال من الهم ومن كاد يكييد

وفي لوحة أخرى ينظر إلى الطيور المغردة التي تجوب السماء في سعادة وسرور وقد بعدت عن الأرض وصراعات أهلها وتغير نفوسهم ، فعلى الأغصان تشدو لا تقيدھا القيود ، وفي أوكارھا تضع أفراخھا في أمن وأمان ، لا يحكمھا الوعد والوعيد الذي بات أنقل هموم أهل الأرض في عالم يعج بالصراعات والأحقاد يتحكم الأغنياء في الفقراء ، ويبيت الفقير مهموما لا يرى في غده سعادة ، هي سعيدة (الطيور) فلا يتحكم فيها ذو مال ولا جاهل ولا حقود يجلب لها الهم والغم والضيق والنكد الذي بات يلف حياة البشر من حوله : (إنه خال من الهم ومن كاد يكيد)

المبحث الرابع بين الأسطى عمر وأبي العلاء:

ومما يجسد الاتجاه الفلسفي في شعر الأسطى عمر هذا النص الذي جعله حوارا بينه وبين أبي العلاء المعري وافتتحه بخاطبه المباشر و حواره العميق :
(أبا العلاء ألا تدل بأخبار وأنت في عالم مجهول أسرار؟)
ولا يخفى على الباحثين في الأدب العربي عامة والأدب العباسي خاصة ارتباط مذهب أبي العلاء بالفلسفة ونقله الفكر الفلسفي التأملي إلى الشعر مما جعله عند كثير من النقاد رائدا في ذلك وله تلامذته الذين اقتفوا أثره فيما بعد⁽⁴²⁾

ولعل التفكير الفلسفي لأبي العلاء أو منهجه الفلسفي ينطلق من عدة أمور هي: حياته الشخصية ، وتشاؤمه، وزهده، و ثقافته.⁽⁴³⁾66
ومما ينبغي بيانه ابتداءً أن أبا العلاء لم يستطع أن يهتدي إلى نظرية أو منهج كالفلاسفة في كثير من المسائل والمشكلات فكان شكه وتعمقه في ذلك الشك واتسع عليه الشك ، وهذا ظاهر في لزومياته حيث تدور اللزوميات حول فلسفة أبي العلاء في الحياة الإنسانية وموقف الإنسان منها ومصيره بعدها. فأبو العلاء يؤمن بما يصل إليه الحس ويدرك بالعقل ، أما ما وراء ذلك مما لا يصل إليه العقل فهو مجال للشك والحس، يتحدث في لزومياته عن مجتمعه وعلماء الدين والسياسة والروح واليوم الآخر حيث مصير الإنسان بعد ويعالج هذه الموضوعات معالجة تكشف أحيانا عن يقين صادق ، وأحيانا عن حيرة وشك، ففلسفة أبي العلاء قائمة على الشك في كل شيء.⁽⁴⁴⁾

والتأثر بأبي العلاء واضح في منهج إبراهيم الأسطى عمر، فهو يخاطب فيه أبا العلاء في حوار فكري ينفذ من خلاله للقضايا التي عالجهما في زمانه

(42) ينظر في الشعر العباسي نحو منهج جديد - د. يوسف خليف- دار غريب 2000 ص175

(43) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية لأبي العلاء- عفيف محمد عبد القادر- دار السويدية للنشر والتوزيع -ص429

(44) ينظر في الشعر العباسي نحو منهج جديد مرجع سابق ص 222

والقضايا التي احتار فيها فكر شاعرنا في زمانه أيضا.
وبالوقوف عند هذا المطلع في نص إبراهيم الأسطى عمر ودلالاته الفكرية
والنفسية يتضح ما ذهب إليه .
يقول :

| | |
|---------------------------|--------------------------------|
| وأنت في عالم مجهول أسرار | أبا العلاء ألا تدلى بأخبار |
| هل أفنعتهم بروايات وأشعار | ما قلت في القبر إذ جاء الملائك |
| حيرتنا بخيال فيك جبار | أم ذاك منك خيال في الحياة وكم |

فما في لزومياته من حيرة وما في معتقده من غموض وشك⁽⁴⁵⁾ جعل إبراهيم الأسطى عمر ينحو منحى مناقشة الرجل مناقشة فكرية عميقة لعله يجد تفسيراً لما في زمانه من أمور تعرض لها أبو العلاء وأثارها في شعره. وفي نقاشه له خاض في عالم الغيب الذي كان يشغل فكر المعري في لزومياته ولعل التوافق الفكري بين الرجلين كان سبباً في ذلك، ومن هنا يبرز منهج الأسطى عمر في نزعة الفلسفية التي يقتضي فيها أثر أبي العلاء. ومن المهم القول: إن فلسفة أبي العلاء، وإن لم تكن فلسفة منهجية بمعناها الحقيقي، إلا أنها كانت تعد محاولة جديدة لوضع الشعر في هذا القالب الفلسفي الجديد في عصره، بتناول موضوعات تختلف عن موضوعات الشعر المطروقة في عصره، ومناسبة هذا الأسلوب لما التزمه في حياته وتطبيقه على شعره، فقد نظر إلى ما يشغل فكره - وكذلك فعل الأسطى عمر - بنظرة فلسفية خاصة به تختلف عن الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية التي اطلع عليها فهو لا يتبع نظرياتهم ولا يطبق مناهجهم مع تأثره الواضح بكتبهم التي ترجمت في عصره، وهكذا حول الشعر إلى بناءٍ فلسفي ذاتي تحولت قضاؤه معه إلى مجموعة من النصوص الفلسفية.⁽⁴⁶⁾

و يرى يوحنا قمير في كتابه (المعري في لزومياته) أن اللزوميات فلسفة لم تقصد لذاتها، وإنما هي حالات نفسية انتابت صاحبها، فكانت فلسفة اصطبلت بالشعر، وكثرت فيها المراجعات، وفقد التأليف، ويرى أننا نمسح فكرة المعري إذا حللنا اللزوميات ككتاب فلسفي عادي... لأنها قبل كل شيء صدى روح فكرت كثيراً، وشعرت كثيراً، وشققت كثيراً.⁽⁴⁷⁾

وهذه الحالة النفسية التي أشار إليها الأب يوحنا هي نفسها المسيطرة على إبراهيم الأسطى عمر. فالمشاهد التي تقع عينه عليها في جنبات مجتمعه لا تمرُّ من الكرام ولا يقف عند تسجيلها فحسب بل ينفذ إلى ما وراءها يحللها باحثاً عن عللها وأثرها فيمن تقع عليه .

(45) ينظر تجديد ذكرى أبي العلاء- طه حسين- 218 وينظر كذلك الشعر العباسي يوسف خليف مرجع سابق بتصرف و اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري د. محمد مصطفى هدارة ففيه ما يعزز الموضوع

(46) في الشعر العباسي نحو منهج جديد- مرجع سابق ص222 بتصرف -و ينظر مصادر ثقافة أبي العلاء- على كنجيان خناز- دار الثقافة للنشر 2001- ص51

(47) ينظر المعري في لزومياته -يوحنا قمير ط4 1968

والشاعر في قصيدته (أبو العلاء) يشاطر المعري الفكر وينحو منحاه في تساؤلاته وفي البحث والتنقيب عن علل ما يدور حوله وهو في هذا المطلع الذي بدأه بخطاب أبي العلاء يستمر في نزعة الحيرة المسيطرة على ديوانه :

أبا العلاء ألا تدلّ بأخبار
وأنت في عالم مجهول أسرار
ما قلت في القبر إذ جاء الملائك
هل أقنعتهم بروايات وأشعار
أم ذاك منك خيال في الحياة وكم
حيرتنا بخيال فيك جبار

فالسؤال لأبي العلاء هنا مبعثه الحيرة من مطالعات الشاعر للزومياته واستقراء شعره، فخطاب الأسطى عمر لأبي العلاء خطاب الفكر للفكر والبحث عن الحقيقة فكانه يراجع أقواله وآراءه في لزومياته فأخاله هاهنا يتحدث عن المعتقد في الغيبات وفي القبر وعذابه ونعيمه الذي حارت فيه العقول بين من يثبت ومن ينفي (في عالم مجهول أسرار)

وإن كان فكر أبي العلاء ونظرته الخاصة للأشياء في حياته (أم ذاك منك خيال في الحياة) مجرد رأي ذاتي وفكر شخصي فإنه كان محيراً دارت حوله المحاورات وألفت فيه المجلدات بين مؤيد ومنكر بين متقبل ومعارض إلا أن شاعرنا وقف عند فكره حائراً (حيرتنا بخيال فيك جبار) هذه الحيرة باتت مسلوكا عند الشاعر يشاطر فيها المعري متأثراً بفكره .

ويعد صنيع المعري في لزومياته عملاً جديداً يتصل بحالته النفسية التي أرادت إثبات مكانتها في عصره من خلال قدرته اللغوية وثقافته الفلسفية؛ وهذا ما أكده كثير من الباحثين ومنهم: د/ شوقي ضيف حيث وصف اللزوميات: "بأنها من طراز جديد تتضمن نقداً للحياة الاجتماعية مع دعوة واسعة إلى الزهد والتقشف ورفض الدنيا، ويسوده في ذلك كله تشاؤم واسع، فالحياة كلها الأم ونصب، وكان الشعراء قبل أبي العلاء يعنون بهذا الجانب، وخاصة أبا العتاهية و المتنبّي" و يضيف د/ شوقي ضيف قوله عن فلسفة أبي العلاء : "لم يكن فيلسوفاً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وأية ذلك أنه لم يترك نظرية فلسفية معللة أو موضحة، وكيف له بصنع نظريات؟ إنه لم يكن يفكر التفكير الفلسفي الذي يقوم على صنع الكليات، وإنما كان يفكر تفكيراً أدبياً يقوم على تشاؤم وسخط، وهو يعرض هذا التفكير في آراء متفرقة وأفكار مفككة، لا يطرد لها نظام ولا سياق فكري متماسك⁽⁴⁸⁾

وإبراهيم الأسطى عمر ينحو نفس المنحى في مناقشته للقضايا فهو القائل موجهاً الخطاب لأبي العلاء :

ما كنت ترهب في دنياك من أحد هلا تمردت في الأخرى على الباربي
وجئتنا رغم أنف الموت تتحفنا برحلة لك في الفردوس والنار
فيها الحقائق لا نسج الخيال ولا تنميق راو ولا تعزيم سحر
وقيل لا يكذب الرواد أهلهم خبر فما جال عباد وفجار

(48) - - الفن ومذاهبه مرجع سابق ص381

إننا لفي حيرة من أمر عالمكم ونحن في عالم من أصل فخار
أبا العلاء وأنت اليوم منتسب لعالم طاهر من كيد أشرار
ما كنت تصنع لو شاهدت عالمنا والناس للحرب أغنام لجزار

فهو يثبت لأبي العلاء جرأته في إبداء رأيه في حياته لكنه يتساءل - فيما قد
يعده البعض زندقة فكرية - هل سلكت نفس المسلك في أخراك؟! وهل تمردك
على كل ما حولك في دنياك بفكرك المغاير للكثيرين مِمَّن اختلفت معهم ظل
مسلكك بين يدي الباري؟!

- هذا الاستفهام الانكاري من الأسطى عمر ينفي عنه الزندقة وانما يستدعي
به آراء المعري التي تركها خلفه وتأثر ويتأثر بها بعض من جاء بعده وأعجب
بفكره .

فهو يقرر أن الآخرة حق وواقع يؤمن به, وما بعد الموت من الغيب الذي
يختص بعلمه الله

(فيها الحقائق لا نسج الخيال ولا تنميق راو ولا تعزيم سحار)

فهي الواقع المنافي للخرافة والبعيد عن الرجم بالغيب في مسالك السحرة
والعرافين ويقرر (الحيرة من أمر عالمكم) فلا يخوض في الغيب فهو يقرر أنه
عالم (طاهر) لا كيد فيه ولا فجور فهي دار جزاء لا دار عمل ودهاء وشور .
ويسأل صاحب الفكر الذي كان ثورة في شعر زمانه عارضا عليه ما يحدث
من حوله وهل كان تفاعله مع ما يحدث اليوم في عصر الأسطى عمر نفس
التفاعل الذي سلكه في حينه والشاعر في توجيه الخطاب لأبي العلاء تحديدا إنما
يريد أن يشاركه الفكر فيما كان يشغله في عصره وربما يخبر بما يقع حوله
من المآسي ما لم يقع في زمان أبي العلاء وشغل فكره وجعله ينهج منهجه
المغاير لشعراء عصره وزمانه:

| | |
|--|---|
| عالم طاهر من كيد أشرار والناس للحرب أغنام لجزار قتل الألوفا وعن تدمير أمصار دعا الإله به نوح باصرار عن سائر الناس في ركن من الدار سكني بلاد بها الإنسان كالضاري هم الوحوش بدوا في زي أبرار | أبا العلاء وأنت اليوم منتسب ما كنت تصنع لو شاهدت عالمنا هل تشتري صحف الأخبار تعلن عن أم كنت تدعو على كل العباد بما أم كنت تقبح كالمعتاد مبتعدا لا شك عندك سكني الغاب أفضل من فالوحش ارحم في ذا العصر من بشر |
|--|---|

فيا أبا العلاء وأنت اليوم بعيد عن العالم السفلي بشروره وفي العالم العلوي
بظهره الذي لا تدنسه أفعال الأنس والجن ماذا كنت فاعلا لو عشت ما أعيشه
الآن؟

فالناس الآن تذبح بغير ثمن كأنهم ذبائح في مجازر الجزائريين لاحول لهم ولا

قوة ولا حقوق، والصحف تسجل كل حين أعداد القتلى، والأرواح التي تحصد، والديار التي تخرب بعد قتل أهلها واستباحة حرمااتهم، هل كنت ستكتفي بشراء هذه الصحف التي تخبرك عن كل هذا الدمار والهلاك؟! ها أنا ذا أسأل فكرك المتوقع وعقلك الذي ما انفك يغوص في الأمور ويفلسفها!! أم كنت وقتها في زمن كتابتك للزومياتك ستعتزل الناس وتهجر مجتمعك الذي شعرت معه بالوحشة وعدم الألفة؟ ماذا كنت تفعل لو عشت معيشتنا؟
ويخبر عن حاله التي يعيشها المشابهة لحال أبي العلاء التي كانت علة في انعزاله :

لا شك عندك سكنى الغاب أفضل من سكنى بلاد بها الإنسان كالضاري

فالجواب المنطقي الذي يراه الأسطى عمر - لمعرفته طبيعة المخاطب - (هو العزلة) فالمجتمع لم يعد بشري يقوم على التواد والتراحم والألفة والتعاون والمشاركة في الأفراح و الاطراح فقد بات (الإنسان كالضاري) وبلغت الشاعر انتباهه المخاطب المفترض (المعري) إلى الفرق بين زمانه وزمانه، فالإنسان في ذا الزمان غير الذي كان في زمانه، فالنفق والتلون جعل الناس في زمان الأسطى عمر لا يصلون حتى لدرجة الحيوانية بأفعالهم التي فاقت كل حد ممكن تخيله عقل:

فالحوش ارحم في ذا العصر من بشرى هم الوحوش بدوا في زي أبرار
فالموضع في زماننا هكذا يقول الأسطى عمر - فاق ما جعلك تعتزل الناس يا أبا العلاء.
ولكي يبين الشاعر ارتباطه بأبي العلاء في خطه الفكري يقسم قصيدته إلى مقاطع يبدأ كل مقطع بالنداء (أبا العلاء) :

| | |
|---|---|
| أبا العلاء ونحن اليوم في زمن زعمت أنك رهن المحبسين وقد دافعت مستنكرا عن راحة سرقت فمن يدافع عن نفس تساق إلى إن كنت سرحت برغوثا ظفرت به فعدنا العطف من ضعف وغايتنا وعلمنا اليوم لو تدري فضائله لقد تفنن في حصد النفوس وفي وجارنا باختراعات تدمر أر للجهل أفضل من علم نتائجه | فيه الحقيقة لم تظفر بأنصار كنت الطليق فلم تخضع لتيار ما بالها قطعت في ربع دينار موت بلا جنحة تقضى ولا ثار وقد تعود يؤذي جسمك العاري قتل الأباة أو استعباد أحرار عمت جميع الوري لكن بأضرار هدم الديار وفي إخضاع أقطار كان الحضارة بالفولاذ والنار سفك الدماء وظلم الجار للجار |
|---|---|

والشاعر في عرض قاضيا عصره وما يعانيه وطنه ينتهج اسلوب الموازنة بين عصر أبي العلاء وعصره ويدعو أبا العلاء - صاحب الفكر التائر - إلى أن يعيش ما يعيشه ولننظر ماذا هو كان يفعل ؟

فألزمان غير الزمان فإن كنت يا أبا العلاء - بزعمك - رهين المحبسين فأنت الحر الطليق بالقياس لزماننا وما نعيشه من متناقضات.

ويخاطب الأسطى عمر أبا العلاء في موازنة بين عصره وما جعله يعتزل الناس في زمانه وعصر الشاعر ليريه العجب العجاب , ففي يومنا و زماننا - كما يقول - لا أحد يحب الحق وينصره , فإن كنت يا أبا العلاء - بزعمك - رهين المحبسين فانت بالنسبة لما يحدث في زماننا فأنت طليق (وقد كنت الطليق فلم تخضع لتيار) فالتشتت والتشردم والتيارات والاتجاهات والخلافات في زماننا لاتعد ولا يحصيها ذو لب لبيب !.

فإن كنت قد تعجبت من يد تقطع في ربع دينار فما فوق, فما قولك في نفوس تهق بلا ذنب جنته؟!

- ويعدد الشاعر على أبي العلاء ما كان ينكره - في زمانه - على مجتمعه ويخبره ما يراه من فضائع وانتهاكات لكرامة الانسان في زمان الأسطى عمر, فالأرواح لا قيمة لها, والموت مصير كل حر

أما العلم الذي كان في زمان المعري نهضة غيرت حياة العرب وثورة ثقافية عززت مكانتهم على خارطة العالم وغزوا أوربا بعلمهم في عصور الظلام التي سيطرت الكنيسة فيها واستعبدت, فها هو ذا زمان الأسطى عمر - مع تقدمه - علم مدمر اخترعت فيه القنابل الذرية والطائرات الحربية والغواصات النووية التي زلزلت البحار واليابسة, هو علم جلب الدمار والخراب ويرى الجهل أنفع منه لأنه امعن في سفك الدماء ونشر الدمار وروع الأمنين وجعل ثمة من الناس متحكمين في بلاد كانت آمنة عبر الأزمنة والسنين.

وفي حوار الأسطى عمر في كل مقطع مع المعري كأني به يريد أن يقول :إن كنت أخترت العزلة وبت رهينا للمحبسين فماذا أفعل أنا ومن حولي فيما نعيشه؟

ومما لاشك فيه أن لزوميات المعري قد أثرت في الشعراء بعده وامتد تأثيرها إلى العصر الحديث, وإن لم تكن اللزوميات كثيرة في شعرهم لكن نفرأ منهم خصوصاً بعنايتهم , فقد ذكر د/ عبد الله بن سليم الرشيد في بحث له بعنوان (اللزوميات في الشعر العربي الحديث, الرؤية والتشكيل الفني) (أن اللزوميات لم تكن كثيرة عند شعراء العصر الحديث ,ولكن نفرأ منهم خصوصاً بعنايتهم , فأصدروا دواوين لزومية على طريقة المعري, وتبرز آثار المعري الفكرية في هذا النتاج من حيث الميل إلى التأمل وإيراد الحكم ونحو ذلك ,على أنهم خرجوا عن

الإطار الذي حبس المعري نفسه فيه، وتعد لزوميات الشعر الحديث ظاهرة من ظواهر الحنين إلى النمط العربي القديم، وإيثاراً لعمود الشعر، ونوعاً من الانتصار للفصحى. لقد كان التفات بعض الشعراء إلى هذا الفن في العصر الحديث ثمرة لأسباب عدة، فمنهم من كان يلزم ما لا يلزم إبتاعاً للقدمات الذين كانوا يقصدون الإبانة عن الاقتدار والتوسع وفسحة مجال الفكر، ولعل أبرز هؤلاء محمود سامي البارودي الذي كان حريصاً على أن يظهر مقدرته وتمكنه من صناعته، وفيضان قريحته، وإحاطته بكثير من غريب اللغة. والشعراء الأكثر تأثراً بالمعري أربعة، هم عبدالرحيم محمود، والثاني: أحمد مخيمر، والثالث: عبدالعزيز السعدني، والرابع: أحمد الشامي فلأول اثنتان وعشرون لزومية أدرجت معاً تحت عنوان (أفكار في لزوم مالا يلزم)، وللثاني لزوميات سماها (لزوميات مخيمر) أهدى قسمها الأول (الحياة والوجود) إلى روح أبي العلاء، أما الثالث: عبدالعزيز السعدني فله ديوان سماه لزوميات جديدة، أما أحمد الشامي فله لزوميات كثيرة تتبع فيها لزوميات المعري قطعة قطعة⁽⁴⁹⁾ ويواصل الأسطى عمر حوارته الفكري مع أبي العلاء فيقول:

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| أبا العلاء تأمل حال عالمنا | واذكر زمانك لا تظلم بإكبار |
| عزريل في عصرنا بارت تجارته | فكل مخترع عزريل أعمار |
| وندعى بعد هذا أننا بشــــ | وللضماير فينا حكمها الساري |
| تضخم العقل في الإنسان وانعكست | آثاره فأتى بالشر والعمار |
| فلنرجع القهقري أو فلنكن بشرا | نسعى إلى الخير ما دما بذى الدار |

و الأسطى عمر في هذا المقطع يصل إلى قمة الموازنة بينه وبين أبي العلاء كما أراد نسجها، فيطلب منه أن يتأمل - كما كانت عادته - زمانه ويقارن بين الزمانين ليظهر مدلول الزمن بحيادية ولا ينتصر إلا للحقيقة دون مكابرة أو تعصب وعناد (لا تظلم بإكبار) فالفكر لا يقارع إلا بالفكر والحجة بالحجة، فملك الموت في عصر الأسطى عمر - (عزريل) كما درج تسميته بين الناس - لم يعد وحده يقبض الأرواح - هكذا يرى - فمن يخترع آلات الدمار والخراب (عزريل) يحصد أعمار ملايين البشر بمخترعاته المدمرة. و يا للعجب مع كل هذا الحقد والكراهة وسفك الدماء ونشر الخراب ندعي البشرية وقد ماتت الضماير وتوحشت مسالك الناس وافترسوا الضعفاء. وإن كنا ندعي تطور العقل البشرى ونموه في زماننا فهو نعم تطور ولكن في جلب الخراب وتفنن في السعي للسيطرة والدمار بقوة السلاح والقهر لا بالحجة البالغة.

(49) ينظر اللزوميات في الشعر العربي الحديث والرؤية والتشكيل الفني د. عبد الله بن سليم الرشيد- مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية العدد 41- جمادى الثاني 1428 هـ ص 329-393

وفي حسمه للقضية التي ناقشها لا يرى من خيار إلا الرجوع الى الثوابت التي تدعو الى التعايش السلمي والرحمة بين البشر وترك أختراع ما من شأنه نشر الرعب والارهاب بين الناس، ولتعد البشرية فينا مثالا للأخوة والرحمة ودعوة للخير والفضيلة.

وهذه القصيدة هي أطول القصائد التي كتبها الأسطى عمر، وقد اختار أسلوب الحوار المنطقي مع أبي العلاء الذي طالما تأثر به في شعره وهو هنا كغيره من الشعراء الذين تأثروا بالزوميات وبشخص وفكر أبي العلاء، إلا أنني أسجل براءة الأسطى عمر في صياغته وفكره وتلقائيته وعدم تكلفه وفي ذات الوقت في همه، هم المواطن البسيط الذي عاش حيناً من الزمن مسالماً وقد بات في عالم تتجاذبه الأطماع والصراعات التي لم يكن الكون يعرفها فيما مضى بهذه الصورة، و يكفي زمان الأسطى عمر حربين كونيتين صارت الدول يفعلها دويلات، ووضعت الحواجز بين الجيران، وتفرقت الأخوة بين شرق وغرب واقتطعت أجزاء من هذا الوطن أو ذاك.

إن الأسطى عمر في ديوانه صاحب فكر وله قضية لا يكتب شعراً للتسلية أو قصيدا للترفيه ورغم عمره الزمني الذي لم يطل كثيراً إلا أنه رسخ في الشعر العربي منهجا جعل الشعر نزف يعبر عن هم المواطن والوطن معا في براءة وغير تكلف.

الخاتمة :

شعر إبراهيم الأسطى عمر حافل بالإبداع الفني، وقد مزج بين الفكر والوجدان في ديوانه بطريقة تنم عن عمق كبير في تجسيد تجربته الذاتية، والشاعر يعتبر بحق من القلائد الذين انتهجوا اتجاهاً خاصاً في عصره تراوح بين الأصالة والتجديد وقد سيطرت على الديوان النزعة التأملية التي جعلت شعره يقدم رسالة ويؤدي دوراً فاعلاً في مجتمعه الذي شغل بهوموم ومعاناته. وقد برع إبراهيم الأسطى عمر في تناول القضايا الفكرية، وفي صياغتها بذاتية وفهم جديد أبان عن علم سليم وفكر ثاقب والممام بجوانب كل قضية صاغها أو جسدها في ديوانه.

وارتباط إبراهيم الأسطى عمر بتراث الأمة في ماضيها ومعاناة الأمة في حاضرها يحسب للرجل ومع ذلك الديوان حافل بكثير من القضايا التي تغري الباحث للوقوف عندها.

والقضايا التي عرضنا لها في هذا البحث من القضايا القديمة الحديثة ربط فيها بين فكره وفكر من تناولها قديماً خاصة المعري الذي يرتبط به فكراً ووجدانياً، والتفكير في هذه القضايا وغيرها لا يتوقف ولن يقتصر على شخص بعينه، ولا وقت بعينه، من هنا كانت قيمة هذه القضايا التي تناولها في شعره وأخضع الشعر لعرضها والتفكير فيها بصورة تتناسب مع صياغة الشعر وتختلف عن مسالك الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء الدين والشريعة. وفي الختام فإن الرجل بحق يعتبر واحداً من المبدعين العرب الذين أسهموا في حركة التجديد.

المصادر والمراجع :

المصادر :-

القرآن الكريم برواية حفص عن نافع.

- 1 - ديوان ابراهيم الأسطى عمر تحقيق على مصطفى المصراطي- طرابلس 1972
- 2 - صحصح البخاري ط بيروت - بدون.
- 3 - صحيح مسلم- طبعة بيروت بدون.

المراجع :-

- 1 - تجديد ذكرى أبي العلاء د. طه حسين - مؤسسة هنداوي عام 2014
- 2 - تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ابن مسكويه أحمد بن محمد - المطبعة الحسينية 2017
- 3 - التنبيه على سبيل السعادة للفارابي تحقيق وتعلق د. جعفر آل ياسين ط2 دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع- 1987
- 4 - مصادر ثقافة أبي العلاء من خلال ديوان لزوم ما لا يلزم د. على كيجيان خناز - دار الثقافة للنشر 2001
- 5 - الجامع لأحكام القرآن الكريم - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله - طبعة دار الرسالة بدون
- 6 - جذور فلسفية في الشعر القديم و المولد- كمال اليازجي - دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع 1992
- 7 - جنوح الفلاسفة الشعري -كرستيان دوميه ترجمة ريتا خاطر- المنظمة العربية للترجمة 2013
- 8 - الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي- ط دار المنهاج بدون
- 9 - الروح والخلود بين العلم والفلسفة -عبد العزيز جادو دار المعارف 1998
- 10 - الروح-ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين- ط مجمع الفقه الإسلامي بجدة - دار عالم الفوائد- بدون
- 11 - زمن الشعر أودينيس - دار الساقى 2005
- 12 - السعادة كما يراها المفكرون عبد الفتاح سيد صديق -مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر- بدون
- 13 - السعادة من منظور اسلامي-عبد الله العامري - دار ابن حزم بيروت 2005
- 14 - شرح كتاب سر الروح لأبي الحسن برهان الدين البقاعي-دار الكتب العلمية 2008
- 15 - الشعر العباسي نحو منهج جديد - يوسف خليف- دار غريب 2000
- 16 - ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية لأبي العلاء- عفيف محمد عبد القادر-دار السويدي للنشر والتوزيع 1968.
- 17 - عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير تحقيق أحمد شاکر ط 2 دار الوفاء لبنان 2005
- 18 - الفلسفة السياسية عند الفارابي، عبد السلام بن عبد العالي الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، لبنان 1979
- 19 - الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضيف دار المعارف ط5 1980-

- 20 - في الشعر العباسي نحو منهج جديد - د. يوسف خليف- دار غريب 2000
- 21 - لسان العرب ابن منظور - دار الكتب العلمية بيروت 1993
- 22 - اللمع في التصوف - لأبي بكر نصر السراج الطوسي-تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور- دار الكتب الحديثة مصر 1960
- 23 - مجموع الفتاوى - ابن تيمية ج5 - دار ابن حزم بدون
- 24 - مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث -إبراهيم خليل - دار المسيرة عمان 2007
- 25 - مصادر ثقافة أبي العلاء- على كنجيان خناز-دار الثقافة للنشر والتوزيع 2001
- 26 - المعجم الفلسفي - جميل اصليبا بيروت 1982
- 27 - المعجم الفلسفي مراد وهبة- دار قباء الحديثة القاهرة ط 5 2007
- 28 - مفتاح دار السعادة ابن القيم - مجمع الفقه الاسلامي جدة 2011
- 29 - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة-محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية-دار الكتب العلمية - بيروت- بدون
- 30 - - موسوعة لا لاند الفلسفية -اندرية لا لاند ج2 دار عويدات للنشر والطباعة 2012
- 31 - ميتافيزيقا الفن عند شوبنهاور سعيد محمد توفيق- دار التنوير للطباعة والنشر 2011
- 32 - نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي لابن رشد -د. ألفت كمال الروبي- دار التنوير 2007
- 33 - النفس والروح وشرح قواهما - فخر الدين الرازي- المكتبة الأزهرية للتراث بدون
- 34 - نيل الأوتار في شرح منتقى الأخبار-محمد الشوكاني
- 35 - الوافي في شرح الأربعين النووية - مصطفى ديب البغا محي الدين مستو طبعة دار ابن كثير بدون

الدوريات:-

- 1 - مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية العدد-41 جمادى الثاني 1428هـ اللزوميات في الشعر العربي الحديث الرؤية والتشكيل الفني د.عبد الله بن سليم الرشيد- ص329-393
- 2 - مجلة مواقف العدد36 شتاء1980 - بيان الحداثة -أدونيس.

الحداثة

مفهومها، نشأتها، غاياتها

إعداد: فاطمة عبد الحميد عبدالله الفاخري
محاضر بجامعة بنغازي- كلية الآداب- قسم الدراسات الإسلامية

القبول: 2021 / 10 / 25

الاستلام: 2021 / 09 / 14

المستخلص:

تناولت هذه الورقة التعريف بالحداثة لغة واصطلاحاً ، وبمراحل نشأة هذا الفكر وملابساته، كما عرّجت على فلسفة الحداثيين وطرق ترويجهم لهذا الفكر ثم عرض مساعي الحداثيين المتمثلة في تشكيكهم في السنة النبوية المطهرة ومحاربتهم للغة العربية، ودعوتهم لفصل الدين عن الدولة، ودعوتهم لتحرير المرأة من خلال مبحث عُنون له بـ“ الآراء والأفكار والرؤى التي تبناها الحداثيون“، وختمت الورقة بذكر غايات الحداثيين ومراميمهم من هذه الدعوة.

Abstract :

This paper had discussed the definition of modernity both linguistically and idiomatically and had explored the stages and circumstances of the modernity concept emergence. The paper had also examined the modernists philosophy and their different advertisements for the modernity concept. It had also revealed the modernists attempts In questioning the prophets sunnah their war against the Arabic language and the calls for separating religion and state .this paper had also displayed the modernists call for the liberation of women through a topic entitled “opinions, ideas and visions adopted by the modernists“.the paper then concluded by mentioning the goals and objectives of the modernists from this call.

كلمات مفتاحية :

الفكر التغريبي- السنة النبوية - اللغة العربية

مقدمة

الحمد لله الذي جعل في أمة الإسلام قائمين بالحق ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للخلق، وعلى آله وصحبه وتابعيه ومن عن ملل الزيغ حاداً وانشق .

أما بعد :

فإن موضوع الحادثة ، وما يتعلق به من مفاهيم ورؤى ، من المواضيع التي استجدت في ما استجد في هذه العصور ، وقد شوّس مروّجو هذا الفكر على العامة فهمه، ودأس أديعاًؤه على الناس مراميه وغاياته التي ينشدونها من وراء دعوتهم لهذا الفكر، لذا رأيت بعد الاستعانة بالله أن أجمع ما تيسر لي من معلومات وحقائق تتعلق بهذا الموضوع؛ محاوِلةً مني إزالة الستار عن حقيقته، ورفع اللبس حول ماهيته وأهدافه، أخذةً بعين الاعتبار ذكر جذوره التاريخية وملابسات نشأته وولادته، والله الموفق لكل صواب.

أسباب اختيار الموضوع : ما حملني على الكتابة في هذا الموضوع هو تجرؤ الحداثيين على التقلّ في دين الله بغير علم، وتجاسرهم على تأويل النصوص الشرعية تأويلاً غير متأسس على اتباع الأصول الصحيحة والقواعد السليمة المتعارف عليها لدى أهل العلم والاجتهاد.

إشكالية البحث: محاولة إزاحة الإشكال حول مفهوم الحادثة وتحرير المصطلح تحريراً موضوعياً

أهمية الموضوع : يستمد هذا الموضوع أهميته كونه يتعلق بقضية من قضايا الفكر المعاصرة التي كثر فيها اللغط ، وتباينت فيها الآراء، فيكون البحث فيها بحثاً موضوعياً من الأهمية بمكان حيث يطلع القراء على حقيقة هذا الفكر، فيعرفونه حق المعرفة ويكونون منه على بينة.

منهج البحث:

منهج استقرائي : وظّفته في جمع وتقصي المادة من مظانها.

منهج تحليلي: وظّفته في تحليل الأفكار والآراء ومناقشتها.

منهج تاريخي: وظّفته في استقصاء تاريخ الحادثة وسرد أحداثه.

المبحث الأول: مقدمة في نشأة الحادثة وفلسفتها

1: نشأة الحادثة

2 فلسفة دعاة الحادثة الغربيين واستراتيجيتهم في الترويج لهذا الفكر

3 تعريف الحادثة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني : الآراء والأفكار والرؤى التي تبناها الحداثيون:

1. التشكيك في السنة النبوية المطهرة

2. الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة والمجتمع

3. محاربة اللغة العربية، وادعائهم عدم توفيتها بالمفاهيم الحديثة.

4 الدعوة إلى تحرير المرأة

المبحث الثالث : غايات الحداثيين ومراميهم من هذه الدعوة

الخاتمة

المبحث الأول: مقدمة في نشأة الحداثة وفلسفتها

1: نشأة الحداثة

درج المنهج العام في كتابة البحوث - في الغالب الأعم - على التقديم بالتعريف بالمصطلح محل الدراسة لغة واصطلاحاً، والاستهلال به، ولما كان معنى الحداثة متأسساً على نشأة هذا المصطلح تاريخياً، ومرتباً عليه أرجأنا التعريفات إلى ما بعد هذه المقدمة اليسيرة عن نشأة المصطلح وولادته.

نقول: إن الحداثة مصطلح وافد على المنهج الإسلامي، وهو من مستجدات العصر التي لم تكن مطروحة في ما قبل، فلا نجد في كتب المصطلحات والتعريفات في العصور التي سبقت عصرنا هذا تعريفاً يحزر المصطلح ويضبط حدوده، اللهم إلا التعريف اللغوي والذي لا يكشف عن المعنى الاصطلاحي لهذا اللفظ، ولا يجلي حقيقته.

ولما قلنا إن الحداثة وافدة إلينا من المجتمعات الغربية فإن ذلك سيحيلنا ضرورة إلى النظر في مفهوم الحداثة عند الغرب، وعن ملاسبات نشأته، والدعوة إليه، وخلفية الأحداث التي أدت إلى استجلابه من خلال البيئة المصدرة لهذا الفكر. نقول وبالله العون: اختلف المؤرخون للحداثة في تأريخ نشأة الحداثة، وتحديد نقطة بدء انطلاقها، ولكن الأغلب اتفقوا على أن تاريخها يبدأ من أواخر القرن التاسع عشر الميلادي علي يدي بودلير⁽¹⁾.

وتمثل الحداثة إفراناً من إفرانات الفكر الغربي والمدنية الغربية التي أنهت صلتها بالدين على ما كان في تلك الصلة من انحراف، وقد جاء هذا الانفصال للمجتمعات الغربية عن الدين والكنيسة، والثورة على سلطتها الروحية لأنها كانت محاربة للعلم الصحيح وغير محترمة لعقل الإنسان، وذلك في القرن الخامس عشر ميلادي عندما بدأ مفكرو تلك المجتمعات ببناء ثقافتهم دون قاعدة ينطلقون منها ولا ثابت يكون محورا لتقدمهم المادي ورفيهم الفكري والحضاري، فظهر لديهم كثير من التناقض والتضاد⁽²⁾.

من هذا التحول والانفصال عن الكنيسة أخذ العقل يحتل مكانة كبيرة في مختلف ميادين الفكر والأدب والعلوم، فظهرت نظريات ودراسات كثيرة في أوروبا وأمريكا حول طبيعة السلوك الفردي والجماعي، وعلى دراسة الإنسان نفسه، والوجود الفني والحضاري، وعلم النفس والاجتماع وغيرها، وقد وضع أصحابها آراءهم على أنها حق مطلق، وأنه يجب أن يحل العلم الواقعي محل اللاهوت، وظهرت نظرية داروين في النشوء والارتقاء التي هبط بها هبوطاً شديداً بالإنسان الذي كرمه الله وفضلته، وامتدت هذه الدراسات في مختلف العلوم الإنسانية التي

(1) وهو أديب فرنسي نادى بالفوضى الجنسية والفكرية والأخلاقية " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب 2/867.

(2) الحداثة في ميزان الإسلام، عوض القرني، ط1، 1988، هجر، ص20 بتصرف.

تجعل العقل والعلم والواقع إلهاً، وتقدس العقل تقديساً مطلقاً ، بعيداً عن نور التوحيد وبصيرة الدين.

كما ظهرت نظرية النقيض في تصور الإنسان لفيثشة الذي كان من أوائل من أراد إبراز قيمة العقل وتأليهه، وجاء هيجل من بعده استناداً على نظرية فيثشه ليؤكد أن العقل المطلق هو الإله ، فجاء من بعده لودفيج فيورباخ ليؤله الواقع!⁽³⁾

وكل هذا النشاط الفكري الذي ابتدأ ونما كان من مفرزات فصل الحياة عن الدين، وقبله الانحطاط الذي دخلته أوروبا إبان العصور الوثنية ؛ ذلك أنها لم تجد في الفكر اليوناني والروماني المنقل بالوثنية والإلحاد ما يعالج مشاكلهم في شتى المناحي الحياتية، وكذلك الدين النصراني لم يصمد - بما حُرّف عن مواضعه ، وبكونه موجهاً إلى قوم معينين، وبكونه يحارب العلم ويضطهد العلماء- أمام مستجدات الناس ومشاكلهم

” وزاد الأمر سوءاً فشل حملته في تمثيله ، وممارسته في واقع الحياة ، بعد أن غرقوا هم أنفسهم في حمأة الجنس، وشهوة السلطة الظالمة ، وجنون الثراء الطاغية“⁽⁴⁾.

إذن بالنظر إلى خلفية الأحداث التي سبقت وواكبت فكر الحداثة في أوروبا من قطع العلائق بالدين الذي لم يعد يشبع عاطفتهم الدينية ويغذي فضولهم العلمي، بل على العكس بات آلة تستخدمه الكنيسة لكبح العقل، نجد أن الدين المحرف وقف حجر عثرة أمام نهوضهم العلمي ومحاولة الاختراع والابتكار بغية الهيمنة والسيطرة على الناس ، والاستمرار في جمع الأموال ، وسياسة الناس لمدة عشرة قرون .

ومن ثم توجيه أوروبا جهودها صوب العلم وطرق البحث لاكتشاف العالم ، في عصر النهضة ، وذلك بعد أن أعلنت صراحة معارضتها للكتب المقدسة لاشتمالها على ما يصادم الحقائق العلمية ، حيث مضت قدماً في التعمق في العلوم التطبيقية والإنسانية، فنمت علوم الرياضيات والكيمياء والفيزياء وأبحاث الطاقة ، كما امتدت علوم الطب والهندسة ، وظهرت العلوم الإنسانية التي تضم التربية والاجتماع وعلم النفس كآراء ومذاهب لمؤسسيها تتصارع وتتوالى ويكون كل مذهب هو رد فعل للمذهب السابق له مما ولد الحيرة والشك والاضطراب ، ثم نشأت الثورة الصناعية في أوروبا والتي تلتها أطماع المد العسكري لغزو الشعوب واسترقاقها واستعبادها، ونهب ثرواتها ومقدراتها، في تصور مادي بحت ينأى بالإنسان عن إنسانيته ، ويغمسه في وحل شهوة المادة والسلطان والنفوذ ، ثم ظهور الحركات التي تدعو إلى الحرية من كل قيد وإباحة كل شيء، وتتبنى رغبات الإنسان الغريزية في الجنس والخمر كالرأسمالية والاشتراكية.

(3) الحداثة في منظور إيماني، عدنان علي ط3، 1989 ص 53:54:55 بتصرف.

(4) السابق، ص 42

وعودا على ذي بدء فإنه بالنظر إلى الخلفية التي سبقت وواكبت فكر الحداثة في أوروبا نجد أن هذا الفكر جاء نتيجة البحث المضني عن الأمان النفسي والاستقرار الروحي بعد التيه والتوتر والانحطاط الذي عاشته أوروبا تحت ظلال الفكر الوثني اليوناني والامبراطورية الرومانية ، وبعدها تحت ظلال المسيحية التي ظهرت في أوروبا لتزيد نفوذ السلاطين ورجال الدين ، فكانت النتيجة أن ظهرت مذاهب فلسفية وأدبية تتخبط يمنة ويسرة باحثة عن الأمان، دون استرشاد بهدي رباني ونور إلهي فزاد تخبطهم وبعدهم عن الحق والفضيلة، وكانت الحداثة في ما أنتجت تلك الملابس والصراعات الفكرية ، في ظل نزوعها المطلق للمادة ، ونفورها ونأيها التام عن نور النبوة ، وهداية الدين، فكان هذا الفكر - ضرورة - يجنح إلى هدم كل موروث ديني أو علمي ، واستئصال كل ما له علاقة بالقديم .

الخلاصة: إن الحداثة ليست أصيلة في بلاد الإسلام ، فهي لم تكن نتاج نظري وإطلاع على قضية معينة ، أو إشكال معين يمس قواعد الاستنباط أو البحث في الدين الإسلامي، وإنما هو تقليد لأطروحات وفدت علينا من الفكر الغربي ومحاولة تطبيقها وسحبها على الدين الإسلامي.

والملابسات التي صاحبت وأنتجت فكر الحداثة في الغرب ليس لها وجود في البيئة الإسلامية، والتوجيهات الإسلامية التي دعت إلى العلم ومشاركة الدين في شتى مناحي الحياة دون إحداث عرقلة لها ، فالحداثة وليدة ظروف معينة تختلف جملة وتفصيلا عما عليه الحال في بلاد الإسلام.

2 فلسفة دعاة الحداثة الغربيين واستراتيجيتهم في الترويج لهذا الفكر

أيقن أعداء الإسلام عين اليقين بعد فشلهم الذريع في الحملات الصليبية أن القضاء على المسلمين لن يكون إلا من خلال محاربة المسلمين في عقيدتهم لزعتها في نفوسهم ولتشكيكهم فيها، ولخلق جو من البلبلة الفكرية والتيارات المناهضة لبعضها البعض، من خلال استخدامهم لبعض العبارات البراقة والشعارات الأخاذة زورا وتدليسا، لتمرير أفكارهم الدخيلة على الإسلام، ودس سم التغريب والحداثة في دسم تلك الكلمات ، فيتلقفها من قصرت همته عن معرفة الإسلام معرفة حقة بمبادئه وشرائعه ومقاصده وقواعده ، فيكون ضحية لمصيده التغريب، ولقمة سائغة لفكر الحداثة المزعوم.

ومن هنا نشط أعداء الإسلام في مطالعة ودراسة الدين الإسلامي ، فعكفوا على علوم هذا الدين فهما ثم تخريجا ونشرا وتأليفا بغية إقناع المسلمين بفهمهم هم ، وتمرير فلسفتهم هم ورؤيتهم هم .

فنشروا السيرة النبوية لابن هشام ، ومعجم الأدباء لياقوت ، ونفح الزهور لابن إياس ، والكامل للمبرد وتاريخ الطبري وغيرها من أمهات المراجع والأصول ، لاستدراج المسلمين نحو فكرة أنهم منصفون فيما ينقلونه.

ثم ألفوا كتباً عن الدين وعلومه، كخطوة متقدمة في طريق فهم دين الإسلام

لمعرفة من أين يُؤتى، ومن أين تُزرع البلابل، وتُخلق القلائل، فكتب جولد زيهر عن السنة، وأنشأوا دائرة المعارف الإسلامية سنة 1925 م بلغاتها الثلاث، الذي تولى فنسك تحريرها فأتم منها أربعة مجلدات وخمس ملازم، وكتب مقالات كثيرة في مجالات مختلفة، وكتب بالانكليزية عن الإسلام والمسلمين. وبدأ بنشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي⁽⁵⁾، وبحث بلاشير تاريخ الأدب العربي، وغيرهم كثر أمثال ول ديورانت ممن كتب في مباحث الشريعة وشعبها. هذا وقد لوحظ في السواد الأعظم من المستشرقين أنهم يولون في ما ينشرونه العناية باتجاهين:

تراث الفرق والإحن، وكل ما يؤدي إشاعته إلى تجديد النزاع بكل صورته، الفكري والمذهبي والسياسي

كل ما يفقدنا الثقة بماضيينا وأمجادنا، ورجالنا وقادتنا، ولعل المثال على ذلك احتفاؤهم بكتاب ألف ليلة وليلة بما فيه من مغالطات، حيث كتبوا عنه في دائرة المعارف الإسلامية، وأصدروا عنه أبحاثا وترجمات وتعليقات، وكتاب الأغاني الذي لقي عناية بطبعه ونشره وإخراجه، ومبالغة في شأنه بالدراسات التي أقيمت حوله حتى جعلوه المصدر الأول لكل الدراسات الأدبية والتاريخية، وتاريخ الفكر من فقه وتفسير وعقيدة، ومن ثم استشرى خطرهم وصار ما فيه من طرائف وغرائب أحكاما ثابتة وقضايا مقررة يستند إليها من يطعنون في رواة السنة، وفي فتاوى الأئمة وآراء الفقهاء، وأحكام القضاة.⁽⁶⁾

فهم وإن حاولوا ارتداء لباس البحث العلمي، فإن عنايتهم بالتراث من باب (اعرف عدوك)، فهذه الكتب التراثية هي الخرائط والصور لعقولنا وعواطفنا ومشاعرنا واتجاهاتنا واهتماماتنا، فهي المفاتيح التي يعرفون بها كيف يخططون لتدميرنا ثقافيا واجتماعيا وفكريا ودينيا⁽⁷⁾

ولكي يكون تأثير الحداثة أبلغ، ومفعوله في نفوس المسلمين أكد وأنفع، فيا حبذا لو كان الدعاة إليه أبناء الإسلام أنفسهم على حد رؤية صموئيل زويمر الذي قرر أن تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها! ولا يخفي أن التبشير والاستشراق والحداثة كلها حركات هدفها واحد وهو القضاء على الإسلام، وقطع صلة المسلمين بالله، وإن اختلفت فلسفاتها وتنظيراتها.

انطلاقا من هذه الرؤية استقطبوا من أبناء المسلمين من خدعوه بفكرهم المنحرف ومدنيتهم الزائفة، وكلامهم المعسول، حيث انطلقت البعثات الدراسية إلى الغرب، وأنشأوا لهم المعاهد والجامعات، ليتبنوا آراءهم ومناهجهم البحثية،

(5) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط 15، 289/1، 2002.

(6) المستشرقون والتراث، عبد العظيم الديب، دار الوفاء ط 3، 1992، ص 21 بتصرف.

(7) السابق ص 44.

وبذلك تخرّج جيل متغرب فكرا وعقيدة ومنهجاً ، ليحمل عبء المعركة الأزلية بين الإسلام ومعاديه من الغرب الصليبي، ويحمل رايتها عن قصد أو غيره.

3: : تعريف الحداثة لغة واصطلاحاً

الحداثة لغة : بتجريد اللفظ عن مزيد حروفه يصير (حدث) والحديث نقيض القديم والحُدُوث نقيض القُدُمة⁽⁸⁾ .
فالمعنى اللغوي للحداثة كما لا يخفى هو الجديد المحدث ، بخلاف القديم والعتيق.

الحداثة اصطلاحاً : جاء تعريف الحداثة كمذهب أو فكر في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب على أنه ”مذهب فكري أدبي علماني ، بني على أفكار وعقائد غريبة خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية ، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقتها مثل السريالية والرمزية، وغيرها“⁽⁹⁾ .
ويلاحظ على فكر الحداثيين نزعتهم إلى العقل والواقع ، ورد النص بدعوى قدمه وتجاوز الزمن له ، يرومون من ذلك كله هدم الدين ، وقطع العلائق بمصادره، وإنهاء الروابط بأصوله .

فالحداثة من حيث الجوهر والمضمون هي تغيير في دين الله، من خلال هيمنة العقل وجعله الحاكم على النص، وتحكيم الواقع والتجربة دون انضباط بضابط ما، فهم بصنيعهم هذا يؤلهون العقل ويجعلون إليه الحاكمية.
والحداثة كمدرسة وكما يقول أحد روادها - خالص جلبي- : “الواقع الخارجي والسير في الأرض هو الأساس ، وليس السير في الكتاب والسنة ! وإن الاستغناء بالكتاب عن الواقع هو الذي قاد العالم الإسلامي إلى كارثة ثقافية مروعة!⁽¹⁰⁾ .
وكان الحداثيين يودون قطع الصلة بقرآننا وسنتنا ولغتنا وهويتنا ونسف كل جهود فقهاءنا وعلمائنا الأوائل ، وهدم ثوابت الأمة ، في صورة أفكار مضللة ، ودعايات زائفة متهاقنة لا تصمد أمام البحث العلمي ، والنقد الموضوعي، يقول أحد المروجين لها : ” لا بد لنا من قطيعة معرفية مع التراث، وبناء منظومة معرفية متطورة تكون ركائزها القيم الإنسانية، وعلى رأسها الحرية في كل المجالات!“⁽¹¹⁾

والحداثة كما لا يخفى تُنبئ عن تبعية فجة للغرب الذي حتم عليه واقعه الانعزال عن الدين المحرف ، ثم دخوله في مرحلة من التيه نتيجة للصراعات السياسية ، والتناقضات الفكرية ، ومن ثم ظهور معتقدات ومذاهب فلسفية وأدبية ونفسية متضاربة متخبطة، فتطبيق الحداثة في بلاد المسلمين هو قياس مع الفارق في الخلفيات والمعطيات، فلم يدعُ ديننا الإسلامي إلى محاربة العلم

(8) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر بيروت ، ط1/131، 2.

(9) 2/866.

(10) جريدة الرياض العدد 188 10 خالص جلبي.

(11) أم الكتاب وتفصيلها لمحمد شحرور ص 427..

واضطهاد العلماء بل على العكس من ذلك تماما جاء ديننا الإسلامي يدعو إلى العلم ويشيد بالعلماء ويرفع شأنهم ويعلي شأنهم دنيا وأخرى، يظهر ذلك من نصوص ديننا الإسلامي، يقول المولى في محكم آياته: "أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (12) وقال: "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" (13) وقال: "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (14)، وفي السنة النبوية الكثير من النصوص الواردة في الحض على العلم واكتسابه، قال صلى الله عليه وسلم (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَعْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) (15)

وقد كان علماء المسلمين أنموذجا يحتذى به في إتقان دورهم في صرح النهضة العلمية العالمية، وقدموا لأوروبا زاد نهضتها، وكانوا بحق آباء العلم الحديث، وأنه كان لا بد من وجود ابن الهيثم وابن سينا والخوازمي والبيروني لكي يظهر جاليليو وكبلر وكوبرنيك ونيوتن كما شهد بذلك البنديت في كتابه لمحات من تاريخ العالم، وكان تأثير الحضارة الإسلامية في العالم الغربي كبيرا خلال العصور الوسطى، فانتقلت كثير من المؤلفات العلمية في مختلف العلوم إلى أوروبا، وترجمت إلى اللغة اللاتينية، وكانت تدرس في المؤسسات والمعاهد والجامعات، ويعتمد عليها كمراجع أساسية، ولذلك اعترف كثير من المستشرقين بالدور الذي قامت به الثقافة الإسلامية في إثراء الفكر الأوروبي لفترة طويلة من الزمن امتد لقرون كثيرة (16)

المبحث الثاني: الآراء والأفكار والرؤى التي تبناها الحداثيون:
التشكيك في السنة النبوية المطهرة

لم تسلم سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم من الحملة الشعواء التي شنتها الحداثيون، فقد أثاروا شبهاتهم المتهافتة حول حجيتها، بدعوى ضرورة تمحيصها ونقدها ليخرجوا أكبر قدر منها عن دائرة الاحتجاج، ولأن صحيح الإمام البخاري هو أصح كتاب في ما جمع من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقاريراته وغزواته - فقد كان محط انتقاد من قبل الحداثيين فطعنوا فيه بشكل صريح، ضاربين بعرض الحائط إجماع الأمة على صحته وتلقيه بالقبول.

(12) الآية 1 من سورة العلق.

(13) الآية 11 من سورة المجادلة.

(14) الآية 114 من سورة طه.

(15) رواه ابن ماجه في سننه، باب فضل العلماء والحث على العلم، رقم الحديث 223.

(16) أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي ص 115، 116، 117 بتصرف.

وقد تعرّض - على مر التاريخ - أعلامُ الحديث وصناديدُ الصناعة الحديثية لكل من صحيح البخاري ومسلم ، وأشبعوا كتابهما سبرا وتمحيصا، ونظراً وتدقيقاً ، فخرجوا بنتيجة لا لبس فيها ولا مرأى وهي القطع بصحة هذين الكتابين ، قال ابن الصلاح : ”يطلق أهل الحديث كثيراً صحيحاً متفقاً عليه يعنون به اتفاق البخاري ومسلم ، لا اتفاق الأمة عليه ، لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه ، لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول ، وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به . خلافا لقول من نفي ذلك ، محتجا بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن“⁽¹⁷⁾.

وقال النووي: ”اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول“⁽¹⁸⁾.

وقال في موضع آخر: ”وتلقي الأمة بالقبول إنما أفادنا وجوب العمل بما فيهما وهذا متفق عليه فإن أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها اذا صحت أسانيدھا ولا تفيد إلا الظن، فكذا الصحيحان وإنما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحا لا يحتاج إلى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقا وما كان في غيرهم لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح“⁽¹⁹⁾.

وقال الشوكاني : ”واعلم أن ما كان من أحاديث هذا الكتاب في أحد الصحيحين فقد أسفر فيه صبح الصحة لكل ذي عينين :لأنه قد قطع عرق النزاع ما صح من الإجماع على تلقي جميع الطوائف الإسلامية لما فيهما بالقبول ،وهذه رتبة فوق رتبة التصحيح عند جميع أهل العقول والمنقول على أنهما قد جمعا في كتابيهما من أعلى أنواع الصحيح ما اقتدى به وبرجاله من تصدي بعدهما للتصحيح“⁽²⁰⁾.

وكل هذه الإجماعات ممن يعتد بهم من العلماء تهدي إلى القول بصحة كتابي البخاري ومسلم؛ إذ لا تجتمع الأمة على ضلالة أو خطأ.

ومما هو جدير بالذكر أن البخاري نقح صحيحه أيما تنقيح، يشهد لذلك أنه كان يحفظ مائة ألف حديث ، حيث نقل عنه الجرجاني قوله: ”أحفظ مائة ألف حديث صحيح ، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح“⁽²¹⁾ ونقل عنه قوله: ”ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح“⁽²²⁾.

أما ما أثبتته في صحيحه فهو سبعة آلاف وثلاث مائة وسبعة وتسعون

(17) علوم الحديث ، دار الفكر المعاصر 2004، ص27 بتصرف

(18) شرح النووي على مسلم دار إحياء التراث ، بيروت ، 14/1392..

(19) السابق 1/20.

(20) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، دار القلم ، بيروت ، 1984، ص3.

(21) الكامل في ضعفاء الرجال، 1/131.

(22) السابق ، الصفحة نفسها.

حديثاً (7397) بالمكرر، يقول ابن حجر: "فجميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حررته وأتقنته سبعة آلاف وثلاث مائة وسبعة وتسعون حديثاً"⁽²³⁾

وبغير المكرر عدة أحاديث البخاري هو ألفا حديث وسبعمائة وأحد وستون حديثاً (2761).

قال ابن حجر: "فجميع ما في صحيح البخاري من المتون الموصولة بلا تكرير على التحرير ألفا حديث وستمائة حديث وحديثان ومن المتون المعلقة المرفوعة التي لم يوصلها في موضع آخر من الجامع المذكور مائة وتسعة وخمسون حديثاً فجميع ذلك ألفا حديث وسبعمائة وأحد وستون حديثاً"⁽²⁴⁾.

الخلاصة أن الإمام البخاري استخلص (2761) حديثاً من (300.000) حديثاً، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة المعايير التي اعتمدها البخاري حتى أخرج هذه الأحاديث دون غيرها من الكم الهائل الذي يحفظه.

الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة والمجتمع

فكرة فصل الدين عن الدولة هي فكرة يروج لها أعداء الإسلام لغاية في أنفسهم ، وهي قناعتهم التامة أن المسلمين يوم أن كانوا مستمسكين بعري الإسلام ملكوا الدنيا أجمع ، وخضع لهم من على مشارق الأرض ومغاربها، في فتوحات تتسم بالحرص على إعلاء كلمة الله ، وبتطبيق العدل على البلاد التي يفتحنها، هذا فضلاً عن ردهم كل من يسترخض حمى أرض الإسلام بغية احتلالها، فيجيء رد المسلمين - يوم أن كان منهجهم الإسلام الحق - رداً يليق بقوة كيان الإسلام ورسوخ قدمه، كما حدث في رد المسلمين على حملات التتار والمغول والحملات الصليبية.

و للنيل من هذا الكيان الرصين - كيان الإسلام - الذي تعد تعاليمه وقود المسلم وطاقته للتألق الدنيوي ، والفوز الأخروي ، لا بد من محاولة إبعاد شبح الإسلام الذي يهدد مطامح الغرب ، وإبعاد ما يتعلق بتشريعات الدولة عن سدة الحياة ، وإيهام المسلمين بأن الإسلام مجرد عبادات وشعائر يؤديها المسلم بينه وبين خالقه ، ولا مدخل له في الحياة العامة والشؤون السياسية، فاختاروا التأقيت المناسب لإطلاق هذه الفرية عقب انفراط عقد الخلافة العثمانية ، فقد اتفق المؤرخون على أن الدولة العثمانية في أواخر عهدها قد تضعضعت وتدهور حالها ، فكان توقيتاً مناسباً لانقضا الصليبيين عليها " فاتخذوا من تدهور الأحوال في الدولة العثمانية ذريعة لتوجيه سهامهم إلى الإسلام ذاته - وهم يعلمون أنه مصدر قوة هذه الأمة- فبدأوا دسهم على هذا الدين وتعاليمه ، واعتبروه أنه وحده المسؤول عن التخلف والجهل والتأخر الذي تعاني منه الأمة ، وخاصة في الجانب المادي ، وفي مجال الكشوف والاختراعات، مع توجيه أنظار المسلمين إلى أوروبا وما بلغت من تقدم مادي وازدهار علمي وكثرة الكشوف والاختراعات عندما تخلت عن دينها وحصرت داخل الكنيسة وعزلته عن الحياة، وكأنهم بذلك

(23) فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، 1379، 1/ 468.

(24) السابق، 1/ 477.

يوحون للمسلمين أنهم إن أرادوا التقدم والرقي فما عليهم إلا أن يفعلوا كما فعلت أوروبا بكنيستها ، وأن يحصروا دينهم داخل المسجد ويعزلوه عن الحياة” (25) وهذه الدعوة تقوم على خداع المسلمين بما ليس حقيقة ، نعم تأخر المسلمون عن ركب النهضة الصناعية والعلمية التي شهدتها أوروبا ، لأسباب لم يكن الدين قط أحداً منها، فقد علموا علم اليقين أن الإسلام مر بكثير من الهجمات على مر التاريخ وقام المسلمون بصددها مهما كان فارق العدة والعتاد لصالح الخصم، ولكنهم يرومون من هذه الدعوة تخلي المسلمين عن دينهم وشعورهم بأنه السبب في نكساتهم وخيبتهم.

على أن حقائق التاريخ تبين - بما لا يدع مجالاً للشك - أن الإسلام قد استطاع بعد فترة زمنية قصيرة من ظهوره أن يقيم حضارة كانت من أطول الحضارات عمرًا في التاريخ، ولا تزال الشواهد على ذلك ماثلة للعيان فيما خلفه المسلمون من علم غزير في شتى مجالات العلوم ، وتضم مكتبات العالم ألفًا مؤلفة من المخطوطات العربية الإسلامية تبرهن على مدى ما وصل إليه المسلمون من حضارة عريقة، يضاف إلى ذلك الآثار الإسلامية المنتشرة في كل العالم الإسلامي والتي تشهد على عظمة ما وصلت إليه الفنون الإسلامية، ولعل حضارة المسلمين في الأندلس وما تبقى من معالمها حتى يومنا هذا شاهد على ذلك في أوروبا نفسها، وقد قامت أوروبا بحركة ترجمة نشطة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر لعلوم المسلمين، وكان ذلك هو الأساس الذي بنت عليه أوروبا حضارتها الحديثة⁽²⁶⁾.

ومن انساق وراء دعوة فصل الدين عن الدولة نظّر لها تنظيرات تجملها وتزينها للسامعين ، فقال إن مفهوم الفصل لا يزدري الدين بل يحترمه ويحترم قيمه الروحية ويحمي الدين والعقيدة من العابثين بهما، فلا يسمح لهم هذا المبدأ باستغلال الدين لمصالحهم الخاصة ، ولو كان ما قالوه صوابا لنظروا إلى الإسلام نظرة شمولية ، وأخذوا بعين الاعتبار والحسبان القيم الروحية والأفعال التعبدية والتشريعات بنظام الحكم، فالإسلام دين ذو بعد شمولي لا يسوغ لنا أن نأخذ بعضه ونترك بعضه الآخر.

محاربة اللغة العربية، وادعأؤهم عدم توفيتها بالمفاهيم الحديثة. استهدف الحداثيون العربية لغة وأدبا، واستهدفوا كل ما يتعلق بها وبقواميسها وشعرها” ويتخفى الحداثيون وراء مظاهر تقتصر على الشعر والتفعيلية والتحليل ، بينما هي تقصد رأسا هدم اللغة العربية وما يتصل بها من مستوى بلاغي وبياني عربي مستمد من القرآن الكريم”⁽²⁷⁾

(25) فصل الدين عن الدولة، إسماعيل الكيلاني، المكتب الإسلامي ط1، 1980 ، ص46.45.

(26) حقائق الإسلام في مواجهة حملات المشككين لأحمد سيد، ص443 بتصرف.

(27) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب بتصرف 2 / 869.

فـ“ اللغة في رأيهم قوة ضخمة من قوى الفكر المتخلف التراكمي السلطوي ، لذا يجب أن تموت ، ولغة الحداثة هي اللغة النقيض لهذه اللغة الموروثة بعد أن أضحت اللغة والكلمات بضاعة عهد قديم يجب التخلص منها“⁽²⁸⁾.

وقد يتبادر سؤال إلى الذهن ، وهو لماذا كانت اللغة هدفا من قبل دعاة الحداثة وما علاقة اللغة بالدعوة التي يبغون أن ينصاع الناس إليها؟ والجواب على ذلك أن اللغة هي الوسيلة التي يتوصل بها إلى ذهن المخاطب وعقله ووجدانه ، كيف لمحاور أن يقنع محاوره ويسترعي انتباهه وفهمه لولا تلك الحروف التي تتراص لتكون عبارات وجمل تتظافر لتؤدي معنى معيناً أو فكرة معينة.

والقرآن الكريم - مصدر التشريع الأول - عربيُّ اللسان ، فالعربية إذن لغة التشريع ، ويكون إتقانها أساس فهم نصوص التشريع ومدلولاته وإشاراته وإيماءاته ومقتضياته.

لذا استهدفت كخطوة أولية لاستهداف القرآن ، مصدر التشريع الرئيس ، ولاستهداف وحدة المسلمين ، فكان نصب الدسائس لها عاملاً مهماً لقطع قوام تواصل العرب والمسلمين وتوحدتهم فيسهل تمزيق أوصالهم ، وتشتيت شملهم في وجه التحديات التي يواجهونها.

وقد أقرَّ غير واحد من أهل العلم أن تعلم اللغة العربية واجب على المسلم ، من باب أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، قال ابن تيمية: “إن اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب ؛ لأن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يتم إلا بالعربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب“⁽²⁹⁾.

الدعوة إلى تحرير المرأة

واستهدافها في دينها وعفتها وحجابها وتبعلها لزوجها من خلال تشويه الأحكام الشرعية الإسلامية التي تخصها ، ودراسة تلك الأحكام دراسة استقطاعية لا استقرائية شمولية للخروج بنتائج سمة تمجها الفطرة السوية، وتستنكرها العقول السليمة.

ولعلنا نمثل لذلك بنظرة ثلة من مفكري مدرسة الحداثة للحجاب الشرعي ومحاولة التشكيك في فرضيته من خلال تفسير الآيات المتعلقة بفرضية الحجاب تفسيرا جانبا للتفسير السليم المتأسس على القواعد السليمة ، في ما يسمونها بالقراءة المعاصرة للنصوص ، فهذا محمد شحرور أحد رواد تلك المدرسة يفسر آيات الحجاب فيقول في قوله تعالى : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ..... الآية⁽³⁰⁾) ”الأساس في الجيب هو فعل جوب في اللسان العربي له أصل واحد وهو الخرق في الشيء ومراجعة الكلام السؤال والجواب،

(28) السابق 2 / 868

(29) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم لابن تيمية، مكتبة الرشد الرياض 2 / 527.

(30) الآية 30، من سورة النور .

فالجيوب في المرأة لها طبقتان أو طبقتان مع خرق وهي ما بين الثديين وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والإليتين هذه كلها جيوب ، فهذه الجيوب يجب على المرأة أن تغطيها لذا قال : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) والخمار جاءت من ”خمر” وهو الغطاء ، والخمر سميت خمرًا لأنها تغطي العقل ، وليس الخمار هو خمار الرأس فقط ، وإنما هو أي غطاء للرأس وغير الرأس ، لذا أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنات بتغطية الجيوب التي هي الزينة المخفية خلقا ، وسمح لهن بإبداء هذه الجيوب بقوله تعالى : (وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) هذا الإبداء لا يكون إلا لشيء مخفي أصلا كقوله تعالى (إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخْفَوْهُ) (31) والإبداء لا يكون إلا لعاقل كقوله (فَبَدَّتْ لَهَا سَوْءَاتُهُمَا) (32) إلى أن قال إن المرأة حين نزلت آية النور لم تفعل أكثر من أنها ضربت بخمارها على جيب صدرها لتستر ثديها ، لأن المرأة العربية كانت قبل الإسلام وفي العصر النبوي ترتدي ثوبا مفتوح الصدر فضفاضا بسيطا يتناسب مع البيئة الصحراوية البدوية ، لا يكشف بطبيعته إلا عن جيب الصدر ، أما باقي الجيوب فمغطاة بالأصل، (33) من خلال النص السابق يتبين رأي شحور في الحجاب وهو أن تغطية الرأس غير واجبة على المسلمة فضلا عن تغطية الوجه، حيث فسر الجيوب الوارد ذكرها في آية النور بالثديين والإبطين والفرج والإليتين!، وفسر الأمر بالاختمار الأمر بتغطية الصدر في سابقة مغلوطة، وتحليل مبتذل لم يجرؤ سفيه جاهل أو متعالم حاقد على البوح به وعرضه على الأَشهاد، وتفسيره هذا مردود عليه من وجوه :

الوجه الأول : سبب نزول الآية ”أن النساء كنَّ في ذلك الزمان إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة وهي المقانع سدلتها من وراء الظهر. قال النقاش : كما يصنع النبط ؛ فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك ؛ فأمر الله تعالى بلي الخمار على الجيوب ، وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها، روى البخاري عن عائشة أنها قالت : “رحم الله النساء المهاجرات الأول ؛ لما نزل : {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} شققن أزهرن فاخترن بها” (34) ” (35) . فتغطية الرأس شيء ثابت لديهن قبل نزول آيات الحجاب ، غير أنهن كنَّ يسدن هذا الخمار أو الغطاء خلف ظهورهن ، فتبقى نحورهن ظاهرة فأمرن بتغطيتها.

الوجه الثاني : من حيث اللغة ، فإنَّ تفسيره للجيوب بالجيوب الخمسة التي ذكرها ، تفسير لا صحة له ، ولم يقل به أحد من علماء اللغة ، فيكون عرضه

(31) الآية 54، من سورة الأحزاب .

(32) الآية 121، من سورة طه .

(33) نحو أصول فقه جديدة تأليف محمد شحور ص 363 و 364.

(34) أخرجه البخاري كتاب بدء الوحي ، باب وليضربن بخمرهن على جيوبهن، رقم الحديث 4758.

(35) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي دار عالم الكتب الرياض، 12 / 230.

عار عن عزو علمي يستند إليه، وعن دليل يتكئ عليه.
الوجه الثالث : كلام أهل العلم المبسوط في كتب الفقه والتفسير في الصدر الأول من عصر التأليف تقرر ضمنا بأن المرأة كانت بعد نزول هذه الآيات تغطي رأسها ، وانحصر خلافهم في تغطية الوجه بين مانع ومجيز ، وأما تغطية الرأس فهو مما علم من الدين بالضرورة ، ولم يُعلم فيه خلاف سابق، فلم يتطرق له أهل العلم في العصور السابقة ، إلى أن جاءت هذه البدعة في عصرنا هذا واستفتح الحديثون وغيرهم من العلمانيين القول بنكران الحجاب فظهرت المؤلفات التي تنافح عن فرضية الحجاب وتؤصل له.

الوجه الرابع : إن الحجاب مما اتفقت عليه الشرائع ، وتواطأت عليه الديانات ، فهذه الراهبات حتى عصرنا هذا نراهنّ يتمسكن بالحجاب، الذي ينبئ عن قيم مثلى ومبادئ سامية ، فيكون حث الإسلام عليه من باب الأمر بما يوافق الفطرة السوية ، والمثل العليا.

وبذلك لم يفتأ منتسبو الحداثة يدعون إلى تحرير المرأة ، وينعقون بتخليصها من القيود التي فرضت عليها بزعمهم، وعلى رأس هذه القيود في نظرهم الحجاب ، حيث بالغوا في تأويل النصوص الناطقة صراحة بفرضيته، وحاولوا تمييعها للانتصار لرأيهم الذي يقضي بأن الحجاب إرث من التقاليد والعادات ، ضاربين بعرض الحائط النصوص القرآنية المحكمة الواردة بهذا الشأن ، والأحاديث المتواترة قولاً وعملاً فيه.

ولم يقف الحد بهم إلى التشكيك في فرضية الحجاب ، بل ضموا إلى هذه الجهالة جهالات التشكيك في تشريعات الموازيث وكيف فرقت بين الذكر والأنثى ، وتأويل قوامة الرجل على المرأة بما يتماشى مع أباطيلهم، وانتقادهم لتعدد الزوجات في التشريع الإسلامي.

والمقصد من هذا التعدي على ثوابت الإسلام هو تمييع الدين من قبل هؤلاء الحديثيين، الذين ينتمون للإسلام اسماً ، وتسويق تلك الأفكار في أوساط المجتمع الإسلامي ، فيكون لكلامهم عند عامة المسلمين قبولا لأنهم مسلمون كمخاطبيهم ، ويكون لطرحتهم اهتماما من قبل العامة؛ إذ الإنسان يتشوف دائماً لسماع الجديد من القول والغريب من الحوار، هذا فضلاً عن عباءة العلم التي يرتدونها ، ولهجة الناصح التي ينتحلونها ، كل ذلك له بالغ الأثر في نفوس العامة في الانجرار وراء تلك الدعاوى المغرضة ممن قصرت همتهم في البحث العلمي للمسائل من مظانها.

المبحث الثالث : غايات الحديثيين ومراميهم من هذه الدعوة

غايات الحديثيين واضحة لا تخفى ؛ فإنهم يطعنون في الإسلام بدعوى تجديد الخطاب الديني، والقراءة المعاصرة، ولتغلب النظرة المادية على ثقافتهم ،

واستفحالها في عقائدهم ، فقد راعهم ديناً يجعل للقيم الروحانية شأنًا، و يقيم للمثل الأخلاقية مكانة ، فطفقوا محاولين ضرب هذه المنظومة الأخلاقية والروحانية، من خلال التسويق لحضارتهم المادية التي إنما قامت على أنقاض تعظيم اللذة ، وتحصيل الشهوة، والمنافع المادية الدنية، والغرائز السفلى، على حساب الأخلاق السامية .

لقد نجح دين الإسلام في تهذيب من استمسك به حق الاستمسك، كما نجح في ترسيخ مبدأ الاحتكام إليه في يسير الأمور وعظيمها ، كيف لا وهو دين عالمي توافرت فيه جميع مقومات النهوض والألق والنماء والبقاء، وهذا مما يثير حفيظة أعدائه ويدعوهم إلى نصب شرك التلبيس والتلبيس، وإعمال معول التضليل والتزوير، قال تعالى: "وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ"⁽³⁶⁾.

وتابعهم في هذه الحملة الأثمة - حملة التلبيس والخداع والحادثة المزعومة - نفرٌ ممن ينتسبون للإسلام ، فكانوا بمثابة الروافد لمآرب العدو ، فضروا بأطروحاتهم التي سُخرت لها وسائل الإعلام ، عن سوء فهم، وسوء طوية- أحدهما أو كلاهما- الأغرار الناشئين، وأنصاف المتعلمين.

وقد تقاسم الحداثيون الأدوار فيما بينهم، فوجد بعضهم صب جل تركيزه على الطعن في السنة النبوية، والتشكيك في ثبوتها، من خلال الطعن في صحيح الإمام البخاري.

ومنهم من تولى كبر التلبيس في كل ما يخص أحكام المرأة المسلمة ، فحاول التشويش في أمر حجابها ، وقوامة الرجل عليها ، وعارض تشريع نصيبها من الإرث، وكان لمحمد شحرور من هذه التديسات النصيب الأكبر كما في كتابه نحو أصول جديدة للفقهاء الإسلامي.

ومنهم من أنهك نفسه لاهثًا وراء التنظير لفكرة فصل الدين عن الدولة، وجعل شغله الشاغل محاولة ضرب ثوابت الإسلام، وإيهام المسلمين أن الدولة الناجحة سياسيا هي المتحررة من ريقه الدين ، ولهذه الفكرة النصيب الأكبر من المروجين ، فهي متلازمة الحادثة، ورأس هرمها.

ولا يزال المصلحون من دعاة الإسلام ومفكريه يبذلون أقصى جهودهم في الرد على الحداثيين ، وبيان عوار منهجهم ، وشنار دعوتهم ، التي وإن تذررت بدثار التقديمية والعلمية، إلا أنها ترمي أولا وأخرا إلى قطع العلائق بإرث الإسلام الفقهي والحديثي والتفسيري، واجتثاث أصوله التشريعية ، وصولاً إلى غايتهم المرجوة المتمثلة في هدم الإسلام جملة وتفصيلاً ، ولكن هيهات لما يتغيئون ، فالإسلام دين محفوظ بحفظ رب السماء أن يندرس أو يندثر ، قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"⁽³⁷⁾ وقد تعرّض لأعتى الحملات النصرانية الصليبية، وأشرس

(36) الآية 120 من سورة البقرة.

(37) الآية 9 من سورة الحجر.

الهجمات اليهودية الصهيونية ، ولا تزال أركانه قائمة ، وبنائه راسخة ، فلن يضره فكر حدائثي هاش ، مبني على منهج غير منضبط ، لا يخلو من لوثات العلمانية ، وفري الإلحادية.

الخاتمة

وختاما فإننا نرى - وكما مر معنا في ثنايا هذه الصفحات - أن الحداثة فكر وافد، ومنهج دخيل على عقائد دين الإسلام وتشريعاته العملية ومنظومته الأخلاقية، وأن المسلمين في أشد درجات الغنى عن هذا الفكر أو المنهج غير منضبط القواعد والمأخذ، فالمنهجية التي يسير عليها علماء المسلمين تتخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإجماع مرتكزات الاجتهاد ، وتنطلق منها نحو تأصيل المسائل وتأطيرها، وفق منهج محدد المعالم، واضح الرؤى، أوضح أئمة أصول الفقه معامه وحدوده في مصنفاتهم قديما وحديثا، على اختلاف مذاهبهم. وإن الترويج لهذا الفكر والتسويق له، وتسخير وسائل الإعلام المختلفة لخدمته - من ورائه مآرب دنية وغايات كيدية ، المستهدف فيها بالدرجة الأولى المسلمين "لِيُرَدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ" (38).
وإنه ليتوجّب على أهل العلم أن يقفوا بالمرصاد لمثل هذه الحملات ، فلا يؤلوا جهودهم في الرد على دعاة هذا الفكر ، سواء على صعيد الرد عليهم بالتصنيف والتأليف ، أم بتوعية عوام المسلمين وخواصهم عبر وسائل الإعلام المختلفة.

(38) الآية 137 من سورة الأنعام.

المصادر والمراجع

- البخاري : محمد، (ط1،1987) الجامع الصحيح ، دار الشعب ، القاهرة.
ابن تيمية : محمد ،اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم ، مكتبة الرشد الرياض
الرجزاني : عبدالله،(ط1997) الكامل في ضعفاء الرجال، دار الكتب العلمية
جلبي : خالص ، جريدة الرياض العدد 188 10.
الجهني وآخرو(ط1420،4) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، دار
الندوة العالمية للطباعة والنشر.
ابن حجر :أحمد ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة ، بيروت
الديب : عبد العظيم ، (ط3، 1992) المستشرقون والتراث، دار الوفاء.
الزركلي : خير الدين ، (ط15) الأعلام ، دار العلم للملايين.
سيد : أحمد حقائق الإسلام في مواجهة حملات المشككين.
شحرور : محمد، (ط1، 2000) نحو أصول فقه جديدة، الأهالي للطباعة والنشر ، دمشق.
شحرور : محمد، أم الكتاب وتفصيلها ، دار الساقى ،لبنان.
الشوكاني : محمد ،تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، دار القلم ، بيروت
ابن الصلاح : عثمان ،(ط2004) علوم الحديث ، دار الفكر المعاصر .
علي : عدنان ، (ط1989،3) الحداثة في منظور إيماني.
القرطبي :محمد ، الجامع لأحكام القرآن ، دار عالم الكتب الرياض.
القرني :عوض (ط1 1988) الحداثة في ميزان الإسلام ، دار هجر.
الكيلاني : إسماعيل (ط1، 1980) فصل الدين عن الدولة ، المكتب الإسلامي.
ابن ماجه: محمد ، سنن ابن ماجه ، دار الفكر، بيروت .
الملا : أحمد (ط1981،2) أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، دار الفكر ، دمشق.
ابن منظور : محمد (ط1) لسان العرب ، دار صادر بيروت.
النووي : يحيى (ط1392،2) شرح النووي على مسلم دار إحياء التراث ، بيروت .

الأخطاء الإملائية الشائعة وعلاقتها بالدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بليبيا

إعداد

د / عبد المقصود أحمد بدوي

قسم اللغة العربية - كلية التربية القبة

جامعة عمر المختار

د / رجب عبد الله خليفة

قسم اللغة العربية كلية التربية - القبة

جامعة عمر المختار

د / وائل عبد الباري هراس

علم النفس والتربية كلية التربية - القبة

جامعة عمر المختار

الاستلام: 18 / 09 / 2021 م

القبول: 28 / 10 / 2021 م

المستخلص:

استهدف البحث تعرف الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا، وتعرف مستوى دافعتهم للتعلم والكشف عن العلاقة الارتباطية التي تجمع بين الأخطاء الإملائية الشائعة والدافعية للتعلم لديهم، ومن خلال الأسئلة التي يسعى البحث إلى الإجابة عنها، فقد تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج الوصفي، وقام الباحثون بإعداد اختبار الأخطاء الإملائية الشائعة ومقياس الدافعية للتعلم لتعرف مستوى الطلاب في المتغيرين والكشف عن العلاقة الارتباطية بينهما، ويتمثل مجتمع الدراسة في عينة بحثية من طلاب الصف الأول والثاني الثانوي بإدارة البيضاء التعليمية بليبيا، وأثبتت نتائج الدراسة أن: (مستوى طلاب المرحلة الثانوية بليبيا في اختبار الإملاء جاء بدرجة ضعيفة، وكان مستوى الدافعية للتعلم لديهم بدرجة متوسطة، وكشفت الدراسة عن وجود علاقة ارتباطية عكسية بين الدافعية للتعلم والأخطاء الإملائية الشائعة لدى الطلاب. وأوصت الدراسة بضرورة تدريب الطلاب على المهارات الإملائية التي تمكنهم من التغلب على الصعوبات الإملائية التي تواجههم، والاهتمام بإعداد وتقديم البرامج الإرشادية والتوجيهية الخاصة بتحسين مستوى الدافعية للتعلم للطلبة منخفضي التحصيل الدراسي.

**Common spelling errors and their relationship to motivation
to learn among secondary school students in Libya.**

The aim of the research is to identify common spelling errors among secondary school students in Libya and to know the level of their motivation to learn and to reveal the correlation between common spelling errors and their learning motivation

The researchers prepared a test for common spelling errors and a measure of motivation to learn to find out the level of students in the two variables and to reveal the correlation between them. Weak degree, and their motivation level was medium. The study revealed the existence of an arbitrary inverse relationship between motivation to learn and common spelling errors among students

The study recommends the importance of training students on spelling skills that enable them to overcome the spelling difficulties they face, and to pay attention to preparing and presenting guidance and orientation programs to improve the level of motivation to learn for students with low academic achievement

مقدمة:

” يعد الإملاء من أهم مهارات الكتابة؛ فهو أداة اللغة المكتوبة، كما أن له أثرا كبيرا في حياة التلميذ أثناء الدراسة وبعدها؛ فالإملاء يتصل اتصالاً وثيقاً بجميع الأعمال الكتابية، وبجميع فروع الدراسة، ولاسيما أن تقييم مستوى التلاميذ يتم في أغلبيته عن طريق اللغة المكتوبة، والتي تعد صحة رسمها من أهم مقاييس سلامتها”⁽¹⁾.

” فإذا كانت القواعد النحوية والصرفية وسيلة إلى صحة الكتابة من النواحي: الإعرابية والاشتقاقية، فإن الإملاء وسيلة إليها من حيث الصورة الخطية”⁽²⁾.

” ولا بد للتلميذ أن يكون قادراً على رسم الحروف رسماً صحيحاً؛ وإلا اضطربت الرموز، واستحالت قراءتها، وأن يكون قادراً على كتابة الكلمات بالطريقة التي اتفق عليها علماء اللغة؛ وإلا تعذرت ترجمتها إلى مدلولاتها، وأن يكون قادراً على اختيار الكلمات، ووضعها في نظام خاص، وإلا استحال فهم المعنى والأفكار التي تشتمل عليها، وبذلك يصبح تعليم الكتابة غير مقصور على تعليم الهجاء والخط، بل يشمل - إلى جانب ذلك - القدرة على التعبير عن المعاني والأفكار تعبيراً مكتوباً”⁽³⁾.

” فالإملاء يعود التلميذ صفات تربوية نافعة، فيعلمه التمعن، ودقة الملاحظة، ويربي عنده قوة الحكم والإذعان للحق، كما يعوده النظام والنظافة، وسرعة النقد والسيطرة على حركات اليد، والتحكم في الكتابة، والسرعة في الفهم والتطبيق السريع اليقظ للقواعد المختلفة، كما يعتبر تمريناً مهماً في دراسة أشكال الكتابة للغات الأخرى، ولكن من الخطأ أن يؤخذ الإملاء كمقياس دقيق للتفوق والإجادة لجميع مهارات اللغة العربية؛ لأنه منظومة صغرى في منظومة كبرى”⁽⁴⁾.

ومن خلال الخبرة الشخصية للباحث وملاحظته لأداء طلاب المرحلة الثانوية الكتابية، تبين أن هناك ضعفاً ملحوظاً لدى الطلاب في مجال الكتابة الإملائية، ويدل على ذلك كثرة الأخطاء الإملائية في كتاباتهم، والتي قد تصل إلى حد إفساد المعنى شكلاً ومضموناً، وعزوف الطلاب عن الاختبارات المقالية وتخوفهم منها، وذلك لحاجتها إلى المهارات الإملائية التي يفتقدونها، كما أنهم يؤثرون الأسئلة الموضوعية لعدم حاجتها إلى الكتابة التي يعد إتقان المهارات الإملائية أهم متطلباتها.

(1) عبد العليم إبراهيم (د / ت): الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص 9

(2) عبد العليم إبراهيم: مرجع سابق، ص 9.

(3) فتحي علي يونس ومحمود كامل الناقسة وعلي أحمد مذكور (1981): أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، دار الثقافة للطباعة والنشر، ص 255 - 256.

(4) حسن شحاتة (1996): تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، ط 3، ص 328

وبمراجعة الدراسات السابقة التي أجريت في مجال الأخطاء الإملائية على طلاب المراحل التعليمية المختلفة بداية من المرحلة الابتدائية ووصولاً إلى المرحلة الجامعية، تبين ضعف الطلاب في مهارات الإملاء، وتدني مستواهم التحصيلي في مجال الإملاء والكتابة، ومنها دراسة ثريا محجوب (2001)⁽⁵⁾ التي أوصت بضرورة إجراء دراسات شاملة للأخطاء الإملائية على تلاميذ كل سنة على حدة، قبل وضع المنهج المقرر، دراسة نجلاء أبوالمجد سلامة (2006)⁽⁶⁾ التي أثبتت نتائجها أن التلميذات عينة الدراسة تعانين من صعوبة في رسم الكلمات، التي تتضمن القواعد النحوية، دراسة حاتم حسين البصيص (2007)⁽⁷⁾ التي أكدت ضعف مستوى الطلاب في مهارات القراءة والكتابة، وأوصت بضرورة تبني برامج واستراتيجيات تدريسية حديثة لتنمية مهارات الطلاب، بالإضافة إلى دراسة الأحوال (2015)⁽⁸⁾، دراسة عبد المجيد (2015)⁽⁹⁾، دراسة قاجة (2019)⁽¹⁰⁾ ودراسة محمود (2020)⁽¹¹⁾، دراسة الكاف (2021)⁽¹²⁾ التي توصلت إلى نفس النتائج .

لذلك يتوجب على المهتمين بعلاج أخطاء الطلاب، ومساعدتهم في التغلب عليها، أن يهتموا بالأخطاء الشائعة؛ لأنها أولى وأهم من الحديث عن الأخطاء الفردية؛ لأن الأخطاء الشائعة تعبر عن أداء جماعات، بينما تعبر الأخطاء الفردية عن أداء أفراد، والجماعات أولى بالاهتمام من الأفراد، عندما يتم التفكير في وضع برامج تدريبية، أو مناهج دراسية، أو إعداد مواد تعليمية على مستوى واسع، لذلك يجب

(5) ثريا محجوب (2001): الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلميذات الصف الخامس الابتدائي، تشخيصها وعلاجها، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، العدد الثلاثون، المجلد الأول،

(6) نجلاء أبوالمجد سلامة (2006): الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب الصف الأول الإعدادي الأزهرى، أسبابها، وعلاجها، كلية الدراسات الإنسانية، قسم التربية، جامعة الأزهر، رسالة ماجستير (غير منشورة)

(7) حاتم حسين البصيص (2007): فعالية برنامج مقترح في تنمية بعض مهارات القراءة والكتابة وتنمية الميول نحوها لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية في ضوء استراتيجيات الذكاءات المتعددة، معهد الدراسات التربوية جامعة القاهرة، رسالة، دكتوراه (غير منشورة) .

(8) أحمد سعيد محمود الأحوال (2015): أثر التكامل بين النحو والإملاء في علاج بعض الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب كلية التربية بجامعة الجوف بالملكة العربية السعودية في استخدامهم وسائل الاتصال الحديثة، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، مج 31، ع 3، إبريل، ص ص 1-16

(9) عواطف حسن على عبد المجيد (2015): فاعلية استراتيجية لعب الأدوار في علاج الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلميذات المرحلة الابتدائية، مجلة العلوم التربوية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مج 16، ع 2، ص ص 86-106

(10) كلثوم قاجة (2019): أشكال الأخطاء الإملائية الشائعة في كتابة تلاميذ المرحلة الابتدائية الأسباب والعلاج، المجلة التعليمية، جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس، كلية الآداب واللغات والفنون، الجزائر، مج 6، ع 3 .

(11) أيمن عبد الحميد صادق محمود (2020): استراتيجية مقترحة قائمة على التدريس التفاعلي لعلاج الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، مجلة البحث العلمي في التربية، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، ع 21، ج 8، أغسطس، ص ص 483-534

(12) فاطمة بنت محمد الكاف (2021) الأخطاء الإملائية الشائعة في المكاتبات الرسمية لدى الموظفين الإداريين بكلية التربية جامعة السلطان قابوس، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، مج 13، ع 1، مارس، ص ص 197

العمل على تنمية مهارات الطلاب وتحفيزهم وزيادة دافعتهم للتعلم .
 ” حيث تعد الدافعية نحوالتعلم من الأهداف التربوية الأساسية التي ينشدها
 أي نظام تربوي، إذ أن لها آثار مهمة في تعلم الطالب وسلوكه، وتشمل هذه الآثار
 توجيه السلوك نحوأهداف معينة، وزيادة الجهد والطاقة لدى المتعلم ”(13) .
 الدراسات السابقة:

أولاً - الدراسات التي تتعلق بهجاء الأخطاء الإملائية الشائعة؛

دراسة الكاف (2021)⁽¹⁴⁾ هدفت الدراسة إلى تحديد الأخطاء الشائعة في المكاتبات الرسمية لدى الموظفين الإداريين بكلية التربية جامعة السلطان قابوس، وتصنيف هذه الأخطاء وفق القواعد الإملائية، وتعرف الأسباب، وأوصت الدراسة بضرورة تنظيم دورات وبرامج تدريبية لهؤلاء الموظفين الإداريين يقوم بتقديمها أعضاء هيئة التدريس تخصص اللغة العربية . دراسة محمود (2020)⁽¹⁵⁾ استهدفت الدراسة علاج الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، وذلك من خلال استراتيجية مقترحة قائمة على التدريس التفاعلي، وأوصت الدراسة بضرورة تطبيق الاستراتيجيات الحديثة في تدريس الإملاء .
 دراسة نور الدين وأحمد (2019)⁽¹⁶⁾ استهدفت الدراسة التعرف على بعض الأخطاء الشائعة في الكتابة من وجهة نظر معلمي المدارس الابتدائية لدى تلاميذ السنة الثالثة ابتدائي من ذوي صعوبات التعلم بمدارس معسكر، وأوصت الدراسة بضرورة استعمال طرائق التدريس مشوقة وأساليب محببة تخلق الرغبة لدى التلاميذ وتثير فيه دافعا للتعلم . دراسة قاجة (2019)⁽¹⁷⁾ استهدفت الدراسة التعرف على أشكال الأخطاء الإملائية الشائعة في كتابة تلاميذ المرحلة الابتدائية، وحددت الدراسة عدة عوامل (خصائص اللغة العربية المكتوبة، والمنهاج، والمشرف التربوي، والإدارة المدرسية، والمعلم، والتلميذ، وأسباباً أخرى خارجية)، دراسة الأحوال (2015)⁽¹⁸⁾ استهدفت الدراسة تقديم معاجة جديدة في علاج بعض الأخطاء الإملائية التي يقع فيها طلاب كلية التربية بجامعة الجوف أثناء استخدامهم وسائل التواصل الحديثة، وتوصلت النتائج إلى فاعلية المعالجة المقدمة في ضوء التكامل بين النحووالإملاء في تحسين مستوى الطلاب في المهارات

(13) ثريا يونس دودين، فتحي عبد الرحمن جروان (2012): أثر تطبيق برامج التسريع والإثراء على الدافعية للتعلم والتحصيل وتقدير الذات لدى الطلبة الموهوبين في الأردن، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 26، (2)، ص ص 105 - 148 . ص 116

(14) فاطمة بنت محمد الكاف (2021): مرجع سابق، ص ص 197 - 232

(15) أيمن عبد الحميد صادق محمود (2020): مرجع سابق، ص ص 483 - 534

(16) حطراف نور الدين، مكي أحمد (2019): الأخطاء الشائعة في الكتابة لذوي صعوبات التعلم مستوى السنة الثالثة ابتدائي من وجهة نظر معلمي المدارس الابتدائية، مجلة سلوك، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية دار العلوم، مج 6، ع 1،

(17) كلثوم قاجة (2019): مرجع سابق، مج 6، ع 3 .

(18) أحمد سعيد محمود الأحوال (2015): مرجع سابق، ص ص 1 - 16

الإملائية . دراسة عبد المجيد (2015) (19) هدفت الدراسة إلى التعرف على فاعلية استخدام استراتيجيات لعب الأدوار في علاج الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلميذات الصف السادس الابتدائي توصلت الدراسة إلى تحديد الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلميذات الصف السادس الابتدائي من وجهة نظر معلمات اللغة العربية . دراسة إبراهيم (2013) (20) استهدف البحث علاج الأخطاء اللغوية الشائعة في كتابة البحوث التربوية وتنمية مهارات التواصل الإلكتروني لدى طلاب الدراسات العليا بكلية التربية، وذلك من خلال برنامج قائم على نظام إدارة التعلم الإلكتروني، وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطي رتب المجموعتين (التجريبية والضابطة) في التطبيق البعدي لاختبار مهارات الكتابة ومقياس التواصل الإلكتروني لصالح طلاب المجموعة التجريبية.

ثانياً - الدراسات التي تتعلق بهيكل الدافعية للتعلم:

دراسة جاد (2021) (21) استهدف البحث إلى تعرف فاعلية تدريس الأحياء باستخدام استراتيجية REACT في تنمية التحصيل ومهارات حل المسائل الوراثية والدافعية للتعلم لدى طالبات الصف الأول الثانوي كما أظهرت النتائج فاعلية تدريس الأحياء باستخدام استراتيجية REACT في تنمية التحصيل ومهارات حل المسائل الوراثية والدافعية للتعلم . دراسة عليان (2021) (22) استهدف البحث تعرف فاعلية برنامج قائم على التعلم الإلكتروني التشاركي في تنمية مهارات البحث عن المعلومات والدافعية للتعلم لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي، وأسفرت نتائج البحث عن وجود فرق دال إحصائية بين متوسطي درجات مجموعتي البحث الضابطة والتجريبية في أدوات البحث لصالح المجموعة التجريبية. دراسة السالم (2021) (23) استهدفت الدراسة التعرف على ممارسات المعلمة المؤثرة في تطوير دافعية التعلم لطالبات المرحلة الثانوية من وجهة نظر معلمات العلوم المسلكية بخميس مشيط، وأوصت الدراسة بالإعداد التربوي للمعلمة قبل الخدمة، والتدريب المستمر على مهارات المعلمة التي تزيد من دافعية طالباتها نحو التعلم.

(19) عواطف حسن على عبد المجيد (2015): مرجع سابق، ص 86 - 106

(20) أحمد جمعة أحمد إبراهيم (2013): برنامج قائم على نظام إدارة التعلم الإلكتروني (Blackboard) لعلاج الأخطاء اللغوية الشائعة في كتابة البحوث التربوية وتنمية مهارات التواصل الإلكتروني لدى طلاب الدراسات العليا بكلية التربية، المجلة التربوية الدولية المتخصصة، دار سمات للدراسات والأبحاث، مج 2، ع 6، يونيو.

(21) إيمان فتحي جلال جاد (2021): تعرف فاعلية تدريس الأحياء باستخدام استراتيجية REACT في تنمية التحصيل ومهارات حل المسائل الوراثية والدافعية للتعلم لدى طالبات المرحلة الثانوية، المجلة التربوية، جامعة سوهاج، ع 84، إبريل

(22) الشيماء سيد عليان (2021): برنامج قائم على التعلم الإلكتروني التشاركي في تنمية بعض مهارات البحث عن المعلومات والدافعية للتعلم لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، مج 37، ع 1، يناير

(23) منال بنت عبد العزيز السالم (2021): ممارسات المعلمة المؤثرة في تطوير الدافعية للتعلم لدى طالبات المرحلة الثانوية من وجهة نظر معلمات العلوم المسلكية بخميس مشيط، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، مركز رفاة للدراسات والأبحاث، مج 9، ع 1.

دراسة جاد (2020) (24) استهدفت الدراسة الحالية استقصاء أثر استخدام وسائل تكنولوجيا التعليم والنوع في تنمية الدافعية للتعليم لدى طلبة الصف السابع الأساسي في مديرية التربية والتعليم بمحافظة عجلون، أظهرت النتائج وجود أثر استخدام تكنولوجيا التعليم لصالح المجموعة التجريبية. دراسة جمال (2019) (25) استهدفت الدراسة معرفة أثر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على دافعية التعلم واتخاذ القرار لدى طلبة الثانوية في مدينة عمان، وأوصت الدراسة بتوعية طلبة المدارس بأهمية دور وسائل التواصل الاجتماعي في التحفيز واتخاذ القرار وتدريبهم عليها.

دراسة سعيد (2019) (26) استهدفت البحث معرفة فاعلية استخدام التعلم المستند إلى التحفيز في التدريس لتنمية الكفاءات المهنية لمعلمي التاريخ ومهارات التوجه نحو الهدف والدافعية للتعلم لدى طلابهم بالمرحلة الثانوية، وأوصت الدراسة بضرورة الأهتمام بدعم دور المعلم وإعداده لدفع طلابه للتعمم، وضرورة إدماج الطلاب في تحديد أهدافهم المستقبلية من خلال التعليم المدرسي **التعليق على الدراسات السابقة:**

أوجه الشبه بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة

تناولت بعض الدراسات السابقة موضوع الأخطاء الإملائية الشائعة، ومنها: دراسة الكاف (2021)، ودراسة نور الدين وأحمد (2019)، ودراسة قاجة (2019)، ودراسة الأحوال (2015)، كما تناولت بعض الدراسات موضوع المفاهيم النحوية، ومنها: دراسة جاد (2021)، ودراسة عليان (2021)، ودراسة السالم (2021)، ودراسة جمال (2019).

أوجه الاختلاف بين الدراسة الحالية والدراسات السابقة

شملت عينة الدراسات السابقة طلاب من مختلف المراحل التعليمية بداية من المرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية، وحتى خريجي الجامعات والمعلمين.

اختلفت البيئات التي طبقت فيها الدراسات السابقة أدواتها، ولم تطبق أي دراسة إجراءاتها في البيئة اللببية.

تصميم الأدوات في كل دراسة من الدراسات السابقة يتبع لأهداف كل دراسة.

لم يحظ الدراسات التي جمعت بين الدافعية للتعلم والأخطاء الإملائية

(24) صدام حنارزق الله جاد (2020): أثر استخدام وسائل تكنولوجيا التعليم والنوع في تنمية الدافعية للتعلم لدى طلبة الصف السابع الأساسي في محافظة عجلون بالملكة الأردنية الهاشمية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المركز القومي للبحوث غزة، مج 4، ع 23، يونيو.

(25) ميسون جميل جمال (2019): أثر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في دافعية التعلم واتخاذ القرار لدى طلبة الثانوية في مدينة عمان، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج 33، ع 6.

(26) هبة الله حلمي عبد الفتاح سعيد (2019): فاعلية برنامج تدريبي قائم على التعلم المستند إلى التحفيز لتنمية الكفاءات المهنية لمعلمي التاريخ ومهارات التوجه نحو الهدف والدافعية للتعلم لدى طلابهم بالمرحلة الثانوية، المجلة التربوية، جامعة سوهاج، ج 82، فبراير.

الشائعة بين الطلاب بالاهتمام البحثي الكافي في البيئة العربية، وبخاصة في البيئة الليبية، بل وتكاد تكون هذه الدراسة من أوليات الدراسات التي اهتمت بالربط بين هذين المتغيرين بالتطبيق على البيئة الليبية عامة، وفي مجال التطبيق على قطاع التعليم خاصة، ولعل هذه الدراسة محاولة للأسهام في سد حاجات المكتبة العربية من الدراسات والأبحاث حول علاقة الدافعية للتعلم بالأخطاء الإملائية الشائعة لدى الطلاب، حيث يعد هذا الموضوع مهماً في إثراء المكتبة العربية ومراكز البحث العلمي وخاصة المهتمة بالدراسات التربوية، كما يمكن أن توفر هذه الدراسة قاعدة بيانات لمساعدة الباحثين والدارسين لأجراء المزيد من البحوث في هذا المجال .

” فالدافعية للتعلم من الشروط الأساسية التي يتوقف عليها تحقيق الهدف من عملية التعلم في أي مجال من مجالاته المتعددة، سواء في تعليم أساليب وطرق التفكير، أو تكوين الاتجاهات والقيم أو تعديل بعضها، أو تحصيل المعلومات والمعارف، أو في حل المشكلات إلى آخر أساليب السلوك التي تخضع لعوامل التدريب والممارسة”⁽²⁷⁾.

” لذا فإنه يتوجب على المؤسسات التعليمية البحث باستمرار عن أفضل الطرق والوسائل لتوفير بيئة تعليمية تفاعلية لجذب اهتمام المتعلمين وحثهم على تبادل الآراء والخبرات وتساعد على تحقيق التوازن النفسي واتخاذ القرارات السليمة في المواقف، واتاحة الفرص للطلاب كي يطوروا قدراتهم، معتمدين على أنفسهم وقدراتهم الذاتية”⁽²⁸⁾.

” وتعتبر مشكلة انخفاض الدافعية للتعلم من أكثر المشكلات تأثيراً على سير العملية التربوية، حيث أن أغلب المشكلات التي يعاني منها الطلبة تبدأ من نقص الدافعية للتعلم. إن أهم مشكلة يواجهها المعلمون داخل الصف هي الفشل في توجيه دوافع طلابهم واستغلالها في عملية التعلم، فمشكلة الانضباط داخل الصف، وكسل بعض الطلاب، وعدم إجابة بعض الاختبارات والقلق والاضطراب الذي يبدو على بعضهم، والقائه اللوم والنقد على المادة الدراسية والإدارة والمدرسة بشكل عام كل ذلك يعد فشلاً في توجيه دوافع الطلاب”⁽²⁹⁾.

وتأسيساً على ما سبق يتضح مدى ضعف طلاب المراحل التعليمية المختلفة في الكتابة ومهارات الإملاء، الأمر الذي يستدعي العمل على تحفيز الطلاب وزيادة دافعتهم للتعلم، حتى يتسنى لهم استكمال دراستهم وتحقيق مستويات أعلى من الأداء، ذلك لارتباط الكتابة والإملاء بمختلف المهارات التعليمية والمواد الدراسية، وعلى ضوء ذلك فإن الباحث سعى إلى معرفة هل ثمة علاقة تجمع بين الأخطاء الإملائية الشائعة ومستوى الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا ؟

(27) أنور محمد الشراوي (2012): التعلم نظريات وتطبيقات، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية. ص 234

(28) الشيماء سيد عليان (2021): مرجع سابق، ص 175 - 209. ص 179

(29) الشيماء سيد عليان (2021): مرجع سابق، ص 175 - 209. ص 191

مشكلة الدراسة :

تتمثل مشكلة الدراسة في ضعف مستوى طلاب المرحلة الثانوية في الإملاء، وضعف مستوى الدافعية للتعلم لديهم، الأمر الذي يستدعي العمل على تطوير ممارسات وأساليب تدريس تساهم في زيادة دافعيتهم للتعلم وتعمل على الحد من الأخطاء الإملائية الشائعة وعلاجها، وتتحدد مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما علاقة الأخطاء الإملائية الشائعة بالدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا؟ ويتفرع عن هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية، وهي:

(1) ما الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا؟

(2) ما مستوى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء في مهارات الإملاء؟

(3) ما مستوى الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا؟

(4) هل توجد علاقة ارتباطية بين مستوى الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء ودافعيتهم للتعلم؟

أهداف الدراسة : تسعى الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف تتمثل فيما يلي:

(1) تحديد الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا .

(2) تعرف مستوى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء في مهارات الإملاء .

(3) تعرف مستوى الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا .

(4) الكشف عن درجة العلاقة الارتباطية بين مستوى الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء ودافعيتهم للتعلم .

أهمية الدراسة - تكمن أهمية الدراسة في عدة اعتبارات أهمها :

أنها تتناول موضوعات مهمة لها تأثير كبير على العملية التعليمية وهي:

الأخطاء الإملائية الشائعة لدى الطلاب، ومستوى الدافعية للتعلم

وتتجلى أهمية الدراسة في كون المهارات الإملائية تمثل البنية الأساسية في تعلم

اللغة العربية واستيعابها، استخدامها استخداما سليما؛ ذلك لأن الإملاء من أهم

مهارات الكتابة، كما أن له أثرا كبيرا في حياة الطالب أثناء الدراسة وبعدها؛

فالإملاء يتصل اتصالاً وثيقاً بجميع الأعمال الكتابية، وبجميع فروع الدراسة،

الأمر الذي يساعد كثيرا في تقديم استراتيجيات تربوية تدريسية أكثر فعالية .

كما تكمن أهمية هذه الدراسة في تناول موضوعا مهما يتمثل في دافعية

الطلاب للتعلم تعطيتهم القدرة على بذل مزيد من الجهد للتغلب على العوائق

التي قد تحل دون تحقيق دوافعهم، كما أنها تساهم في توظيف العوامل التي

تؤدي إلى النجاح أو تحقيق النتائج المرغوبة

لذلك تتجلى أهمية هذه الدراسة في الأهمية التي تكتسبها المتغيرات المبحوثة التي تتمثل في الأخطاء الإملائية الشائعة، ودافعية الطلاب للتعلم، كما تفتح هذه الدراسة آفاقاً جديدة أمام الباحثين لدراسة مهارات الإملاء، وبناء برامج جديدة للعمل على تنميتها .

حدود الدراسة - تشمل الدراسة الحدود التالية:

الحدود الموضوعية: اقتصر موضوع الدراسة على تحديد الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب المرحلة الثانوية وتعرف مستوى أداء الطلاب في المهارات الإملائية ومستوى دافعتهم للتعلم، واتجاه العلاقة بين هذين المتغيرين .
الحدود المكانية: المدارس الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء، بدولة ليبيا .
الحدود البشرية: طلاب الصف الأول والثاني الثانوي بمراقبة تعليم البيضاء، بدولة ليبيا .
الحدود الزمنية: اقتصر تطبيق الدراسة على الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي (2020/2021م).

فروض الدراسة : تتوقع الدراسة تحقق الفروض التالية:

1. تتوافر مهارات الإملاء لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بمستوى ضعيف.
2. تتوافر الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بمستوى متوسط .
3. توجد علاقة ارتباطية عكسية بين مستوى الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء ودافعتهم للتعلم.

مصطلحات الدراسة:

يعرف زايد (2006) الخطأ الإملائي بأنه: "قصور المتعلم عن المطابقة الكلية أو الجزئية بين الصور الصوتية أو اللفظية للحروف، والكلمات مدار الكتابة الإملائية مع الصور الخطية لها وفق قواعد الكتابة الإملائية المحددة المتعارف عليها"⁽³⁰⁾ . ويعرف الباحث الخطأ إجرائياً بأنه "أي صيغة لغوية ينتجها طلاب المرحلة الثانوية بإدارة البيضاء التعليمية يظهر فيها انحراف عما هو مقبول في اللغة العربية حسب المقاييس التي وضعها علماء اللغة "

تعرف الدافعية للتعلم بأنها " القوة الداخلية الذاتية التي تحرك سلوك الفرد وتوجهه لتحقيق غاية معينة يشعر بالحاجة إليها، وأبأهميتها المادية أو المعنوية بالنسبة له، وتستثار هذه القوة المحركة بعوامل تنبع من الفرد نفسه : (حاجاته، خصائصه، ميوله، واهتماماته) أو من البيئة المادية أو النفسية المحيطة به : (الأشياء، الأشخاص، الموضوعات، والأفكار) "⁽³¹⁾.

وتعرف الدافعية للتعلم إجرائياً بأنها " مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي تحرك سلوك طالب كلية التربية فرع القبة، وتدفعه للاندماج

(30) فهد خليل زايد (2006): الأخطاء الشائعة النحوية والصرفية والإملائية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ص 71

(31) حسن شحاتة، وزينب النجار، (2003): معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ط 1، السدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ص 92.

بدرجة عالية من النشاط والرغبة في المهام والخبرات التعليمية الجديدة لتحقيق غاية يشعر بحاجته إليها” .

خطة الدراسة - تحقيقاً لأهداف الدراسة واختبار فروضها تم إجراء الدراسة وفقاً للخطوات التالي يتناول المحور الأول من الدراسة إطارها العام حيث يتناول: التعرف على مشكلة وتساؤلاً الدراسة، وأهدافها وأهميتها، والفروض التي تحاول إثباتها، والمنهج الذي اتبعه الباحثون في جمع المعلومات، وحدود الدراسة، أما المحور الثاني فيشمل الإطار النظري للدراسة من خلال التعرف على الإطار النظري للأخطاء الإملائية من حيث مفهومها، وأسبابها، وأساليب تحديدها، كما تناول الدافعية للتعلم من حيث مفهومها، وأهميتها، واستراتيجيات تنميتها، بينما تناول المحور الثالث من الدراسة الجانب التطبيقي للدراسة من خلال: إعداد أدوات البحث وتحليل بياناته، واختبار صحة الفروض، ثم استعراض أهم النتائج والتوصيات .

المحور الثاني - الإطار النظري: ويشمل بعدين مهمين، هما: (الأخطاء الإملائية، الدافعية للتعلم)

1 - الأخطاء الإملائية الشائعة:

”الكتابة عملية ضرورية للحياة العصرية، سواء بالنسبة للفرد أم المجتمع؛ ومن ثم تعتبر الكتابة الصحيحة عملية مهمة في تعليم اللغة؛ باعتبارها عنصراً أساسياً من عناصر الثقافة، وضرورة اجتماعية لنقل الأفكار، والتعبير عنها؛ للوقوف على أفكار الآخرين والإمام بها” (32). ” وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالاعتناء بالكتابة وتعلمها فقال ” قيدوا العلم بالكتابة” (33)، وجعل فداء كل أسير من أسرى بدر ممن لا يتمكنون من دفع الفدية أن يعلم كل منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة .

” وحتى يتمكن الطالب من الكتابة الصحيحة عليه أن يتقن مهارات الإملاء، ولا بد أن يكون قادراً على رسم الحروف رسماً صحيحاً؛ وإلا اضطربت الرموز، واستحالت قراءتها، وأن يكون قادراً على كتابة الكلمات بالطريقة التي اتفق عليها علماء اللغة؛ وإلا تعذرت ترجمتها إلى مدلولاتها“ (34) .

تعريف الإملاء: في اللغة العربية أملاه فكتب، ويقابله في الإنجليزية Dictation، بمعنى يملئ كلاماً على شخص، أو هوكل ما يملئ فيكتب” (35) .
وفي الاصطلاح ” ليس الرسم الإملائي إلا تصويراً خطياً لأصوات الكلمات المنطوقة،

(32) رشدي أحمد طعيمة ومحمد السيد مناع (2002): تدريس العربية في التعليم العام ” نظريات وتجارب ” دار الفكر العربي، القاهرة، ط 2، ص 3 - 4

(33) المناوي (1994): فيض القدير شرح الجامع الصغير ” دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط 1، ج 1، ص 628 .

(34) فتحي علي يونس ومحمود كامل الناقية وعلي أحمد مذكور (1981): مرجع سابق، ص 256-255

(35) Munir Ba alabaki :A Modern English – Arabic Dictionary AL Mawrid , Bayrot , Dar El –Alam El Araby, 1991p. 267

يتيح للقارئ أن يعيد نطقها طبقاً لصورتها التي نطقت بها” (36)، ” عرف ابن خلدون علم الإملاء وحدد مرتبته بقوله ” هورسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهوثنائي رتبة عن الدلالة اللغوية، وهو صناعة شريفة؛ إذ الكتابة من خواص الإنسان التي تميزه عن غيره” (37).

أما الأخطاء الإملائية فهي أخطاء لغوية خاطئة صدرت بالفعل من التلميذ وتكون منتظمة على خلاف الأغلط وزلات اللسان فهي غير منتظمة، ويمكن تعرفها عن طريق جمع عينات من كتابات التلاميذ التحريرية في موضوعات التعبير الكتابي، وأجابات التلاميذ التحريرية في مواد أخرى مثل العلوم والدراسات الاجتماعية، ومذكرات التلاميذ، ومشاركاتهم في الأنشطة المختلفة .
ويقصد بالأخطاء الإملائية في هذا البحث ” الصيغ الخاطئة في الكتابة، والتي تصدر عن التلميذ بصورة منتظمة؛ نتيجة مخالفته لقواعد اللغة والكتابة المتفق عليها ”

” تنقسم مشكلة تدريس الإملاء إلى جانبين:

أولهما : مشكلة عامة تتعلق بصعوبة الكتابة العربية، مثل: صعوبة الحرف العربي من حيث رسمه، وضبطه وصوته .
ثانيهما: مشكلة خاصة تتعلق بصعوبات القواعد الإملائية، وكثرة الاستثناءات فيها: كالصعوبات في كتابة الألف اللينة، وكتابة الهمزة، والتاء المفتوحة والتاء المربوطة وغيرها، ومنها الصعوبات التي تتعلق بالمباحث النحوية والصرفية (38)*.

وسوف يتعرض الباحث في دراسته للنوع الثاني؛ وذلك لارتباطه بموضوع البحث ومشكلته.

أسباب الأخطاء الإملائية: هناك عدد من الأسباب يتعلق بطبيعة اللغة العربية، ومنها:

1 - الفرق بين رسم الحرف وصوته:

حتى تكون الكتابة سهلة، وحتى يستطيع التلميذ أن يؤديها دون أخطاء، كان من الضروري أن يتطابق صوت الحرف مع كتابته، فما ينطق يكتب، وما لا ينطق لا يكتب، ولكننا نجد في الكتابة العربية حروفا تنطق ولا تكتب، وحروفا أخرى تكتب ولا تنطق، فالألف تنطق ولا تكتب في بعض الكلمات مثل: (هذا - هؤلاء - يأيها - لكن)، وتكتب الألف ولا تنطق في كلمات أخرى مثل (كتبوا - لم

(36) عبد العليم إبراهيم: مرجع سابق، ص 3 .

(37) عمر فاروق الطباع: الوسيط في قواعد الإملاء والإنشاء، المرجع السابق، ص 5-6 .

(38) * انظر كلا من:

أبي عبد الله إبراهيم بن حمد بن نفطويه: المقصور والمدود، تحقيق (حسن شاذلي مذهبود)

- WWW.ALDAHREVAH.NET

- أحمد مختار عمر وآخرون (1994): النحو الأساسي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط 4، ص 565، 577 .

- سعيد الأفغاني: الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، د / ت، ص 267، 275 .

يكتبوا - مائة)، والألف اللينة تكتب " ياء " تارة، وتكتب " ألفا " تارة أخرى، مما يشكل عثرة كبيرة وصعوبة للتلميذ عند الكتابة .
والواقع أن اختلاف نطق الحرف عن كتابته ليس مشكلة اللغة العربية وحدها، بل هو مشكلة كثير من اللغات، فالإنجليزية مثلا تهمل الحرف " W " في " Who - Write " .

2 - تعقد القواعد الإملائية:

تنشعب قواعد الإملاء وتتعدد بشكل كبير، فالهمزة مثلا لها قواعد متعددة، فهي إما همزة وصل في أول الكلمة، وإما همزة قطع، وتكتب متطرفة إما منفردة على السطر، وإما على (الألف - الواو - الياء)، وتكتب متوسطة كذلك، وقد تكون ساكنة أو متحركة، والساكن إما صحيح أو معتل، والمتحركة متحركة بعد ساكن أو بعد متحرك، ولكل حالة من هذه الحالات قاعدة، ولكل قاعدة مواضع تكتب فيها الهمزة، كما يكثر الاستثناء ويزاد في كل قاعدة، مما يسبب حيرة كبيرة للتلميذ، وصعوبة كبيرة عند الكتابة .

3 - ارتباط الإملاء بقواعد النحو والصرف: ترتبط قواعد الإملاء إلى حد كبير بقواعد النحو والصرف، لذلك وجب على المتعلم، حتى يكتب كتابة صحيحة خالية من الأخطاء، أن يتقن أولا دراسة وفهم القواعد النحوية والصرفية، مما شكل مشكلة كبيرة أمام المتعلم؛ لما عرف عن قواعد النحو والصرف من الصعوبة . .

أسباب تعود إلى طبيعة اللغة وخصائصها، وتمثل هذه العوامل في :

- اختلاف صورة الحرف باختلاف موضعه من الكلمة .
- قواعد الإملاء المتعلقة بالزيادة والحذف والوصل والفصل .
- ارتباط قواعد الإملاء بالنحو والصرف كما في حذف حرف العلة في حالات الجزم والبناء، ومعرفة أصل الألف في الأسماء الثلاثية والأفعال الثلاثية، ومعرفة أصل الاشتقاق .
- الإعراب واستخدام الصوائت القصار .
- الشكل، واختلاف هجاء المصحف الشريف عن الهجاء العادي .
- 2 - أسباب ترجع إلى الإدارة المدرسية ونظام التعليم، وتتمثل في:
 - أثبت الباحثون أن ارتفاع كثافة الفصول، وتحميل المعلم أعباء كثيرة، كان له أكبر الأثر على انتشار الأخطاء الإملائية بين الطلاب .
 - عدم وجود كتاب مدرسي يحدد المهارات الإملائية لكل صف دراسي، ويشتمل على بيان القاعدة ومواضع كتابتها، والتمرينات اللازمة لفهمها والتدرب عليها .
 - قلة حصص الإملاء مما لا يتيح مزيدا من التدريب والتطبيق، وكذلك التصحيح الفوري للأخطاء التلاميذ .
 - الأعباء الملقاة على كاهل معلم اللغة العربية، والتي تتمثل في تدريسه لعدة فروع، وهي: فروع اللغة العربية من (قواعد نحوية وصرفية ونصوص وقراءة)، بالإضافة إلى تدريسه لمنهج التربية الدينية وحصص المكتبة والخط العربي، أضف

إلى ذلك اعباء التصحيح في الكتابة والإملاء والتطبيق والتعبير والواجبات المدرسية .
 - عدم وجود حوافز تشجيعية للمعلمين الأكفاء .
 - قلة الدورات التدريبية لمعلمي اللغة العربية؛ لتدريبهم على الأساليب الحديثة في تدريس الإملاء وتصحيحه .

وقد يكون الخطأ ناتجا عن عجز الطالب عن الاستخدام اللغوي الصحيح في مرحلة من مراحل تعلمه، وهو ما أشار إليه " ريتشاردز " بالأخطاء التطويرية وأخطاء داخل اللغة ذاتها Developmental فالخطأ هنا قد يعزى إلى الجهل بقواعد اللغة، وقد أوضح " ريتشاردز " أن هذه الأخطاء تمثل قدرة نوية نهائية لدى بعض الدارسين، بينما تمثل بالنسبة لغيرهم مؤشرات لمقدرة انتقالية وقد قسم " ريتشاردز " الأخطاء التطويرية، والتي تدل على محاولة الدارس بناء افتراضات حول اللغة التي يتعلمها من خلال تجربته المحدودة إلى:

1 . المبالغة في التعميم :

وفيها يقوم الطالب بالإتيان ببنية خاطئة على أساس تجربته مع بنية أخرى، وتأتي نتيجة محاولة الطالب استخدام أساليب واستراتيجيات سبق تعلمها ومحاولة تطبيقها في مواقف جديدة مشابهة، كأن يعرب التلميذ جمع المؤنث السالم المنصوب على أنه منصوب بالفتحة، وعلى ذلك فقد عمم الطالب القاعدة في إعرابه لجمع المؤنث السالم دون النظر إلى استثناءات القاعدة

2 . الجهل بقيود القاعدة :

والجهل بقيود القاعدة يرتبط بالمبالغة في التعميم، فلكل قاعدة شواذ، ولكل قاعدة قيود خاصة، فالطالب قد يقوم بتطبيق القواعد في سياقات لا تنطبق عليها، وقد يكون السبب في ذلك راجعا للقياس، أو إلى حفظ الطالب للقواعد عن ظهر قلب دون فهمها، ويكثر القياس الخاطئ في استعمال حروف الجر، فالتلميذ قد يعرب الفعل المضارع المسبوق بحرف نصب فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة مطلقا، بينما الفعل المضارع المعتل الآخر بالألف ينصب بفتحة مقدرة، وهو يكتب الكلمات المنونة المنصوبة على الصورة (بابا - كتابا - منزلا)، ويجهل أن الكلمات المنتهية بالهمزة لا تكتب بنفس الصورة فيكتب (سماء - صحراء - صفاء) بدلا من (سماء - صحراء - صفاء) .

3 . التطبيق الناقص للقواعد :

ويلاحظ تحت هذه الفئة حدوث تراكم يمثل التحريف فيها درجة تطور القواعد المطلوبة لأداء جمل مقبولة، فالطلاب قد يخطئون في استعمال أسماء الاستفهام المناسبة في الجمل، وقد يستعملون أحد الأسماء الموصولة ويضعونه محل غيرة، فقد يستخدم الاسم الموصول (الذي) بدلا من (الذين) كأن يقول التلميذ: الذي كتب الواجب تلاميذ الفصل، أو يستعمل أسماء الإشارة بصورة خاطئة، فيقول أولئك التلميذان نشيطان، بدلا من ذالكما التلميذان، وكثيرا ما يخطئ التلاميذ في استعمال أسماء الإشارة، ويخطئون في استعمال أسماء الإشارة

التي للقريب محل الأسماء التي تشير إلى البعيد والعكس، فيستخدمون هذا بدلا من ذلك، وهذه بدلا من تلك .

4 . الافتراضات الخاطئة :

قد يبني الطالب افتراضات غير صحيحة حول القاعدة اللغوية، فهو يفترض أن أي كلمة تنتهي بواوونون هي جمع مذكر سالم في حالة رفع، أو يعتبر أن كل كلمة تنتهي (بألف وتاء) تكون جمع مؤنث سالم، أو أي كلمة تنتهي (بياء ونون) مثل ميادين و ثعابين وطواحين هي جمع مذكر سالم، وقد يخطئ بسبب ذلك فيعرب الأفعال الخمسة التي لم يسبقها ناصب ولا جازم على أنها جمع مذكر سالم مثل (يذهبون - يفهمون - يعملون)

أساليب تعرف الأخطاء الإملائية وتحديدها:

” إن دراسة الأخطاء وتحليلها ليست ترفا ذهنيا، يمارسه الباحثون في أوقات فراغهم، وإنما هو عمل جاد مفيد، يشكل جزءا أساسيا من علم اللغة التطبيقي، فمن فوائد دراسة الأخطاء عند الطلاب:

1 - الكشف عن استراتيجيات التعلم عند الطلاب .

2 - المساعدة في إعداد المواد الدراسية على أسس علمية سليمة .

- الوصول إلى الأساليب السليمة في تقويم الإنتاج اللغوي للدارسين”⁽³⁹⁾.

ويمكن تعرف هذه الأخطاء وتحديدها بعدة طرق، ومنها :

1 - مذكرات الطلاب وكتابتهم: ويقصد بذلك الاطلاع على كتابات الطالب المختلفة، سواء كان ذلك في دفاتر الواجبات، أو في مذكراتهم الشخصية، أو إجابات الطالب التحريرية في مواد دراسية مختلفة، أو دفاتر مادة التعبير التحريري؛ وذلك بهدف تعرف مواضع الصعوبة التي يعاني منها الطالب، وتعرف مدى تكرار الخطأ الذي يقع فيه الطالب وقياسه، وقام الباحثون بجمع بعض كتابات الطلاب التحريرية من خلال سحب نسخ كصورة من دفاتر الواجبات، والتي تظهر الأخطاء التي يقعون فيها . وقام الباحثون بتصحيح كتابات الطلاب، وقد تم من خلالها تحديد الأخطاء الأكثر شيوعا بين الطلاب، وقام الباحثون بجمعها في قائمة؛ لعرضها على المحكمين؛ للتوصل إلى قائمة الأخطاء الإملائية التي يعاني منها طلاب كلية التربية فرع القبة في بعض التخصصات العلمية والأدبية .

2 - الاختبارات اللغوية: ” تعتبر الاختبارات من أهم وسائل التقويم في الماضي وفي الحاضر، فقد كانت ومازالت أكثر الوسائل انتشارا حتى الآن، وقد حدث تطورا كبيرا وملحوظا في مجال الاختبارات؛ إذ ظهرت أنواع جديدة لم تكن موجودة من قبل، كما هو الحال في الاختبارات الموضوعية بكافة أنواعها، والتي أصبحت شائعة الاستعمال في جميع المراحل التعليمية”⁽⁴⁰⁾ .

والاختبار أفضل وسيلة للكشف عن الأخطاء الفعلية التي يقع فيها

(39) عمر الصديق عبد الله (2000): تحليل الأخطاء اللغوية التحريرية لدى طلاب معهد الخرطوم الدولي للغة العربية الناطقين باللغات الأخرى، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ص 8 .

(40) حلمي أحمد الوكيل ومحمد أمين المفتي (1999): المناهج (المفهوم، العناصر، الأسس، التنظيمات، التطوير)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 194 .

الطلاب، وذلك عن طريق إعداد اختبارات تشتمل على ظواهر لغوية معينة تقصد على وجه التحديد للكشف عنها بذاتها، وبرغم أهمية هذا الأسلوب في تعرف الأخطاء التي يقع فيها الطلاب والكشف عنها، إلا أنه لم يسلم من أوجه النقد. 3 - أوراق امتحانات المواد الدراسية: ويقصد به الاطلاع على إجابات الطلاب في أوراق الامتحانات في مادة اللغة العربية والمواد الأخرى، وذلك بهدف تعرف الأخطاء والمشكلات الفعلية التي يقع فيها الطلاب والكشف عنها، وقد قام الباحثون بالاطلاع على أوراق امتحانات بعض الطلاب في المواد المختلفة وجمعها بهدف دراستها وتحليلها وتعرف ما بها من أخطاء، وقام الباحثون بتجميع عدد من الأوق الامتحانية لطلاب الأول والثاني الثانوي في مواد دراسية مختلفة بالاختبارات الجزئية للفصل الدراسي الثاني بالعام الدراسي (2020 / 2021)؛ وذلك للتأكد من نسبة ورود الأخطاء ودرجة شيوعها سواء في أجاباتهم عن اختبارات اللغة العربية، أم مواد دراسية أخرى، وقد أثبت تحليل إجابات الطلاب بعد تصحيحها ورود الأخطاء بشكل واضح .

المحور الثاني - الدافعية للتعلم :

” الدافعية من العناصر المهمة في أي عملية تعليم وتعلم، وأن الطلاب ذوي الدافعية للتعلم عادة ما يكون أداؤهم أفضل في الصفوف الدراسية ” (41).

” فعندما يكون الوضع في قاعة الدرس مثالياً، فإن الطاب يقبلون على الأنشطة المتنوعة برغبة وحب، ويبادرون إلى طرح أسئلة ذكية تسهم في تنمية معارفهم ومهاراتهم وتزيد من مستوى حصيلتهم وإدراكهم، كما يقومون بأداء ومتابعة جميع المهام المطلوبة منهم، وهم بذلك كله يظهرون رغبة شديدة في التعلم، كما إن تدني دافعية التعلم لدى الطاب تقلق المعلمن والأباء لأنها قد تؤدي بهم في نهاية المطاف إلى التعثر الدراسي الذي قد يدفع بهم الى مغادرة مقاعد الدراسة ” (42).

ماهية الدافعية :

” ويشير مفهوم الدافعية إلى مجموعة الظروف الداخلية والخارجية التي تحرك الفرد من أجل إعادة التوازن الذي إختل، وبهذا يشير الدافع إلى نزعة الوصول إلى هدف معين، وهذا الهدف قد يكون لإرضاء حاجات داخلية أورغبات داخلية، أما الحاجة (Need) فهي تنشأ لدى الفرد لتحقيق الشروط البيولوجية أوالسيكولوجية اللازمة والمؤدية لحفظ بقاء افرد، أما الهدف (Goal)، فهوما يرغب الفرد في الحصول عليه، ويؤدي في الوقت نفسه إلى اشباع الدافع ” (43)

يعرف كمال زيتون الدافع (2005) بأنه ” مثير داخلي يحرك سلوك الفرد

(41) secondary in learning science toward motivation ‘Students .(2016) .A ,Shibli Al & .,Y .M ,Mai ,M ,Salih & Teachers of Practice & Policy ,Research of Journal .study comparative A :Malaysia and Oman in schools Education Teacher (JRPPTTE) ,6(1) ,16-24.

(42) أسامة حسن جابر عبد الرزاق (2020): علاقة التعثر الدراسي بالدافعية للتعلم وإدارة الوقت والكفاءة الذاتية لدى عينة من الطلاب المتعثرين دراسيا بجامعة نجران دراسة تنبؤية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل، ع 6، يوليو، ص ص 49 -71، ص 55

(43) كمال مصطفى عثمان، شيد محمد صبحي، وإيمان فوزي شاهين (2014): مقياس دافعية الانجاز، مجلة القراءة والمعرفة، العدد (151)، ص ص 74-49 .

ويوجهه للوصول إلى هدف معين، أي يحرك سلوك الفرد نحو شيء ما أوبعيدا عنه لإشباع حاجة أوتجنب أذى” (44)

وأیضا ” هي الرغبة لدى الفرد في بذل أقصى جهود ممكنة لتحقيق الاهداف التنظيمية، من أجل زيادة قدرته على تلبية احتياجاته” (45).

” وتعرف الدافعية للتعلم بأنها ” مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي تدفع المتعلم للاندماج بدرجة عالية من النشاط والرغبة في الاستمتاع بالمهام والخبرات التعليمية الجديدة ” (46). و” هي حالة داخلية عند المتعلم تدفعه إلى الانتباه إلى الموقف التعليمي، والإقبال عليه بنشاط موجه والاستمرار فيه حتى يتحقق الهدف” (47).

أهمية الدافعية للتعلم:

أوردت الشيماء سيد (2021) (48) أن ” الدوافع في التعلم تقوم بأربع وظائف أساسية هي:

أ- الوظيفة الاستثنائية: حيث تؤدي الإثارة المتوسطة إلى القضاء على الملل والرتابة ويتم ذلك بإثارة دوافع التعلم المتعددة عند المتعلم أوبوضع المثيرات المناسبة وتنظيمها في الصف.

ب- الوظيفة التوقعية: وهي تتعلق بمستوى الطموح لدى الطالب وخبرته السابقة في النجاح أو الفشل وتوجيهها إلى درجات النجاح في الصف

ج- الوظيفة الباعثية: مثل الحصول على شيء مرغوب فيه بعد عملية التعلم أوالتخلص من وضع سيء وقع فيه المتعلم حيث تعمل على تقوية السلوك الذي يحدث قبلها مباشرة .

د- الوظيفة العقابية: حيث يمكن للعقاب أن يقوي السلوك ويعمل على توجيهه ويعتمد ذلك على شدة العقاب وارتباطه بالسلوك مباشرة وإيجاد السلوك البديل .”

” كما تؤثر الدافعية على اختيارات الطلاب للتعلم، وعلى الوقت والجهد الذي يكرسونه له، كما تؤثر في إصرارهم على التعلم، وفي مواجهتهم للعقبات التي يواجهونها في عملية التعلم” (49)

النظريات المفسرة للدافعية عن التعلم:

(44) كمال عبد الحميد زيتون (2005): التدريس نماذجه ومهاراته، ط 2، القاهرة، عالم الكتب. ص. 445

(45) محمد القريوتي (2000): السلوك التنظيمي: دراسة للسلوك الانساني الفردي والجماعي في المنظمات المختلفة، الاردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص 35 .

(46) Spinath, B & .Spinath, F .M. (2005). Longitudinal analysis of the link between learning motivation and competence beliefs among elementary school children, Learning and instruction 87-102, (2)15 ,

(47) منال بنت عبد العزيز السالم (2021): مرجع سابق، ص ص 35-46، ص 36

(48) الشيماء سيد عليان (2021): مرجع سابق، ص ص 175- 209، ص 190 .

(49) Ramli, R. (2014). The effect of learning motivation on student's productive competencies in vocational high school, West Sumatra. International, Journal of Asian Social Science 722-732, (6)4 ,

أوردت سحر السيد (2019) (50) أن "النظريات المفسرة للدافعية للتعلم تتمثل في الآتي:

1 - النظرية السموكية: يتم ذلك من خلال دافعية خارجية كالمكافآت والحوافز وداخلية وهذا تنبعث من داخل الفرد فإذا تم تعزيزه وبشكل متكرر لأدائه المتميز هذا سيعزز سلوكه الإيجابي ويدفعه بصورة أكبر للتعلم ويرجع هذا الاتجاه إلى مؤسسة العالم سكرن الذي يرى أن هذا السلوك ينشأ من مؤثرات خارجية وداخلية.

2 - النظرية المعرفية: المعرفيون طوروا نظريتهم في الدافعية كرد فعل على الاتجاه السلوكي إذ يعتقدون أن السلوك محدد بواسطة التفكير والعمليات العقلية وليس بواسطة التعزيز والعقاب كما يراه السلوكيون، فالفرد لديهم مخلوقاً معرفياً لديه دوافع معرفية ويتحدد سلوكه على أساس تحديده لكل من الهدف وامكانيات الوصول إليه والذي من خلاله يحدث النمو المعرفي لمفرد.

3 - النظرية الاجتماعية: تعد نظرية (التعلم الاجتماعي) في الدافعية من بين النظريات المعرفية والنظريات السلوكية، وتتم بالاتجاهين، أي انه يمكن النظر للدافعية كنتاج لتفاعل بين قوتين رئيسيتين أي توقعات الفرد لبلوغ هدف ما، وقيمة هذا الهدف لديه وهذا يعني انه إذا كانت إحدى هاتين القوتين صفراً فإنه لا دافعية لدى الفرد للعمل على تحقيق الهدف.

أبعاد دافعية التعلم:

"تعتبر الدافعية للتعلم حصيلة لعدة عوامل متداخلة ومتفاعلة تتوقف عليها قوة الدافعية للتعلم من أهمها (51):

1- العوامل الاجتماعية: تعتبر الدافعية للتعلم من الدوافع المكتسبة، فالجوالأسري السائد يلعب دوراً هاماً في نمو هذا الدافع أو انخفاضه، ولقد توصلت الأبحاث الحديثة إلى إظهار أهمية التنشئة الاجتماعية والمعاملة الوالدية للرفع من دافعية التعلم لدى الطالب.

2- والعوامل الشخصية: من أهم هذه العوامل مفهوم الذات وهو الصورة التي يعرفها الشخص عن نفسه من نظرتة لنفسه ومن خلال تعامله مع الآخرين ومن نظرة الناس اليه بحيث تؤثر بشكل كبير على الجهود الذي يبذله للتعليم".

وأوردت ميسون جمال (2019) (52) أن "أبعاد الدافعية لها العديد من التصنيفات أبرزها: (الدوافع الشعورية واللاشعورية، الدافعية الداخلية والدافعية الخارجية، الدوافع الفردية والدوافع الجماعية، دوافع خيالية ودوافع واقعية، دوافع أولية

(50) سحر محمد السيد (2019): أثر استخدام تقنية الكتاب المعزز على الإنجاز الأكاديمي والدافعية للتعلم في مقرر المتاحف والمعارض لدى طلاب تكنولوجيا التعليم، مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية، جامعة المنيا، ع 23، يوليو، ص ص 1 - 42، ص 18

(51) صدام حنا رزق الله جاد الله (2020): مرجع سابق، ص ص 53 - 70، ص 60

(52) ميسون جمال (2019): مرجع سابق، ص 910

ودوافع ثانوية)، وقد يرجع تدني الدافعية لدى المتعلمين إلى أسباب عديدة من أهمها ما يلي:

- 1 - عدم وجود وتوفير الاستعداد للتعلم والاستعداد العام والخاص من قبل المتعلم، فالاستعداد عامل مهم من عوامل استمرار التعلم وزيادته.
- 2 - الممارسة السلبية للمتعلمين والروتين اليومي للمعلم وعدم إتاحة الفرصة للمتعلمين بالبحث والاكتشاف والتغيير.
- 3 - عدم قدرة المتعلمين على تحديد الأهداف والغايات والانطلاق من حاجاتهم واستعداداتهم للتعلم.
- 4 - قلة استخدام الوسائل التعليمية التي تثير حيوية الطلبة والسيطرة المزاجية لبعض المعلمين مع المتعلمين وعدم إتاحة الفرصة لهم لإبداء الآراء ووجهات النظر.

5 - إهمال أساليب التعزيز والثواب التي تثير حماسة الطلبة وتشجعهم على التعلم.

6 - إهمال استخدام الأسئلة المثيرة للتفكير .

الآثار السلبية الناتجة عن انخفاض الدافعية للتعلم:

” إذا انخفضت دافعية الطالب للتعلم تظهر بعض السلوكيات والآثار داخل الصف أواخره، وتؤثر سلباً على سير العملية التعليمية منها⁽⁵³⁾، ومنها :

- 1 - رفض تعليمات أو أوامر المعلم
- 2 - التذمر من الدراسة والاختبارات.
- 3 - تشتت الانتباه وضعف المشاركة الصفية.
- 4 - إهمال الواجبات الدراسية.
- 5 - التأخر الصباحي عن المدرسة أو التأخر عن حضور الطابور الصباحي
- 6 - الإخفاق في الاختبارات المدرسية
- 7 - إثارة الفوضى والعبث بالمرافق المدرسية وعدم المحافظة عليها أو الكتابة على جدران المدرسة ”.

المحور الثالث - منهجية الدراسة:

أولاً - مصادر المعلومات: تم جمع البيانات والمعلومات عن طريق نوعين من المصادر، وهما :

البيانات الثانوية : وهي البيانات التي تم الحصول عليها لبناء الإطار النظري للدراسة، حيث تم الاعتماد في التعرف على الخلفية النظرية للدراسة على المراجع المتنوعة من الكتب والمقالات ورسائل الماجستير والدكتوراه والعربية والأجنبية الأكاديمية، والأبحاث العلمية المحكمة، والدراسات والبحوث ذات العلاقة، والتي تناولت موضوعات الأخطاء الإملائية الشائعة، والدافعية للتعلم .

البيانات الأولية: هي البيانات التي تم جمعها ميدانياً من خلال اختبار المهارات الإملائية ومقياس الدافعية للتعلم في الدراسة الميدانية لاختبار مدى

(53) منال بنت عبد العزيز السالم (2021): مرجع سابق، ص ص 35 - 46، ص 36

صحة أو خطأ الفروض التي تقوم عليها الدراسة، حيث استهدفت هذه الدراسة استكمال البيانات النظرية للدراسة للإلمام بكافة أبعاد متغيرات الدراسة، وذلك من خلال بناء قائمة بالأخطاء الإملائية الشائعة لدى الطلاب، وعمل اختبار للمهارات الإملائية، ومقياس للدافعية للتعلم طبق على طلاب الصف الأول والثاني الثانوي بمراقبة تعليم البيضاء بالمنطقة الشرقية بليبيا بشأن الحصول على هذه البيانات

منهج الدراسة: انطلاقاً من طبيعة موضوع الدراسة والمعلومات المراد الحصول عليها للكشف عن أثر المعرفة الضمنية Tacit Knowledge (كمتغير مستقل) على تدريس المفاهيم النحوية (كمتغير تابع)، ومن خلال الأسئلة التي تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها، فقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، والذي " يعتبر طريقة لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كميًا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة " (العساف، 2003).

أدوات الدراسة:

لتحديد الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب الصف الأول والثاني الثانوي، قام الباحثون بجمع عدد من كتابات الطلاب وموضوعات التعبير، واختباراتهم التحريرية في الاختبار الجزئي بالفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (2020 - 2021)، وتم عرض القائمة على عدد من المحكمين بكلية التربية فرع القبة، وعدد من موجهي اللغة العربية بإدارة البيضاء التعليمية، وتم التوصل إلى قائمة الأخطاء الإملائية بعد إجراء التعديلات والمقترحات التي أشار إليها المحكمون، واشتملت القائمة في صورتها النهائية على (4) مهارات تتعلق بقواعد الإملاء، و(6) مهارات تتعلق بالمباحث النحوية والصرفية.

ولتعرف العلاقة بين الأخطاء الإملائية الشائعة لدى الطلاب ودافعتهم للتعلم، قام الباحثون ببناء اختبار للمهارات الإملائية اشتمل على (30) عبارة، وذلك بعد عرضهما على عدد من المحكمين، بهدف تعرف آرائهم حول: مفردات الاختبار، وطريقة صياغته، وتعليماته، ودرجة تناسبه مع المهارة التي وضع لقياسها، خاصة أن الباحث كان يُرْفَقُ مع الاختبار صورة من قائمة مهارات فهم المسموع ويعطيها للمُحَكِّم؛ حتى يتسم التحكيم بالدقة والموضوعية، وتم إجراء التعديلات على الاختبار في ضوء آراء ومقترحات السادة المحكمين، وقد لجأ الباحثون إلى طريقة إعادة الاختبار؛ حيث إنها أنسب الطرق في الموقف الحالي، حيث قام الباحثون بإعادة تطبيق الاختبار على أفراد المجموعة الاستطلاعية، وذلك بعد فاصل زمني قدره اسبوعان، ولكي يضمن الباحثون الوصول إلى قدر أكبر من الثبات، والموضوعية في التحقق من ثبات الاختبار؛ فقد قاموا بإعادة تصحيح أوراق المجموعة الاستطلاعية مرة أخرى، وذلك بعد فاصل زمني وقدره

أسبوعان، وتم تطبيق معادلة معامل ارتباط "بيرسون" (54)، وقد بلغ معامل الارتباط بين التحليلين (0.86)، وهو معامل ثبات مرتفع، وهذا النوع يعرف بثبات ما بين تحليلي الباحث، ثم قاموا بعرض أوراق التجربة الاستطلاعية أحد موجهي اللغة العربية، وبعد أن قام السيد الموجه بتصحيح هذه الأوراق، قام الباحثون باستخراج معامل الارتباط بين التحليلين، مستخدماً نفس الطريقة السابقة، كما استخدم نفس المعادلة، وبلغ معادل الارتباط بين التحليلين (0.78)، وهو معامل ثبات مرتفع، ويسمى هذا النوع من الثبات بثبات ما بين المحكمين .

كما قام الباحثون بإعداد مقياس لدافعية التعلم لدى الطلاب، اشتمل على (14) عبارة في صورتها النهائية، وذلك بعد عرضهما على عدد من المحكمين، وإجراء التعديلات عليهما في ضوء آراء ومقترحات السادة المحكمين، وللتأكد من صدق المقياس وثباته قام الباحثون بتطبيق مقياس الدافعية للتعلم على عينة استطلاعية لتعرف (الصدق والثبات) وتكونت العينة من (20) مفردة طلاب الصف الأول والثاني الثانوي بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا، وقد قام الباحثون بمعالجة البيانات الواردة إليه من تطبيق أداة الدراسة على العينة الاستطلاعية وفق برامج التحليل الإحصائي الإلكتروني (spss)، كما يلي: صدق الاتساق الداخلي: قام الباحثون بحساب الاتساق الداخلي لعبارات مقياس الدافعية للتعلم كما يلي:

صدق الاتساق الداخلي لعبارات مقياس الدافعية للتعلم:

جدول (1)

الاتساق الداخلي لعبارات مقياس الدافعية للتعلم

| مقياس الدافعية للتعلم | | | | | |
|-----------------------|---------|----------|---------|----------|---------|
| معامل | رقم | معامل | رقم | معامل | رقم |
| الارتباط | العبارة | الارتباط | العبارة | الارتباط | العبارة |
| 0.69 | 11 | 0.79 | 6 | 0.81 | 1 |
| 0.81 | 12 | 0.82 | 7 | 0.83 | 2 |
| 0.70 | 13 | 0.84 | 8 | 0.90 | 3 |
| 0.67 | 14 | 0.78 | 9 | 0.84 | 4 |
| | | | 10 | | 5 |

من الجدول (1) يتضح أن معاملات الارتباط للعبارات كانت مناسبة، وقد تدرجت معاملات الارتباط بين (0.67 - 0.90)، وهي معاملات ارتباط مرتفعة ومناسبة، تشير إلى أن العبارات تقيس ما وضعت لقياسه .
حساب معامل الثبات لمقياس الدافعية للتعلم: قام الباحثون للتأكد من ثبات

(54) فؤاد أبو حطب وآمال صادق (1996): علم النفس التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 255

مقياس الدافعية للتعلم باستخدام معامل الفاكرونباخ كالتالي:

جدول (2) معامل الفاكرونباخ

| معامل الفاكرونباخ | معايير المقياس |
|-------------------|-----------------------|
| 0.891 | مقياس الدافعية للتعلم |

قام الباحثون بحساب معامل الفاكرونباخ للتعرف على ثبات مقياس الدافعية للتعلم وأشارت النتائج إلى أن القيم كانت مناسبة، حيث بلغ معامل الثبات (0.891)، وهي قيمة تشير إلى إمكانية الاعتماد على نتائج تطبيق المقياس على عينة الدراسة.

نتائج الدراسة: تناول الباحثون علاقة الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب الصف الأول والثاني الثانوي بدافعتهم للتعلم، وقد هدفت الدراسة إلى تعرف مستوى الطلاب في المهارات الإملائية، وتعرف مستوى الدافعية للتعلم لديهم، كما هدفت الدراسة الوقوف على نوع العلاقة الارتباطية بين درجة شيوع الأخطاء الإملائية ومستوى الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا.

• مناقشة التساؤل الأول، ونصه: ما الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب طلاب المرحلة الثانوية بإدارة البيضاء التعليمية بليبيا؟
 • قام الباحثون بإعداد الصورة الأولية لقائمة الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا.
 تم إعداد هذه القائمة من خلال المصادر التالية:

– دراسة البحوث والدراسات السابقة العربية والأجنبية المتصلة بموضوع الدراسة الحالية.

– كتب قواعد الإملاء وما ورد فيها من تيسير لهذه القواعد.

– ما ذكرته كتب طرق تدريس اللغة العربية عن الأخطاء والصعوبات الإملائية التي يعاني منها طلاب المرحلة الثانوية.

– استطلاع آراء الخبراء والمتخصصين بمختلف مستوياتهم العلمية والوظيفية بداية بمدربي مادة اللغة العربية، ثم مديري المدارس، والموجهين وصولاً إلى أعضاء هيئة التدريس بالكليات الأكاديمية، ثم أعضاء هيئة التدريس بالكليات التربوية.

– الإطار النظري للبحث الحالي.

– نتائج تحليل عينة من كتابات الطلاب ومنها: كتاباتهم الحرة والإبداعية، وإجاباتهم في أوراقهم الامتحانية، مذكراتهم الشخصية، كراسات واجباتهم في مواد أخرى غير اللغة العربية، وذلك لضمان التنوع في تحديد الأخطاء، وإيجاد الفرص المتعددة لظهورها والكشف عنها.

• قام الباحثون بعرض القائمة على الخبراء والمتخصصين؛ وذلك بقصد تعرف

مدى موافقتهم على بنود القائمة، وإضافة ما يرونه من صعوبات يعاني منها طلاب المرحلة الثانوية .

• قام الباحثون بتعديل القائمة في ضوء آراء المحكمين واقتراحاتهم؛ للوصول إلى القائمة في صورتها النهائية للأخطاء الإملائية الشائعة لدى الطلاب وبلغ عددها (10) أخطاء مقسمة على مجالين، الأخطاء التي تتعلق بقواعد الإملاء، وشملت (4) أخطاء، والأخطاء التي تتعلق بالمباحث النحوية والصرفية، وشملت (6) أخطاء .

مناقشة التساؤل الثاني، ونصه : ما مستوى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء في مهارات الإملاء ؟

للتعرف الأخطاء الإملائية لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء، قام الباحثون بإعداد اختبار للمهارات الإملائية مكون من (30) سؤال لقياس الأخطاء الشائعة التي يقع فيها الطلاب، والتي تكونت من (10) أخطاء شائعة، حيث أشارت نتائج التحليل الإحصائي للبيانات الواردة من تطبيق الاختبار ما يلي:

جدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبار الأخطاء الإملائية لدى طلاب المرحلة الثانوية مرتبة تنازليا

| الرقم بالقائمة | الأخطاء الإملائية | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الترتيب | مستوى الطلاب |
|--|--|-----------------|-------------------|---------|--------------|
| الأخطاء التي تتعلق بالقواعد الإملائية | | | | | |
| 1 | الخطأ في كتابة الهمزة المتوسطة | 1.21 | 0.794 | 10 | ضعيفة |
| 2 | الخطأ في كتابة الهمزة المنطرفة | 1.26 | 0.786 | 9 | ضعيفة |
| 3 | الخلط بين التاء المربوطة والتاء | 1.31 | 0.773 | 8 | ضعيفة |
| 4 | الخطأ في كتابة الألف اللينة في الأسماء والأفعال | 1.39 | 0.743 | 7 | ضعيفة |
| الأخطاء الإملائية التي تتعلق بالقواعد النحوية والصرفية | | | | | |
| 5 | الخلط بين همزة القطع والفتحة | 1.40 | 0.739 | 6 | ضعيفة |
| 6 | الخطأ في كتابة جمع المذكر السالم بحالاته الإعرابية الصحيحة | 1.72 | 0.622 | 3 | متوسطة |
| 7 | الخطأ في كتابة المثنى بحالاته الإعرابية الصحيحة | 1.85 | 0.582 | 2 | متوسطة |
| 8 | الخطأ في ضبط الأفعال الخمسة رفعا ونصبا جزما | 1.58 | 0.704 | 4 | ضعيفة |
| 9 | الخطأ في جزم الفعل المضارع المعتل الآخر . | 1.48 | 0.713 | 5 | ضعيفة |
| 10 | الخطأ في كتابة الألف الفارقة | 1.89 | 0.568 | 1 | متوسطة |
| المتوسط العام | | 1.50 | 0.702 | ضعيفة | |

يتبين من جدول (4) السابق أن مستوى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا في اختبار الإملاء جاء بدرجة (ضعيفة)، حيث جاء المتوسط الحسابي العام للبعد (1.50) بانحراف معياري بلغت قيمته (0.702)، وهي قيم تدل على ضعف مستوى الطلاب في المهارات الإملائية التي يقيسها الاختبار، ويندرج مستوى توافر جميع عبارات الاختبار تحت مستوى التوافر (ضعيفة)، وتنوعت درجة الأخطاء في المهارات المختلفة بن (ضعيفة - متوسطة)، وتراوحت المتوسطات الحسابية للبعد بين (1.21-1.89) وتراوحت قيم الانحرافات المعيارية بهذا البعد بين (0.568 - 0.794) بما يدل على ضعف الطلاب وزيادة الأخطاء الإملائية في كتاباتهم، وبذلك يتحقق الفرض الأول للبحث الذي ينص على "توافر مهارات الإملاء لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بمستوى ضعيف".

مناقشة التساؤل الثالث، ونصه: ما مستوى الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بليبيا؟
لتعرف مستوى الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بإدارة البيضاء التعليمية، قام الباحثون بإعداد مقياس لدافعية التعلم مكون من (16) فقرة، حيث أشارت نتائج التحليل الإحصائي للبيانات الواردة من تطبيق المقياس ما يلي:

جدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستبانة ممارسات تدريس المفاهيم النحوية

| م | العبارات | المتوسط | الانحراف المعياري | مستوى التوافر | اختبار التوافق Chi-square | |
|---|---|---------|-------------------|---------------|---------------------------|-----------------|
| | | | | | 2كا | الدلالة P-value |
| 1 | أقبل على الدراسة الجامعية بشغف وحرص | 2.06 | 0.556 | متوسط | 124.541 | 0.00 |
| 2 | أرفض أي نصيحة يقدمها لي أساتذتي | 2.54 | 0.441 | كبير | 92.081 | 0.00 |
| 3 | أؤدي واجباتي الجامعية لإرضاء أساتذتي وأسرتي فقط | 2.11 | 0.465 | متوسط | 89.172 | 0.00 |
| 4 | تعتني الكلية بميولي وتسعى إلى تنميتها | 2.17 | 0.516 | متوسط | 55.624 | 0.00 |
| 5 | لدي أهداف محددة أسعى إلى تحقيقها | 2.29 | 0.527 | متوسط | 54.846 | 0.00 |
| 6 | عندما أشعر بالتعب قليلا أتوقف عن الدراسة ليوم آخر | 2.41 | 0.462 | كبير | 46.952 | 0.00 |
| 7 | أشعر بالتوتر عندما لا أستطيع فهم الدروس | 2.39 | 0.577 | كبير | 13.748 | 0.001 |

| | | | | | | |
|-------|-------|-------|-------|------|---|----|
| 0.37 | 6.075 | ضعيف | 0.784 | 1.64 | أدرس من تلقاء نفسي دون ضغط من أسرتي | 8 |
| 0.39 | 8.095 | متوسط | 0.693 | 1.83 | أستطيع تحدي جميع العوائق التي تقف في طريق تحقيق هدي | 9 |
| 0.017 | 8.587 | متوسط | 0.559 | 2.27 | أدرس خوفا من الفشل وليس لتحقيق النجاح | 10 |
| 0.020 | 4.791 | متوسط | 0.696 | 1.67 | وجود العوائق يزيد من رغبتني لتحقيق النجاح | 11 |
| 0.041 | 0.357 | ضعيف | 0.788 | 1.39 | أشعر بالضيق عندما يوجه لي النقد | 12 |
| 0.038 | 3.751 | ضعيف | 0.798 | 1.48 | أعجز عن أبدأ وجهة نظري | 13 |
| 0.023 | 7.429 | متوسط | 0.547 | 2.05 | أرغب في التعلم واكتساب المعرفة | 14 |
| 0.046 | 3.752 | ضعيف | 0.689 | 1.22 | اقتصر على المعلومات التي يقدمها لي أساتذتي بالكلية | 15 |
| 0.041 | 3.841 | ضعيف | 0.690 | 1.26 | أعترف بالخطأ دائما . | 16 |
| متوسط | | | 0.676 | 1.92 | المتوسط العام | |

دالة عند مستوى (0.05)

قام الباحثون بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعبارات مقياس الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بليبيا، وكان المتوسط الحسابي العام (1.92) والانحراف المعياري العام (0.676)، وكان المتوسط العام للمحور الكلي (متوسط)، وتم ترتيب العبارات وفق المتوسط الحسابي لكل فقرة من الفقرات، وتدرجت المتوسطات الحسابية بين (1.26 - 2.54)، وتدرجت الانحرافات المعيارية بين (0.441 - 0.798)، وتدرجت مستويات التوافق بين (كبير - متوسط - ضعيف)، وكانت جميع العبارات دالة عند مستوى دلالة (0.05). وهو ما يدل على تحقق الفرض الثاني للبحث الذي نص على "تتوافر الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بمستوى متوسط"

مناقشة التساؤل الثالث، وينص على "هل توجد علاقة ارتباطية بين مستوى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء بين الأخطاء الإملائية الشائعة لدى الطلاب ودافعتهم للتعلم؟ وللإجابة عن هذا السؤال فقد تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات الطلاب في اختبار المهارات الإملائية، ومقياس دافعتهم للتعلم، ويوضح الجدول التالي تلك النتائج

جدول (6)

مصفوفة معاملات الارتباط بين اختبار المهارات الإملائية ومستوى الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية

| الارتباط | الدافعية للتعلم | |
|---------------------------------------|-----------------|------------|
| أخطاء تتعلق بالقواعد الإملائية | معامل الارتباط | - 0.36. ** |
| أخطاء تتعلق بالمباحث النحوية والصرفية | معامل الارتباط | - 0.32. ** |
| الاحتراق الوظيفي | معامل الارتباط | - 0.34. ** |

** دال إحصائياً عند مستوى (0.01)

يتبين من الجدول السابق (6) أن العلاقة الارتباطية بين الأخطاء الإملائية لدى طلاب المرحلة الثانوية في محورها: (الأخطاء التي تتعلق بالقواعد الإملائية، والأخطاء التي تتعلق بالمباحث النحوية والصرفية) وبين الدافعية للتعلم لدى الطلاب هي علاقة عكسية متوسطة القيمة، بما يعني أن زيادة الدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية يؤدي إلى تقليل الأخطاء الإملائية التي يقعون بها، بينما ضعف الدافعية للتعلم لديهم تؤدي إلى زيادة الأخطاء الإملائية لديهم، وتشير مصفوفة معاملات الارتباط بين الأخطاء الإملائية والدافعية للتعلم لدى طلاب المرحلة الثانوية إلى وجود علاقة ارتباطية عكسية ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين الدافعية للتعلم وإجمالي الأخطاء الإملائية لدى طلاب المرحلة الثانوية، حيث كان قيمة معامل الارتباط بين الدافعية للتعلم وإجمالي الأخطاء الإملائية لدى طلاب المرحلة الثانوية (0.34). وهو ما يدل على تحقق الفرض الثالث للبحث الذي ينص على "توجد علاقة ارتباطية عكسية بين مستوى الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب المرحلة الثانوية بمراقبة تعليم البيضاء ودافعتهم للتعلم".

التوصيات: في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، فإنها توصي بما يلي:
 حصر أخطاء الطلاب في مختلف فروع اللغة بصفة مستمرة، وعمل قوائم للأخطاء اللغوية الشائعة لدى الطلاب في كل مرحلة تعليمية؛ حتى يسترشد بها المعلمون أثناء القيام بعملية التدريس.
 تدريب الطلاب على المهارات الإملائية التي تمكنهم من التغلب على الصعوبات الإملائية التي تواجههم.
 تأكيد النواحي العملية، وتوظيف القواعد النحوية في الارتقاء بمستوى الطلاب الكتابي

عقد دورات تدريبية للمعلمين؛ لتدريبهم على أحدث الطرق والأساليب التدريسية الحديثة في مجال تعليم الإملاء، وكيفية أعداد الاختبارات اللغوية وتصحيحها؛ للاستفادة من نتائجها في تعديل أداء الطلاب والتغلب على الصعوبات التي تواجههم.

الاهتمام بإعداد وتقديم البرامج الإرشادية والتوجيهية الخاصة بتحسين مستوى الدافعية للتعلم للطلبة منخفضي التحصيل الدراسي. التوسع في إعداد البرامج التي تهتم بتنمية الدافعية للتعلم لدى الطلاب عامة، وطلاب المرحلة الثانوية بصفة خاصة.

مراجع الدراسة

أولا - المراجع العربية:

1. أبي عبد الله إبراهيم بن حمد بن نفطويه: المقصور والممدود، تحقيق (حسن شاذلي مذهب)
2. أحمد جمعة أحمد إبراهيم (2013): برنامج قائم على نظام إدارة التعلم الإلكتروني (Blackboard) لعلاج الأخطاء اللغوية الشائعة في كتابة البحوث التربوية وتنمية مهارات التواصل الإلكتروني لدى طلاب الدراسات العليا بكلية التربية، المجلة التربوية الدولية المتخصصة، دار سمات للدراسات والأبحاث، مج 2، ع 6، يونيو.
3. أحمد سعيد محمود الأحوال (2015): أثر التكامل بين النحو والإملاء في علاج بعض الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب كلية التربية بجامعة الجوف بالملكة العربية السعودية في استخدامهم وسائل الاتصال الحديثة، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، مج 31، ع 3، إبريل، ص ص 1 - 16
4. أحمد سعيد محمود الأحوال (2015): أثر التكامل بين النحو والإملاء في علاج بعض الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب كلية التربية بجامعة الجوف بالملكة العربية السعودية في استخدامهم وسائل الاتصال الحديثة، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، مج 31، ع 3، إبريل، ص ص 1-16
5. أحمد مختار عمر وآخرون (1994): النحو الأساسي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط 4
6. أسامة حسن جابر عبد الرازق (2020): علاقة التعثر الدراسي بالدافعية للتعلم وإدارة الوقت والكفاءة الذاتية لدى عينة من الطلاب المتعثرين دراسيا بجامعة نجران دراسة تنبؤية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة حائل، ع 6، يوليو، ص ص 49 - 71 .
7. أنور محمد الشرقاوي (2012): التعلم نظريات وتطبيقات، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية .
8. إيمان فتحي جلال جاد (2021): تعرف فاعلية تدريس الأحياء باستخدام استراتيجية REACT في تنمية التحصيل ومهارات حل المسائل الوراثية والدافعية للتعلم لدى طالبات المرحلة الثانوية، المجلة التربوية، جامعة سوهاج، ج 84، إبريل .
9. أيمن عبد الحميد صادق محمود (2020): استراتيجية مقترحة قائمة على التدريس التفاعلي لعلاج الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي، مجلة البحث العلمي في التربية، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، ع 21، ج 8، أغسطس، ص ص 483-534
10. ثريا محجوب (2001): الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلميذات الصف الخامس الابتدائي، تشخيصها وعلاجها، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، العدد الثلاثون، المجلد الأول،
11. ثريا يونس دودين، فتحي عبد الرحمن جروان (2012): أثر تطبيق برامج التسريع والإثراء على الدافعية للتعلم والتحصيل وتقدير الذات لدى الطلبة الموهوبين في الأردن، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 26، (2)، ص ص 105-148 .
12. حاتم حسن البصيص (2007): فعالية برنامج مقترح في تنمية بعض مهارات القراءة والكتابة وتنمية الميول نحوها لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية في ضوء استراتيجيات الذكاءات المتعددة، معهد الدراسات التربوية جامعة القاهرة، رسالة، دكتوراه (غير منشورة) .

13. حسن شحاتة (1996): تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، ط 3
14. حسن شحاتة، وزينب النجار (2003): معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.
15. حطراف نور الدين، مكي أحمد (2019): الأخطاء الشائعة في الكتابة لذوي صعوبات التعلم مستوى السنة الثالثة ابتدائي من وجهة نظر معلمي المدارس الابتدائية، مجلة سلوك، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية دار العلوم، مج 6، ع 1،
16. حلمي أحمد الوكيل ومحمد أمين المفتي (1999): المناهج (المفهوم، العناصر، الأسس، التنظيمات، التطوير)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .
17. رشدي أحمد طعيمة ومحمد السيد مناع (2002): تدريس العربية في التعليم العام ” نظريات وتجارب ” دار الفكر العربي، القاهرة، ط 2 .
18. سحر محمد السيد (2019): أثر استخدام تقنية الكتاب المعزز على الإنجاز الأكاديمي والدافعية للتعلم في مقرر المتاحف والمعارض لدى طلاب تكنولوجيا التعليم، مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية، جامعة المنيا، ع 23، يوليو، ص ص 1-42 .
19. سعيد الأفغاني: الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، د / ت، ص ص 267، 275 .
20. الشيماء سيد عليان (2021): برنامج قائم على التعلم الإلكتروني التشاركي في تنمية بعض مهارات البحث عن المعلومات والدافعية للتعلم لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، مج 37، ع 1، يناير .
21. صدام حنا رزق الله جاد (2020): أثر استخدام وسائل تكنولوجيا التعليم والنوع في تنمية الدافعية للتعلم لدى طلبة الصف السابع الأساسي في محافظة عجلون بالملكة الأردنية الهاشمية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المركز القومي للبحوث غزة، مج 4، ع 23، يونيو.
22. عبد العليم إبراهيم (د / ت): الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة
23. عمر الصديق عبد الله (2000): تحليل الأخطاء اللغوية التحريرية لدى طلاب معهد الخرطوم الدولي للغة العربية للناطقين باللغات الأخرى، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية .
24. عمر فاروق الطباع: الوسيط في قواعد الإملاء والإنشاء، المرجع السابق، ص ص 5 - 6
25. عواطف حسن علي عبد المجيد (2015): فاعلية استراتيجية لعب الأدوار في علاج الأخطاء الإملائية الشائعة لدى تلميذات المرحلة الابتدائية، مجلة العلوم التربوية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مج 16، ع 2، ص ص 86 - 106 .
26. فاطمة بنت محمد الكاف (2021) الأخطاء الإملائية الشائعة في المكاتبات الرسمية لدى الموظفين الإداريين بكلية التربية جامعة السلطان قابوس، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، مج 13، ع 1، مارس، ص ص 197-232
27. فتحي علي يونس ومحمود كامل الناقة وعلي أحمد مذكور (1981): أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، دار الثقافة للطباعة والنشر، ص ص 255 - 256
28. فهد خليل زايد(2006). الأخطاء الشائعة النحوية والصرفية والإملائية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع .

29. فؤاد أبو حطب وأمال صادق (1996): علم النفس التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،
30. كلثوم قاجة (2019): أشكال الأخطاء الإملائية الشائعة في كتابة تلاميذ المرحلة الابتدائية الأسباب والعلاج، المجلة التعليمية، جامعة جيلالي ليا بس سيدي بلعباس، كلية الآداب واللغات والفنون، الجزائر، مج 6، ع 3 .
31. كمال عبد الحميد زيتون (2005): التدريس نماذجه ومهاراته، ط 2، القاهرة، عالم الكتب .
32. كمال مصطفى عثمان، شيد محمد صبحي، وإيمان فوزي شاهين (2014): مقياس دافعية الانجاز، مجلة القراءة والمعرفة، العدد (151)، ص ص 49 - 74 .
33. محمد القريوتي (2000): السلوك التنظيمي: دراسة للسلوك الانساني الفردي والجماعي في المنظمات المختلفة، الاردن: دار الشروق للنشر والتوزيع .
34. منال بنت عبد العزيز السالم (2021): ممارسات المعلمة المؤثرة في تطوير الدافعية للتعلم لدى طالبات المرحلة الثانوية من وجهة نظر معلمات العلوم المسلكية بخميس مشيط، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، مركز رفاذ للدراسات والأبحاث، مج 9، ع 1،
35. المناوي (1994): فيض القدير شرح الجامع الصغير“ دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط 1، ج 1
36. ميسون جميل جمال (2019): أثر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في دافعية التعلم واتخاذ القرار لدى طلبة الثانوية في مدينة عمان، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج 33، ع 6 .
37. نجلاء أبوالمجد سلامة (2006): الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلاب الصف الأول الإعدادي الأزهر، أسبابها، وعلاجها، كلية الدراسات الإنسانية، قسم التربية، جامعة الأزهر، رسالة ماجستير (غير منشورة) .
38. هبة الله حلمي عبد الفتاح سعيد (2019): فاعلية برنامج تدريبي قائم على التعلم المستند إلى التحفيز لتنمية الكفاءات المهنية لمعلمي التاريخ ومهارات التوجه نحو الهدف والدافعية للتعلم لدى طلابهم بالمرحلة الثانوية، المجلة التربوية، جامعة سوهاج، ج 82، فبراير .

ثانيا - المراجع الأجنبية:

- Ramli, R. (2014). The effect of learning motivation on student's productive competencies in vocational high school, West Sumatra. International, Journal of Asian Social Science, 4(6), 722-732
- Spinath, B., & Spinath, F. M. (2005). Longitudinal analysis of the link between learning motivation and competence beliefs among elementary school children, Learning and instruction, 15(2), 87-102
- Salih, M., Mai, M. Y., & Al Shibli, A. (2016). Students' motivation toward science learning in secondary schools in Oman and Malaysia: A comparative study. Journal of Research, Policy & Practice of Teachers & Teacher Education (JRPPTTE), 6 (1), 16-24.
- Munir Ba alabaki: A Modern English – Arabic Dictionary AL Mawrid , Bayrot , Dar El-Alam El Araby , 1991 , p 267

المحاكاة والتخييل ودورهما في بناء الصورة الشعرية عند الفلاسفة المسلمين

إعداد :

د. سهام أحمد الأريبع

محاضر بقسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية

الاستلام : 06 / 09 / 2021 م

القبول : 28 / 10 / 2021 م

المستخلص :

حديث الفلاسفة المسلمين وأخص منهم الفارابي وابن سينا وابن رشد في رسائلهم الأدبية والشعرية عن الخاصية الجمالية التي تميز الأسلوب الأدبي اتخذ أشكالاً عديدة ومتنوعة ، فكانوا يعتبرون أن الشعر هو التمثيل والمحاكاة والتخييل والتشبيه والتغيير، وهذه كلها مصطلحات تعني عندهم أمراً واحداً، وتندرج في إطار توضيحهم للعملية الشعرية وعلاقتها بالشاعر وباللغة التعبيرية ثم بالمستمع، كما أنها تعكس مدى تأثرهم بالتصورات والمفاهيم الجمالية التي تضمنتها النصوص الفلسفية العربية الأولى، التي يتضح من خلالها طبيعة التطور النظري الذي حصل في محاورتهم للظاهرة الشعرية ، والذي يتمثل أساساً في رسوخ معرفتهم بالجواهر التخيلي للشعر وفي المحاكاة.

الكلمات المفتاحية : محاكاة ، تخييل ، تشبيه ، الفارابي ، ابن سينا ، ابن رشد.

Simulation and imagination and their role in building the poetic image of Muslim philosophers

Abstract :

The talk of Muslim philosophers, especially Al-Farabi, Ibn Sina and Ibn Rushd, in the their literary and poetic messages about the aesthetic characteristic of the literary style took many and varied forms. They considered poetry to be representation, simulation, imagination, simile and change, and these are all terms for them that mean one thing, and they fall within the framework of their clarification of the poetic process and its relationship with the poet and the expressive language and then with the listener It also reflects the extent to which they are affected by the perceptions and aesthetic concepts included in the first Arab philosophical texts, through which it becomes clear the nature of the theoretical development that took place in their dialogue of the poetic phenomenon, which is mainly represented in the consolidation of their knowledge of the simulation. imaginative essence of poetry and of

Key words: simulation, fiction, simile, al-Farabi, Avicenna, Ibn Rush

المقدمة:

الأدب يعبر عن طبيعة المجتمع من خلال أحاسيسه وحالاته النفسية، وكلما كان له علاقة بالخيال كلما اتسم بالرفعة والرقى، وهو مرآة لحالات ذاتية يعيشها الأديب لحظة ما، و جوهر الأدب ينصب في الكشف عن الظواهر الجمالية للأشياء والحياة أي التعبير عن الواقع تعبيرا خياليا يتصف بالجمال الأدبي، حيث تنتفي صفة الحيادية في الأدب من ناحية المحتوى الاجتماعي. ومن أهم المواضيع في الموروث الأدبي للفلسفة الإسلامية هو موضوع التخيل و المحاكاة في الشعر والتي تناولها مجموعة من الفلاسفة المسلمين بالدراسة ومن بينهم الفارابي وابن سينا وابن رشد، فكانت لهم فيها آراء مختلفة نتجت عنها قضايا وظواهر فنية لها تأثيرها الأدبي إلى يومنا هذا، وقد أَلْفُوا في هذا الجانب العديد من الكتب والرسائل التي كان لها الدور الكبير في إنتاج موروث ضخم موسوم بطابع فلسفي.

مشكلة الدراسة: إن الصورة الشعرية التي صورها الفلاسفة المسلمين في مؤلفاتهم تعتمد على دراسة المحاكاة والتخيل، وما شابهها من مصطلحات لها علاقة بإظهار الصورة الشعرية عند هؤلاء الفلاسفة بالشكل المطلوب، وبالصورة اللائقة، لمعرفة مفاهيم هذه المصطلحات لذلك تميزت هذه الدراسة بإبراز مفاهيم هذه الصيغ الشعرية التي استخدمها هؤلاء الفلاسفة ومعرفة العلاقة التي تربط المحاكاة بالتخيل، والتخيل بالتشبيه عند كل فيلسوف وذلك لإظهار مواطن الجمال في هذه الصور الشعرية ومعرفة منابع الأدب فيها. أهمية الدراسة: المحاكاة والتخيل في الشعر ملكة أدبية، تعين الأديب عامة والشاعر خاصة على تأليف الصور وتشكيلها، بعد مزجها بعواطفه ومشاعره وأحاسيسه، وتجعله يرى الأشياء في الطبيعة والواقع المحيط به أكثر وضوحاً و وحدةً وصفاءً. ثم إن هذه الملكة تغطي ما في اللغة من قصور ونقص، لما يعطي مفرداتها من توسع وزيادة في معانيها بالجمع بين المتباعدات والمتنافرات، بخلق علاقات مناسبة تؤلف بينها.

أسباب اختيار الموضوع: هذا الموضوع من المواضيع المهمة في الفلسفة الإسلامية، وله علاقة وطيدة بالفلسفة من ناحية الشعر، وأيضاً من ناحية الدراسات الرمزية السيميائية بشكل عام، وعلى اعتبار انها تتعد بخيال المتلقي عن الواقع، فإن الرموز والإشارات أيضاً دراسات مبطنة تحمل بين طياتها العديد من المعاني، وهي تربط اللغة بالدراسات الرمزية لما فيها من استعارة وكناية وتشبيه وتمثيل، وتبرز منابع الأدب فيها.

أهداف الدراسة: إبراز دور الفلاسفة المسلمين الأدبي في مجال الشعر والمحاكاة والتخيل، وإيضاح العلاقة فيما بينها، كذلك بيان الصور الجمالية في تحديد هذه العلاقة. ودراسة ومعرفة الأسس اللغوية والاصطلاحية والفلسفية التي تبرز النسق المفهومي والمصطلحي لفن المحاكاة والتخيل في الشعر.

تساؤلات الدراسة: كانت الدراسة إجابة عن التساؤلات الآتية: ما هي المحاكاة؟ وما هو التخيل عند الفلاسفة المسلمين؟ وما علاقة الشعر بالمحاكاة والتخيل؟ وهل كان للمحاكاة والتخيل دورٌ في بناء الصورة الشعرية عند الفلاسفة المسلمين؟ وكيف كانت المحاكاة وسيلةً جماليةً للتخيل الشعري؟. المنهج المتبع في هذه الدراسة: من خلال محاولة ربط الشعر بالمحاكاة والتخيل وإيضاح العلاقة بينها في أدبيات الفلاسفة المسلمين انتهجنا المنهج التحليلي الوصفي لنصوص الفلاسفة حسب ما ورد في بعض مؤلفاتهم لإثراء الموروث الأدبي. هيكلية الدراسة: جاءت الدراسة مقسمة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة تضم أهم المصادر والمراجع التي أفادت هذا البحث وهذه المباحث جاءت كالآتي: المبحث الأول: دور المحاكاة والتخيل في بناء الصورة الشعرية عند الفارابي. المبحث الثاني: دور المحاكاة والتخيل في بناء الصورة الشعرية عند ابن سينا. المبحث الثالث: دور المحاكاة والتخيل في بناء الصورة الشعرية عند ابن رشد.

المبحث الأول: دور المحاكاة والتخيل في بناء الصورة الشعرية عند الفارابي؛ أولاً: مفهوم المحاكاة والتخيل عند الفارابي؛

بالرغم من تنوع المصطلحات الجمالية التي وظفها فلاسفة الإسلام لتحديد ماهية الشعر، إلا أن هذا الأمر لا ينقص من خصوصية تصورهم، لأن تلك المصطلحات تتكامل وتترابط فيما بينها، ولأنها أيضاً تتضمن مفهوم التخيل وتحيل عليه بصيغ مختلفة، ويتضح ذلك في قول الفارابي: "التمثيل أكثر ما يستعمل إنما يستعمل في صناعة الشعر، فقد تبين أن القول الشعري هو التمثيل"⁽¹⁾

واختيار الفارابي لمصطلح التمثيل⁽²⁾ من بين سائر المصطلحات الأخرى التي وظفها في رسالته "مقالة في قوانين صناعة الشعر"، لاعتباره ملمحاً جمالياً مميزاً للخطاب الشعري عن أنه يتسم بها الأسلوب الشعري، وإلى عملية الإيحاء بالمعاني والصور الجمالية في وهم السامع، وهما مستويان مترابطان في العملية الشعرية، يتعلق أولهما بجانبها الأسلوبي، بينما يتصل ثانيهما بأثرها النفسي ووظيفتها الجمالية، والتي تجل في إيقاع المحكيات في أوهام الناس وحواسهم⁽³⁾.

(1). الفارابي، مقالة في قوانين صناعة الشعراء ضمن أرسطو طاليس "فن الشعر" ت: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة العربية، د. ط، 1953م، ص156.

(2). الشعر التمثيلي: هو الوجهة العملية من الشعر التي يراد بها تمثيل الفضائل والردائل. أنظر: جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، 1904م، ج2، ص56.

يرأوح الفارابي بين المحاكاة والإيهام والتمثيل حين يرى أن "الحال التي تعرض للناظر في المرئي والأجسام الصقيلة، فهي الحال الموهومة شبيهة الشيء" ثم هو يعتبر القول الشعري أحد فرعي القياس الذي هو بالقوة والذي يكون إما استقراء وإما تمثيلاً: "والتمثيل أكثر ما يستعمل إنما يستعمل في صناعة الشعر، فقد تبين أن القول الشعري هو التمثيل" أنظر: الفارابي، مقالة في قوانين صناعة الشعراء، ص151.

(3). الفارابي، الخطابة، ت: محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، د. ط، 1976م، ص176-177.

ويبدو أن الفارابي كان يستثمر بهذا التعريف التصور الجمالي السائد قبله الذي كان يعتبر التمثيل أسلوباً تصويرياً خاصاً بالشعر، وبرز هذا التصوير بجلاء لدى مترجم كتاب الخطابة ولدى "قسطا بن لوقا"، وقد سبق القول أن تأكيدهما على اختصاص "المثل" والمثال والتمثيل بالشعر يدل على وعيهما العميق بالطابع التخيلي للشعر، ويندرج في سياق التنبيه عليه⁽⁴⁾.

ويقترّب الفارابي بهذا التعريف كثيراً من روح تصور أرسطو⁽⁵⁾ للشعر، لأنه عدّ "التمثيل" هو الأصل والأساس في العملية الشعرية، فلم يقرنه بالمكُون الإيقاعي، إلا أنّ ذلك جعله غريباً عن طبيعة الشعر العربي التي يعتبر الوزن مكوناً جمالياً مهماً فيها، ولعلّ وعيه بهذا الأمر، وبيان تعريفه لا يبين بالشكل المطلوب الجوهر التخيلي للشعر، وهو ما حدا به إلى إعادة تعريفه بصورة أخرى، وفي سياق مختلف، حيث قال: "والجمهور وكثير من الشعراء إنما يرون أن القول شعري متى ما كان موزوناً مقسوماً بأجزاء ينطق بها في أزمنة متساوية، وليس يبالون كانت مؤلفة مما يحاكي الشيء أم لا، ولا يبالون بألفاظه كيف كانت بعد أن تكون فصيحاً في ذلك اللسان، بل يؤثرون منها ما كان مشهوراً"⁽⁶⁾، والقول إذا كان مؤلفاً مما يحاكي الشيء، ولم يكن موزوناً بإيقاع فليس شعراً، ولكن يقال هو قول شعري. فإذا وزن مع ذلك وقسم أجزاء صار شعراً، فقوام الشعر وجوهه عند القدماء هو أن يكون قولاً مؤلفاً مما يحاكي الأمر، وأن يكون مقسوماً بأجزاء ينطق بها في أزمنة متساوية. ثم سائر ما فيه، فليس بضروري في قوام جوهره وإنما هي أشياء يصير بها الشعر أفضل وأعظم هذين في قوام الشعر هو المحاكاة وعلم الأشياء التي بها المحاكاة، وأصغرهما الوزن⁽⁷⁾. وإذا كان الأمر يعني أن المحاكاة أكثر أهمية في العملية الشعرية من عنصر الوزن فإنه يروم مواجهة التصور الشائع الذي يعطي للوزن قيمة أكبر على حساب المحاكاة والتصوير الفني، ويخرج من ثمة بالشعر عن أساسه الإبداعي، وقد بدأ هذا التصور يستثري الذوق الجمالي العام، وصار يهدد القيم الأدبية للشعرية العربية، ونتجت عن نصوص منظومة تولي عناية خاصة للجانب العروضي، ولا تقيم اعتباراً كبيراً للجوانب الدلالية والإيحائية للنص، الشيء الذي تمخض عنه الإحساس بضرورة إبراز ماهية الشعر، وتحديد مكوناته النوعية

(4). الفارابي، كتاب الشعر، ضمن كتاب أرسطو طاليس في الشعر، لابن رشد، ت: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1971م، ص 92.

(5). المحاكاة عند أرسطو أساس كل فن لكنها تختلف في وسائل المحاكاة المتمثلة في الإيقاع واللغة ولانسجام وتختلف أيضاً في موضوع المحاكاة، "فالمحاكاة الشعرية هي ذلك الإلهام الخلاق الذي به يستطيع الشاعر أن يوجد شيئاً جديداً على الرغم من استخدامه لظواهر الحياة وأعمال البشر". أنظر: ابن رشد، تلخيص كتاب الشعر لأرسطو، ت: محمد سليم سالم، ص 57.

(6). ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي إلى ابن رشد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1983م، ص 92.

(7). جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 3، 1993م، ص 147.

وتصنيفها بحسب قيمتها الجمالية. وقد أشار الفارابي إلى ذلك وقرنه بقدماء العرب، وذلك لأن اليونان لم يكونوا يقرنون الوزن بالمحاكاة من حيث الأهمية، بل كانوا يعتبرون المحاكاة أساس العملية الشعرية، أما الوزن فكان شيئاً ثانوياً ليس له قيمة من حيث جوهر المحاكاة⁽⁸⁾.

وإن أوائل الشعراء وعلماء العرب كانوا يعتبرون الشعر يقوم على أساسين مترابطين ومتفاعلين، وأنه لا يجوز أن يسمى القول شعراً في غياب أحدهما: أما الأول فيحائي وتصوري، وأما الثاني: فعروضي وإيقاعي، ولعل ما يؤكد ذلك أنه يستعمل مفهوم المحاكاة بمعنى "التشبيه"، حيث يرى أن "المحاكي للشيء فليس يوهم النقيض، لكن الشبيه"⁽⁹⁾. وهذا النص يبين أن الفارابي يميز بين فن الشعر وفنون أخرى تقوم على المحاكاة كالتمثيل، والنحت، والذي يميز الشعر عن هذين الفنين أنه يتوصل بالقول أو اللغة، واللغة هنا لغة خاصة تتسم بالمحاكاة.

ثانياً: علاقة المحاكاة بالتخييل والتشبيه عند الفارابي؛

يلاحظ هنا أن المحاولات التي انتهت بنقد القرنين الهجريين الثالث والرابع إلى اعتبار "التشبيه" خاصية مميزة للعملية الشعرية، لا تكاد تختلف في شيء عما يقرره هنا الفارابي، ومما سهل عليه هذا الأمر أن صاحبي الترجمتين العربيتين القديمتين لكتاب الشعر والخطابة، كانا يترجمان المحاكاة بالتشبيه، فنجد الفارابي يستخدم المحاكاة بمعنى التشبيه عندما يرى أن التشبيه هو فعل كل من الرسم والشعر⁽¹⁰⁾. غير أن مفهوم المحاكاة عنده بمعنى التشبيه يتسع بحيث يشمل عملية التأليف الشعري كلها، وهذه العملية تعتمد على التصوير والتمثيل، بالإضافة إلى أن مفهوم المحاكاة بمعنى التشبيه عنده يشير إلى علاقة الفن بالواقع⁽¹¹⁾.

وليست المحاكاة عند الفارابي نقلاً حرفياً مباشراً للواقع المادي، ولكنها عملية تصوير فني يعيد عن الشاعر تشكيل ظواهره ومعطياته بصورة مماثلة ومشابهة لتحقيقها المادي الملموس، بل إذ يبين ابن سينا بوضوح: "هي إيراد مثل الشيء وليس هو هو"⁽¹²⁾.

وبهذا المعنى يكف مصطلح المحاكاة عن كونه دالاً عمّا يجري في ذهن المبدع إبان عملية الخلق ذاتها، من وضع للحكاية وترتيب لأحداثها، وحك لمسارها، ويصبح عبارة عن طريقة في القول تفتح ذهن المتلقي على ما يلتقطه الشاعر من مشابهاة⁽¹³⁾.

(8). الفارابي، مقالة في قوانين صناعة الشعراء، ص150.

(9). ألفت كمال الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص71.

(10). المرجع نفسه، ص77.

(11). المرجع نفسه، ص77-78.

(12). ابن سينا، فن الشعر من كتاب الشفاء، منشور ضمن كتاب أرسطو طاليس فن الشعر، ت: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1973م، ص168.

(13). لطفي اليوسفي، الشعر والشعرية، الدار العربية للكتاب، تونس، د. ط، 1992م، ص189.

والغاية الجمالية التي تنشد للمحاكاة تحقيقها تخيل صورة الشيء المحاكي وإقامة صورته في خيال المتلقى، ويلتمس بالقول المؤلف مما يحاكي الشيء تخيل ذلك الشيء: "إما تخيله في نفسه وإما تخيله في شيء آخر، فيكون قول المحاكي ضربين: ضرب يخيل الشيء نفسه، وضرب يخيل وجود الشيء في شيء آخر⁽¹⁴⁾. نفهم من ذلك أن الفارابي يطابق بين مفهوم المحاكاة والتخيل، وذلك من استخدامه مصطلحي المحاكاة والتخيل على نحو يؤكد دلاليتهما، فالمحاكاة يستهدف بها تقديم صورة الشيء المخيل أو المحاكي والشاعر يحاكي ليخيل أو يخيل ليحاكي. و زاد ذلك التأكيد بالمرآحة بهما حيناً ويعبر بصاحبه حيناً آخر، وقد يعمد إلى المزج بينهما في عبارة واحدة⁽¹⁵⁾. ويتضح من هذا أن المحاكاة وسيلةً جماليةً للتخيل الشعري، وأن المصطلحين معاً يحيلان إلى الجانب البلاغي الذي يعتمد التشبيه والاستعارة في بناء الصورة الشعرية⁽¹⁶⁾.

إن العلاقة بين التخيل والمحاكاة من جهة، ومفاهيم البلاغة العربية ومباحثها من جهة ثانية، أمرٌ مهمٌ جداً، ومن شأن البحث فيها وإبراز طبيعتها وحدودها أن يبين القيمة الجمالية لمفهومي المحاكاة والتخيل والأصول الحقيقية لمضمونها النظري.

إن الفرق بين الفارابي وغيره ممن ترجم للتراث اليوناني - ابن رشد مثلاً في أنه لم ينتبه فقط إلى الجوهر التخيلي للشعر، بل حرص علي إبرازه عن طريق بيان الأساس التخيلي للمحاكاة الشعرية، فلم تعد المحاكاة عنده مجرد عملية تشكيل فني للعالم والأشياء بصورة جمالية جديدة، بل صارت قبل ذلك أسلوباً إيحائياً وأداة تمثيلية تربط بين ذهنتين مختلفتين، وتختلف بينهما تفاعلاً على المستوى الشعوري والخيالي، فمعنى أن تكون المحاكاة وسيلةً للتخيل أنها وسيلة لنقل الرؤى الجمالية والصور الفنية التي قامت في مخيلة الشاعر إلى مخيلة المتلقي، وذلك بغاية إيقاع اعتماد معين في نفسه، أو حمله على القيام بوقفية سلوكية خاصة اتجاه الشيء المخيل إليه: "الغرض المقصود بالأقاويل المخيلة أن تنهض بالسامع نحو فعل الشيء الذي خيل له فيه، فيه أمر ما" من طلباً له أو هرباً عنه، ومن نزاع أو كراهية له، أو غير ذلك من الأفعال من إساءة أو احسان سواء صدق ما يخيل إليه من ذلك أم لا، كان الأمر في الحقيقة على ما خيل أو لم يكن"⁽¹⁷⁾.

(14). الفارابي، جوامع الشعر، طبع ضمن كتاب أرسطو طاليس في الشعر لابن رشد، ت: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1971م، ص172-173.

(15). شفيق السيد، فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006م، ص242.

(16). عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط1، 1999م، ص480.

(17). ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس فن الشعر، ت: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة العربية، د. ط، 1953م، ص201.

وما يشير إليه الفارابي هنا يكشف أنه لم يكن ينظر في الشعر من جهتي علاقته بالعالم الموضوعي والمكونات الأسلوبية المحددة لبنية خطابه فقط، بل كان ينظر فيه أيضاً من جهة طبيعته التخيلية، أي بوصفه علاقة تفاعل جمالي بين الشاعر والمتلقي تتم على المستوى الخيالي الأشعار كلها إنما استخرجت ليجود بها التخيل بها تخيل الشيء⁽¹⁸⁾ إلى المتلقي لينهض نحوه أو لتنفّر نفسه منه، ويبدو هذا التصور الذي يربط الشعر بالتخيل غريباً عن شعرية أرسطو.

المبحث الثاني: دور المحاكاة والتخيل في بناء الصورة الشعرية عند ابن سينا؛ أولاً: مفهوم المحاكاة والتخيل عند ابن سينا؛

اهتم ابن سينا بالمحاكاة والتخيل عنايةً كبيرةً، فالمحاكاة عنده هي نفسها المحاكاة عند الفارابي⁽¹⁹⁾. وقد عرف المحاكاة فقال: "هي إيراد مثل الشيء، وليس هو هو"⁽²⁰⁾، وقد جعل المحاكاة جوهر الشعر مثل الفارابي، وهي على ثلاثة أقسام: "محاكاة تشبيه، ومحاكاة استعارة، ومحاكاة تركيب"⁽²¹⁾، أما عن وسائلها فهي ثلاث: اللحن والكلام والوزن، إذ يقول: "والشعر من جملة ما يخيل ويحاكى بأشياء ثلاثة باللحن الذي يتنغم به، فإن اللحن يؤثر في النفس تأثيراً لا يرتاب به، ولكل غرض لحنٌ يليق به بحسب جزالته أو لينه أو توسطه، وبذلك التأثير تصير النفس محاكيةً في نفسها لحزن أو غضب أو غير ذلك، وبالكلام نفسه إذا كان مخيلاً محاكياً بالوزن، فإن من الأوزان ما يطيش، ومنها ما يوقر وربما اجتمعت هذه كلها، وربما انفرد الوزن والكلام المخيل، فإن هذه الأشياء قد يفترق بعضها من بعض، وذلك أن اللحن المركب من نغم متفقة، ومن ايقاع قد يوجد في المعازف والمزامير واللحن المفرد الذي لا ايقاع فيه قد يوجد في المزامير المرسلّة التي لا توقع عليها الأصابع إذا سوّيت مناسبة، والإيقاع الذي لا لحن فيه قد يوجد في الرقص، ولذلك فإن الرقص يتشكل جيداً بمقارنة اللحن إياه حتى يؤثر في النفس"⁽²²⁾.

يقول ابن سينا في مستهل شرحه لكتاب الشعر: "إن الشعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوالٍ موزونةٍ متساويةٍ، وعند العرب مقفاة"⁽²³⁾. ويختلف تعريف ابن سينا للشعر عن تعريف الفارابي بكون إضافة القافية إليه، واعتبرها علامةً مميزةً للشعر عند العرب، وجعل ذلك تفسيره في طبيعة مشروعته الفلسفي الذي

(18). الفارابي، كتاب الشعر، ص 94

(19). السيد، فن القول بين البلاغة العربية وأرسطو، ص 250.

(20). ابن سينا، فن الشعر، ص 168.

(21). ابن سينا، المرجع نفسه، ص 171.

(22). ابن سينا، المرجع نفسه، ص 168.

(23). ابن سينا، المرجع نفسه، ص 161.

كان يستهدف الإحاطة بالقوانين الكلية للشعر التي تشترك فيها جميع الأمم⁽²⁴⁾، ويتضح هذا الأمر من صدد عنوان الفاصل الأول في الشعر مطلقاً إذ يقول بهذا الصدد: "ولا بعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر بحسب عادة هذا الزمان كلاماً شديداً التحصيل والتفصيل"⁽²⁵⁾.

وقد استعاد ابن سينا هذا التعريف في كتاب له في الموسيقى، فابرز بوضوح الطبيعية الجمالية لعناصر النص الشعري وخصائصها الوظيفية حيث قال: "الشعر كلامٌ مخيلٌ، مؤلفٌ من أقوالٍ ذواتٍ إيقاعاتٍ متفككةٍ متساويةٍ متكررةٍ على وزنها، متشابهة حروف الخواتيم ف "الكلام" جنسٌ أولٌ للشعر يعمه وغيره مثل الخطابة والجدل وسائر ما يشبهها وقولنا "من ألفاظٍ مخيلةٍ" فصل بينه وبين الأقاويل العرفانية التصديقية التصويرية، وقولنا "ذواتٍ إيقاعاتٍ متفككةٍ" ليكون فرقاً بينه وبين النثر، وقولنا، "متكررةٍ" ليكون فرقاً بين المصراع والبيت، وقولنا "متساويةٍ" ليكون فرقاً بين الشعر وبين نظم يؤخذ جزاءه من جزأين مختلفين، وقولنا: "متشابهة الخواتيم" ليكون فرقاً بين المقفى وغير المقفى، فلا يكاد يسمى عندنا بالشعر ما ليس بالمقفى⁽²⁶⁾.

وأبرز ما نستشفه هنا أن ابن سينا يتمسك بتعريف واحدٍ للشعر، ولا يبذل المصطلح المركزي الدال على جوهره الجمالي وخصوصيته الفنية كما فعل الفارابي، إذ يظل التخيل عنده من الخطابات الأخرى، ولما كان الفلاسفة المسلمون يعنون بالنظر في الخصائص اللغوية للخطابات ووظائفها، فقد انصببت عنايتهم وتركزت على التخيل، ولم يولوا عناية كبيرة بالعناصر الأخرى، لأنه لا نظر للمنطقي في شيء من ذلك إلا في كونه كلاماً مخيلاً⁽²⁷⁾. وليس معنى ذلك أنهم حجموها عن تناول عناصر الوزن والإيقاع والقافية، بل إن بحثهم لها يركز على النظر في قيمتها الخيالية ووظيفتها التخيلية، أي يعدها وسائل فنية لإيقاع التخيل في النفس، والتمثلات الذهنية والانفعالات العاطفية، أما النظر في ذاتها ولذايتها فأمرٌ موكلٌ لأصحاب علم العروض وعلم القوافي⁽²⁸⁾.

ثانياً: علاقة المحاكاة بالتخيل والتشبيه عند ابن سينا:

استخدم ابن سينا مصطلح المحاكاة بمعنى التشبيه، فهو عند عرضه بالذكر أمثلةً للمحاكيات لم يأت إلا بتشبيهات، كما قرن المحاكاة بالتشبيه في حديثه عن أغراض المحاكاة⁽²⁹⁾. إن انطلاق ابن سينا من مبدأ إيمانه أن المحاكاة هي التشبيه هو الذي أفضى به إلى عدم الاهتمام إلى حقيقة أرسطية في المحاكاة، وهي أنها

(24). ابن سينا، المرجع نفسه، ص161.

(25). ابن سينا، فن الشعر من كتاب الشفاء، ص198.

(26). ابن سينا، جوامع علم الموسيقى، ضمن كتاب الشفاء، ت: زكريا يوسف، نشر وزارة التربية والتعليم، القاهرة، د. ط. 1956م، ص122-123.

(27). ابن سينا، فن الشعر، ص161.

(28). ابن سينا، المرجع نفسه، ص161.

(29). ألفت الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص77.

تدور فيما يمكن أن يكون⁽³⁰⁾.
وكما اقترنت المحاكاة عند ابن سينا بالتشبيه فقد اقترنت بالتخييل، فترادف المحاكاة والتخييل أو المخيلات ذلك ما نجده عند ابن سينا الذي تبدو عنده المحاكاة بالإضافة إلى أنها مرادفة للتشبيه مرادفة لما يخيل أو التخيل أو المخيلات⁽³¹⁾، وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كانت المحاكاة بمعنى الصور البلاغية بناءً على نص ابن سينا القائل ما مفاده: المحاكيات على ثلاثة أقسام: تشبيه واستعارة وما يتركب منهما، فإنها تكون مرادفةً حينئذٍ للتخييل بمعنى التصوير⁽³²⁾.
ومعنى أن يكون الشعر كلاماً مخيلاً أنه "صناعة تفعل فعل التخيل".⁽³³⁾ أي تبث في خيال المتلقي صوراً فنيةً تحمل نفسه على الانسياق لمقتضاها الانفعالي بالنزوع إليه أو الهروب منه، فيتولد عن التجاوب النفسي معها إحساس عميق بالمتعة الخيالية، وشرط تحقق هذه الاستجابة السلوكية أن يتمكن "الكلام المخيل" من تحرير خيال المتلقي من رقابة العقل (الفكر والروية) لأن التخيل والعقلي لحظتان شعوريتان وحركتان ذهنيتان مختلفتان لا يمكن أن تتعايشا في حركة إدراكية واحدة، ولا يمكن أن يشغل أحدهما إلا بعد التغلب على نشاط الثاني والتخلص من حركته الذهنية.

ولكي ينتج الشعر الموقف السلوكي المستهدف، فإنه يسلك طريقة خاصة في تشكيل معانيه وترتيب ألفاظه، لأن التخيل لا تراعى فيه الحالة النفسية للسامع وخصوصية القول الشعري وطبيعة موضوعه فقط، بل تعتبر فيه أيضاً أساساً بنيته الأسلوبية، لذلك يؤكد المهتمون بالشعر على قاعدة: يجوز للشاعر تشكيل مفردات اللغة، فهو يتلاعب بالقواعد النحوية أحياناً ويوظفها لصالح قافيته فيرفع وينصب ويحزم في غير محل الرفع والنصب والجزم، وفي الشعر العربي أمثلة كثيرة مما لا يتسع المجال لذكرها.

وهذا ما يؤكد ابن رشد بقوله: "فإنه قد يصدق بقول من الأقوال ولا ينفعل عنه، فإن قيل مرة أخرى وعلى هيئة أخرى انفعلت النفس عنه طاعةً للتخيل لا للتصديق، فالتخيل يفعله القول لما هو عليه"⁽³⁴⁾، وذلك ناتج - حسب رأيي - من أن الجانب الأكثر تأثيراً في العملية الشعرية هو بنيته الشكلية وليس محتواها المضموني، لأنه يمكن للشاعر أن يعبر عن فكرة جديدة ومخترعة فلا تلقى استحسان المتلقي ولا تحرك عواطفه وخیالاته، وبالعكس يمكن أن يعيد صوغ أفكار مشهورة ومضامين واضحة وصريحة بلغةً إيحائيةً جميلةً، وضمن بنية تركيبية جديدة فتثير بذلك انفعالاته ودهشته.

(30) . عصام صبحي ، نظرية المحاكاة في النقد الأدبي القديم، دار القلم العربي للطباعة والنشر، د. ط. د. ت، ص42.

(31) .ألفت الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص78.

(32) .ألفت الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص78.

(33) .ابن سينا ، فن الشعر، ص161.

(34) .ابن رشد ، تلخيص كتاب فن الشعر، ص203.

ولذلك متى ما أُجيد تشكيل القول الشعري المولد للانفعال، إلا وكان "مخيلاً" حتى ولو كانت مضامينه معروفة من قبل أو كانت ادعاءاته كاذبةً ولا أساس لها من الصحة، لأن طريقة تأليفه ووسائل تحايله تدفع المتلقي إلى الانسياق لمقتضى تلك الادعاءات والمضامين دون رويةٍ وفكرٍ واختيارٍ، ومعنى ذلك أن العنصر الأول المعبر في الشعر يتمثل في مدى قدرته على تحريك مخيلة المتلقي وإثارة نفسه ودفعها إلى الإذعان لمقتضى مواضيعه الجمالية، ولا يهتم تحقيق التخييل إن كانت تلك المواضيع والأحكام الخيالية المترتبة عليها صادقةً أو كاذبةً، يقول الفارابي بهذا الصدد: "الغرض المقصود بالأقاويل المخيلة أن تنهض بالسامع نحو فعل الشيء الذي خيل له فيه أمرٌ ما من طلب له، أو هرب عنه، ومن نزاع أو كراهة له، أو غير ذلك من الانفعال من إساءةٍ أو إحسان، وسواء صدق ما يُخيل إليه من ذلك أم لا، كان الأمر في الحقيقة على ما خيل أو لم يكن⁽³⁵⁾."

ويقول ابن سينا في السياق نفسه: "الشعريات إنما يلتفت فيها أن تكون مخيلةً، كانت صادقةً أو كاذبةً في الكل أو لا في الكل، إذا كانت النفس تنفعل عنها انفعالاً نحو انقباض أو انبساطٍ، لا لأنها صدقت بشيءٍ منها، بل من جهة حركة تخيلية تعرض لها عندها، كمن إذا سمع قول قائلٍ للعسل إنها مرةٌ مقبئةٌ اشماز عن تناوله، وربما سمع الثناء على جميل كان يعرفه جميلاً أو الذم لقبيح كان يعرفه قبيحاً، وكان التصديق لا يحرك منه شيئاً فإذا سمع الشعر الموزون هاج تخيله فانبعث نزاعه أو نفوره إلى موجب تخيله طاعةً للتخييل لا للصدق⁽³⁶⁾." تتحدد قيمة النظرية لهذا التصور في تحريره الشعر من آثار الموقف النقدي المحدود الذي كان ينظر إليه نظرةً أخلاقيةً صرفةً، وقيم جماليته باعتبار صدق مضامينه أو كذبها، فالمهم في العملية الشعرية ليس مراعاتها لظواهر الواقع المادي ومعطياته، أو خرقها لعلاقاتها المحدودة والثابتة، بل الأساس والمطلوب تحقق فعل التخييل وانقياد نفس المتلقي لمقتضاه وانفعالها به وبهذا الاعتبار تغدو العلاقة بين التخييل يمكن أن تكون صادقةً أو كاذبةً، وللشاعر أن يختار ما يراه أكثر إفادةً للغرض الشعري والمناسبة له، وأشد تهيجاً للخيالات وإثارة للانفعالات، ولذلك فكما يجوز في الشعر قلب حقائق الأشياء وتمثيلها بنقائضها في الوجود يقبل فيه أيضاً الوصف للأشياء المحسوسة: "إذا كانت محاكاة الشيء بغيره تحرك النفس وهو كاذب فلا عجب أن تكون صفة الشيء على ما هو عليه تحرك النفس هو صادق، بل ذلك أوجب"⁽³⁷⁾.

وما يقوله ابن سينا هنا يشير إلى أهمية خاصة، لأنه يتجاوز تأكيد الطابع الخيالي للصور الشعرية وغايتها الجمالية ليفحص قيمتها الفنية وفعاليتها الإيحائية في ضوء نوع موادها وخصوصية مواضيعها.

ويبدو في هذا الإطار أنه يميل إلى الصور التي يصف فيها الشاعر الموجودات

(35). الفارابي، كتاب الشعر، ص94.

(36). ابن سينا، فن الشعر، ص161-162.

(37). ابن سينا، القياس، ضمن كتاب الشفاء، ت: سعيد زايد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ج2، ط2، 1964م، ص5، فن الشعر، ص162، البرهان، ضمن كتاب الشفاء، ت: أبو العلا غففي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج3، ط2، 1956م، ص17-16.

بأسلوب تمثيلي صادق ومشابه لجوهرها الطبيعي, إلا أنه لا يستعمل كلمة الصدق بالمعنى الخبري الذي يدل على النقل الحر في الأشياء والواقع, بل بمعنى فني يشير إلى عملية التصوير الفني التي تعيد تشكيل العالم والأشياء بمظهر جميل وعجيب دون أن تغير معطيات الواقع المادي وعلاقتها الثابتة والمحدودة, بل تغير طريقة وعي الانسان بالعالم وتفاعله مع أشياءه, وذلك بتوجيه انتباهه نحو الأشياء التي يغفلها عادةً ولا يعي الإيحاءات الفنية التي تنطوي عليها, كما جاء في عينيته المشهورة:

هيبتت اليك من المحل الأرفع .. ورقاء ذات تعزز وتمنع

وهذا ما يتضح أيضاً في معرض مقابلة ابن سينا بين "الصدق المشهور" و"الصدق المجهول" بقوله "لكن الناس أطوع للتخييل منهم للتصديق, وكثير منهم إذا سمع التصديقات استنكروها وهرب منها, وللمحاكاة شيء من التعجب ليس للصدق, لأن الصدق المشهور كالمفروغ منه ولا طراءة له, والصدق المجهول غير ملتفت إليه, والقول الصادق إذا حُرّف عن العادة وألحق به شيء تستأنس به النفس فربما أفاد التصديق والتخييل معاً⁽³⁸⁾, فالصدق المشهور كما يتضح من نص ابن سينا هذا هو مختلف المعاني العادية المألوفة التي تؤدي وظيفة تواصلية خالصة في الكلام اليومي, ولا تنطوي على أي قيمة فنية, أما الصدق المجهول فهو تلك المعاني والصور التي تمر أمام أعينهم دون أن ينتبهوا إليها ويستشعروا الإيحاءات البديهية التي تنطوي عليها.

ونرى هنا أن ابن سينا يشير إلى أمرٍ مهم جداً، هو أن الصدق الفني لا يخلو من محتوى تخييلي، لأنه لا ينقل الموجودات كما هو في الواقع، ولكنه يعيد تركيبها بصورة جديدة حتى تقع موقعاً خاصاً في النفس وتولد فيها مشاعر اللذة والإعجاب، وهذا ما قصده ابن سينا بالجملة الأخيرة من النص الأخير. وسواء بالنسبة إلى الصور الشعرية الصادقة أم الكاذبة لا يتحقق التخييل في النص الشعري إلا إذا اقترن بالغرابة وولد التعجب في النفس, ولا يحدث ذلك بموجب الدلالات التي يتضمنها أو بمدى مشابهتها لحال الدافع الموضوعي فقط, بل يتحقق أساساً بأسلوب القول الشعري وعناصره الشكلية, "فالتخييل يفعل له القول لما هو عليه"⁽³⁹⁾, أي أنه يتحقق - كما سبق القول - بواسطة مختلف الوسائل الاحتمالية التي يعتمدها الشاعر، ويوظفها ليخرج المتلقي من حالته الشعورية العادية ويدخله في عمق تجربته الإبداعية ورؤاه الجمالية وبهذا الاعتبار تغدو العلاقة بين الشعر والتخييل مماثلة للعلاقة بين السحر والتأثير, لأن كل واحد منهما يستند في تحقيق نتيجته على الوسائل التي تحتال على المتلقي, وتحمله على الانخداع بالموضوع الخيل إليه دون أن يشعر بأنه عرضة للخداع, لأنه أدنى شك من هذا القبيل سيؤثر سلباً على العملية التخيلية, وكلما كانت

(38). ابن سينا، فن الشعر، 162.

(39). ابن سينا، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الوسائل التي تحتال على المتلقي، وتحمله على الإخداع بالموضوع المخيل إليه دون أن يشعر بأنه عرضة للخداع، لأن أدنى شك من هذا القبيل سيؤثر سلباً على العملية التخيلية، وكلما كانت وسائل الاحتيال والخداع قويةً وجيدة التشكل والتأليف إلا وتحققت الغاية التأثيرية بصورةً سريعةً عن الالتفات إلى التصديق والشعور به⁽⁴⁰⁾.

ويوضح أن ابن سينا يريد أن يوصلنا إلى حقيقة مفادها أن العلاقة بين السحر والتخييل من جهة، والشعر من جهة ثانية قديمة، فإنها توظيف هنا لتحديد ماهية الشعر وبيان شكل تحقق فعله التأثري، فيقول ابن سينا: "إن القول الشعري يتألف من مقدماتٍ مخيلةٍ وتكون تلك المقدمات موجهةً تارةً بحيلةٍ من الحيل الصناعية نحو تخييل، وتارةً لذواتها بلا حيلةٍ من الحيل، وهي أن تكون إما في لفظها مقولةً باللفظ البليغ الفصيح بحسب اللغة، أو أن تكون في معناها ذات معنىً بديعٍ في نفسه، بحيلةٍ قارنته"⁽⁴¹⁾.

ويبدو أن ابن سينا أراد أن يستعير كلمة "الحيلة" من مجال السحر، لتمثيل طبيعة التخييل الشعري ليميز بواسطتها بين نمطين من أساليبه الإيحائية: يتمثل النمط الأول في الأنواع البلاغية من تشبيه واستعارةٍ وكنايةٍ وغيرها، والتي تعتبر صورها الفنية نتائج لمقدماتٍ قياسيةٍ تقوم على المقارنة بين ظاهرتين ادراكيتين، أو على المقارنة بينهما، ويتمثل النمط الثاني في المعاني البليغة والألفاظ الفصيحة التي لا تقترن بها أي حيل بلاغيةٍ أو محسناتٍ بديعةٍ، ويتحدد الفرق بين هذين النوعين من التخييلات في أن الأولى غير مباشرةٍ لكونها تستند في بث الصور في الأذهان وإثارة القوى النزوعية للمتلقي لتنفعل بها، على عناصر لفظيةٍ ومعنويةٍ وتركيبيةٍ وإيقاعيةٍ، أما الثانية فتستند على فصاحة العبارة وقوتها الدلالية والإيحائية، ويقول ابن سينا في ذلك موضحاً: "الأمر التي تجعل القول مخيلاً: منها أمور تتعلق بزمان وعدد زمانه، وهو الوزن، ومنها أمور تتعلق بالمسموع من القول، ومنها أمور تتعلق بزمان وعدد زمانه، وهو الوزن ومنها أمور تتردد بين المسموع والمفهوم، وكل واحدٍ من الموجب بالمسموع أو المفهوم على وجهين: لأنه إما أن يكون من غير حيلةٍ، بل يكون اللفظ نفسه فصيحاً من غير صنعةٍ فيه إلا غرابة المحاكاة والتخييل الذي فيه، وإما أن يكون التعجب منه صادراً عن حيلةٍ في اللفظ أو المعنى"⁽⁴²⁾.

وما يشير إليه ابن سينا هنا يندرج في إطار التمييز بين الخاصية الجوهرية في النص الشعري التي تمثل غايته الجمالية، والعناصر الفنية التي تتحقق بواسطتها، وهذا يقودنا للحديث عن وسائل التخييل الشعري، فيجدر الإشارة

(40). ابن سينا، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(41). ابن سينا، المرجع نفسه، ص 162.

(42). ابن سينا، المجموع أو الحكمة العروضية في معاني الشعر، ت: محسن صالح، دار الهادي للطباعة والنشر، ط 1، 2007م، ص 22-21.

هنا على أن مفهوم التخيل لدى الفلاسفة المسلمين قد تضمنت إحدى التصورات الجمالية المهمة التي تبلورت في اللحظات الأولى المؤسسة للشعرية العربية، والتي تعتبر الشعر عمليةً جماليةً ذات أساس سحري، ويذكرنا الارتباط بين معنى "التخيل" و"الحيلة" عند ابن سينا بأنهما ضربٌ من "الإبداع والتخيل"⁽⁴³⁾ الأمر الذي يدعم القول السابق أن قراءتهم لكتاب الشعر كانت مزيجاً مما تمثلته أذهانهم وأدركته أفكارهم عن واقع الشعرية اليونانية، وما ترسخ في وعيهم الجمالي العام من تصوراتٍ شعريةٍ وأحكامٍ نقديةٍ وبلاغيةٍ لدى العرب. ولا شك أن أي قراءة لمفهوم الشعر عامةً، ومفهوم التخيل خاصةً لدى فلاسفة الإسلام، لا تبرز ذلك الامتزاج والتفاعل بين الشعريتين اليونانية والعربية، ولا تبرز طبيعته وحدوده ستظل بعيدةً عن إدراك خصوصية تصوراتهم وقيمتها العلمية، وليس من طريقةٍ أفضل ولا أنجح لتحقيق هذا الأمر من رصد صيغ توظيف المصطلحات وتطور مضامينه المفهومية.

المبحث الثالث : دور المحاكاة والتخيل في بناء الصورة الشعرية عند ابن رشد : أولاً : مفهوم المحاكاة والتخيل عند ابن رشد :

وفي إطار هذا المسعى يلاحظ ابن رشد ويؤكد بدوره - كما هو الشأن بالنسبة إلى ابن سينا - أن التخيل هو الملمح المميز للنص الشعري، إذ يرى: "أن الأقاويل الشعرية هي الأقاويل المخيلة"⁽⁴⁴⁾ إلا أن وعيه بالطابع التخيلي للشعر اتخذ لديه صورةً أخرى، تتلخص في النظر فيه من جانب بلاغي صرف، ويتضح ذلك من التعريف الثاني الذي يحدد به ماهية الشعر: "القول الشعري هو المغير"، لأنه إذا غير القول الحقيقي سمي شعراً أو قولاً شعرياً ووجد له فعل الشعر ... فأنت إذا تأملت الأشعار المحركة وجدتها بهذه الحال، وما عدا من هذه التغيرات فليس فيه معنى الشعرية إلا الوزن فقط"⁽⁴⁵⁾.

ابن رشد يجعل المحاكاة جوهر حديثه عن العلل المولدة للشعر: أما العلة الأولى فوجود الشبيه والمحاكاة للإنسان بالطبع⁽⁴⁶⁾ وفي تعريفه للمديح يقول: "والحد المفهم جوهر صناعة المديح، هو أنها بتشبيه ومحاكاةٍ للعمل الإزادي الفاضل"⁽⁴⁷⁾، لذلك نجده قد سار على نفس نهج سابقه في جعل المحاكاة مرادفةً للتشبيه.

(43). ابن سينا، المرجع نفسه، ص 163.

(44). ابن رشد، تلخيص كتاب فن الشعر، ت: تشارلز بتورث، أحمد عبد المجيد هويدي، الهيئة المصرية للكتاب، د. ط، 1986م، ص 201.

(45). ابن رشد، المرجع نفسه، ص 243.

(46). ألفت الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص 77.

(47). ألفت الروبي، المرجع نفسه، ص 77.

ثانياً: علاقة المحاكاة والتخييل بالتشبيه عند ابن رشد:

بما أن المحاكاة عند ابن رشد تدل على التشبيه في كثير من الأحيان ، فإن التشبيه عنده يرادف التخييل حيث يشمل الصور البلاغية من تشبيه وكناية واستعارة ، فالمحاكاة عنده إذا ترادف التخييل والتشبيه في الوقت نفسه ، إلا أن التخييل هنا يقتصر على استخدام الصور، ومن ثم يصبح كل من المحاكاة أو التخييل أو التشبيه دالاً على استخدام الصور⁽⁴⁸⁾، وبناء على ذلك يصنف ابن رشد التخييل والتشبيه إلى ثلاثة أصناف فيقول: "وأصناف التخييل والتشبيه ثلاثة: اثنان بسيطان ، وثالث مركب منهما، أما الاثنان البسيطان فأحدهما تشبيه شيء بشيء وتمثيله به ، وذلك يكون في لسان بألفاظ خاصة عندهم ، مثل (كان، و إخال..) وأما النوع الثاني فهو أخذ الشبيه بعينه بدل التشبيه ، وهو الذي يسمى الإبدال في هذه الصناعة ..وينبغي أن تعلم أن في هذا القسم تدخل الأنواع التي يسميها أهل زماننا استعارة و كناية ..وأما القسم الثاني فهو أن يبدل التشبيه ، مثل أن يقول الشمس كأنها فلانة.. والصنف الثالث من هذه الأقسام هو المركب من هذين"⁽⁴⁹⁾، وترادف المحاكاة بالتخييل يعني عند ابن رشد أنها ستبقى محصورة في نطاق الصور الحسية التي يغلب عليها التشبيه تليه الاستعارة ، فالاستعارة القائمة على التشخيص التي بعدها أيضاً من أنواع المحاكاة⁽⁵⁰⁾.

وفي بعض الأحيان يقصد ابن رشد بمصطلحي المحاكاة والتخييل في تلخيصه لكتاب الخطابة، الاستخدام الحسي المؤثر للغة الشعرية في مقابل الاستخدام العلمي التجريدي الأمر الذي أدى به إلى اتحاذ موقف متشدد من ذلك النوع من الشعر المعتمد على التصديقات والإقناع⁽⁵¹⁾.

وقد يتسع مفهوم المحاكاة عنده بحيث يشمل الصياغة الشعرية كلها، سواء كانت صوراً مثل التشبيه والاستعارة أو غيرهما من الصياغات اللغوية الحسية التي تعتمد على الإيحاء والتأثير، من ذلك النوع من المحاكاة يقع بالذكر، كأن يورد الشاعر شيئاً يتذكر به شيئاً آخر، مثل أن يرى إنساناً خط إنسان آخر فيتذكره⁽⁵²⁾. فالمحاكاة هي جوهر الفنون، وتختلف من فن لآخر حسب وسائلها. تتميز البنية العربية للخطاب الشعري عن البنيات اللغوية للخطابات الأخرى بكونها لا تعبر عن مواضيعها بلغة مباشرة وصرحة بل تصوغها في بنيات تركيبية وبأساليب إيحائية تخرق ما اتبع من معايير، وتبتعد عن

(48) .ألفت الروبي، المرجع نفسه ، ص80.

(49) . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(50) . المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(51) .ابن رشد، تلخيص الخطابة، ت: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم ، بيروت، لبنان، د، ط، 1959م، ص252.

(52) .ألفت الروبي، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ص77.

الاستعمالات العادية والمألوفة للكلمات التي تراعي فيها علاقة التطابق بين الدال والمدلول، فتخترع بنيات تركيبية غريبة وتعبّر عن معان جديدة، واختلاف الشعر عن غيره من الخطابات اللغوية الأخرى يعود أساساً إلى أنه خطابٌ لا يقصد الإقناع بأحكامه وحمل من يسمع الشعر على تصديقها، بل يهدف إلى أن يحمل مضامينه وعوالمه الفنية إلى أذهانهم، ويبث بطرق تشكيه لها وتعبيرها عنها المتعة الجمالية في نفوسهم، فيحملهم على الاستجابة لمقتضاها التخيلي، ولا سبيل إلى تحقيق ذلك في منظور ابن رشد بأساليب التغيير: "والتغيرات تكون بالموازنة والموافقة والإبدال والتشبيه، وبالجملة: بإخراج القول غير مخرج العادة، مثل القلب والحذف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير وتغيير القول من الإيجاب إلى السلب، ومن السلب إلى الإيجاب، وبالجملة: من المقابل إلى المقابل، وبالجملة: بجميع الأنواع التي تسمى عندنا مجازاً"⁽⁵³⁾.

وكما يتضح من القول أن ابن رشد يرى أن التغيرات هي مختلف الأساليب البلاغية والمحسنات البديعة التي تصوغ القول الشعري في بنية تركيبية غريبة وبلغه إيحائية جميلة وعجيبة، وهي صفة فنية مزامنة للغة الشعرية ومميزة لها، ويبدو أن ابن رشد قد تأثر كثيراً بالترجمة العربية القديمة لكتاب الخطابة فأستثمر مصطلح "التغيير" الذي وظفه صاحبه لتعيين الخاصية النوعية للأسلوب الشعري، ومما سهل عليه هذا الأمر أن الفارابي وابن سينا قد ربطا هذا المصطلح بالطابع الجمالي للشعراء، واعتبره أسلوباً بلاغياً خاصاً به ومميزاً له.

وإذا كنا نروم توضيح خصوصية أساليب التغيير في الشعر، ووظائفها الجمالية في ضوء علاقتها بالأنواع البلاغية، وبمختلف وسائل التخييل الشعري، فإن ما تجدر الإشارة إليه هنا أن قيمة العمل الذي قام به ابن رشد تكمن في أنه ربط التغيير بالتخييل، وأبرز أن العلاقة بينهما بمثابة العلاقة بين الوسيلة والغاية: "والألفاظ المغيرة تتفاضل بالأقل والأكثر فيما تخيل في المعنى الواحد بعينه من الرفعة والخسة لتفاضلها في الغرابة، والصناعة الشعرية فتستعمل من ذلك ما هو أكثر تخيلاً"⁽⁵⁴⁾.

فالتغيير وسيلة أسلوبية لتحقيق الفعل التخيلي للشعر، وتتحدد قيمته الجمالية بمدى تأليفه لعبارات جديدة تضيء على المعنى طابعاً غريباً وعجيباً، لأن القول من الألفاظ المستولية ليس يفيد معنى زائداً على ما كان عند السامع، وإنما يفيد ذلك إذا كان مغيراً بالتخييل الذي تعطيه الألفاظ المغيرة⁽⁵⁵⁾. وتبرز أهمية ما ذهب إليه ابن رشد هنا هو أنه أكد على جوهر الشعر عنده هو "التخييل" و"المحاكاة" أما المصطلحات الأخرى التي يربطه بها - وعلى رأسها

(53). ابن رشد ، تلخيص الخطابة، ص261.

(54). ابن رشد، المرجع نفسه، ص260.

(55). ابن رشد، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

التغيير - فتندرج عنده في سياق التركيز على أحد جوانب العملية الشعرية. وهي لا تدل بأي حال من الأحوال على تناقضه أو اضطرابه في تعريف الشعر، بل تؤكد بوضوح على رؤية متجانسة ومتكاملة لمستوياته، ذلك أن قوله أن الشعر هو التخيل يعني به المستمع، بينما قوله أنه هو التغيير فيعني أنه يتناول من جهة طبيعته اللغوية وخصوصيته الأسلوبية.

لقد كانت نظرة الفلاسفة المسلمين إلى الشعر نظرةً منطقيّةً ذات أساس سيكولوجي، وهذا ما جعلهم يركزون في المقام الأول على جوهره التخيلي، أما المصطلحات الأخرى التي وظفوها في سياق تعريفهم له فتندرج في سياق محاولة فهمهم للمستوى الإبداعي وخصائصه الفنية من جهات عدة منها علاقتها بالذات الشاعرة، وبالوقائع الموضوع، ثم باللغة التعبيرية وبالسلسلة الأدبية وتقاليده القول الشعري، وقد كانت تستعمل عندهم مصطلحات التشبيه والتمثيل والمحاكاة والتغيير بمعاني متمايضة أحياناً، ومترادفة ومتداخلة أحياناً أخرى.

فمن جهة طبيعية التخيل الشعري ومداه الإبداعي لم تكن عناية فلاسفة الإسلام بالتخيل تقتصر على النظر في وظيفته الجمالية ومصدره الإبداعي بل اهتموا أيضاً بالطبيعة الدلالية والمنطقية لمضامينه ومواضيعه وخصوصياته المادية، لذلك كانوا يؤكدون أن السمة الفنية الرئيسية التي تميز المعاني التخيلية وتحدد قيمتها الجمالية انفتاحها التام والدائم على كل الظواهر الطبيعية والمعطيات الوجودية الكائنة أو الممكنة، فكل شيء قابل لأن يكون مادة للتخيل الشعري والإبداع الفني، لا فرق في ذلك بين الموضوعات الجديدة أو القديمة، واللذينة أو المؤذبة، لأن موضوعات الأقاويل الشعرية هي بوجه ما جميع الموجودات الممكنة أن يقع بها علم الإنسان، والشرط الجمالي الأساسي لاختيار موضوع ما لصوغه في قالب تخيلي أن ينطوي على طاقةٍ إيحائيةٍ خاصةٍ تمكن من إثارة خيالات المتلقي و انفعالاته، لذلك يؤكد ابن سينا على حقيقة غاية في الأهمية وهي: "يجود الشاعر شعره إذا كان حسن المحاكاة بالمخيلات وخصوصاً للأفعال، وليس شرط كونه شاعراً أن يخيل لما كان فقط، بل ولما يكون ولما يقدر كونه وإن لم يكن بالحقيقة"⁽⁵⁶⁾.

يدل قول ابن سينا هذا على أن الحركة الإبداعية للخيال الشاعرة تتفاعل مع الأبعاد الزمانية الثلاثة وتشغل داخلها، أي الماضي والحاضر والمستقبل، ذلك أن يستدعي الوقائع والمعطيات التي سبق إدراكها، ويعيد إنتاج المواضيع المادية القائمة في الحس، وبيتدع - في الوقت نفسه - عوالم جمالية لا وجود لها في الواقع الملموس، فيتنبأ عن طريق ذلك بالأحداث والتحويلات التي يمكن أن تقع.

ومن جملة ما يؤكد عليه فلاسفة الإسلام أن انفتاح التخيل الشعري على الماضي الإدراكي لا يعني أنها تعيد إنتاج المواضيع المادية بصورة حرفية وأسلوب انعكاسي كما هو فعل المرأة، بل إنها تشكلها بمظهر جديد مشابه لأصلها

(56). ابن سينا، فن الشعر، ص184.

الحسي، وتهدف عن طريق هذه المشابهة إلى تقديم رؤية جديدة لها، ووعياً مغايراً بها، كما أن تحررها من الواقع الموضوعي لا يصل إلى حد اختراع الخرافات المستحيلة والممتنعة، أو كما يصوغ ابن رشد ما تقدم بقوله⁽⁵⁷⁾.

والسبب في رفض مثل هذه الاختراعات يعود إلى أنها تعيق عملية التخيل وتحول بينها وبين تحقيق أثرها الجمالي في المتلقي، بإفراطها وغلوها في الكذب، ولا تقتصر مواضيع التخيل الشعري على عالم الطبيعة، والمعطيات المادية للواقع الحسي، إذ تتناول أيضاً العالم الداخلي للإنسان "بكل ما يموج به من انفعالات ومشاعر"⁽⁵⁸⁾، ومن ثم فجمالية المحاكاة وقيمتها الإبداعية تتحددان بقدرة الشاعر على تصوير الصفات النفسية وتمثيل الطباع والأخلاق الدالة عليها والمرتبطة بها، كالحيرة والقلق والكآبة ونحو ذلك، بصورة فنية ملموسة ومحسوسة، وفي ذلك يقول ابن رشد: "والتشبيه و المحاكاة هي مدائح الأشياء التي في غاية الفضيلة، فكما أن المصور الحاذق يصور الشيء بحسب ما هو عليه في الوجود، حتى أنهم قد يصورون الغضاب والكسالى مع أنهم صفات نفسانية، كذلك يجب أن يكون الشاعر في محاكاته يصور كل شيء بحسب ما هو عليه حتى يحاكي الأخلاق وأحوال النفس"⁽⁵⁹⁾.

معنى هذا أن جمالية التخيل الشعري لا تحقق بطبيعة موضوعه ومحتواه الدلالي فحسب، بل بطريقة محاكاته أيضاً ولذلك كما يرى الفارابي يجب على الشاعر أن يمثل صورته للمتلقي: "كما لو كان ماثلاً أمامه وإجادة القصص الشعري والبلوغ به إلى غاية التمام إنما يكون متى بلغ الشاعر من وصف الشيء أو القضية الواقعة التي يصفها مبلغاً يرى السامعين له كأنه محسوس ومنظور إليه"⁽⁶⁰⁾.

نتائج البحث :

من خلال ما تقدم يتضح لنا أنه يصعب الحديث عن مفهوم الشعر حسب آراء فلاسفة الإسلام بمعزل عن معرفة المخيلة الإنسانية باعتبارها مصدر النشاط الشعري، فقد عرّفوا الشعر بكونه "كلام مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاه"، وهم بهذا التعريف يجعلون التخيل أولاً والوزن ثانياً، هما قوام الشعر، أما القافية فهي خاصية الشعر العربي، ويرون أن التخيل هو السمة الخاصة التي تميز الشعر عن النثر، ولا يصبح القول شعراً بمجرد أن يكون موزوناً، كما أن اعتبار فلاسفة الإسلام "الشعر كلام مخيل" يجد تبريره أو صلاته بطبيعة فن الشعر في فلسفتهم، ذلك أن القوة المتخيلة قد تمتعت

(57). ابن رشد، تلخيص كتاب فن الشعر، ص213-214.

(58). جابر عصفور، نظرية الفن عند الفارابي، ضمن قراءات التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط5، 1995م، ص222.

(59). ابن رشد، تلخيص كتاب فن الشعر، ص222.

(60). الفارابي، مقالة في صناعة الشعر، ص155.

عندهم بمكانة خاصة، إذ إن مركزها المهم في عملية الإدراك ينبع من تسلطها على صور المحسوسات المحفوظة في قوة الخيال التي تعمل فيها بالفصل والتركيب، بل إن سلطانها يمتد إلى المعاني الجزئية التي تدرکها قوة الوهم وتحفظ بها قوة التذکر، ويعتبر التخيل عند فلاسفة الإسلام مرادفاً للمحاكاة التي بدورها ترادف التشبيه، والمخيلات هي مقدمات ليست تقال ليصدق بها، بل لتخيل شيئاً على أنه شيء آخر على سبيل المحاكاة، واتفق الجميع على تعريف المحاكاة بأنها: "إيراد مثل الشيء وليس هو هو، فذلك كما يحاكي الحيوان الطبيعي بصورة هي في الظاهر كالتطبيعي، ولذلك يتشبه بعض الناس في أحواله ببعض ويحاكي بعضهم بعضاً ويحاكون غيرهم"، وبهذا نجدهم يؤكدون أن "المحاكاة تعطي شبيه الشيء ولا تنقله كما هو، وهم حين يضربون أمثلة للمحاكاة في الرسم والتمثيل يريدون أن يشيروا إلى أن هناك فرقاً بين ما هو حقيقي وما هو محاكي، وأن هذا الفرق يسمح بأن نقول أن المحاكاة لا تطابق الواقع وأنها ليست تقليداً حرفياً له حتى وإن اقتصرنا على تصوير ظاهر الشيء".

كما أن مسألة استخدام الفلاسفة مصطلح "المحاكاة" بمعنى التشبيه، فإنهم حينما يأتون بأمثلة للمحاكيات لا يأتون إلا بتشبيهات كتشبيه العسل بالمرّة، والتهور بالشجاعة، والشجاع بالأسد، والجميل بالقمر، والجود بالبحر، كما أنهم يعدون الشعر محاكاة للأشياء، وتتجلى في التشبيه الذي غاية التخيل لا التصديق، وبذلك ينحصر أثره في إيقاع انفعال نفسي تجاه الشيء المحاكي، فالمحاكيات عند ابن سينا مثلاً ثلاثة: تشبيه واستعارة وتركيب.

وموضوع المحاكاة عند فلاسفة الإسلام لا يقتصر على الذات عموماً ذلك أن المحاكاة الشعرية تتناول الأفعال الإنسانية المنسوبة، إما إلى الأفاضل والمدوحين، وإما إلى من يقابلهم من الناس، فيصبح موضوع المحاكاة تبعاً لذلك إما مدحاً وإما ذمّاً، وربما تقتصر المحاكاة على وصف أحوال الناس وأفعالهم كما هي.

فصل الفلاسفة بين غايتي الشعر: الإفاضة والمتعة، ويتضح ذلك - عندما يتحدث ابن سينا عن غاية الشعر عامة، حيث يذكر أن الشعر قد يقال للتعجب وحده، وقد يقال للأغراض المدنية، وثانياً عندما يتحدث عن غاية الشعر عند العرب حيث يرى أن "العرب كانت تقول الشعر لوجهين أحدهما ليؤثر في النفس أمراً من الأمور تُعد به نحو فعل أو انفعال والثاني للعجب فقط، فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه".

ووجدنا أن غاية الشعر عند ابن سينا تكمن في "الحديث على فعل أو الكف عن فعل، ولما كانت الأفعال الإنسانية التي تحاكي إما جميلة أو قبيحة، أي إما فضائل وإما رذائل، فمن البديهي أن يكون الحث مرتبطاً بالفضائل، والكف أو الردع مرتبطاً بالرذائل.

وفي كلا الأمرين يقوم الشعر بدور التخيل الذي يدفع المتلقي إلى الاقبال على الأفعال الجميلة، والنفور من الأفعال القبيحة، ويرتبط هذا الدور التخيلي

بالتحسين والتقبيح اللذين حددهما ابن سينا غايتين أخلاقيتين للمحاكاة في الشعر.

كما يرى ابن رشد أن المحاكاة الشعرية تكون من قبل ثلاثة أشياء: الوزن ، واللحن، والكلام. والتخييل والمحاكاة في الأقاويل الشعرية تكون من قبل ثلاثة أشياء: من قبل النغم المتفكّة، ومن قبل الوزن، ومن قبل التشبيه نفسه. وهذه قد يوجد كل واحد منها فرداً عن صاحبه، مثل وجود النغم في المزامير، والوزن في الرقص، والمحاكاة في اللفظ، أعنى الأقاويل الغير موزونة، وقد تجتمع هذه الثلاثة بأسرها، مثل ما يوجد عندنا في النوع الذي يسمى الموشحات والأزجال، وهي الأشعار التي استنبطها في هذا اللسان أهل الجزيرة، إذ كانت الأشعار الطبيعية هي ما جمعت الأمرين جميعاً، والأمور الطبيعية إنما توجد للأمم الطبيعيين، فإن أشعار العرب ليس فيها لحن، وإنما فيها: إما الوزن فقط، وإما الوزن والمحاكاة، وهكذا يتبين أن المحاكاة الشعرية تكتسي طابعاً متميزاً يجعل مفهومه لها أوسع لما عدها عنصراً من أهم عنصرين يقوم على أساسهما الشعر، هما المحاكاة والوزن، ليمتيز بهما عن الأقاويل المنتهورة الأخرى.

وهنا يقوم بمقابلة بين التراجيديا (المأساة) اليونانية، والموشحات والأزجال الأندلسية، إذ تشمل على اللحن والوزن والقول الشعري، ثم إن الأقاويل المحاكية هي صناعة منطقية، وكأن مكونات المادة الشعرية، أي التخييلات تصبح بمثابة قضايا مقدماتها تلك الصور الشعرية، ونتيجتها ما تحدث من تأثير وانفعال في وجدان المتلقي، فالمقابلة واضحة بين ما لدى اليونان، وما في بيئة ابن رشد، إلا أن ميله إلى اقحام الصناعة المنطقية في المحاكاة أمر لا يغيبه في أغلب الأحيان، كما أن نظرة ابن رشد إلى الشعر على أنه لحن ووزن وتشبيه، وهذا مشترك بين جميع الأمم.

وأخيراً فإننا نرى أن تراثنا النقدي والأدبي والفكري بحاجة لكثير من الدراسة والتحليل العميقين، حتى يتأتى لنا الكشف عن مكامن الاجتهاد والابداع والعبقرية التي كان يتميز بها أسلافنا كما أن الدراسات التي تناولت هذا التراث ليست في حجم وضخامة الكنوز المعرفية والنقدية التي يحفل بها، لهذا ينبغي المزيد من الجهد في سبيل إعطاء هذا التراث ما يستحقه من مكانة في الحقل المعرفي والنقدي الراهن.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر:

1. (ابن سينا) أبو علي الحسين عبد الله:
أ. البرهان ، ضمن كتاب الشفاء، ت: أبو العلا عفيفي، المطبعة الأميرية ، القاهرة، ج3 ط، 2، 1375، 1956م.
ب. جوامع علم الموسيقى، ضمن كتاب الشفاء، ت: زكريا يوسف، نشر وزارة التربية والتعليم ، القاهرة، د. ط ، 1376، 1956م.
ج. فن الشعر من كتاب الشفاء ، منشور ضمن كتاب أرسطو طاليس فن الشعر ، ت: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1973م.
د. القياس، ضمن كتاب الشفاء، ت: سعيد زايد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة، ج2، ط2، 1383، 1964م.
هـ. المجموع أو الحكمة العروضية في معاني الشعر، ت: محسن صالح، دار الهادي للطباعة والنشر، ط1، 1468، 2007م.
 2. (ابن رشد) محمد بن أحمد بن محمد :
أ. تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، ت: عبد الحمين بدوي ، مكتبة النهضة العربية ، د. ط ، 1953م.
ب. تلخيص الخطابة، ت: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ، الكويت، ودار القلم، بيروت لبنان ، د. ط ، 1959م.
ج. تلخيص كتاب الشعر، ت: تشارلز بتورث ، أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية للكتاب، د. ط ، 1986م.
 3. (الفارابي) أبو نصر محمد بن محمد:
أ. جوامع الشعر، طبع ضمن كتاب أرسطو طاليس في الشعر لابن رشد، ت: محمد سليم سالم ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة 1391، 1971م.
ب. الخطابة، ت: محمد سليم سالم ، مطبعة دار الكتب، القاهرة ، د. ط ، 1976م.
ج. كتاب الشعر، ضمن كتاب أرسطو طاليس في الشعر، لابن رشد، ت: محمد سليم سالم ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة 1391، 1971م.
د. فصول منتزعة، ت: فوزي ميري النجار، دار المشرق ، بيروت، 1993م.
هـ. مقالة في قوانين صناعة الشعراء، ضمن أرسطو طاليس ، فن الشعر ، ت: عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة العربية ، د. ط ، 1953م.
- ثانيا المراجع :
- (أرحيلة) عباس ، الأثر الأرسطي في البلاغة والنقد العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، ط1، 1999م.
(الروبي) ألفت كمال ، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي إلى ابن رشد ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1983م.
(زيدان) جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، ج2، 1904م.

- (السيد) شفيح، فن القول بين البلاغة العربية و أرسطو، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006م.
(عصفور) جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1993م.
(عصفور) جابر، نظرية الفن عند الفارابي، ضمن قراءات التراث النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط5، 1995م.
(صبيح) عصام، نظرية المحاكاة في النقد الأدبي القديم، دار القلم العربي للطباعة والنشر، د. ط، د.ت .
(اليوسفي) لطفي، الشعر والشعرية، الدار العربية للكتاب، تونس، د. ط، 1992م.

الفن العام في الأماكن الحضرية

إعداد:

أ.مريم عبدالسلام نصيب الصوينعي
محاضر مساعد بكلية الفنون
والعمارة قسم الفنون

أ.فيروز عبدالسلام نصيب الصوينعي
محاضر مساعد بكلية الفنون
والعمارة قسم العمارة

القبول: 2021 / 10 / 25

الاستلام: 2021 / 09 / 22

المستخلص:

يستند مضمون هذه المقالة إلى أهمية الممارسة والتطبيق للفن العام في الأماكن الحضرية، التي ظهرت في السنوات الأخيرة في مدينة درنة، حيث تم الاهتمام بتصميم العديد من الأماكن الحضرية المتنوعة، وإنشاء أعمال فنية عليها، من شأنها أن تساهم في جودة تصميم الأماكن العامة وتعزيزها، حيث اعتمدت منهجية الدراسة على جمع البيانات ووصفها وتحليلها في مجال الفن العام في المكان الحضري؛ لتقديم تطبيقات عملية تساعد على فهم الأفكار المقترحة وتحقيقها مستقبلاً.

Summary:

The content of this article is based on the importance of the practice and application of public art in urban places in the city of Derna, which has emerged in recent years, where attention has been paid to the design of many diverse urban places and the creation of artworks on them, which would contribute to the quality and promotion of the design of public places. The study methodology relied on collecting, describing and analyzing data in the field of public art in the urban place, to provide practical applications through the results and recommendations, which help to understand the proposed ideas and achieve them in the future.

المقدمة

يظهر الفن العام في الأماكن الحضرية كنوع بصرى جمالي يبرز هوية المدينة، ففكرة أن الفن هو غاية في حد ذاته خاص بالنشاط الإنساني، تكفي لإظهار جمالية المدينة، ويمكن مناقشتها أكثر؛ لتوضيح كيفية أن الفن له قيمة اجتماعية عملية اقتصادية⁽¹⁾.

والفن في الأماكن العامة يعد جزءاً من عناصر التشكيل الفني المكون للمدينة، وإنشاء مثل هذه الأعمال من شأنه أن يقوم بتحسين جودة الأماكن العامة، وهي من أهم القضايا في التصميم الحضري؛ لأنها تجذب الجمهور وتساهم في التفاعل الاجتماعي، وهي أماكن جذابة وجيدة التصميم، ويمكن أن يكون للفن تأثير على الطبيعة المادية البصرية والثقافية والحضور العام⁽²⁾. كما إن الأعمال الفنية في الأماكن الحضرية تتيح لروادها المتعة الفنية من خلال الإحساس بالكتلة وقيمتها الرمزية⁽³⁾.

وللوصول إلى التصميم الجيد للفن العام في الأماكن الحضرية من ناحية التشكيل والإنشاء، يجب معرفة خصائص الفن العام وخصائص الأماكن الحضرية، وتأثير الفن على الأماكن والعلاقة بينهما، ومعرفة معايير التصميم الجيد للفن العام في الأماكن الحضرية، التي حددتها منظمة (project public spaces) غير الربحية، التي تختص بمشاريع الأماكن الحضرية والعناصر المرتبطة بها، حيث حددت المعايير لتقييم الفن العام في الأماكن الحضرية، التي ستساعد في تقييم إنشاء وتشكيل الفن وإعادة تجديد الأماكن العامة المختارة بمدينة درنة، وما إذا كانت إيجابية (ناجحة)، وهل العمل الفني متوافق مع المكان العام؟ وما مدى تقبل الجمهور له؟، وما هو مستوفى لشروط معايير تصميم الفن العام في الأماكن الحضرية العامة؟؛ وذلك ليسهل على ذوي الاختصاص من مهندسين حضريين ومعماريين وفنانين التعامل مع هذه الأعمال الفنية، وطرق إنشائها واختيار الأماكن الحضرية المناسبة لها.

الكلمات الافتتاحية: الفن العام، الأماكن العامة، خصائص الفن والأماكن العامة، العمل الفني، معايير التصميم الحضري.

المشكلة: برزت مؤخراً ظاهرة الفن العام في الأماكن الحضرية بمدينة درنة، من عناصر فنية نحتية ومجسمات، ومن هنا نحاول معرفة هل هذه الأعمال الفنية أقيمت على أسس ومعايير تصميمية تتناسب مع المكان المخصص لها؟، وما مدى سهولة الوصول إليها بصريا

(1) Sitte .Camillo .L'arte di costruire le città ,(1953) .a cura di Luigi Dodi :Antonio Vallardi Editore .Printed in Italy.p.83

(2)Brighton .PRACTICE,Margareth ,CREATING SIGNIFICANCE THROUGH PUBLIC PLACES ART AN INCLUSIVE + INTERDISCIPLINARY ,PUBLIC ART & URBAN DESIGN :INTERDISCIPLINARY AND SOCIAL PERSPECTIVES .WATERFRONTS OF ART III .Australia .p47

(3) ياسين. هند فؤاد جميل. دور عناصر تنسيق الموقع في إثراء القيم الجمالية والوظيفية للفراغات الحضرية. 2015 م. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الهندسة المعمارية. ص 66

- وجماليا؟. وما سبق يجعلنا نتطرق إلى معرفة :
- ما الفن العام في الأماكن الحضرية؟
 - ما تأثير الفن العام لإنجاح الأماكن الحضرية؟
 - هل قامت الأعمال الفنية بمدينة درنة على أسس ومعايير تصميم الفن على الأماكن الحضرية؟

الأهداف: إنجاح الفن العام في الأماكن الحضرية الجيدة، عن طريق التعرف على معايير التصميم الحضري الناجح بالأعمال الفنية؛ لكي تكون هذه الأماكن مريحة للناس، ويتفاعلون معها ويستمتعون بقضاء أوقاتهم فيها، وتكون متحفاً خارجياً للجميع، يسهل الوصول إليها، وتعطى رؤية بصرية وجمالية للمشاهد.

أهمية الدراسة: تعزيز الأماكن الحضرية بالفن العام، فهو ليس لتجميل المدينة فقط، بل يلعب دوراً مهماً في الأماكن العامة، من حيث خلق الإبداع وإضافة مجموعة متنوعة من الأعمال الفنية، ويعد رمزاً للتعريف بهوية المجتمع وهوية المدينة بصفة عامة والمكان بصفة خاصة. وإبراز القيمة التاريخية والحضارية له، مما يساهم في التفاعل الاجتماعي والثقافي.

حدود الدراسة المكانية: بمدينة درنة، حيث تم إعادة تجديد بعض الأماكن الحضرية فيها. وتشكيل مجموعة من الأعمال الفنية عليها؛ العمل الفني الأول باب للمدينة القديمة بحديقة الأوقاف، والثاني نموذج لقارب عند جزيرة دوران ميناء درنة، والثالث نصب تذكاري عند الحديقة قرب نادي دارنس.

منهجية الدراسة: ستكون الدراسة وصفية تحليلية لتقييم الفن العام في الأماكن الحضرية من الناحية النوعية والمادية، وفقاً لمعايير تصميم الفن العام لإنجاح الأماكن الحضرية العامة، من خلال استبيان لأراء بعض الناس حول الأعمال الفنية بالأماكن الحضرية العامة في مدينته درنة.

الدراسة النظرية :

1 - نبذة تاريخية :

ارتبط الفن العام بالمكان الحضري العام منذ القدم، وتشكلت به العديد من العناصر الفنية، من خلال الفهم الجمالي والمكاني والزمني لها، حيث "إن إقامة المجسمات الفنية في مواقع محورية ليست ممارسة جديدة، بل تعود إلى آلاف السنين، لاسيما في البلدان التي شهدت حضارات مزدهرة، إلا أن إقامة هذه المجسمات كانت في معظمها لتخليد مناسبة أو شخصية وطنية أو روحية، وكان نمط الأعمال الفنية ملحقاً دائماً بنمط العمارة السائد والفنون الكلاسيكية"⁽⁴⁾ نلاحظ ذلك في العمارة الإغريقية، حيث ترتبط العمارة بالنحت والرسم في الساحة المركزية بوجود الفنون البصرية، والمثال الأكثر نموذجية هو الاكروبوليس بأثينا، كما تغيرت الكثير من الأماكن العامة في عصر النهضة، حيث ظهرت

(4) حواكميل، حكاية الفنون في متنزهات المدن المعاصرة، 2019، <https://jnrnv/tv.ara/>

مدارس كثيرة لفن النحت التي انتجت أعمالاً فنية رائعة، وذات قيمة أدت إلى إثراء هذه الساحات والأماكن العامة، ومن أهم معماري عصر النهضة كاميليو سيت (camillositte)، الذي استخلص من دراساته نتيجة هامة، وهي أن تصميم المدن يجب أن يحتوي على الخلق الفني، وضمّن نتائج أبحاثه في كتابه (الأسس الفنية لبناء المدن)، الذي نشره، و أشار فيه إلى أهم فناني عصر النهضة مايكل أنجلو وذكر فيه: "تقدم أعمال مايكل أنجلو، كدراسة حالة، وموضوع بحث من قبل المؤرخين والنقاد، والذي خلق حيوية على الأماكن الجامدة، بما يسمى بمتحف الفن والتمتع بأعماله، التي لم يضاهاها غيره والذي لم يتقن منه أحد (5)".



الشكل (2) لوجيا دي لانزي في فلورنسا والأعمال الفنية من التماثيل فترة عصر النهضة (6).

الشكل (1) الاكروبولس في أثينا فترة الإغريق.



الشكل (3) يوضح الأعمال الفنية (Mannerism) لمايكل أنجلو في ساحة بيازا كامبيدوجليو. المصدر: (7)

(5) Sitte, Camillo, L'arte di costruire le città, (1953), a cura di Luigi Dodi :Antonio Vallardi Editore ,Printed in Italy ,p15.

(6) نفس المصدر السابق، 11، 9.

(7) Rome-Roma .Cultura & Viaggio .2021 .<https://www.rome-roma.net/it/piazza-del-campidoglio/>

لكن اليوم الوضع اختلف، فالمدينة الحديثة تطورت وتطور معها الفن، وانتقلت إلى الاهتمام بنشر الفن في أرجائها، مع الدراية بأهميته في تطوير الوعي الاجتماعي والثقافي.

”بصفة عامة فإن موضوعات العمل الفني في المناطق المفتوحة في معظم أنحاء العالم قد تطورت تطوراً ملحوظاً في اتجاه المدارس الفنية الحديثة، ولم تعد الأعمال التقليدية المتعارف عليها في الساحات الكلاسيكية الشهيرة سواء تلك التي يتمركز فيها عامود ضخمة يعلوه تمثال أم صرح تحفه التماثيل أم نافورة تقليدية، إنما أصبح هناك ثراء في الموضوعات والأفكار والخامات“⁽⁸⁾.

وعلى الرغم من أن العمل الفني يواجه بعض التحديات المكانية وتقديمها في عمليات التجديد والإنشاء وتحديد المكان الأنسب، ولكن هذا لا يمنع أنه أخذ بالتوسع بخطوات، وكان هذا نتيجة لعاملين: أولهما توسع المدن وازدياد الأماكن العامة، والثاني رغبة الفنانين لإبراز مواهبهم وعرضها للعامة خارج حدود المباني المغلقة.

وهكذا انتشرت الأعمال الفنية في أغلب الأماكن الحضرية، كالساحات وتقاطعات الطرق والحدايق وغيرها، وظهرت دراسات كثيرة وطرق وأساليب سليمة في إنشائها لاستيعاب الفن العام في الأماكن الحضرية، فلم يعد مفهوم المدينة مجرد أداة وظيفية بل أصبح أغلبها عملاً فنياً تم تصوره وإدراكه وتنفيذه.

وهذا لا يعني أنه لا توجد حالياً أعمال فنية غير مقبولة من قبل الجمهور، وسبب عدم القبول قد يكون وجودها في أماكن سيئة، أو أنها تعطي إحساساً بعدم الرضا والارتياح بسبب سوء اختيار الأعمال الفنية و مناسبتها للأماكن العامة.

وقد تم تمييز ثلاث نماذج للفن العام في الأماكن الحضرية، تشكل تخطيطاً للممارسات الفنية من قبل (miwon kwon)⁽⁹⁾ وهي:

1 (الفن في الأماكن العامة: وعادة ما يكون فن النحت التجريدي الحديث موضوعاً في الهواء الطلق ”لتزيين“ أو ”إثراء“ المساحات الحضرية، وبخاصة مناطق الساحات المواجهة للمباني.

2 (الفن كمساحات عامة : وهو الفن الأقل توجهاً للأشياء وأكثر وعياً بالموقع، يسعى إلى التكامل بين الفن والعمارة والمواقع العامة، في تصميم مشاريع حضرية.

(8) شاهين، دعاء. الأعمال الفنية في ساحات وميادين المدن. 2015م. قسم التصميم الداخلي. كلية التربية. الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب. العدد 25.

(9) Kwon, Miwon. Public Art and Urban Identities 2002 .

http://www.urgentimagination.front.bc.ca/wp-content/uploads/2015/09/MiwonKwon_Public-Art-and-Urban-Identities.pdf

[-miwon-identities-urban-and-art-public/readings/program/ca.bc.front.urgentimagination.www://http://kwon](http://miwon-identities-urban-and-art-public/readings/program/ca.bc.front.urgentimagination.www://http://kwon)

3) الفن للمصلحة العامة، غالبًا ما تكون برامج مؤقتة تعتمد على المدينة وتركز على القضايا الاجتماعية بدلاً من البيئة المبنية حيث تنطوي على التعاون مع الفئات الاجتماعية المهمشة (بدلاً من محترفي التصميم).

وتعكس هذه النماذج الثلاثة للفن العام التغييرات في الممارسات الفنية، بين الاهتمامات الجمالية والقضايا الاجتماعية ومفهوم العمل الفني منذ قيامه والأحداث التي مر بها؛ الدائمة منها أو المؤقتة، والأعمال التشاركية، وطرق الوصول إليها، وهذه التغييرات تشمل ممارسي هذه الأعمال والجهات المنفذة لها، والمنظمات الفنية، ومستعملي الفن في الأماكن الحضرية.

2 - الأماكن الحضرية العامة:

هي الساحات العامة، وهي ليست فقط مساحة اجتماعية تتفاعل مع الجمهور، ولكنها توفر خلق التفاعل الاجتماعي والاستمتاع به، وهناك علاقة جيدة بين الناس والأماكن الحضرية العامة؛ لأن الناس يشاركون بشكل مباشر في الأماكن العامة، علاوة على ذلك، تؤثر جودة الأماكن العامة على تفاعل الناس⁽¹⁰⁾. كما يسهل الوصول إليها من خلال المتابعة البصرية والملاحظة، كما أوضح (krir) مفهوم الفضاء الحضري الذي يعاد تقييمه ضمن المدن الحديثة، بأنه هو جميع الفضاءات المحصورة بين المباني في المدن، وهو فضاء محاط هندسياً بمجموعة من الواجهات، ومن السهل إدراك خصائصه الهندسية والجمالية، والشكلان الأساسيان للفضاء هما الشارع والميدان، كما أشار إليها (lynch) هي العقد أو البؤر المتمثلة في الساحات العامة ونقاط التقاء الحركة.

فالأماكن نقطة انطلاق في الفضاء، وهي التي تأتي سابقة لأي شيء في الحياة، ليتواجد فيها هذا الشيء، كما أن الفضاء يستمد وجوده من المواقع، وليس من الفضاءات، ومن الجدير بالملاحظة، أن المكان هو التفصيل المدرك بالحواس للوجود في هذا العالم، وحين يتكون المكان، ويصبح موجوداً، وبداخله وخارجه فضاء، يمكن التعرف إليهما من خلال التجارب المختلفة، التي تحدث في كل منهما؛ وتحدث تلك التجارب خلال وجود الأجساد التي تُكون الأماكن، التي تعيش أيضاً في الأماكن، فبدون الأجساد لاوجود للأماكن، ومن ثم لايمكن معرفة الفضاءات، كما أن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين المكان والفضاء والزمن⁽¹¹⁾.

2 - 1 - أنواع الأماكن الحضرية العامة

صنف (carmona) أنواعاً مختلفة من الأماكن العامة الحضرية، على أنها إما مساحات إيجابية أو "سلبية" أو غامضة أو خاصة، ويحدد كيف توظف هذه الأماكن بطرق مختلفة تعكس النقاط التي استخدمها كارمونا من وجهة نظر معيارية معينة، التي تدعم المشاركة الديمقراطية، وتعزز التبادل الثقافي

(10) Davari, Sara, Exploring the Role of Public Art on Urban Public Space: An International Framework. 2014 Institute of Graduate Studies and Research in the partial fulfillment of the requirements for the Degree of Master of Science in Urban Design, Gazimagusa, North Cyprus. p6

(11) أبو سعدة، هشام جلال. 2018م. كتاب البعد الخامس "التصميم الحضري- أجواء المدينة".

والاجتماعي، وتولد الراحة، وبالتالي، فإن التسميات "الإيجابية" و "السلبية" تشير إلى المساحات التي تعمل بوضوح لدعم أو إحباط هذا الرأي. ولا يعني هذا أن المساحة تكون جيدة أو سيئة. بل تهدف إلى الطرق المتعددة التي تظهر بها الأماكن العامة في العالم ، وكيف يتم تصميم بعضها وإدارتها بطرق تعطي الأولوية للسفر والتنقل وتعزيز الآخرين لأولوية للتفاعل الاجتماعي⁽¹²⁾. وسيتم سرد الأنواع السلبية والإيجابية في الجدول الآتي:

| أماكن "إيجابية" | | | |
|-------------------------|---|--|---------------------------------|
| وصف | أمثلة من سانت بول | الخصائص المميزة | نوع |
| نهر المسيسيبي |  | السمات الطبيعية وشبه الطبيعية داخل المناطق الحضرية، وعادة ما تكون تحت ملكية الدولة. | مساحة حضرية طبيعية / شبه طبيعية |
| رايس بارك |  | الأشكال التقليدية للمساحات الحضرية، مفتوحة ومتاحة للجميع وتخدم مجموعة متنوعة من الوظائف. | الفضاء المدني |
| مركز Groveland الترفيهي |  | مساحة مفتوحة مُدارة، وعادة تكون خضراء ومتاحة ومفتوحة للجميع، حتى لو تم التحكم فيها مؤقتًا. | مساحة عامة مفتوحة |
| أماكن "سلبية" | | | |
| وصف | أمثلة في سانت بول | الخصائص المميزة | نوع |
| شارع ماكالستر |  | تهيمن على المساحة احتياجات الحركة ، إلى حد كبير للنقل الآلي. | مساحة الحركة |
| موقف سيارات حديقة فالين |  | مساحة تسيطر عليها احتياجات الخدمة الحديثة. | مساحة الخدمة |

| | | | |
|--|---|--|--------------------------|
| مثلث كامبريدج |  | المساحة المتبقية بعد التطوير، غالبًا تكون بدون وظيفة. | بقايا الفضاء |
| أرض فارغة بالقرب من شارع الجامعة وليكسنجتونباركواي |  | مساحة غير مطورة، إما مهجورة أو في انتظار إعادة التطوير. | مساحة غير محددة |
| أماكن "غامضة" | | | |
| وصف | أمثلة في سانت بول | الخصائص المميزة | نوع |
| محطة مستودع الاتحاد |  | محطات النقل والتقاطعات سواء الداخلية أم الخارجية. | مساحة التبادل |
| مركز لاندمارك |  | يبدو فضاء خارجيا عاما، وفي الواقع، مملوك للقطاع الخاص وبدرجات أكبر أو أقل خاضعة للرقابة. | مساحة عامة "خاصة" |
| محطة سيدواي في شارع سنيلينج |  | مساحات التبادل المملوكة للقطاع الخاص والتي يمكن الوصول إليها من قبل الجمهور. | مساحة تجزئة |
| شركة Urban Growl-er Brewing Co |  | الاجتماعات شبه العامة والأماكن الاجتماعية العامة والخاصة. | مساحات المركز الثالث |
| كلية ماكاليستر |  | مساحة خاصة ماديًا، ولكن مرئية بشكل عام. | مساحة خاصة مرئية |
| مركز Groveland الترفيهي |  | مساحات لمجموعات مختارة، يتم تحديدها والتحكم فيها أحيانًا حسب العمر أو النشاط. | اختيار المستخدم للمسافات |

الجدول (1) يوضح انواع الأماكن العامة "الإيجابية" و"السلبية" و"الغامضة" حسب تقسيم كارمونا.

2 - 2 - خصائص الأماكن الحضرية العامة :

الأماكن الحضرية هي جزء من السياق العام للمدن، ويرتبط بتصميمها كل ما يحيط بها من مباني، والمقياس الإنساني، وعناصر معمارية، وحركة نقل عام والتأثيرات البيئية ووظائفها، جميعها تعمل على الاستخدام والتفاعل الاجتماعي، إذا تشكلت بمعايير وخصائص ناجحة. كما أشار إليها (فيتروفوس) عند التصميم والبناء يجب مراعاة الآتي: المتانة، الملاءمة، الجمال. وتشمل خصائص المكان الحضري الآتي⁽¹³⁾:

- ميزات تصميمية وهندسية مثيرة للاهتمام من الناحية المرئية تعزز مشاركة المجتمع.

- تستوعب استخدامات متعددة ومستخدمين متعددين.
- يمكن الوصول إليها عن طريق المشي أو ركوب الدراجات أو النقل العام.
- استخدام وحماية وتعزيز البيئة والخصائص الطبيعية.
- أنشطة الفضاء العام، يعزز الاتصال البشري والأنشطة الاجتماعية.
- تعكس المساحة العامة الثقافة أو التاريخ المحلي للمجتمع.
- يعزز التفاعل الاجتماعي ويخلق إحساسًا بالمجتمع وحسن الجوار.
- يوفر إحساسًا بالراحة أو الأمان للأشخاص الذين يجمعون ويستخدمون المساحة.
- ويشجع على الاستخدام والتفاعل بين شرائح متنوعة من المجتمع.

3 - الفن العام :

الفن العام معانٍ متنوعة ولكن توجد دائماً علاقة واحدة، هي أن الفن العام يشغل حيزاً عاماً، ومن هنا يُقصد بالفن العام أن يكون متاحاً مادياً وحرراً للجمهور، وغالباً ما يكون الفن العام خاصاً بالموقع أو الجمهور، ويتعلق بالسياق الذي يقع فيه المكان، ويمكن أن تكون دائمة أو مؤقتة، داخلية أو خارجية، كبيرة أو صغيرة، ويمكن للفن العام احتضان جميع أشكال الفن، ومعالجه تتوسع باستمرار⁽¹⁴⁾. كما يسهل الوصول إليه من قبل الجميع لرؤيته، دون عوائق مادية أو طبيعية.

العمل الفني يشير كل ما فيه من حيوية وعناصر بناء إلى إدراك جمالي، فلا بد من احتوائه على بنية مكانية تعد المظهر الحسي، الذي يتجلى على نحوه الموضوع الجمالي، كما لا بد من بنية تعبر عن حركته الباطنية ومدلوله الروحي، بوصفه عملاً إنسانياً حياً⁽¹⁵⁾.

كما تعطى التشكيلات الفنية خواصاً تشكيلية من خلال الحركة المتجهة

(13) Chen ,Sherry Xinrui ,Characteristics of Public Spaces Posted . 2018 .<http://nclurbandsign.org/2018/01/characteristics-public-spaces/>

(14) PUBLIC ART):PUBLIC (ART AND PUBLIC SPACE ,<https://www.publicart-publicspace.org/about/vision-theoretical-framework>

(15) الخزعلي. حيدر عبد الامير. محاضرة مفهوم الفن والعمل الفني. 2013. كلية الفنون الجميلة، قسم التربية الفنية. <http://www.uobabylon.edu.iq/lectures/34174=lcid&1=depid&13=fid?aspx.lecture/uobColleges/iq.edu.uobabylon.www/>

للفراغ ، وتأثيراً بصرياً جمالياً يساعد على تكوين علاقات فراغية متحركة بين العمل و الكتل والأسطح المحيطة، فتعطيها شخصية مميزة⁽¹⁶⁾.

ويشير الفن العام إلى الشكل الفني للمكان العام والفضاء بشكل عام ويمكن توسيع محتوياته الملموسة؛ بالمعنى الضيق، فهي فنون تكوينية تركز على التقدير. لها خصائص مفتوحة وكذلك سمات أساسية للفن⁽¹⁷⁾.

3 - 1 - أنواع الفن العام

هناك تصنيفات كثيرة للفن أشار إليها الكثيرون، منها تقسيم الفن إلى قسمين هما الفن التشيكي المكاني (وهو موضوعنا) والفن الشعري الزماني، يستخدم الأول للألوان والثاني للأصوات والشعر⁽¹⁸⁾.

وبما أن الفن العام يقام على أماكن مفتوحة ومتاحة للجميع، فيكون له أنواع مختلفة ومتنوعة حسب أنماط الأماكن المستخدمة وتصنيفات متعددة وهي كالآتي :

- تاريخي: التذكارات مثل التماثيل وعناصر ورموز لشخصيات مهمة أو تعبر عن حدث تاريخي.

- جمالي: الزخارف مثل المنحوتات والنافورة وفن التركيب.

- وظيفي: الأثاث الحضري الذي يتمثل في تحسين وجودة الأثاث في المدينة، كالمقاعد والزجاج؛ للاستعمال الجيد.

وفي الجدول الآتي سنوضح أنواع الأعمال الفنية التي يمكن تشكيلها في الأماكن العامة.

| اسم العمل والغذى صنعه | مثال عن العمل الفني | اسم العمل الفني |
|---|---|--|
| تشارلز سمرز، بيرك آند ويلز، برونزية، جرانيت، 1865. |  | الدائمة: تهدف إلى البقاء في مكانها لفترات طويلة وأحياناً لقرون. من الأمثلة الشائعة: التماثيل والمنحوتات. والغرض منها هو الاستمرار، وتتكون من مواد متينة مثل البرونز والرخام. |
| رسم طباشيري خاص بالموقع، وسط فرانكستون، 2009. من قبل Sutton Gallery |  | المؤقتة: لها عمر محدد يتراوح بين بضع إلى عدة سنوات. تشمل عمليات الإسقاطات والعروض التي تم إنشاؤها في الأماكن العامة. والمواد والتقنيات متنوعة كالنباتات والطباشير. |

(16) ياسين. هند فؤاد جميل، دور عناصر تنسيق الموقع في إثراء القيم الجمالية والوظيفية للفراغات الحضرية. 2015 م. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الهندسة المعمارية.

(17) PUBLIC ART :PUBLIC (ART AND PUBLIC SPAC .<https://www.publicart-publicspace.org/about/vision-theoretical-framework>

(18) طرابيشي، ترجمة: جورج. هيجل-فن العمارة. 1979. من كتاب 'hegel.f.w.g par Architecture'L. 1964. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. الطبعة الأولى.

| | | |
|---|---|--|
| سوزان هيويتوبينيلوب لي 2008 |  | المستقلة: يتم تعريف الأعمال الفنية المستقلة من خلال كونها ثلاثية الأبعاد ومستقلة عن الهياكل الأخرى، مثل المباني. |
| جوليا ديفيس، (بحيرة براون)، ملح البحيرة الطبيعي 2010 |  | التثبيت على الموقع: يكون العمل الفني والموقع على نفس القدر من الأهمية و تكون في حوار مع بعضها البعض، حيث يكتسب كل منهما معنى في علاقة متبادلة. |
| راي توماس ، موقع عرض آخر 17 ، برونزي ، 1995 |  | الدمجة: هو عمل مدمج في هيكل آخر- مثل تصميم مبنى أو منظر للشوارع أو تصميم المناظر الطبيعية. تشمل رصف الشوارع، والمقاعد المنحوتة، والزجاج المصمم من قبل الفنان. |
| في ملبورن آرت ترام، 2013. من الفنانة أنا شوارترز |  | المطبقة: هو عمل يتم تطبيقه مباشرة على سطح هيكل آخر، داخلياً أو خارجياً، ويكون دائماً ثنائياً الأبعاد تقريباً. من الأمثلة الجداريات على المباني، و "فن الشارع". |
| حركة عامة، ساحة تدريب، بتكليف من المركز الأسترالي للفن. |  | على أساس الأداء: تشمل الاداءوالرقص والموسيقى وغيرها من الأعمال في الأماكن العامة. وغالبا ما تكون مؤقتة. |
| شجرة الحياة، ألمنيوم، آلية داخلية، 2010. منتزه مكليلاندسكلبتشر. |  | الحركية: العمل الفني الحركي هو العمل الذي يتحرك بطريقة ما. |
| نيك ازيديس، بدون عنوان، 2017. بتكليف من مهرجان جيرترود ستريت بروجيكشن |  | الرقمية: تتضمن الفيديو الذي يتم تشغيله على شاشة خارجية، أو الصور التي تم إنشاؤها بواسطة الكمبيوتر (CGI)، وتسمح بإسقاطات ضوئية تتناسب مع السمات المعمارية لمبنى معين. |

الجدول (2) يوضح أنواع الأعمال الفنية العامة في الأماكن الحضرية العامة (19).

3 - 1 - خصائص الفن العام :

يتميز الفن العام بالعديد من الخصائص العامة منها التنوع والنمط والمظهر

(19) What is public art? <https://acca.melbourne/education/resources/public-art/what-is-public-art/>

- العام، ويمكن إدراج خصائص العمل الفني على النحو الآتي (20):
- الشمولية: يجب أن يكون العمل الفني بمعايير فنية عالية، وبشكل عام فإن العمل الفني ينتمي إلى مجموعة من القيم الفنية المناسبة للمكان والزمان، التي من شأنها أن تؤدي إلى تحقيق تقدير نقاد الفن.
 - الاستمرارية الفردية: تعكس أعمال الفنان-حسب طبيعتها خلال فترات معينة- وجهة نظر الفنان، وبما أن الفنان يتغير بمرور الوقت، ويمكن اعتبار هذا بمثابة تطور للفنان بمراحل فنية مختلفة.
 - متطلبات النشر: يجب نشر الأعمال الفنية وتقديمها للمشتريين والنقاد، لتقييمها من العامة.
 - التجريد: يجب أن يفسر الفنان الطبيعة بناءً على حسه وعقله، فالعمل المطابق للأصل ليس فناً.
 - الإبداع / الأصالة. يجب أن يكون العمل الفني مبدعاً وفريداً وأصلياً.
- 4 - العلاقة بين الفن العام والمكان الحضري العام :
- ظهرت العلاقة بين الفن العام والمكان الحضري العام بطرق مختلفة، حيث يعد الفن أحد العناصر التي تشكل المكان العام، وأحياناً يستعمل المكان كمادة من أدوات الفن العام، ويساهم الفن في المكان الحضري بعوامل عديدة منها الجمالية والمادية والاجتماعية والاقتصادية، عندما يتم تصميمها وفق معايير وجودة عالية؛ لتحقيق هذه العوامل آخذين في الحسبان:
- الهوية : يجب مراعاة ما إذا كان الفن يتسق مع خصائص المدينة وثقافتها المحلية والاحتياجات الاجتماعية.
- المكان: إذا لم يوضع العمل الفني في المكان الحضري المناسب حتى وإن كان يتمتع بالحس الجمالي فإنه لا يمكن الترويج له وخلق الجو الاجتماعي.
- الوصول: يجب أن يكون متاحاً للجميع، وأن يكون الفن العام في مكان مفتوح يمكن الوصول إليه بسهولة، ويمكن العثور عليه والتفاعل معه.
- الاستمرارية: يكون الفن العام طويل الأمد في الموقع، فالغرض منه أن يكون جزءاً من تصميم المكان؛ ولذلك يكون مقاوماً للطبيعة، محافظاً على شكله الأصلي.
- الشمولية: يحتاج الفن المرئي، الذي يتعامل مع العمارة والتصميم الحضري إلى الاستثمار والموافقة من الهيئات الحكومية والمنظمات الفنية لإنجاحه.
- 5 - تأثير الفن العام على المكان الحضري العام :

يعكس الفن العام في الأماكن الحضرية العامة العديد من الصفات والرموز المادية والحسية، النابعة من مستعملي هذه الأماكن، التي تؤثر " إيجاباً" او "سلباً" على استعمالها، فإما أن تشجع الناس على التوجه إليها وقبولها وإظهار مشاعرهم وأحاسيسهم التي تشير إلى هذه الأعمال الفنية، وإما أن يكون العمل

(20) Tugba .Elif .Emine .Duzenli .Merve Alpak .Tarakci .THE SIGNIFICANCE OF PUBLIC SPACE ART IN LANDSCAPE ARCHITECTURE .Article .2017 · <https://www.researchgate.net/publication/322314429/>

الفني غير مقبول ، وعندها سوف يؤثر على المكان الحضري سلباً؛ وذلك بسبب عدم تطبيق المبادئ الفنية وعدم مطابقتها للمكان الحضري ، فـ ” الحقيقة هي: أن الصور التي لاتشبه الواقع لا تحظى بالقبول، حتى وإن كانت جميلة من الناحية الفنية، فينبغي علينا ألا نقيم -بشكل متسرع- أعمالاً موضوعها يخالف مبادئ الواقع القائم“⁽²¹⁾.



الشكل (4) يوضح نماذج الفن الحديث المزيف (الغير مقبول) من وجهة نظر فيتروفوس. المصدر: (22)

أما تأثير الفن العام على الأماكن الحضرية فيكون في النواحي الآتية:
تجميل المدينة، توظيف المكان، جذب الاستثمارات، جذب السياحة، إضافة قيمة للمكان، خلق فرص عمل، زيادة استخدام الأماكن العامة، تحسين السلامة وتقليل الخوف، تنمية الإحساس بالمكان، تطوير هوية المدينة، معالجة احتياجات المجتمع، التحسين الجمالي للمكان، التغيير الاجتماعي، تغيير المناظر الطبيعية⁽²³⁾.
وهكذا نرى أن استخدام الفن في الأماكن العامة يعد أمراً أساسياً للأسباب الآتية:
المنتجات الفنية لها خصائص اقتصادية وسياسية واجتماعية تخدم القيم الاجتماعية والثقافية للمكان العام.
يمكن للفن العام أن يلعب دوراً مهماً في معالجة جودة التصميم للأماكن الحضرية العامة.
يساهم الفن العام بشكل مباشر في جودة الأماكن العامة وصلاحيتها للعيش من خلال إنشاء أنشطة نابضة بالحياة ومتنوعة للجمهور.

(21) فيتروفوس. الكتب العشرة في العمارة. 1914. اعداد يسار عابدين. عقبة فاكوش. جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية. نسخة من ARCHITECTURE ON BOOKS TEN THE. مطبعة جامعة اوكسفورد. ص 206

(22) نفس المرجع السابق. ص 206

(23) Davari. Sara. Exploring the Role of Public Art on Urban Public Space :An International Framework 2014 . Institute of Graduate Studies and Research in the partial fulfillment of the requirements for the Degree of Master of Science in Urban Design .North Cyprus .p35

يعد الفن العام النقطة الأساسية للمساحة العامة المصممة بنجاح، التي يمكن الوصول إليها والالتقاء بها. يساعد الفن العام في بناء هوية أقوى ومجتمعات مرتبطة بشكل أفضل، في الأماكن الحضرية العامة. يمكن للفن العام أن يضيف أهمية للمكان من خلال العلاقة بينهما من ناحية الشكل، والقياس، واستخدام المواد، وتشكيلها. يتمتع العمل الفني بحضور عام كبير، عندما يركز على أحداث مهمة، كالحروب والأبطال والقصص المحلية.

6 - دراسة الحالة :

تم تحديد بعض المشاريع الفنية التي أقيمت بمدينة درنة في أماكن حضرية متنوعة، كنوع من التجديد الحضري ونوع من النهوض بالمدينة وإضفاء روح السلام والجمالية البصرية عليها. لذلك سيكون التقييم من خلال استطلاع رأى العامة، ومستعملي هذه الأماكن والمتخصصين. (حسب معايير منظمة pps الغير الربحية).

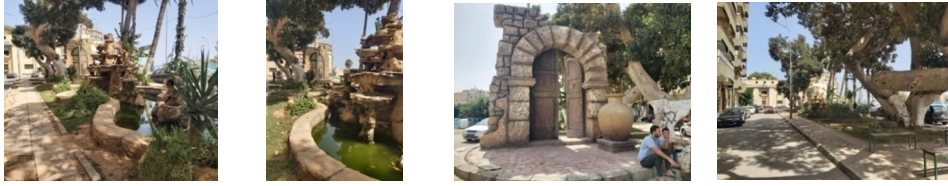
من الناحية المادية: من حيث التصميم، وطريقة تشكيل الأعمال الفنية، ودمجها مع تجديد مشاريع التنمية الحضرية للمكان، ونوع المكان الذي اختير لها، وعلاقتها بعناصر المكان.

من الناحية المعنوية: قبولها من مستعملي المكان، وما إذا كانت مريحة وآمنة، وما لها من رؤية بصرية جمالية، والتأثير الفني الجمالي والوظيفي على المكان الحضري.

6 - 1 - الباب القديم (بوخوخة) بحديقة الأوقاف:

المكان الحضري العام هو حديقة عامة مثلثة الشكل في مركز المدينة وعلى وادي درنة، وتصميم الحديقة متناسب مع العمل الفني، تحيط بها شوارع من ثلاث جهات، فرعية من الغرب ورئيسية من الشمال والشرق، فيمكن الوصول إليه بسهولة من الشارع الفرعي، كما أنه مريح وآمن، وتوجد به أماكن للجلوس، الذي ساعد على التفاعل والأنشطة الاجتماعية مع العمل الفني.

أما العمل الفني فهو عبارة عن نموذج لباب قديم من المدينة القديمة بدرنة، ويسمى ب(باب بوخوخة)، وبجواره جرة مياه ترمز لترات درنة، والباب مفتوح على الجهة الجنوبية مقابلة لمسجد الصحابة من بعيد، كنوع من الاتصال البصري الممتد من فتحة الباب إلى المسجد. و العمل الفني (دائم)، تم تشكيله بشكله الأصلي من مواد محلية وبألوان بسيطة تقليدية، وبحجم أكبر من المقياس الإنساني؛ لیساعد على رؤيته بوضوح والوصول إليه بسهولة، كما أن العمل مناسب للموقع والمكان الحضري المختار له ولا يطفئ عليه ولا يسد أي واجهات.



الشكل (5) يوضح صور من العمل الفني لمجسم الباب القديم بحديقة الأوقاف. المصدر: الباحثان

6 - 2 - نموذج القارب بجزيرة دوران ميناء درنة :

المكان الحضري العام هو جزيرة دوران ميناء درنة، على حركة رئيسية وسريعة على الواجهة البحرية، و تصميم الجزيرة متناسب ومتناسق مع العمل الفني، لكن لا يمكن التفاعل مع المكان، والحركة فيه ليست سهلة؛ بسبب عدم أمان الوصول إليه بسبب كثافة مرور المركبات. العمل الفني عبارة عن قارب قديم من أقدم المراكب التي تعمل بميناء درنة، دائم وتم وضعه بالقرب من ميناء درنة كرمز لتاريخ ميناء درنة، وأضافوا بجانبه بعض العناصر الجمالية التي ترمز للميناء والبحر، مثل الدفة وصندوق مجوهرات، تشكلت من مواد محلية صخرية، وألوان تقليدية، كما أن العمل بحجمه الأصلي (قارب)، ويمكن رؤيته بوضوح، كما أنه لا يطفئ على المكان الحضري العام.



الشكل (6) يوضح صور من العمل الفني لنموذج القارب في جزيرة دوران ميناء درنة. المصدر: الباحثان

6 - 3 - نصب (قوس ماركوس) بحديقة عامة قرب نادي دارنس:

المكان الحضري العام هو حديقة تحيط بشوارع فرعيه ومحلات تجارية في مركز المدينة مجاور للمدينة القديمة، صممت الحديقة مع العمل الفني بشكل مناسب نوعاً ما، ويعد مكاناً وظيفياً تجارياً؛ لذلك لا توجد تفاعلات اجتماعية تقام عليه بشكل كبير؛ بسبب إحاطته بعدد كبير من المحلات التجارية، على الرغم من أنه مريح وآمن ويمكن الوصول إليه بسهولة. العمل الفني عبارة عن نموذج دائم ومصغر لقوس ماركوس من المدينة القديمة من تراث مدينة طرابلس، تشكل بمواد محلية تقليدية صخرية وبمقياس يمكن رؤيته بوضوح، بحجم متوسط بالنسبة للموقع، حيث يأخذ حيزاً، لكن لا يطفئ على المكان.



الشكل (7) يوضح صور من العمل الفني لقوس ماركوس في حديقة عامة قرب نادي دارنس. المصدر: الباحثان

6 - 4 - النافورة بحديقة شارع البحر:

المكان الحضري عبارة عن حديقة بشارع البحر في مركز مدينة درنة، من جهة، والجهات الثلاث الأخرى تحيط بها مبان قديمة من فترة حكم الإيطاليين والمملكة، وحديثة، فالحديقة في منطقة متراصة المباني مع أزقة وشوارع ضيقة، تساعد على الوصول إلى العمل الفني بسهولة، والتفاعل الاجتماعي معه براحة وأمان.

والعمل الفني عبارة عن نموذج دائم وتجريدي لقوس مع عمود أثرى مع النافورة مجتمعة معاً، تشكلت بمواد وألوان محلية تقليدية، وبحجم صغير لا يغطي على المكان؛ لهذا لا يساعد أحياناً على رؤيته بوضوح وبتركيز، كما أنه مناسب للموقع والمكان.

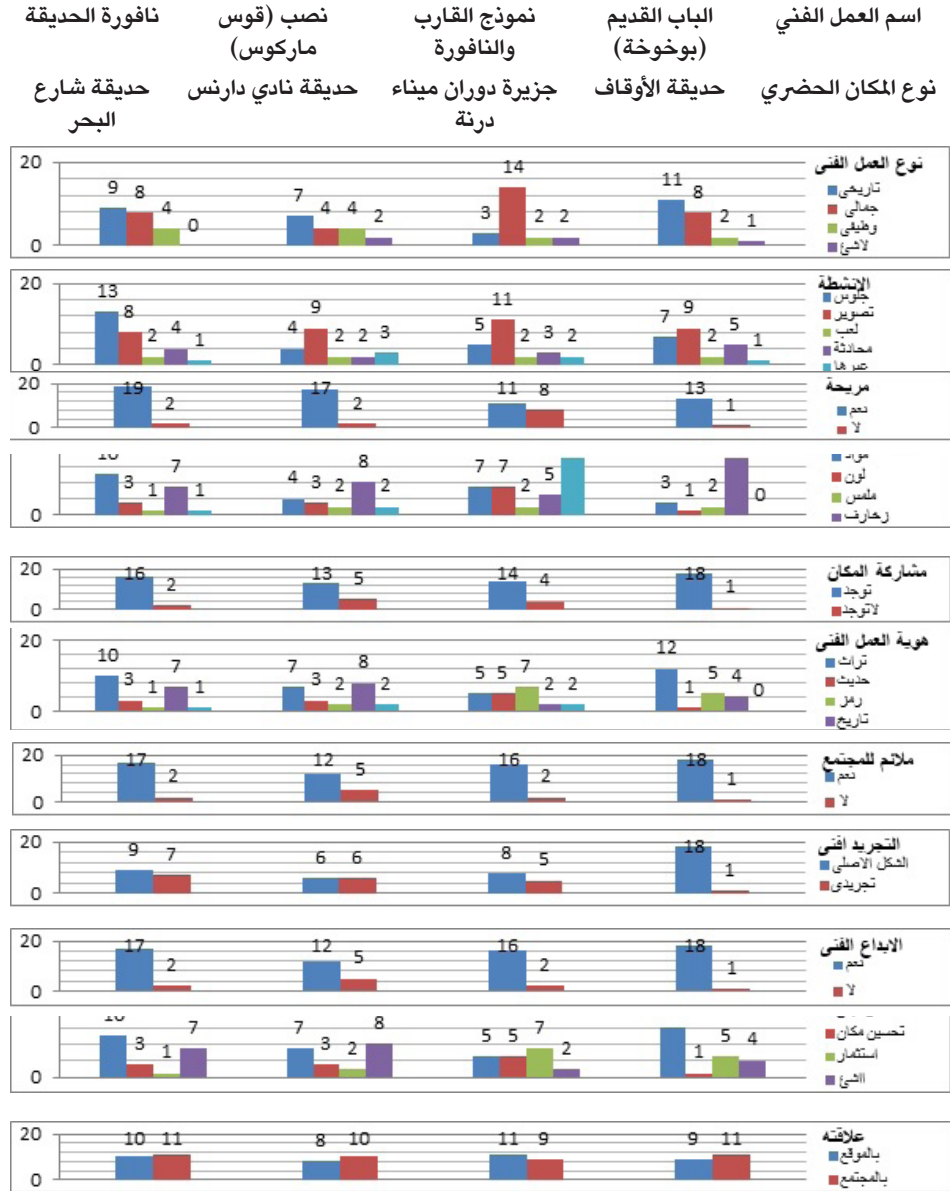


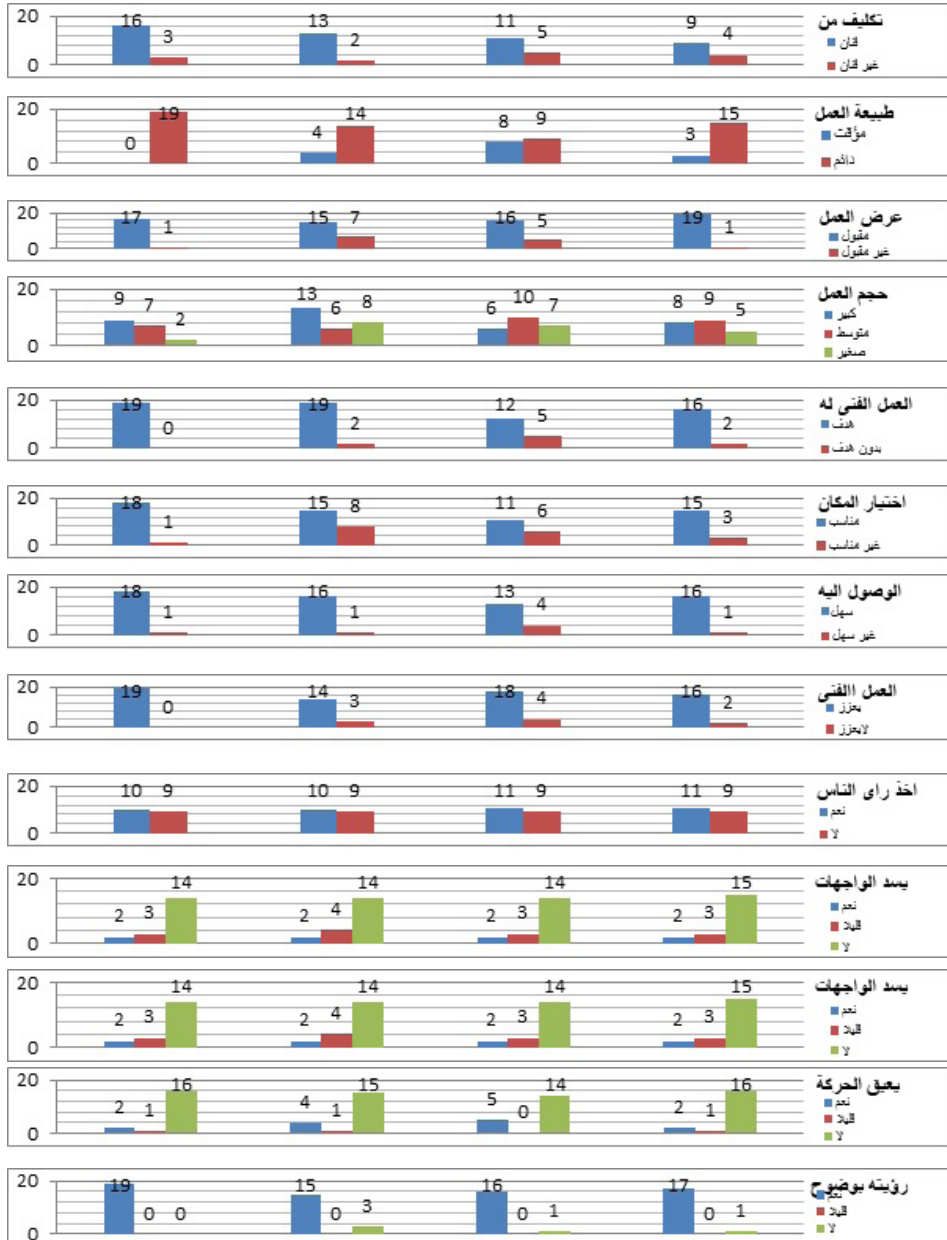
الشكل (8) يوضح صور من العمل الفني لنافورة اثرية في حديقة عامة بشارع البحر. المصدر: الباحثان

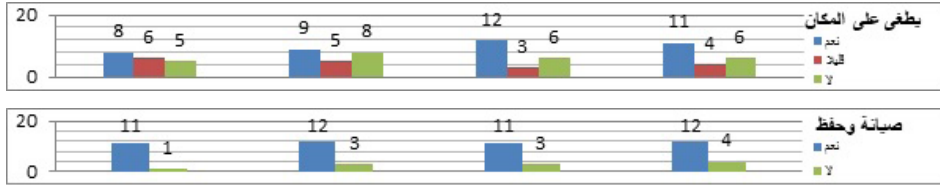
مما سبق أظهرت نتائج تحليل ووصف الفن العام في الأماكن الحضرية بمدينة درنة، أن كل الأعمال الفنية تشترك في تشكيلها بمكونات محلية بسيطة، وكل عمل فني يتناسب مع المكان ويرتقى بتصميمه، كما أن حجم كل عمل ملائم للمكان ولا يغطي عليه ولا يعيق الحركة حوله. وتختلف الأعمال الفنية في الهوية والرمزية، والرؤية بوضوح، والوصول إلى المكان بسهولة.

أما التحليل الخاص بأراء مستعملي الأماكن الحضريّة ، و تفاعلهم مع المكان والعمل الفني فيه، فنضع نتائج آرائهم في الجدول الآتي:

معايير التقييم للفن العام في المكان الحضري







الجدول (3) يوضح آراء الناس ومستعملي المكان والمتخصصين حول الفن العام في الأماكن الحضرية الأربعة.

نلاحظ من الجدول أن آراء الناس ومستعملي الأماكن الحضرية مشتركة في الإجابة، وتتمثل أغلبها في التفاعل الاجتماعي مع المكان الحضري والعمل الفني، ويكون ترتيبها بالأكثر استعمالاً، الجلوس ثم التصوير فالمحادثة واللعب، وأن جميع الأعمال الفنية تتميز بإبداع فني، ويمكن رؤيتها بوضوح ولا تسد أية واجهة للمباني، ولاتعيق الحركة داخل الأماكن الحضرية، ومناسبة وملائمة لها. كما انها مريحة وامنه، ويمكن الوصول إليها بسهولة. كما تباينت آرائهم في الإجابات من حيث اختيار نوعية وهوية العمل الفني وتجريده، وأنه يطغى على المكان. ورؤيتهم لحجم الأعمال الفنية بين الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وأن العمل الفني له علاقة بالمجتمع و بالمكان.

7 - الخلاصة :

يعد الفن العام في الأماكن الحضرية من أهم القضايا في التصميم الحضري، لارتباطها معاً منذ العصور القديمة إلى وقتنا الحاضر، وزاد الاهتمام بهما أيضاً بوضع معايير تصميمية تساعد على إنجازهما؛ لتوفير بيئة مفتوحة لعامة الناس، وفرص للتفاعل الاجتماعي معهم، هذا إذا ما كانت الأماكن الحضرية "إيجابية" وناجحة مع العمل الفني، مع وجود توافق وانسجام بينهما، وعلى الرغم من أن الفن العام لا يعد عنصراً أساسياً في تصميم الأماكن الحضرية، إلا أنه له تأثير قوي في التعبير عن هوية وثقافة المجتمع والمدينة، ويكون علامة بصرية مميزة في البيئة الحضرية المادية.

نستنتج من دراسة الفن العام في الأماكن الحضرية الأربعة بمدينة درنة أنه لها الصفات نفسها والخصائص نفسها تقريباً، سواء في الفن العام أم الأماكن الحضرية، وعلاقتها معاً متناسبة، وأغلبها ملائمة للمجتمع.

أما تأثير الفن العام على المكان الحضري فكان واضحاً من خلال آراء الناس، وهو الشعور بالرضا حول تشكيل الأعمال الفنية؛ لأنها تعكس تاريخهم وثقافتهم، وتعد الأماكن الحضرية "إيجابية" بالنسبة لهم.

ونستلهم من الخلاصة أن الفن العام في الأماكن الحضرية بمدينة درنة، ساهم في زيادة التفاعل الاجتماعي، وتحسين جودة التصميم الحضري للأماكن الحضرية وتحسين الصورة البصرية، وميزها جمالياً عن باقي الأماكن الحضرية الأخرى بالمدينة.

8 - التوصيات والمقترحات :

هناك بعض التوصيات والمقترحات تخص الفن العام في الأماكن الحضرية العامة وهي كالآتي:

يجب الاهتمام بالفن العام في الأماكن الحضرية وتوظيفه في المدن وتطويره والمحافظة عليه من خلال التعاون بين المتخصصين من فنانيين والمصممين الحضريين والخبراء؛ من أجل توفير المعارض الخارجية وتحسين صورة المدينة. يجب وضع معايير التصميم والمراجعة للفن العام في الأماكن الحضرية، التي تستند إلى عوامل عدة من أهمها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الخاصة بالمدينة، وبالمكان الحضري؛ لتتناسب مع محيط البيئة الحضرية، ومع المجتمع ومرئادي هذه الأماكن الحضرية.

التركيز على تقييم علاقة الفن العام مع الأماكن الحضرية بعد الاستعمال، وتأثيره عليها من خلال تفاعل الناس، والاستفادة منها، إذا ما كانت "إيجابية"، وتمارس بشكل جيد، أو معالجتها إذا ما كانت "سلبية" مع معرفة الأسباب. الاستفادة من التجارب السابقة للفن العام في الأماكن الحضرية، من جميع النواحي: المادية والنوعية والمكانية؛ لرفع مستوى الأماكن الحضرية المراد تطويرها، أو إعادة استعمالها، أو إصلاح المتضررة منها، سواء مادياً أم نوعياً.

المراجع :

الكتب العربية الالكترونية :

1. ابو سعدة، هشام جلال. كتاب البعد الخامس "التصميم الحضري- اجواء المدينة". 2018 م.
2. طرايبشى. ترجمة: جورج. هيجل- فن العمارة. من كتاب L'Architecture par g.w.f.he- 1979 . gel 1964 . دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الاولى،
3. فيتروفوس. الكتب العشرة في العمارة. اعداد يسار عابدين. عقبة فاكوش. جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية. نسخة من THE TEN BOOKS ON ARCHITETURE . مطبعة جامعة اوكسفورد. 1914. ص206. <http://www.urbandesign.org/pub-licspace.html>

الكتب الاجنبية الالكترونية :

4. Krir. Rob. by colin rowe. Urban Space. (1991). fifth impression. Hong KONG.
5. Lynch. Kevin. The Image of The City. (1960). by the Massachusetts Institure of Technology and the President and fellows of Harvard College.
6. Sitte, Camillo. L'arte di costruire le città. (1953). a cura di Luigi Dodi: Antonio Valardi Editore. Printed in Italy. p83.

البحوث العربية الالكترونية :

7. الخزعلي. حيدر. عبد الامير. محاضرة مفهوم الفن والعمل الفني. 2013 . كلية الفنون الجميلة. قسم التربية الفنية. <http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=13&depid=1&lcid=34174>
8. رجب. الشوربجي، محمد إبراهيم. العلاقة الجمالية بين التماثيل الميدانية والفرغ المحيط. مجلة بحوث التربية. النوعية جامعة المنصورة - كلية التربية النوعية. يوسف، الزهراء أحمد رمضان م. مشارك. السيد، إبراهيم أحمد أحمد م. مشارك. 2016. <https://search.mandumah.com/Record/912037>
9. شحادة. آمنه. البنية الهندسية في النحت العربي المعاصر. جامعة دمشق. كلية الفنون الجميلة. قسم النحت. د.سمير رحمه اشرف. أ.م. د. محمد ميرة مشرف مشارك. 2015.
10. عبدالرحمن. هدير مجدى محى الدين. تطور المفهوم الجمالي للنحت الحدائقي في القرن العشرين. 2018 م. المجلد الثاني - العدد الثاني. مجلة الفنون التشكيلية والتربية الفنية قسم التعبير المجسم. تخصص نحت. اشرف أ.د/ محمد حامد رسمى. أ.د/ حنا حبيب رمله. كلية التربية الفنية جامعة حلوان جامعة المنيا. https://jfea.journals.ekb.eg/article_76120_b4105b1a6a7ee-8513ca96992143f1dbe.pdf
11. ياسين. هند فؤاد جميل. دور عناصر تنسيق الموقع في إثراء القيم الجمالية والوظيفية للفرغات الحضرية. 2015 م. قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الهندسة المعمارية. ص66.

البحوث الانجليزية الالكترونية :

12. Brighton. PRACTICE. Margareth. CREATING SIGNIFICANCE THROUGH PUBLIC PLACES ART AN INCLUSIVE + INTERDISCIPLINARY. PUBLIC ART & URBAN DESIGN: INTERDISCIPLINARY AND SOCIAL PERSPECTIVES. WATERFRONTS OF ART III. Australia. p47
13. Davari. Sara. Exploring the Role of Public Art on Urban Public Space: An International Framework. 2014. Institute of Graduate Studies and Research in the partial fulfillment of the requirements for the Degree of Master of Science in Urban Design, North Cyprus.p6
14. Tugba, Elif, Emine, Duzenli, Merve Alpak, Tarakci, THE SIGNIFICANCE OF PUBLIC SPACE ART IN LANDSCAPE ARCHITECTURE. Article . 2017. <https://www.researchgate.net/publication/322314429>

المواقع الالكترونية العربية :

15. الفن العام. [/https://www.hisour.com/ar/public-art-12698](https://www.hisour.com/ar/public-art-12698)
16. حوا, كميل. حكاية الفنون في متنزعات المدن المعاصرة. 2019. <https://ara.tv/jnrmv>
17. ويكيبيديا. فن الشارع. الموسوعة الحرة. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D8%B9%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D8%B9
18. ويكيبيديا. نحت. الموسوعة الحرة. <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%AD%D8%AA>
19. شاهين. د. علاء. الاعمال الفنية في ساحات وميادين المدن. 2015م. قسم التصميم الداخلي. كلية التربية. الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب. العدد 25 .

المواقع الالكترونية الانجليزية :

20. Chen. Sherry Xinrui. Characteristics of Public Spaces. 2018. <http://2017-2018.nclurbandesign.org/2018/01/characteristics-public-spaces/>
21. Kwon. Miwon. Public Art and Urban Identities. 2002. http://www.urgentimagination.front.bc.ca/wp-content/uploads/2015/09/MiwonKwon_Public-Art-and-Urban-Identities.pdf. <http://www.urgentimagination.front.bc.ca/program/readings/public-art-and-urban-identities-miwon-kwon/>
22. Project for Public Spaces. <https://www.pps.org/>
23. Project for Public Spaces. Design and Review Criteria for Public Art. 2008. CREATIVE PLACEMAKING. <https://www.pps.org/article/pubartdesign>
24. Project for Public Spaces. What Makes a Successful Place?. <https://www.pps.org/article/grplacefeat>
25. Project for Public Spaces. What Makes a Place Great. JUL 31, 2005. <https://www.pps.org/article/august2005whatmakesplacegreat>

-
26. **PUBLIC ART: (PUBLIC) ART AND PUBLIC SPAC.** <https://www.publicart-publicspace.org/about/vision-theoretical-framework>
 27. **Whate is puplic art?** <https://acca.melbourne/education/resources/public-art/what-is-public-art/>
 28. **20 TYPES OF URBAN SPACES.**<https://publicspaces.guide/20-types-of-urban-spaces%20%20/>
 29. **84 Aesthetics In Design.** John spacey. 2021. <https://simplicable.com/new/aesthetics-in-design>

الوفاة بين الشرع والطب

إعداد :

د. منصور شعت ضيف الله المالكي

محاضر_ كلية الآداب والعلوم سلوق_ قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية_ جامعة بنغازي

القبول : 26 / 10 / 2021 م

الاستلام : 10 / 09 / 2021 م

المستخلص :

إن تحديد لحظة وفاة الشخص وخروج روحه من جسده أمر اختص الله به، ولا يمكن للإنسان مهما وصل من العلم أن يحدد على وجه اليقين لحظة الوفاة، إلا أنه توجد علامات، تدل على حدوث الوفاة تحدث عنها العلماء، كما إن الأطباء اختلفوا في اللحظة التي تحدث فيها الوفاة، هل هي لحظة توقف القلب نهائياً عن العمل، أم هي لحظة موت خلايا المخ، ولو ظل القلب ينبض. الكلمات المفتاحية : الوفاة - خلايا المخ - الموت - العلماء.

Research Summary :

Determining the moment of a person's death and the exit of his soul from his body is a matter for God, but there are various signs, which occur at the moment of death. At death, is it the moment the heart stops working, or the moment the brain cells die, even if the heart is beating.

المقدمة

الحمد لله المنعم المتفضل الجواد الكريم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام السادة والشهداء والصديقين، المبعوث بخير الدنيا والآخرة وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد:

إن تحديد لحظة وفاة الشخص وخروج روحه من جسده أمر اختص الله به نفسه، ولا يمكن للإنسان مهما وصل من العلم أن يحدد على وجه اليقين لحظة الوفاة.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 42].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 145].

(وأجل الموت هو الوقت الذي في معلومه سبحانه، أن روح الحي تفارق جسده)⁽¹⁾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34].

(وأجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله إنه يموت الحي فيه لا محالة، وهو وقت لا يجوز تأخير موته عنه لا من حيث إنه ليس مقدوراً تأخيره)⁽²⁾. إلا أنه توجد علامات، تدل على حدوث الوفاة تحدث عنها العلماء، كما إن الأطباء اختلفوا في اللحظة التي تحدث فيها الوفاة، هل هي لحظة توقف القلب نهائياً عن العمل، أم هي لحظة موت خلايا المخ، ولو ظل القلب ينبض. إن أهمية البحث تتجلى في أنه بات من المسائل المطروقة بين أهل الطب وخصوصاً مع التطور الكبير في الأجهزة الطبية.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على بعض الكتب المعاصرة، مثل كتاب [الطب الشرعي]⁽³⁾، وكتاب [الأحكام الشرعية للأعمال الطبية]⁽⁴⁾، إضافة إلى كتب الفقه

(1) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ / 1985م، 4 / 146.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 7 / 129.

(3) د. محمد سليمان، الطب الشرعي، القاهرة، مكتبة الجمهورية، 1959م، و د. صلاح الدين مكارم، الطب الشرعي، نقابة المحامين، القاهرة، 1992م.

(4) د. أحمد شرف الدين، الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، مكتبة الجمهورية، القاهرة، 1992م.

الإسلامي، مثل كتاب [حاشية ابن عابدين] (5)، وكتاب [حاشية العدوي] (6). وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة وفهرس بالمصادر والمراجع وفهرس بالموضوعات وهي كالتالي :
المقدمة :

المطلب الأول: تعريف الوفاة في اللغة والشرع.

المطلب الثاني: الموت عند الفقهاء.

المطلب الثالث: الموت في الطب.

المطلب الرابع: آراء الفقهاء والأطباء حول موت الدماغ دون القلب.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

أسأل الله أن أكون قد حققت الغاية والهدف فيه، فما كان فيه من خير وتوفيق فهو من الله تعالى، وما جانبي الصواب فيه فهو من نفسي ومن الشيطان، وعلى كل الأحوال فإنني أحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على خير الأنام.

المطلب الأول: تعريف الوفاة في اللغة والشرع

أولاً: الوفاة في اللغة: (تطلق على المنية والموت، ويطلق الموت على ما هو ضد الحياة وعلى السكون) (7).

وجاء: (مات الحي موتاً، فارقتة الحياة، ومات الشيء همد وسكن، يقال:

ماتت الريح سكنت والنار بردت) (8).

وجاء: (الموت ضد الحياة، والميتة ما لم تلحقه الذكاة، والموت بالضم، الموت

والموات، ما لا روح فيه) (9).

وجاء في تفسير الموت على خمسة أوجه:

الأول: حال النطفة قبل انتقالها، قال تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: 28]، يعني نطفاً، وقال تعالى:

﴿ تَخْرُجُ الْحَيُّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ [آل عمران: 27]، يعني النسمة من النطفة.

الثاني: الضلالة، والميت الضال، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾

(5) محمد أمين بن عابدين دمشقي، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) حاشية ابن عابدين، دار الفكر، بيروت، 1386هـ.

(6) علي العدوي الصعدي، تحقيق الشيخ محمد البقاعي، حاشية العدوي على الخرشى (كفاية الطالب الرباني)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ.

(7) الفيومي، أحمد بن محمد المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، دت، ص 257، القاموس المحيط، الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، المكتبة التجارية، ط 5، القاهرة، 1954م، ص 206، ص 1731.

(8) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة، 1972م، 3 / 890.

(9) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، تحقيق محمود خاطر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م، مادة موت، ص 266.

[فاطر : 22]، يعني المؤمن والكافر، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل : 80].

الثالث : قلة النبات في الأرض، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 57]، يعني الأرض ليس فيها نبات فهي ميتة، وقال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: 33]، التي ليس عليها نبات.

الرابع: زهاب الروح عقوبة من غير أن تستوفي الأرزاق الأجل، قال تعالى في بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 243].

الخامس: زهاب الروح بالأجل، وهو الموت الذي لا يعود صاحبه إلى الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 57] (10).

ثانياً: الوفاة شرعاً: (مفارقة الروح البدن، ومما يدل على ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في شأن روح المؤمن وفيه: ((فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ ... وفي شأن روح الكافر فَيَنْتَرِعُهَا كَمَا يُنْتَرِعُ السَّفُودُ مِنْ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ)) (11).

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها: ((إن الروح إذا قبض تبعه البصر)) (12) (13).

(10) الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الرياض، 1416هـ، 3/ 318.

(11) أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، تعليق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت، كتاب حديث مسند الكوفيين، باب حديث البراء بن عازب، رقم (18557)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

(12) مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1374هـ، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت، رقم (2169)، (2/ 38)، عن أبي سلمة.

(13) محمد بن محمد العمادي، أبي السعود، تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، 1/ 231، تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م، 2/ 131، بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب مالك، الصاوي، أحمد بن محمد، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ.

المطلب الثاني: الموت عند الفقهاء:

يقول ابن عابدين: (الموت صفة وجودية خلقت ضد الحياة، وقبل عدمية، وعلامته استرخاء قدميه، واعوجاج منخره، وانخساف صدغيه، وأن تمتد جلدة خصيتيه لإشمار الخصيتين بالموت)⁽¹⁴⁾.
وجاء الموت: (الموت كيفية وجودية تضاد الحياة، فلا يعرى الجسم عنهما، ولا يجتمعان فيه)⁽¹⁵⁾.

وجاء: أنه يستحب إغماضه إذا قضى نحبه، والنحب النذر، ولا يخفى أن كل حي لا بد أن يموت، فكأنه نذر لازم، فإذا مات فقد قضى نحبه، أي نذره، وحاصله أن المراد مات بالفعل جزماً، ولذلك أتى بإذا المفيدة للتحقيق، ومن علامات تحقق الموت انقطاع نفسه وانفراج شفثيه)⁽¹⁶⁾.

وجاء في فقه الشافعية: (أن الموت مفارقة الروح للجسد، وقبل: عرض يضاف للحياة، وقيل الحياة عما في شأنه الحياة، هذا هو الأحسن لدخل السقط وإخراج الجمادات، لأن الأول يرد عليه السقط الذي لم تنفخ فيه الروح لأنه يقال عليه ميت مع أن روحه لم تدخل جسده حتى يقال فارقت، ويرد على الثاني الجمادات لأنه لا يقال عليها ميتة مع قيام العرض بها، والروح باق لا يفنى، وأما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: 42]، فيه تقدير أي حين موت أجسادها)⁽¹⁷⁾.

وجاء في مغني المحتاج: (الموت مفارقة الروح للبدن، ويبادر بغسله إذا تيقن موته بظهور شيء من أماراته كاسترخاء قدم وميل أنف وانخساف صدغ)⁽¹⁸⁾.
يتضح لنا من هذه النصوص أن الموت هو مفارقة الروح للبدن بحيث تتوقف جميع أعضاء الجسم الإنسان عن أداء الوظائف المنوطة بها توقفاً تاماً.
(أو هو التوقف الذاتي لجميع مظاهر الحياة وأجهزة الجسم وأعضائه، وأنه لا قول بموت ما دام جزء من الجسم حياً، فتوقف جنح المخ فقط لا يعد موتاً)⁽¹⁹⁾.
فالموت الذي تبني عليه الأحكام الشرعية من إرث وقصاص ودية وانتهاء العقود وغير ذلك من الأحكام لا يتحقق إلا بمفارقة الروح للجسد.
(وبهذه المفارقة تتوقف جميع أجهزة الجسم وتنتهي مظاهر الحياة من

(14) محمد أمين بن عابدين الدمشقي، حاشية ابن عابدين، 1/ 570.

(15) الصاوي، بلغة السالك، 1/ 193.

(16) علي العدوي الصعيدي، حاشية العدوي على الخرشي، 1/ 358.

(17) سليمان بن محمد البجيرمي، حاشية البجيرمي على الخطيب، دار الفكر، 1401هـ، 1/ 235.

(18) محمد الشربيني الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،

1377هـ، 1/ 329 - 332، حاشية البجيرمي، 1/ 253.

(19) الجمعية العمومية للفتوى والتشريع بمجلس الدولة، القاهرة، مصر، أخبار اليوم 5/ 5/ 1997م.

نفس ونبض ، وتماسك العضلات ، وغير ذلك)⁽²⁰⁾.
 وحتى يتحقق الموت فعلاً، فلا بد من خروج الروح من كل الجسد، فلو خرجت من بعض الجسد فقط، لا يعد هذا الشخص ميتاً، وتثبت له كل حقوق الأحياء.
 يقول ابن حزم: (من قتل إنساناً يوجد بنفسه بالموت، قال علي: رويانا من طريق أبي بكر بن شيبه عن جابر عن الشعبي في رجل قتل رجلاً، قد ذهب الروح من نصف جسده، قال: يضمنه: قال علي: لا يختلف اثنان من الأمة كلها في أن من قربت نفسه من الزهوق بعلّة أو بجراحة أو بجناية عمد أو خطأ، فمات له ميت، فإنه يرثه، وإن كان عبداً فأعتق، فإنه يرثه ورثته من الأحرار، وأنه إن قدر على الكلام فأسلم، وكان كافراً، وهو يميز بعد، فإنه مسلم، يرثه أهله من المسلمين، فصح أنه حي بعد بلا شك، إذن لا يختلف اثنان من أهل الشريعة وغيرهم في أنهم ليس إلا حي أو ميت ولا سبيل إلى قسم ثالث، فإن هو كذلك، وكنا على يقين من أن الله تعالى، قد حرم إجماع موته، وغمته ومنعه نفسه، فبيقين وضرورة ندر أن قاتله قاتل نفس بلا شك، فمن قتله في تلك الحال عمداً، فهو قاتل نفس عمد، أو من قتله خطأ فهو قاتل خطأ، وعلى العائد أو الدية أو المفاداة، وعلى المخطئ الكفارة، والدية على عاقلته، وكذلك في أعضائه القود في العمد)⁽²¹⁾.

وهذا للكلام الذي ذكره ابن حزم يدل على أنه: (لا يعتبر الإنسان ميتاً، طالما بقيت الروح في عضو من أعضائه، وهذا يدحض قول من قال: إن الموت هو موت الدماغ حتى ولو ظل القلب ينبض.

فالموت كما قلنا لا يتحقق إلا بمفارقة الروح لجميع الجسد، وتوقف جميع أعضاء وأجهزة الجسم عن العمل، مع برودة الجسم لفقدانه حرارة الحياة التي تبعثها الروح في الجسد، والتي تميز الحي من الميت، والسليم من السقيم)⁽²²⁾.
 أمارات الموت عند الفقهاء:

(يتحرى ويتثبت الفقهاء في الحكم على الشخص بأنه قد توفي فلا يحكمون بالوفاة إلا بعد ظهور أدلة واضحة عليها ، وقد لا تظهر هذه العلامات إلا بعد مضي مدة على خروج الروح خاصة في الحالات المرضية التي تستدعي المزيد من الحيطة)⁽²³⁾.

يقول ابن رشد: (فإذا قضى الميت غمض عينيه ويستحب تعجيل دفنه لورود الآثار بذلك إلا الغريق فإنه يستحب في المذهب تأخير دفنه مخافة أن يكون الماء قد غمره فلم تتبين حياته وإذا قيل هذا في الغريق فهو أولى في كثير من المرضى

(20) فضيلة الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر السابق، جريدة الأهرام، 11 / 8 / 1995م.

(21) ابن حزم، علي بن محمد بن سعيد، تحقيق: أحمد شاكر، المحل، مكتبة الجمهورية، القاهرة، 1387هـ، 1967م، 10 / 581.

(22) د. فوزية عبد الستار، الأساليب الطبية الحديثة والقانون الجنائي، القاهرة، مكتبة الجمهورية، 1988م، ص 114.

(23) بكر عبد الله أبو زيد، فقه النوازل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ، 1 / 222.

مثل الذين يصيبهم انطباق العروق⁽²⁴⁾ وغير ذلك مما هو معروف عند الأطباء، حتى لقد قال الأطباء: ” إن المسكوتين⁽²⁵⁾ لا ينبغي أن يدفنوا إلا بعد ثلاث⁽²⁶⁾ . ويقول النووي رحمه الله: (فإن شك بأن لا يكون به علة واحتمل أن يكون به سكتة أو ظهرت علامات فزع أو غيره، أضر إلى اليقين بتغير الرائحة أو غيره)⁽²⁷⁾ . وجماع ما ذكره الفقهاء من العلامات والأمارات الظاهرة التي يحكم بموجبها بموت المحتضر :

- 1 - انقطاع النفس.
 - 2 - استرخاء القدمين مع عدم انقباضهما وانتصابهما.
 - 3 - انفصال كفيه، أي : عن ذراعه فتنتطق الكف عن الذراع، وتجدها مرتخية.
 - 4 - ميل الأنف.
 - 5 - امتداد جلدة الوجه.
 - 6 - انخساف الصدغين.
 - 7 - تقليص خصيتيه إلى فوق مع تدي الجلدة.
 - 8 - برودة البدن.
 - 9 - إحداد بصره.
 - 10 - انفراج شفثيه فلا ينطبقان.
 - 11 - غيبوبة سواد عينيه في البالغين⁽²⁸⁾ .
- والمحوظ: (في هذه الأمارات أنها أدلة وظواهر تدرك بالمشاهدة والحس ويشترك في معرفتها عموم الناس)⁽²⁹⁾ .

(24) من هم في حالة الغيبوبة، أو السبات العميق.

(25) من هم في حالة رعب وخوف شديد.

(26) ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار ابن حزم، بيروت، 1995م، 1 / 164.

(27) النووي محي الدين بن شرف، تحقيق زهير الشاويش، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1412هـ/1991م، 2 / 98.

(28) النووي، روضة الطالبين، 2 / 98، والشريبي، حاشية ابن عابدين، 2 / 198، ومغني المحتاج، 1 / 332، والصاوي، بلغة السالك، 1 / 200.

(29) بكر أبو زيد، فقه النوازل، 1 / 226.

المطلب الثالث : الموت في الطب :**أولاً : مفهوم الموت عند علماء الطب :**

من الأهمية بمكان تحديد اللحظة التي يعتبر عندها الإنسان ميتاً باعتبار أن هذه اللحظة هي التي يتحدد فيها التدخل لنقل الأعضاء من الميت إلى الحي لأن نقل العضو قبل هذه اللحظة يعتبر جريمة قتل عمد، إذا ترتب على ذلك وفاة الشخص، أو جريمة جرح أفضت إلى عاهة مستديمة.

(أما ما يقع من هذه الأفعال بعد حوادث الوفاة، فلا يمثل لها إلا انتهاك لحرمة الميت فحسب)⁽³⁰⁾.

ولتوضيح ذلك نقول: إن لعلماء الطب في ذلك اتجاهين:

الاتجاه الأول: (ويرى أصحابه تحديد موت الشخص بالتوقف النهائي للقلب والرئتين، والجهاز التنفسي عن العمل توقفاً تاماً حيث يترتب على هذا التوقف حرمان المخ وسائر أعضاء الجسم من سريان الدم إليها، ويحدد البعض مراحل الموت على النحو التالي)⁽³¹⁾:

في الأحوال العادية: يحدث ما يسمى بالموت "الإكلينيكي"، في مرحلة أولى حيث يتوقف القلب والرئتان عن العمل.

وفي مرحلة ثانية تموت خلايا المخ بعد بضع دقائق من توقف دخول الدم المحمل "بالأوكسجين" للمخ.

وبعد حدوث هاتين المرحلتين تظل خلايا الجسم حية لمدة تختلف من عضو لآخر وفي نهايتها تموت هذه الخلايا، فيحدث ما يسمى بالموت الخلوي وهو يمثل المرحلة الثالثة للموت.

ولاشك أن هذا الاتجاه يتفق مع مفهوم الموت في الشريعة الإسلامية وفي القانون الوضعي المصري، ويتفق أيضاً مع المنطق والعقل السليم، لأن القلب هو بمثابة المحرك لجميع أجهزة الجسم، فإذا توقف عن العمل، توقفت كل أجهزة الجسم المرتبطة به بما فيها المخ.

الاتجاه الثاني: (ويرى أصحابه أن المعيار الحديث للموت هو موت المخ، وقد اختلف أصحاب هذا الاتجاه حول مفهوم موت المخ)⁽³²⁾.

يرى البعض منهم أن المقصود بموت المخ هو موت جذع المخ ويسمى أيضاً موت المخ ككل، وتأخذ به المدرسة البريطانية، ويعارضها الأطباء الألمان على أساس أن مريض موت جذع المخ قد يكون في غيبوبة عميقة، ولكنه يحتفظ بقدرته على التفكير والإحساس.

(30) د. فوزية عبد الستار، الأساليب الطبية الحديثة والقانون الجنائي، ص 114.

(31) د. محمد سليمان، الطب الشرعي، القاهرة، مكتبة الجمهورية، 1959م، ص 81 وما بعدهما، و د. صلاح الدين مكارم، الطب الشرعي، نقابة المحامين، القاهرة، 1992م، 1/ 147 - 150، و د. أحمد شرف الدين، الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، مكتبة الجمهورية، القاهرة، 1992م، ص 158 - 159.

(32) انظر تفصيل ذلك: د. صفوت حسن لطفي، دراسة علمية حول أهم الأبحاث المقدمة لندوة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، بالكويت في ديسمبر 1992م، تحت عنوان: التعريف الطبي للموت، ص 3.

ويرى البعض الآخر أن المقصود بموت المخ، موت كل المخ في حين يرى البعض أن المقصود هو موت الوظائف العليا للمخ مثل الانعدام التام للوعي. ويرى الداعون إلى الأخذ به أنه يكفي لإعلان وفاة الإنسان أن يفقد ما يميزه كإنسان، وهو يتمثل في استقبال المنبهات والإحساس والتمييز. (ولكن هذا التعريف يواجه معارضة كبيرة لأنه يحكم بالموت على كل مرضى الغيبوبة المسماة بالحالة الخضرية الدائمة والأمراض العقلية، ومرض غياب القشرة المخية، ثم يقول: ومن الجدير بالذكر أن بعض الأطباء العرب يؤيدون الأخذ بهذا المفهوم رغم المعارضة الواسعة له ويتحمسون له، ويطالبون به كحل للمستقبل، وأن حل هذه المعضلة الفلسفية سيكون في اعتبار فقدان الوعي بصورة نهائية هو الموت الحقيقي وفي هذا الإطار سيعتبر المرضى النباتيون والمولودون بدون دماغ في عداد الأموات بالرغم من حياة أبدانهم)⁽³³⁾.

ولموت جذع المخ علامات تتلخص في الآتي:

- 1 - الانعدام التام للوعي.
 - 2 - الانعدام للانعكاسات الحدقية.
 - 3 - انعدام الحركات العضلية اللاشعورية، خاصة التنفس.
 - 4 - انعدام أي أثر لنشاط المخ في جهاز رسم المخ الكهربائي.
 - 5 - اختفاء أثر أشعة الصبغة لشرابين المخ في تلك المنطقة.
 - 6 - استمرار تلك العلامات السابقة لفترة كافية)⁽³⁴⁾.
- (واتفق الأطباء على أن هذا المعيار ليس حاسماً في حالة الأطفال المصابين بغيبوبة، أو الأشخاص المصابين بتسمم خطير، وغامض أو في حالة انخفاض درجة الجسم إلى ما دون المعدل الطبيعي، ويمكننا هنا أن نستنتج مبررات هذا الاتجاه، حيث يقصد أصحاب هذا الاتجاه المحافظة على أعضاء جسم الإنسان من التلف، لأن القول بموت المخ أو ما يسمى بموت جذع المخ رغم عدم توقف القلب عن النبض، يعطي الفرصة للأطباء لأخذ هذه الأعضاء للانتفاع بها لأنها ما تزال حية)⁽³⁵⁾.
- أما القول بأن الموت هو توقف القلب عن النبض والجهاز التنفسي عن العمل، يضيع على الأطباء فرصة الانتفاع بهذه الأعضاء، لأنه هذه الأعضاء تموت وتتلطف بعد موت القلب بدقائق معدودة.
- بل أن هناك بعض الفتاوى الشرعية تؤيد هذا المفهوم منها:
- أ - قال مفتي جمهورية مصر العربية⁽³⁶⁾: (إنه يمكن الاستفادة من جميع

(33) د. صفوت حسن لطفي، المرجع السابق، ص 3.

(34) د. مصطفى محمد الذهبي، نقل الأعضاء بين الطب والدين، القاهرة، 1992م، ص 107.

(35) جريدة الأهرام بتاريخ 15 / 9 / 1992م، العدد رقم 38634، تحت عنوان: العلم في حياتنا.

(36) المفتي جاد الحق علي جاد الحق.

أعضاء أجساد المتوفين في حوادث دون الرجوع للورثة أو النيابة العامة) (37). ولاشك أن هذه الفتوى تجاري الاتجاه الثاني في تحديد مفهوم الوفاة بوفاة المخ أو وفاة جذع المخ، لأن الحصول على هذه الأعضاء وهي في حالة يمكن الانتفاع بها، لا يكون إلا وفق هذا المفهوم، حيث تظل الأعضاء حية، يمكن نقلها إلى إنسان آخر للانتفاع بها.

ب - في مجلس مجمع الفقه الإسلامي الذي عقد في الأردن، قرر ما يلي: (يعتبر شرعاً أن الشخص قد مات وترتب جميع الأحكام المقررة شرعاً للوفاة إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين : إذا توقف قلبه وتنفسه توقفاً تاماً وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً وحكم الأطباء الاخصائيون بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ دماغه في التحلل، وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص، وإن كان بعض الأعضاء كالقلب ما زال يعمل بفضل الأجهزة المركبة) (38).
ثانياً : علامات الموت عند الأطباء :

إن الأطباء هم أهل الاختصاص في هذا المجال فالرجوع إليهم متحتم في هذه المسألة، فإذا حكموا بأن توقف الدماغ يعتبر موتاً أكيداً ولو كان القلب ينبض والتنفس يعمل بفعل أجهزة الإنعاش فإنه ينبغي على ذلك أمران مهمان: أولهما : جواز رفع أجهزة الإنعاش باعتبار أن من وضعت عليه في عداد الموتى. ثانياً : جواز نقل الأعضاء من هذا الشخص الميت دماغياً إذا وافق المصاب أو ذوهه على التبرع بأعضائه وأنسجته وفي هذه الحالة لا ترفع أجهزة الإنعاش الصناعي عنه للإبقاء على حياة بعض خلايا جسمه في الأعضاء المهمة كالقلب أو الكلية أو الكبد أو الرئتين أو البنكرياس أو العيون أو الجلد أو غيرها من أجل الحصول على أعضاء صالحة في حالة جيدة لنقلها وزرعها بنجاح في جسم المستفيد، فإبقاء الأجهزة حينئذ ليست إلا إحدى الوسائل الطبية الحديثة التي تستخدم لحفظ الأعضاء في حالة أنها تصلح للاستخدام والمعالجة الطبية وشأنه في ذلك كمن يضع الأعضاء في ثلاجة ريثما يتم زراعتها وإن كان المريض المصاب ميتاً بالفعل أو في حكم الميت فهو لا يعي ولا يحس ولا يشعر وذلك لتلف مصدر ذلك كله وهو جذع الدماغ هذا إذا اعتبرنا أن توقف جذع الدماغ يعتبر موتاً.

ثالثاً: التعريف الطبي القديم للموت:

(هو توقف القلب والدورة الدموية والتنفس توقفاً لا رجعة فيه) (39)، (ولا

(37) المفتي جاد الحق علي جاد الحق، مجلة المصور في عددها الصادر في 29 / 4 / 1988م، تحت عنوان: عيون وعظام وأطراف في بنوك مصرية.

(38) ندوة مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في عمان، الأردن، من 8-13 صفر 1407هـ، الموافق 16 / 10 / 1986م.

(39) د. محمد البار، الطبيب أدبه وفقهه، بحث مقدم إلى مجلس مجمع الفقه الإسلامي، 1986م، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، القاهرة، الدورة الثانية، 1986م، ص 186-191.

يزال هذا التعريف سارياً لمئات الملايين من الوفيات التي تحدث سنوياً ولكن بسبب التقدم السريع في وسائل الإنعاش اختلف في بعض الحالات هل ينطبق عليها هذا المفهوم أم لا (40)؟

إذ قد يتوقف الدماغ ولكن القلب والتنفس لم يتوقفاً.
رابعاً: مفهوم موت الدماغ وعلاماته:

1 - تاريخ اكتشافه من حيث الحديث عنه والعمل به :

(أول من نبه إلى موضوع موت الدماغ المدرسة الفرنسية عام 1959م، ثم تبعها المدرسة الأمريكية عام 1968م، ثم أخذت الأبحاث تنتشر فيما بعد. وقبل ذلك وبالتحديد في سنة 1952م، قبلت إحدى المحاكم الأمريكية (في ولاية كنتاكي)، النظر في الدعوى الخاصة بشخص كان قلبه لا يزال يدق لأنه كان يدفع بالدم من الأنف، فطبقت معيار موت جذع الدماغ كإجراء قانونياً للموت. وعدلت عن معيار توقف التنفس والنبض (أي القلب والدورة الدموية)، وهو ما أقره المؤتمر الثاني للأخلاق الطبية بفرنسا والذي أكد أن معيار الموت هو الموت الكامل لخلايا المخ (الدماغ)، وأن الموت ليس نتيجة حتمية لوقف حركة القلب في الجسم.

وكان أول من وضع المواصفات العلمية والطبية الخاصة بتحديد موت الدماغ هي لجنة (أدهوك)، في جامعة هارفرد الأمريكية عام 1968م. ولولا تطبيق هذا المعيار الحديث للموت لما أمكن إجراء عملية زرع قلب كامل عام 1967م، لأنه قبل ذلك لا يعتبر ميتاً أثناء العملية الجراحية.

2 - مفهوم موت الدماغ.

أ- تكوين الدماغ: يتكون الدماغ من أجزاء ثلاثة:

1 - المخ: وهو مركز التفكير والذاكرة والإحساس.

2 - المخيخ: ووظيفته الأساسية توازن الجسم.

3 - جذع المخ: وفيه المراكز الأساسية للحياة مثل مراكز التنفس والتحكم في القلب والدورة الدموية(41).

ب- المراد بموت الدماغ :

(عرف الأطباء موت الدماغ بأنه تلف دائم في الدماغ يؤدي إلى توقف دائم لجميع وظائفه بما فيها وظائف جذع الدماغ) (42).

أو هو: (توقف الدماغ عن العمل تماماً وعدم قابليته للحياة) (43).

(فإذا مات المخيخ فإن الإنسان يمكن أن يعيش، وإذا مات المخ فإن الإنسان

(40) د. محمد البار، المصدر السابق.

(41) د. محمد البار، أجهزة الإنعاش، مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع2/ج2 / 440.

(42) ندى محمد نعيم الدقر، موت الدماغ بين الطب والإسلام، دار القلم، دمشق، 2004م، ص56.

(43) بكر أبو زيد، فقه النوازل، 1/ 220.

أيضاً يمكن أن يعيش وإن كانت حياته حياة غير إنسانية بل حياة نباتية (44).
أما إذا مات جذع الدماغ فهنا اختلف الأطباء على قولين:

(الأول: الاعتراف بموت جذع الدماغ نهاية للحياة الإنسانية بدلاً من توقف القلب والدورة الدموية وهذا قول أكثر الأطباء، وهنا ترى المدرسة الأمريكية أنه لا بد من موت الدماغ بأكمله، والمدرسة البريطانية على أن الموت يكون بموت جذع الدماغ فقط).

الثاني: عدم الاعتراف بموت الدماغ نهاية للحياة الإنسانية (45)

ج- موت الدماغ: (جذع المخ) وعلاماته:

(إن الدماغ (أو جذع المخ) هو المكان المعين في المخ الذي ترد عليه جميع الأحاسيس، وهو المركز الرئيسي للتنفس والتحكم في القلب والدورة الدموية، فهو المسئول عن وعي الإنسان ونومه ويقظته وحياته، فموت هذا الجزء من الدماغ يؤدي إلى إثبات الوفاة طبيياً، إن موت جذع الدماغ بشكل دائم مرة واحدة يؤدي حتماً إلى خروج الروح من البدن، حتى وإن كان القلب سليماً، وذلك لأنه لا يمكن طبيياً تبديل لا القشرة الدماغية الميتة ولا الدماغ لميت.

وقد استقر الطب الحديث على أن الموت الكامل لخلايا المخ (أي الدماغ) الذي يؤدي إلى توقف المراكز العصبية عن العمل هو المعيار الشرعي والقانوني لموت الإنسان موتاً حقيقياً لا رجعة فيه.

والمقصود بموت المخ: كلية الغيبوبة النهائية التامة، حيث تتوقف مراكز الاتصال والتفكير والذاكرة والسلوك وغيرها عن العمل.

فتخرج بذلك حالة موت جزء من خلايا المخ فقط وهي: الغيبوبة المؤقتة، إذ إن موت المخ لا خلاف بين الأطباء في أنه ليس موتاً.

فالموت هو من الناحية الطبية توقف جهاز التنفس والدورة الدموية والجهاز العصبي توقفاً تاماً لبضع دقائق وما يتبع ذلك من ظهور علامات وتغيرات ومنها ظهور الجسم بمظهر الجثة ويتم ذلك بعد حوالي ساعتين وهو ما يعبر عنه بموت الأنسجة.

ويمكن تلخيص العلامات الدالة على موت الدماغ فيما يلي:

- 1 - الإغماء الكامل وعدم الاستجابة لأي مؤثرات لتنبيهه المصاب مهما كانت قوية.
- 2 - عدم الحركة التلقائية.
- 3 - عدم التنفس لمدة ثلاث أو أربع دقائق (على خلاف بين المدارس الطبية) بعد إبعاد المنفسة.
- 4 - عدم وجود أي نشاط كهربائي في رسم المخ بعد إمراره بطريقة معينة معروفة عند الأطباء.
- 5 - عدم وجود أي من الأفعال المنعكسة من جذع الدماغ الدالة على نشاط

(44) للبار، أجهزة الإنعاش، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع/2ج/1 /440.

(45) بكر أبو زيد، فقه النوازل، 1 /220.

الجهاز العصبي مثل :

- أ - عدم حركة حدقتي العينين للضوء الشديد.
- ب- لا يرمش المصاب رغم وضع قطعة من القطن على قرنية العين.
- ج- لا تتحرك مقلة العين رغم إدخال ماء بارد في الأذن.
- د- لا يقطب المصاب جبينه رغم الضغط على الجبين بالإبهام.
- هـ- عدم التحكم أو الكحة عند لمس الحنك وباطن الحلق بالإبهام، وعدم استجابة عضلات الحنجرة لتحريك أنبوب بالقصبة الهوائية.
- و- عدم وجود حركة الدمية عند تحريك الرأس.
- ويجب إعادة فحص وظائف الدماغ من فريق آخر بعد مرور عدة ساعات (إما ست أو أربع وعشرين على خلاف بين الأطباء).
- ولا بد أن يجري التشخيص طبيبان على الأقل من الأطباء المختصين الثقات أحدهما مختص في جراحة الأعصاب (أو طب الأمراض العصبية).
- وحين يصاب الدماغ بإصابات بالغة نتيجة الحوادث فقد يموت الدماغ وتقوم الأجهزة الحديثة بإنعاش القلب والتنفس وجعلهما يستمران في وظيفتهما وبما أن جذع الدماغ هو المتحكم في جهاز التنفس والقلب والدورة الدموية فإن توقف جذع الدماغ وموته يؤدي لا محالة إلى توقف القلب والدورة الدموية والتنفس ولو بعد حين.
- ولكن لا بد من التأكد التام من التوقف الكامل الذي لا رجعة فيه لوظائف جذع الدماغ مع وجود إصابات باثيولوجية وتشريحية.
- ولا يكفي ذلك لإعلان موت الدماغ مالم تزل الأسباب المؤقتة التي قد تؤدي لتوقف وظيفة جذع الدماغ مؤقتاً، ومنها:
- 1 - بعض العقاقير كالكحول والمنومات.
 - 2 - برودة الجسم فقد تحدث بسببها نوبة إغماء وتوقف للتنفس.
 - 3 - التسمم نتيجة الغازات السامة وغاز أول أكسيد الكربون.
 - 4 - زيادة البولينا في الدم.
 - 5 - نقص السكر أو زيادته في الدم.
 - 6 - نقص الهرمونات أو زيادتها في الدم.
 - 7 - حالات الغرق وتوقف القلب الفجائي.
 - 8 - الحالات التي أجري لها عمليات كبيرة في الدماغ.
 - 9 - أخماج ميكروبية (فيروسية وبكتيرية) تصيب جذع الدماغ.
- وفي حالات الشك وخاصة في الأطفال تجري فحوص إضافية وهي:
- 1- حقن شرايين الدماغ الأربعة فإذا لم توجد دورة دموية في الدماغ كان ذلك دليلاً قاطعاً على موت الدماغ.
 - 2 - إجراء الفحص السابق بواسطة المواد المشعة لسهولته النسبية وعدم الحاجة فيه لنقل المريض.

وقد توجد ذبذبات خفيفة تدل على وجود خلايا في الدماغ فوق مستوى جذع الدماغ، ولذا يقترح بعضهم القيام بقياس الدورة الدموية في الدماغ. هذا ولا يعد رسم الدماغ أساسياً في تشخيص موت الدماغ، غير أنه إذا توافر كان دليلاً إضافياً مفيداً من الناحية الشرعية والقانونية، ولا تكفي هذه الشروط لإعلان موت الإنسان، بل لا بد أن يكون توقف وظائف جذع الدماغ مصحوباً بعلامات طبية (باثولوجية وتشريحية) وما يتبع ذلك من ظهور تغيرات: كحدوث تغيرات بالعين، وبهاتة لون الجسم، وبرودة الجسم وفقد حرارته الجوية، والزرقة الرمية، وغيرها من علامات ظهور الجسم بمظاهر الجثة تنتهي بتحليل الجسم تحليلاً كاملاً⁽⁴⁶⁾.

خامساً: الغيبوبة وتوقف الدماغ ليس موتاً:

(إن حالات الغيبوبة المؤقتة مهما طالَّت والإغماء الطويل أو السبات العميق) أي غياب الوعي مهما طال الزمن (والموت "الإكلينيكي" وتعطل عمل القشرة المخية والموت الجزئي للجسد أو لبعض أعضائه لا تعد موتاً بالمفهوم الطبي والشرعي مالم يتم إثبات تشخيص موت جذع الدماغ الذي هو موت حقيقي لا رجعة بعده للحياة.

ومما سبق يتضح أن موت المخ وهي الحالات التي تحدث عندما تتلف قشرة المخ بشكل دائم فتتلف مع ذلك مراكز الإرادة والوعي ولكن جذع الدماغ يكون سليماً فتبقى أعضاء الجسم الأخرى عاملة لا يعد موتاً محققاً بل هو غيبوبة ربما يتغلب عليها بالمعالجة الطبية بعد تشخيص أسبابها.

فمع موت المخ يكون نبض القلب عادياً والتنفس والحرارة الطبيعية والأفعال الانعكاسية الإرادية وإفرازات معظم أجهزة الجسم ونمو الشعر والأظافر واستمرار الحمل طبيعياً بالنسبة للحوامل.

والسكتة الدماغية وهي خلل مفاجيء في تدفق الدم في جزء من الدماغ (بفعل انسداد أوعية دموية في الدماغ، أو جلطة دموية تصل إلى الدماغ، أو ضعف في جدران الأوعية الدموية نتيجة تسارع أو ارتفاع في ضغط الدم أو غيرها) مما يساهم بدوره في موت خلايا الدماغ في المساحة المصابة من الدماغ وبالتالي إحداث خلل أو إعاقة في مهام الجسد التي يقوم بها ذلك الجزء من الدماغ (مثل الحركة أو البلع أو الإدراك الحسي أو الذهني أو أي إحساس آخر) فلا تعتبر موتاً، وقد استطاع الطب الحديث علاج العديد من المصابين بالسكتة الدماغية وتأهيلهم.

وهكذا القلب يمكن أن يتوقف عدة مرات (السكتة القلبية) ولكن خلايا القلب حية فلا يعتبر ميتاً لأن الجهاز العصبي لم يمت ويمكن إسعافه ما دام الدماغ حياً عبر أدوات الرعاية المركزة وأجهزة الإنعاش الصناعي⁽⁴⁷⁾.

فعلامات الموت عند الأطباء ما يلي:

(46) للبار، أجهزة الإنعاش، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي: ع/2ج/454/1 - 455.

(47) للبار، المرجع السابق.

- 1 - توقف القلب والدورة الدموية، ومن علاماته توقف النبض في الشرايين وتوقف القلب بعدم سماع أصواته بالسماعة الطبية، وموت القلب يتبعه لا محالة موت الدماغ إذ أن الدماغ يموت إذا انقطع عنه الدم لمدة أربع دقائق.
- 2 - توقف التنفس توقفاً تاماً، ومن علاماته توقف حركة الصدر والبطن، وعدم سماع أصوات النفس بالسماعة الطبية.
- 3 - التغيرات التي تحدث في الجسم وظهوره بمظهر الجثة، ومن ذلك:
 - عتامة قرنية العين.
 - نقص الضغط داخل العين.
 - برودة الجسم.
 - ارتخاء الأطراف.
 - الزرقة الرمية، وهي: زرقة ناتجة عن توقف الدورة الدموية.
 - التيبس الرمي.
 - التعفن الرمي وهو تحلل أنسجة الجسم بواسطة ميكروبات التعفن وخاصة في الأحشاء.
 - التصبن الرمي ويحدث في الجثث الموجودة في الماء لمدة طويلة فتجمد الأجزاء الدقيقة بعد أسابيع من الوفاة خلال 6 أشهر.
 - التحول إلى مومياء (التحنط الطبيعي) وهذه الظاهرة تحدث عندما تكون الجثة في مكان جاف شديد الحرارة ويتم هذا التحول خلال 3 أشهر.
- 4 - توقف سيطرة الجهاز العصبي على الجسم: ومن علاماته الارتخاء الأوي للعضلات، وعدم استجابة الجثة لأي تنبيه حسي، وتوقف جميع الأفعال المنعكسة، وتكون حدقة العين ثابتة ولا تتأثر بالضوء الشديد. فالموت في نظر الأطباء على ثلاث درجات:
 - 1 - الموت "الإكلينيكي" حيث يتوقف جهاز التنفس والقلب عن أداء وظائفهما.
 - 2 - الموت "البيولوجي" يتوقف فيها الدماغ بموت خلايا المخ بعد بضع دقائق من توقف دخول الدم المحمل بالأكسجين للمخ (ما لم تستعمل وبسرعة أجهزة الإنعاش الصناعي).
 - 3 - الموت الخلوي النهائي حيث تموت خلايا أعضاء وأنسجة الجسم شيئاً فشيئاً وتدرجياً فيحدث ما يسمى بالموت الخلوي⁽⁴⁸⁾.

(48) للبار، المرجع السابق.

المطلب الرابع : آراء الفقهاء والأطباء حول موت الدماغ دون القلب :

1 - اتفق الفقهاء والأطباء في الحكم على عامة الوفيات بالموت بمفارقة الروح البدن وذلك في الحالات التي لا تدخل تحت أجهزة الإنعاش، وهذا يقع في أكثر الموتى في العالم.

2 - اختلف العلماء المعاصرون في موت جذع الدماغ هل يعتبر نهاية للحياة الإنسانية وذلك في الحالات التي تدخل تحت جهاز الإنعاش وهي تقع في حالات ضيقة⁽⁴⁹⁾.

على قولين:

القول الأول: (أن موت دماغ الشخص دون قلبه لا يعد موتاً بل لا بد من توقف القلب عن النبض حتى يحكم بموت الإنسان وهو ما قرره المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي)⁽⁵⁰⁾.

القول الثاني: (يعتبر موت دماغ الشخص دون قلبه موتاً حقيقياً، ولا يشترط توقف القلب عن النبض حتى يحكم بموت الإنسان، وهذا ما قرره مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي)⁽⁵¹⁾.

أدلة القول الأول:

1 - قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشِداً فَضَرْبَنَا عَلَى أذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدداً ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْداً ﴾ [الكهف: 9 - 12].

وجه الدلالة: (أن قوله سبحانه (بعثناهم) أي أيقظناهم، وهذه الآيات فيها دليل واضح على أن مجرد فقد الإحساس والشعور وحده لا يعتبر دليلاً كافياً للحكم بكون الإنسان ميتاً كما دلت عليه الآية الكريمة)⁽⁵²⁾.

2 - قاعدة (اليقين لا يزول بالشك).

وجه الاستدلال: أن اليقين في هذه الحالة المختلف فيها هو حياة المريض باعتبار الأصل ولأن قلبه ينبض، والشك في موته لأنه دماغه ميت فوجب علينا اعتبار اليقين الموجب للحكم بحياته حتى نجد يقيناً مثله يوجب علينا الحكم بموته⁽⁵³⁾.

3 - قاعدة (الأصل بقاء ما كان على ما كان).

(49) بكر أبو زيد، فقه النوازل، 1 / 228.

(50) في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة (1408هـ)

(51) مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 / ج2 / 809.

(52) توفيق الواعي، حقيقة الموت والحياة، من بحوث ندوة الحياة الإنسانية ص473 وأحكام الجراحة الطبية 323 - 324، ضمن مجلة البحوث الفقهية 42 / 52.

(53) بكر أبو زيد، فقه النوازل، 1 / 231 - 232، وبدر المتولي عبد الباسط، نهاية الحياة الإنسانية، في بحوث ندوة الحياة الإنسانية ص448.

وجه الاستدلال: (أن الأصل أن المريض حي فنحن نبقي على هذا الأصل حتى نجزم بزواله)⁽⁵⁴⁾.

4 - الاستصحاب : (ووجهه أن حالة المريض قبل موت الدماغ متفق على اعتباره حياً فيها فنحن نستصحب الحكم الموجود فيها إلى هذه الحالة التي اختلفنا فيها ونقول إنه حي لبقاء نبضه)⁽⁵⁵⁾.

5 - النظر: ووجهه: (أن حفظ النفس يعتبر من مقاصد الشريعة الإسلامية التي بلغت مرتبة الضروريات التي تجب المحافظة عليها، ولا شك أن الحكم باعتبار المريض في هذه الحالة حياً فيه محافظة على النفس وذلك يتفق مع هذا المقصد العظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية والعكس بالعكس)⁽⁵⁶⁾.
أدلة القول الثاني :

1 - (أن المولود إذا لم يصرخ لا يعتبر حياً ولو تنفس أو بال أو تحرك كذا قال الإمام مالك (رحمه الله)، فما لم يكن الفعل إرادياً استجابة لتنظيم الدماغ لا يعتبر أمانة حياة⁽⁵⁷⁾، وهذا واقع فيمن مات دماغه فيأخذ حكم المولود الذي لم يصرخ.

ونوقش بأن المسألة مختلف فيها ثم إن المولود مشكوك في حياته وهذا بخلاف ما نحن فيه فالأصل حياة المريض فلا ينتقل عن هذا الأصل إلا بيقين.

2 - أن الأطباء هم أهل الاختصاص والخبرة في هذا الفن وهم مؤتمنون في هذا المجال فينبغي علينا تصديقهم وقبول قولهم فيما يختص بوظيفتهم، وقد قال الأطباء: إذا رفض المخ قبول التغذية مات الإنسان⁽⁵⁸⁾.

فالموت هو مفارقة الإنسان للحياة بعد التحقق من الموت الكامل لجذع الدماغ ويكفي للتأكد من الموت التحقق من موت جميع خلايا مخه ومن التوقف التلقائي للوظائف الأساسية للحياة في الجسم، ومن ثم أخذ الدماغ في التحلل.

وبهذا أوصت ندوة الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها المنعقدة في الكويت، فإذا توقف جذع المخ ففقد الجهاز العصبي خواصه الوظيفية الأساسية فإنه يعد ميتاً من الناحية الطبية والشرعية وهو ما أفتت به دور الإفتاء بمصر والمملكة العربية السعودية.

ومجمع الفقه الإسلامي في دورته الثالثة بعمان وهو ما قررتة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت.

(54) بكر أبو زيد، فقه النوازل، 1/ 232، حقيقة الموت والحياة، من بحوث ندوة الحياة الإنسانية ص 478، أحكام الجراحة الطبية ص 325.

(55) بكر أبو زيد، المصدر السابق.

(56) بكر أبو زيد، المصدر السابق.

(57) مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع2/ج483/1، 498

(58) مجلة مجمع الفقه الإسلامي: ع2/ج483/1، 498

الترجيح: الراجح أنه لا يحكم بموته إلا إذا تيقنا من ذلك بتوقف القلب والتنفس، وإن كان توقف دماغ المريض من العلامات القوية على موته لكن الحكم بالموت يترتب عليه أمورٌ شرعية كقسمة تركته ونكاح امرأته إذا رغبت وغيرها ولذلك فلا يجوز الحكم بموته إلا بيقين.

الخاتمة

- الموت هو مفارقة الروح للبدن بحيث تتوقف جميع أعضاء الجسم الإنسان عن أداء الوظائف المنوطة بها توقفاً تاماً.
- أو هو التوقف الذاتي لجميع مظاهر الحياة وأجهزة الجسم وأعضائه، وأنه لا قول بموت مادام جزء من الجسم حياً، فتوقف جذع المخ فقط لا يعد موتاً.
- الموت الذي تبني عليه الأحكام الشرعية من إرث وقصاص ودية وانتهاء العقود وغير ذلك من الأحكام لا يتحقق إلا بمفارقة الروح للجسد.
- ولعلماء الطب في ذلك اتجاهين :
- الاتجاه الأول : ويرى أصحابه تحديد موت الشخص بالتوقف النهائي للقلب والرئتين، والجهاز التنفسي عن العمل توقفاً تاماً حيث يترتب على هذا التوقف حرمان المخ وسائر أعضاء الجسم من سريان الدم إليها، وهذا الاتجاه يتفق مع مفهوم الموت في الشريعة الإسلامية وفي القانون الوضعي المصري، ويتفق أيضاً مع المنطق والعقل السليم، لأن القلب هو بمثابة المحرك لجميع أجهزة الجسم، فإذا توقف عن العمل، توقفت كل أجهزة الجسم المرتبطة به بما فيها المخ.
- الاتجاه الثاني : ويرى أصحابه أن المعيار الحديث للموت هو موت المخ، وقد اختلف أصحاب هذا الاتجاه حول مفهوم موت المخ.
- اتفق الفقهاء والأطباء في الحكم على عامة الوفيات بالموت بمفارقة الروح البدن وذلك في الحالات التي لا تدخل تحت أجهزة الإنعاش، وهذا يقع في أكثر الموتى في العالم.
- اختلف العلماء المعاصرون في موت جذع الدماغ هل يعتبر نهاية للحياة الإنسانية وذلك في الحالات التي تدخل تحت جهاز الإنعاش وهي تقع في حالات ضيقة.
- على قولين:
- القول الأول: أن موت دماغ الشخص دون قلبه لا يعد موتاً بل لا بد من توقف القلب عن النبض حتى يحكم بموت الإنسان.
- القول الثاني: يعتبر موت دماغ الشخص دون قلبه موتاً حقيقياً، ولا يشترط توقف القلب عن النبض حتى يحكم بموت الإنسان.
- والرأي الراجح: أنه لا يحكم بموته إلا إذا تيقنا من ذلك بتوقف القلب والتنفس، وإن كان توقف دماغ المريض من العلامات القوية على موته لكن الحكم بالموت يترتب عليه أمور شرعية كقسمة تركته ونكاح امرأته إذا رغبت وغيرها ولذلك فلا يجوز الحكم بموته إلا بيقين.
- إن الدماغ لا يستطيع أن يبقى حياً سوى بضع دقائق (أربع دقائق تقريباً) عند انقطاع التروية الدموية، فإن الدماغ هو أول الأعضاء تأثراً وموتاً نتيجة توقف القلب عن النبض، وتوقف الدم عن الجولان والجريان في الأوعية الدموية، ولكي نزيد هذا المفهوم وضوحاً فإن القلب يوقف في العمليات الجراحية التي تجرى للقلب (عمليات القلب المفتوح)، ولا يعني ذلك أن هذا الشخص قد مات، رغم أن

قلبه يوقف أثناء العملية الجراحية لمدة ساعتين أو أكثر والسبب هو أن ووظيفة القلب تقوم بها مضخة تضخ الدم من الوريد الأجوف السفلي والعلوي بعد أن يمر في جهاز يقوم بوظيفة الرئة ثم يعاد إلى الشريان الأورطي الذي بدوره يوزع الدم على بقية أعضاء الجسم، وفي هذه الحالات رغم أن القلب متوقف والتنفس متوقف إلا أن الشخص حي بكل تأكيد، وذلك لان الدورة الدموية لم تتوقف ولو لعدة ثوان، والدماغ يتلقى التروية الدموية دون انقطاع... ووظيفة الرئتين تقوم بها آلة أخرى تأخذ ثاني أكسيد الكربون من الدم وتعطيه الأوكسجين وهذا المثال يوضح أن القلب رغم أهميته البالغة للإنسان إلا أنه يمكن الاستغناء عنه لمدة ساعتين أو ثلاث بواسطة آلة تقوم مقامه... وكذلك الرئتين، ويمكن كذلك استبدال هذا القلب التالف بقلب شخص آخر.

إذا ينبغي أن ندرك أنه حتى في الحالات التي يعلن فيها أن الموت بسبب توقف القلب والدورة الدموية والتنفس إلا أن السبب الأول في الوفاة هو انقطاع التروية الدموية عن الدماغ، لذا إذا أمكن مواصلة التروية الدموية للدماغ حتى مع توقف القلب فإن هذا الشخص يعتبر حياً، ولكن العكس غير صحيح، أي إذا تهشم الدماغ وبالذات جذع الدماغ الذي فيه المراكز الحيوية (اليقظة، التنفس، التحكم في الدورة الدموية)، ومات موتاً لارجعة فيها فإن الإنسان يعتبر رغم أن قلبه لا يزال ينبض بمساعدة العقاقير وبعض الأجهزة وتنفسه لا يزال مستمراً بواسطة المنفسة، وهذا هو بالضبط ما نعبر عنه بموت الدماغ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- د. أحمد شرف الدين، الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، مكتبة الجمهورية، القاهرة، 1992م.
- د. فوزية عبد الستار، الأساليب الطبية الحديثة والقانون الجنائي، القاهرة، مكتبة الجمهورية، 1988م.
- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار ابن حزم، بيروت، 1995م.
- بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب مالك، الصاوي، أحمد بن محمد، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ.
- إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طبية للنشر والتوزيع، الرياض، 1999م.
- محمد بن محمد العمادي، أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ / 1985م.
- سليمان بن محمد البجيرمي، حاشية البجيرمي على الخطيب، دار الفكر، 1401هـ.
- علي العدوي الصعيدي، تحقيق الشيخ محمد البقاعي، حاشية العدوي على الخرشي (كفاية الطالب الرباني)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ.
- محمد أمين بن عابدين الدمشقي، رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) حاشية ابن عابدين، دار الفكر، بيروت، 1386هـ.
- النووي محي الدين بن شرف، تحقيق زهير الشاويش، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1412هـ / 1991م.
- مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1374هـ.
- د. صلاح الدين مكارم، الطب الشرعي، نقابة المحامين، القاهرة، 1992م.
- د. محمد سليمان، الطب الشرعي، القاهرة، مكتبة الجمهورية، 1959م.
- بكر عبد الله أبو زيد، فقه النوازل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، المكتبة التجارية، ط5، القاهرة، 1954م.
- ابن حزم، علي بن محمد بن سعيد، تحقيق: أحمد شاكر، المحلى، مكتبة الجمهورية، القاهرة، 1387هـ، 1967م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، تحقيق محمود خاطر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م.
- أحمد بن حنبل الشيباني، تعليق شعيب الأرنؤوط، مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت.
- الفيومي، أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار المعارف، القاهرة، 1972م.
- محمد الشربيني الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1377هـ.

- ندى محمد نعيم الدقر، موت الدماغ بين الطب والإسلام، دار القلم، دمشق، 2004م.
- د. مصطفى محمد الذهبي، نقل الأعضاء بين الطب والدين، القاهرة، 1992م.
- الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الرياض، 1416هـ.
- المجلات والدوريات
- الطبيب أدبه وفقهه، د. محمد البار، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، القاهرة، الدورة الثانية، 1986م، بحث مقدم إلى مجلس مجمع الفقه الإسلامي، 1986م.
- د. محمد البار، مجلة مجمع الفقه الإسلامي: ع2/ج2/440، أجهزة الإنعاش.
- مجلة المصور في عددها الصادر في 29 / 4 / 1988م، تحت عنوان: عيون وعظام وأطراف في بنوك مصرية.
- جريدة الأهرام بتاريخ 15 / 9 / 1992م، العدد رقم 38634، تحت عنوان: العلم في حياتنا.
- جريدة الأهرام، 11 / 8 / 1995م.
- أخبار اليوم 5 / 5 / 1997م، الجمعية العمومية للفتوى والتشريع بمجلس الدولة، القاهرة، مصر .
- ندوة مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في عمان، الأردن، من 8-13 صفر 1407هـ - الموافق 16 / 10 / 1986م.

دور الخطاب الديني في مواجهة جريمة المتاجرة بالأعضاء البشرية

إعداد :

د. محمد بومدين بطاهر
جامعة بن يوسف بن خدة - الجزائر

الاستلام: 08 / 2021 م

القبول: 23 / 10 / 2021 م

المستخلص :

إن المخاطر التي تهدد المجتمعات تحتاج إلى تضافر الجهود، وتتطلب تكاملا للأدوار بين الأطراف المعنية، ومن هنا كان للخطاب الديني مسؤولية في كل ما يحدث في المجتمع بصفة عامة، وفي ظاهرة الإتجار بالأعضاء البشرية بصفة خاصة، إذ أن دوره التوعوي لا تنوبه فيه وسيلة أخرى، وهذا الكلام النظري يبقى مأمولا من هذا الخطاب بينما الواقع يثبت بعضا من القصور أو التقصير في هذا الجانب، وهو ما يفرض البحث توصيفا للواقع بغرض الوقوف على أسباب ما هو فيه، وتحديد المأمول منه.

ويعمل هذا البحث على تحقيق ذلك إسهاما في تشخيص الداء واقتراح الدواء، من خلال الكشف عن أهم أسباب تغاضي الخطاب الديني عن ظاهرة الإتجار بالأعضاء البشرية رغم تفشيها بشكل رهيب، وبيان سبيل عودة هذا الخطاب إلى ما يجب أن يكون عليه في مثل هذه الظروف.

الكلمات المفتاحية : الخطاب الديني؛ تكامل الأدوار؛ الحركة التصحيحية؛ توصيف الواقع.

The role of religious discourse in confronting the crime of trafficking in human organs

Summary:

The risks to societies need concerted efforts, and require the integration of roles between the parties concerned, hence religious discourse has been responsible for everything that happens in society in general, and in the phenomenon of trafficking in human organs in particular, as its awareness-raising role is not other than another means, and this theoretical discourse remains hoped for by this discourse while reality proves some shortcomings or shortcomings in this aspect, which requires research to describe reality in order to identify the causes of what is it in it, and determine the hope of it.

This research contributes to the diagnosis of the disease and the suggestion of medicine, by revealing the most important reasons why religious discourse overlooks the phenomenon of trafficking in human organs despite its terrible prevalence, and to show how this discourse will return to what it should be in such circumstances.

Keywords : religious discourse; Integration of roles; Corrective movement; A reality profile.

تهديد :

تعيش المجتمعات حالة تغير لم يشهد لها تاريخ البشرية مثيلا، ومن أكثر ما تجسّد فيه هذا التغيّر تحوّل تلك السلوكيات التي كانت نادرة الوقوع إلى ظواهر يصعب التحكّم فيها، ولعلّ من أخطر هذه الظواهر انعكاسا على الجوانب الاجتماعية والنفسية ظاهرة الاتجار بالأعضاء البشرية، فإنها قد أعجزت الأطراف المعنية بمواجهتها عن القضاء عليها، وهو ما ينبّه على ضرورة تكامل الجهود بين هذه الأطراف، ومنها الخطاب الديني الذي يُأمل منه الكثير في هذا المضمار، ومن هنا جاء هذا البحث بعنوان "دور الخطاب الديني في مواجهة جريمة المتاجرة بالأعضاء البشرية" ليشرح الإشكالية التالية:

"إذا كان من مسؤوليات الخطاب الديني تعليم الناس الشريعة ومقاصدها والتي منها مقصد حفظ النفس، وتوعيتهم بضرورة المحافظة عليها بكل الطرق والسبل، فلما تشهد المجتمعات تفاقما في انشاز ظاهرة الإتجار بالأعضاء البشرية؟ وهل يعود الأمر إلى نوع الخطاب المتداول وأنه أضحي غير معاشيش لواقع الناس؟ وإذا كان الأمر كذلك فما المأمول من هذا الخطاب تجاه هذه الظاهرة على المستوى القريب والبعيد؟"

هذا ما يجيب عليه هذا البحث، من خلال التطرق لمعنى المتاجرة بالأعضاء البشرية وحكمها الشرعي، وبيان واقع الخطاب الديني مع هذه الظاهرة، مع رسم المأمول من هذا الخطاب لتوظيفه في معالجة هذا الواقع.

أهمية البحث : يستمد الحديث عن هذا الموضوع أهميته، ويثبت جدوى الاعتناء به من الآتي:

- ارتباطه بأمن الأفراد، وتحقق الأمن الاجتماعي، وارتباطه ارتباطا وثيقا بالأمن العام للبلاد، والأمن العالمي كله.
- ضرورة تدارك الأمر قبل تفاقمه أكثر بمثل إعادة الخطاب الديني إلى مساره الأصلي ليكون أداة بناء للفرد وإصلاح للمجتمع وبتّ روح المسؤولية في النفوس.
- ارتباطه بالواجب الشرعي والمجتمعي للخطاب الديني في تبليغ الأحكام وتوضيح المضار والمآلات.

أهداف البحث: يأتي هذا البحث بهدف:

- الكشف عن أهم أسباب غياب ظاهرة الإتجار بالأعضاء البشرية في الخطاب الديني.
- بيان ما يجب أن يكون عليه هذا الخطاب للمشاركة مع سائر الأطراف ذات الصلة بالظاهرة في مواجهتها والتصدي لها.
- تحديد المأمول من الخطاب الديني من أجل إسهامه في تأمين الأفراد والأسر والمجتمعات، والقضاء على السلوكيات غير الشرعية.
- وقد اقتضت طبيعة الموضوع تناوله من خلال الخطة التالية:

المبحث الأول : حقيقة المتاجرة بالأعضاء البشرية وحكمها الشرعي
المطلب الأول : حقيقة المتاجرة بالأعضاء البشرية
المطلب الثاني : الحكم الشرعي للمتاجرة بالأعضاء البشرية
المبحث الثاني : واقع المتاجرة بالأعضاء البشرية في الخطاب الديني والمأمول من
هذا الخطاب حيال هذه التجارة
المطلب الأول: واقع المتاجرة بالأعضاء البشرية في الخطاب الديني
المطلب الثاني: المأمول من الخطاب الديني لمعالجة ظاهرة الإتجار بالأعضاء
البشرية
الخاتمة : وفيها: نتائج الدراسة وتوصياتها

المبحث الأول: حقيقة المتاجرة بالأعضاء البشرية وحكمها الشرعي

المتاجرة بالأعضاء البشرية مصطلح تتناوله علوم كثيرة، ونظرا لاختلاف زوايا النظر اختلفت تعريفات تلك العلوم لهذا المصطلح، وفي هذا المبحث نذكر لبعض تلك التعريفات مع التركيز على التعريف الفقهي لأن الحكم الشرعي مبني عليه.

المطلب الأول: حقيقة المتاجرة بالأعضاء البشرية

المتاجرة: من التجارة، أي تقديم السلع للغير بمقابل بطريق البيع والشراء⁽¹⁾. والأعضاء البشرية هي: الأجزاء من جسد الإنسان كاليد والرجل والأنف⁽²⁾. أما اصطلاحا: فقد عرف العضو بأنه: "أي جزء من أجزاء الإنسان، سواء كان عضوا مستقلا كاليد والكلية والعين وغير ذلك، أو جزء من عضو كالقرنية والأنسجة والخلايا، وسواء منها ما يستخلف كالشعر والظفر وما لا يستخلف، وسواء منها الجامد كما ذكر، والسائل كالدّم واللبن، وسواء كان ذلك متصلاً به أو منفصلاً عنه⁽³⁾". وقال بقول قريب من هذا بعض القانونيين⁽⁴⁾. أما الأطباء فقيّدوه بأن يكون "مجموعة من الأنسجة المتميزة التي تقوم بوظيفة معينة".

ولما كان التعريف الفقهي هو الذي تُبنى عليه الأحكام الفقهية، احتاج معرفته إلى بعض التوسع في تعريفه لبيان كل ما يشمل اسم: "عضو"، وإلا فإنه يمكن الاقتصار على تعريفه بأنه: "كل جزء من أجزاء الإنسان". ويكون بهذا أعم من التعريفين القانوني والطبي.

أما تجارة الأعضاء فقد عرفها إعلان اسطنبول بأنها: "إمداد أو نقل أو تحويل أو إخفاء أو إيواء أو استلام أشخاص أحياء أو موتى أو أعضائهم، عن طريق التهديد أو استخدام القوة أو أي نوع من أنواع الإكراه أو الاختطاف أو الاحتيال أو الغش أو الخداع أو إساءة استخدام السلطة أو استغلال لموقف ضعف، أو عن طريق إعطاء أو تلقي مبالغ مالية أو فوائد لطرف ثالث لمواصلة السيطرة على المانح المحتمل، لأغراض الاستغلال في استئصال أو نزع أو نقل الأعضاء البشرية لزراعتها لشخص آخر"⁽⁵⁾.

(1) الرشيد، أسماء أحمد، (2009)، الاتجار بالبشر وتطوره التاريخي، ط1، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 15.

(2) البستاني، عبد الله، (د ت)، الوافي الوسيط في اللغة، (د ط)، مكتبة لبنان، بيروت، ص 314.

(3) المصاورة، هيثم حامد، 2003، نقل الأعضاء البشرية بين الحضر والإباحة- دراسة مقارنة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ص 12.

وانظر: قرار مجمع الفقه الإسلامي، رقم 26 (1/4) بشأن انتفاع الإنسان بأعضاء إنسان آخر حيا أو ميتا، المنعقد بجدة 06-11/02/1988، مجلة المجمع، ع 4، ج 1، ص 59.

(4) زعال، حسني عودة، 2001، التصرف القانوني بالأعضاء البشرية في القانون الجنائي- دراسة مقارنة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ص 24.

(5) إعلان إسطنبول حول تجارة الأعضاء البشرية وسياسة زراعة الأعضاء، الصادر عن القمة العالمية المنعقدة بإسطنبول، 02/05/2008، موجود على الشبكة.

وهذا التعريف -على طوله- اعتمد التفصيل ليتناول كل ما من شأنه أن يدرج ضمن المتاجرة بالأعضاء البشرية بمنظور قانوني. واختصر بعضهم تعريفها أنها: "قيام فرد أو جماعة إجرامية منظمة بتجميع الأشخاص دون رضاهم، بالتحايل أو الإكراه، حيث يتم نزع أعضاء هؤلاء الضحايا وبيعها كبضاعة من أجل الحصول على أرباح مالية"⁽⁶⁾. أما في الفقه فلا يوجد تعريف لهذا النوع من التجارة لكونها مستحدثة، غير أن الفتاوى المعاصرة التي أجمعت على تحريم بيع الأعضاء البشرية ولو من طرف المالك وبرضاه، وتعد هذا تصرفا مخالفا لأحكام الشريعة وأنه من المحرمات، وبالتالي يكون هذا التصرف جريمة يعاقب فاعلها تعزيرا، وهذا أحد أوجه الخلاف بين الشريعة والقانون حيال هذه الجريمة. وقد أطلقت على هذه الجريمة عدة تسميات، منها: جراحة السوق السوداء، والجريمة الحمراء، وذلك لشذاعتها.

المطلب الثاني: الحكم الشرعي للمتاجرة بالأعضاء البشرية

نظرا لكون المتاجرة بالأعضاء البشرية فيها اعتداء على جسد الإنسان وقد يصل الأمر إلى الاعتداء على حياته، ولأن لجسد الإنسان حرمة والاعتداء عليه وتشويهه جريمة، ولأن في هذه المتاجرة انتهاك صارخ لحقوق الإنسان وكرامته وأدميته المكفولة شرعا وقانونا، وكونها تبلغ من الخطورة أنها عابرة للقارات وتهدد أمن الأوطان وتروّع المجتمعات وتشكل العصابات الممارسة لها، فإن الشرائع السماوية والوضعية تُجمع على تحريمها وتجريمها، إلا بعض من شذ. ونظرا لارتباط هذه الجريمة بزراعة الأعضاء التي توصل إليها الطب الحديث وإمكانية نقل عضو من إنسان وزرعه في إنسان آخر، فقد أجازت الشريعة، وكذلك القانون، هذا العمل الطبي باعتباره أحد طرق العلاج وأن فيه إنقاذا للأرواح، لكن هذه الإجازة لم تخلو من شروط وقيود مما جعلها عملية منظمة ومقيدة.

ولما كانت هذه الجريمة سبيلا لهذا العمل الطبي لكن في غير الحالات التي تبيحها الشريعة ويسمح بها القانون وصُنِّفت صورة من الصور الحديثة للمتاجرة بالبشر، فقد حرمتها الشريعة⁽⁷⁾ وجزّمها القانون. أما الحالات التي أجازوها فقد كان مما اشترطوه لها إذا كان النقل من الحي

(6) القاضي، رامى متولي، 2011، مكافحة الاتجار بالأعضاء البشرية في التشريع المصري والمقارن، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 20.

(7) انظر: فتوى المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، الدورة الثامنة المنعقدة في مكة، من 28/04 إلى 145-7/5هـ، وقرار كبار علماء المملكة العربية السعودية، رقم 99، 6/12/1402هـ، وفتوى مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في مؤتمره الرابع، جدة: 06/1408-23/18هـ، وفتوى لجنة الإفتاء الأردنية، 24/03/1405هـ، وتوصيات المؤتمر الثامن لكليات الطب، جامعة الأزهر، 16/10/1996م.

ومثلها لجان الإفتاء بالكويت ومصر والجزائر وغيرهم.

إلى الحي: "أن يكون النقل من دون أي مقابل مادي أو معنوي مطلقا، بالمباشرة أو بالواسطة، حتى يكون بعيدا عن البيع والشراء والتجارة."

أما إذا كان النقل من الميت إلى الحي فاشترطوا: "أن يكون الميت المنقول منه العضو قد أوصى بهذا النقل في حياته وهو بكامل قواه العقلية ومن دون إكراه مادي أو معنوي وبحيث لا يؤدي النقل إلى امتهان كرامة الأدمي". وفي كل ذلك منع لبيع الأعضاء ولو برضا صاحب العضو، وفي هذا نظرة ذات بُعد مقاصدي، لكون الالتزام بالفتوى يسد ذريعة هذه التجارة، فلا يتاجر بالأعضاء البشرية لا طوعا ولا كرها ولا حتى تحت ذريعة الاضطرار.

المبحث الثاني : واقع المتاجرة بالأعضاء البشرية في الخطاب الديني والمأمول من هذا الخطاب حيال هذه التجارة

تناول المواضيع والوقائع التي يعيشها المجتمع، وتوجيه الناس للحلول الصحيحة، وزجرهم عن اقتحام المحرمات والممنوعات، ومن ذلك جريمة المتاجرة بالأعضاء البشرية، التي هي جريمة تمارس، وفي ذات الوقت تهدد، كل ذلك من مهام ومسؤوليات الخطاب الديني في مختلف مستوياته، لكن الواقع يثبت خلاف ما يجب، وهذا المبحث يتناول هذا الواقع ويرسم المأمول من الخطاب الديني تجاه هذه الجريمة.

المطلب الأول : واقع المتاجرة بالأعضاء البشرية في الخطاب الديني :

الخطاب الديني المعاصر يعيش واقعا استثنائيا، إذ يسجل عليه عدم مسابرة لما يشهده العالم من تطور سريع وعلى جميع الأصعدة، ولا يعايش المجتمع في تغيراته التي مست جميع جوانبه دون استثناء.

وتعتبر القضايا المعاصرة التي تعيشها المجتمعات المسلمة مغيبة كلية أو تكاد، والمتاجرة بالأعضاء البشرية هي أحد أهم المسائل التي لا يُسمع عنها شيء في الخطاب الديني، اللهم إلا بعض المشاركات في المناقشات الإعلامية على الخصوص حيث يُكتفى بذكر الحكم الشرعي للمسألة أو بعض الكلام الهامشي الذي لا يمس صلب الموضوع، ولا يصل إلى عمق المسألة، ولا يقرع أسماع المعنيين بها.

ويعتبر تغييب القضايا الاجتماعية المعاصرة في الخطاب الديني -بقصد أو بدونه- ظاهرة يمكن الجزم بأنها تعم جميع بلاد الإسلام، رغم أن هذه القضايا أولتها هيئات إسلامية عليا بالاهتمام، وتناولتها بالمناقشات، وأصدرت فيها الفتاوى والاجتهادات، في مختلف الأزمنة والأمكنة والمناسبات!

ويضاف إلى هذا مئات البحوث والمؤلفات والمنشورات التي تناولت الموضوع من مختلف الزوايا، سواء منها من تناولها من جهة شرعية أو قانونية أو طبية أو دراسة اجتماعية أو نفسية أو غير ذلك من الدراسات ذات الاهتمام بالموضوع. وهذه الفتاوى والقرارات والدراسات بقيت حبرا على ورق حبيسة المقررات والمجلات العلمية التي لا يصل إليها إلا النخب، ولا يستند إليها إلا الباحثون ليستشهدوا بما توصلت إليه في بحوثهم وتأليفهم، وليبنوا عليها آرائهم، في حين كان الواجب أن تصل إلى كل من له صلة بالموضوع، من عوام الناس كونهم الضحايا، والفاعلون الذين يمارسون هذا العمل الشنيع وقد يظنون أنهم يحسنون صنعا لجهلهم بحكم الشرع فيما يأتون.

كما ولا بد أن تصل إلى الأطباء باعتبارهم أحد الأطراف الفاعلة في معادلة هذه التجارة، وأن في مشاركتهم -إن كانوا على علم بمصدر الأعضاء التي يزرعونها أو يزرعونها- أنهم مشاركون لأولئك المجرمين في إجرامهم، وأنهم جزء من العصابات

شاعوا أو أبوا، وأنهم يتحملون قسطا كبيرا من المسؤولية. وتصل أيضا إلى الأولياء الذين يضحون بأبنائهم، سواء ببيعهم لهذا الغرض أو بيع بعض أعضائهم، أو حتى إهمالهم، مما يجعله عرضة للاختطاف لذات الغرض.

كما كان الواجب أن تصل إلى كل الناس ليتصوّروا حجم الخطر، ويدركوا مقدار المسؤولية، ويفهموا أن الأمر لا يعني فئة دون أخرى، وأن المسؤولية يتقاسمها الجميع وليس الدولة وأجهزتها فقط.

وإذ لم يتحقق من هذا لا الكثير ولا القليل فإنه يمكن الحكم على الخطاب بأنه مقصّر وأنه مشارك بهذا التقصير، ومنه يمكن تفسير ما أنتجه هذا الواقع من زيادة اتساع في انتشار هذه الجريمة سواء من جهة دائرة النشاط أو من جهة عدد الضحايا، إضافة إلى ازدياد الجرائم المرتبطة بجريمة المتاجرة بالأعضاء البشرية، كمّا ونوعاً، كجريمة التهديد، والاحتيال، والتزوير، والاختطاف، والقتل، وترويع أمن المجتمع، وسياحة زراعة الأعضاء، وغير ذلك.

المطلب الثاني: المأمول من الخطاب الديني لمعالجة ظاهرة الإتجار بالأعضاء البشرية

لا شك أن دور الخطاب الديني في مواجهة جريمة المتاجرة بالأعضاء البشرية هو دور توعوي لا أكثر، إذ ليس له أي سلطة على أحد، غير أن تأثيره على النفوس لا ينكره أحد، ومن هنا يكتسب الخطاب الديني قوته في مواجهة هذه الجريمة وغيرها، وذلك من الجهات التالية:

الأولى: البلاغ: إذ دور القائم بالخطاب الديني أن يبلغ الأحكام الشرعية للناس، حتى لا تبقى متداولة بين العلماء والباحثين فقط.

الثانية: التوعية: إذ للخطاب دوره التوعوي بكل ما يمس المجتمع، والتوعية هي أحد أهم أشكال مواجهة الجرائم المختلفة.

الثالثة: التأثير في النفوس: وهذا التأثير هو في حد ذاته يعدّ سلطة، وقد يكون أكثر من أي سلطة أخرى.

وهذا ما يثبت جدوى هذا الخطاب في مواجهة هذه الجريمة، ويؤكد على ضرورة حسن استغلال هذا الخطاب كوسيلة هامة في هذه المهمة، ومن هنا تعلق المأمول بهذا الخطاب.

هذا، وإن تسطير المأمول لا يكون إلا بناء على ما يشهده واقع المتاجرة بالأعضاء البشرية في الخطاب الديني، وأنها مغيبة تماما أو تكاد، وأنه كان لذلك تأثير سلبي زاد من انتشار الظاهرة.

لذا فإنه يمكن اختصار المأمول من هذا الخطاب تجاه هذه الظاهرة في الآتي:

أ- الممارسون: وهم التجار والسماسرة، وكل مشارك في هذه التجارة من قريب أو

بعيد، فهؤلاء إذا علمنا أن ما يقومون به لا غرض لهم من ورائه إلا تحصيل المال وتكوين الثروة، إذ "تجارة الأعضاء ليس الهدف منها الصحة أو الحفاظ على حياة الأشخاص المحتاجين لها، ولكن الهدف هو تحقيق الربح، لذلك سخرت المنظمات الإجرامية ما استطاعت من إمكانيات لتوسيع نشاطها الإجرامي من أجل تحقيق أكبر قدر من الأرباح، فاستباحث لذلك القتل والسطو والتهديد والاختطاف"⁽⁸⁾.

فلا بد للخطاب الديني أن يتوجّه إلى هؤلاء باللغة التي يفهمونه وبالأسلوب الذي يستوعبون به، ليفهمهم أن ما يتكسّبون به محرّم، وأن كسبهم حرام، وأنهم في حكم الشريعة قتلة ومعتدون، وتذكيرهم بما يستحقونه من العقوبة في الدنيا والآخرة.

ب- الأطباء: إن الطبيب ملتزم بأخلاقيات مهنته التي تفرض عليه المعاملة الإنسانية في أبهى صورها، ومراعاة التشريعات القانونية وعدم تجاوزها، وتمنعه من التعامل مع كل من يخالف هذا، لكن الواقع يثبت أن منهم من انفلت وصار مشاركا وشريكا في هذه الأعمال الإجرامية لكونها تدرّ الثروة في وقت قصير، وهنا يأتي دور الخطاب الديني ليخاطب العقول ويستثير الوجدان، ويحرّك الضمائر، فإذا فعل ذلك وتحقّق المقصود في هؤلاء فإن ذلك سينعكس على منظومة هذه التجارة برمّتها، فتصعب المهمة وتتعدّد وتتباطأ حركيتها وتنشل ولو جزئيا، وهو كاف من هذا الطرف، ليتسنى لأطراف أخرى أن تقوم بما عليها فتتكامل الأدوار وتنجح المهمة.

ج- الضحايا إراديا: المقصود بهم من يقعون ضحايا الإغراء من عاطلين ومعوّزين لبيع أعضائهم أو أعضاء أبنائهم بالعروض المادية المغرية والوعود بالأعمال المربحة وغير ذلك، نظرا لأن هذه التجارة تستغل الفقراء وتستثمر في البطالين، كما أثبتت الدراسات أن البلدان الفقيرة هي أكثر المناطق المورّدة للأعضاء، فيقدم المغرر بهم على بيع أعضائهم رغبة في الحصول على الأموال، دون مراعاة ما يفقدون نتيجة هذا البيع وما يخسرون مقابل ما يحصلون عليه، زيادة على مخالفتهم لتشريعات بلادهم، وأحكام شريعتهم، وتناسيا لما يقترفونه من جريمة في حق أنفسهم إن كانوا هم البائعون، وفي حق أبنائهم الذين ضحوا بهم وبصحتهم، وغفلة عما ارتكبوه من محرمات وما يترتب على ذلك دنويا وأخرويا، ولا شيء يمكنه الوصول إلى أعماق هؤلاء غير الخطاب الديني الذي يتوجب عليه أن يحاصرهم من كل جهة وأن يكلمهم بكل لغة ليستفيقوا من غفلتهم ويتبهاوا لما يفعلون.

(8) انظر: كوركيس، يوسف داود، 2001، الجريمة المنظمة، ط1، الدار العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ص 74.

د- الآباء الغافلون والمغفلون:

يتوجب على الخطاب الديني توعية الآباء حتى لا يسلموا أبناءهم لأدعياء التبني⁽⁹⁾، والتنبيه على ضرورة أخذ الحذر والحيطه من المنظمات والمجموعات الإجرامية التي تتصيد الغافلين فتغويهم بالأموال والمستقبل المشرق لهم ولأبنائهم، بينما تأخذ فلذات أكبادهم ليقتلوا وتقطع أجسادهم وتشحن إلى المستشفيات لتستخدم أعضاؤهم في إنقاذ من يدفع المال ويحقق الأرباح لهذه العصابات⁽¹⁰⁾. كما يلزم التنبيه على مخاطر الأنترنت وأنها أحد أهم وسائل التواصل بين السماسرة والضحايا، وأن عكوف الأبناء عليها قد يوصلهم إلى ما لا تحمد عقباه، ولا تُتدارك نتائجه.

هـ - التشجيع على التبرع بالأعضاء:

إن الفتاوى أجمعت على جواز التبرع بالأعضاء مع بيان الشروط، والحاجة إلى الأعضاء ماسة، والمتاجرة بها ممنوعة شرعا ومحضورة قانونا، فلم يبق من سبيل إلا التبرع، فعلى الخطاب الديني أن يولي هذا الباب الاهتمام الكافي وأن يحث الناس على التبرع بالأعضاء إذا توفرت الشروط، سواء في الحياة أو بالوصية لما بعد الوفاة، وهذه مع ما يترتب عليه من الأجر الجزيل، والتعاون على الخير، وأنه من أفضل وجوه البر والإحسان، فإن فيه حيلولة دون اتساع رقعة المتاجرة بالأعضاء، ومشاركة في تحقيق أمن العباد والبلاد.

الخاتمة :

في الختام، وبعد عرض جريمة الإتجار بالأعضاء البشرية بمفهومها الشرعي والقانوني وحكمها في شريعة الإسلام، وعرض واقعها في الخطاب الديني وبيان المأمول من هذا الخطاب حيال هذه الجريمة النكراء، توصل البحث إلى جملة من النتائج، كما يرغب الباحث في تقديم بعض التوصيات.

نتائج الدراسة:

تتمثل في الآتي:

- إن جريمة المتاجرة بالأعضاء البشرية ذات مفهوم أوسع في شريعة الإسلام مما هي عليه في القانون والطب.
- أن المتاجرة بالأعضاء البشرية محرمة في الإسلام بالإجماع، ويجوز فيها التبرع بشروط، سواء كان التبرع في حياة المتبرع أو بعد وفاته.
- أن الخطاب الديني المعاصر لا يتعرض لهذه الجريمة وهو ما أسهم في زيادة انتشارها وتوسع نشاطها.
- أنه يؤمل الكثير من هذا الخطاب تجاه هذه الجريمة للمساهمة في محاربتها وتوعيتها ضحاياها.

(9) انظر: الشامي، عبد الله سيف، 2003، الجريمة المنظمة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، ص 374.

(10) انظر: غويبة، سمير، 1999، المتاجرة بالأمومة وبيع الأعضاء البشرية، ط1، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ص 114.

التوصيات:

في ضوء ما تمخض عنه هذا البحث وأهمه أن جريمة المتاجرة بالأعضاء البشرية لا يمكن مواجهتها من طرف جهة معينة دون الأخرى، بل لا بد من تكاتف الجهود، وأن من لوازم ذلك إسهام الخطاب الديني في ذلك من خلال دوره التوعوي لكل الأطراف المعنية بهذه الجريمة، فإن الباحث يوصي بجملة من التوصيات التي قد تسهم في مواجهة جريمة المتاجرة بالأعضاء البشرية، وإعادة الخطاب الديني لمهمته التوعوية، وتتمثل هذه التوصيات في الآتي:

- إعادة تفعيل الخطاب الديني وضرورة مسابرتة للأحداث التي يشهدها العالم، ومشاركتة الناس همومهم.
- ضرورة التنسيق بين الخطاب الديني والأطراف التي تشاركه الاهتمام بجريمة المتاجرة بالأعضاء البشرية، كأهل القانون وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرهم، لإحداث تكامل معرفي حول الموضوع ووضع منظومة مواجهة للجريمة يشترك فيها الجميع، كل حسب تخصصه.

هذا وإني أحمد الله على تيسيره، وأمل أن أكون من الموفقين.

المراجع والمصادر

- البستاني، عبد الله، (د ت)، الوافي الوسيط في اللغة، (د ط)، مكتبة لبنان، بيروت.
- الرشيد، أسماء أحمد، (2009)، الاتجار بالبشر وتطوره التاريخي، ط1، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- الشامسي، عبد الله سيف، 2003، الجريمة المنظمة، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة.
- القاضي، رامي متولي، 2011، مكافحة الاتجار بالأعضاء البشرية في التشريع المصري والمقارن، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة.
- المصاورة، هيثم حامد، 2003، نقل الأعضاء البشرية بين الحضر والإباحة- دراسة مقارنة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية.
- زعال، حسني عودة، 2001، التصرف القانوني بالأعضاء البشرية في القانون الجنائي- دراسة مقارنة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن.
- غويبة، سمير، 1999، المتاجرة بالأمومة وبيع الأعضاء البشرية، ط1، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة.
- كوركيس، يوسف داود، 2001، الجريمة المنظمة، ط1، الدار العلمية للنشر والتوزيع، الأردن.

جوانب من تاريخ التعليم بالمساجد الأندلسية (6 - 8هـ / 12 - 14م)

إعداد : د. تهاني سلامة حسن سلامة
أستاذ مشارك بقسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم المرج- جامعة بنغازي

القبول : 2021 / 10 / 26

الاستلام : 2021 / 08 / 19

المستخلص :

لم تقتصر المساجد في العالم الإسلامي على العبادة وإقامة الشعائر الدينية فقط؛ وإنما كانت دور علم ومعرفة، مفتحة الأبواب لكل طالب علم على اختلاف مستوياتهم، فكانت تزدان بالحلقات العلمية المتنوعة والمنظمة من قبل أكابر العلماء والمشايخ، ومن بين أروقتها خرج القراء و المفسرون والمحدثون والفقهاء والخطباء وسائر الأعلام .

لقد كانت الانطلاقة التعليمية المنظمة بالعالم الإسلامي من المساجد، فقد حملت لواء العلم والتعليم طيلة العهود الإسلامية، وعلى الرغم من ظهور المدارس إلا أن المساجد ظلت المركز الأول للتعليم خاصة ببلاد الأندلس؛ حيث تأخر ظهور المدارس بها إلى ما بعد القرن الرابع الهجري. وقد كانت للعملية التعليمية بالمساجد تقاليد وأنظمة وأساليب خاصة، صبغة التعليم بطابع الأصالة والجودة والإتقان، وأفرزت نخب وأساطين العلم والمعرفة في تاريخ الحضارة الإسلامية. ومن هنا كان للمساجد الأندلسية دورا كبيرا في ظهور الأعلام والفقهاء المبرزين، الذين أثروا بمؤلفاتهم وأبحاثهم الحركة العلمية ببلاد الأندلس.

Research Summary:

Mosques in the Islamic world were not limited to worship and religious rituals only; rather, they were roles of knowledge and knowledge, opening doors for every student of knowledge at their different levels. and other flags.

The educational breakthrough in the Islamic world was from the mosques, they carried the banner of education and education throughout the Islamic eras, and despite the emergence of schools, mosques remained the first center for education, especially in the country of Andalusia, where the emergence of schools was delayed until after the fourth century AH. The educational process in mosques had special traditions, systems, and methods, the nature of education in the nature of originality, quality and mastery, and it produced elites and masters of science and knowledge in the history of Islamic civilization. Hence, the Andalusian mosques played a major role in the emergence of distinguished scholars and jurists, who, with their books and research, influenced the scientific movement in Andalusia.

مقدمة :

المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم أن ظهر الإسلام، فما بنى النبي صلى الله عليه وسلم يوم استقر في دار الإسلام بيته حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه، ويجلس لتعليم أصحابه، فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة، كذلك لا مسجد بدون تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة، فلا إسلام بدون تعليم.

وقد اقتدى المسلمون بعد عصر النبوة بنبيهم- صلى الله عليه وسلم- في إعطاء المسجد مكانة كبيرة، فنجدهم في عصر الفتوحات إذا فتحوا بلداً اتخذوا فيه مسجداً، وكذلك إذا اختطوا مدينة جديدة كان المسجد أول ما يبدأ به، ويكون هو المركز الذي تصب فيه طرقات المدينة؛ وإذا كان التطور الذي أصاب نظم الدولة الإسلامية بعد عصر الخلافة الراشدة، قد جعل المسجد يتخلى عن بعض مهامه لمؤسسات أخرى، فإن دوره العلمي قد نما وازدهر بدرجة كبيرة، وخاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، إذ شهدت هذه الحقبة نهضة علمية شملت جميع الميادين، وكان المسجد هو الذي احتضن هذه النهضة، وحفلت أروقته بمعظم الدراسات الشرعية واللغوية وغيرها.

ولم يقتصر دور المسجد العلمي على إقليم دون آخر. بل كان يقوم بهذا الدور في كل البلاد الإسلامية، ومنها بلاد الأندلس، بل قد يكون دور المسجد العلمي في بلاد الأندلس عامة يفوق دوره في مشرق العالم الإسلامي؛ وذلك لأن هذه البلاد شهدت في عصور مبكرة ظهور المدارس كمعاهد تعليمية نافست المسجد، بينما تختلف الحال في الأندلس، إذ إن ظهور المدارس فيها قد بدأ في النصف الأول من القرن الخامس الهجري. ولذا كانت الانطلاقة التعليمية المنظمة بالأندلس من المساجد. إن هذا الموضوع: جوانب من تاريخ التعليم بالمساجد الأندلسية يتناول جزءاً من تاريخ التعليم في العصر الإسلامي، فقد زخر العالم الإسلامي بمساجد كبرى كانت نواة التعليم، ومهد أساطين العلم والفكر في الحضارة الإسلامية.

وتكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في كونه يسلط الضوء على فترة مهمة في تاريخ الأندلس، ألا وهي فترة سيادة التعليم بالمساجد والكتاتيب، وظهور أعلام الفكر المبرزين قبل ظهور المدارس بالأندلس.

وكان الهدف من وراء دراسة هذا الموضوع هو بيان دور المساجد في التعليم ومدى مواكبتها للحركة العلمية بالعالم الإسلامي، وإعطاء صورة عن كيفية التعليم وما يتصل به داخل أروقة المساجد المنتشرة بالأندلس خلال هذه الفترة. ولأهمية دور المساجد في العملية التعليمية سنتناول بالبحث والدراسة جوانب من تاريخ التعليم بالمساجد الأندلسية، كنظام التعليم وأساليبه المتبعة والمناهج الدراسية والمؤلفات المعتمدة في التعليم، مع رصد أبرز الأعلام الذين تصدروا عملية التعليم و التدريس بالمساجد الأندلسية.

جوانب من تاريخ التعليم بالمساجد الأندلسية :

اقتدى المسلمون بعد عصر النبوة بالنبوي- صلى الله عليه وسلم- في إعطاء المسجد مكانة كبيرة* ، فنجدهم في عصر الفتوحات إذا فتحوا بلداً اتخذوا فيه مسجداً، وكذلك إذا اختطوا مدينة جديدة كان المسجد أول ما يبداً به، ويكون هو المركز الذي تصب فيه طرقات المدينة؛ وإذا كان التطور الذي أصاب نظم الدولة الإسلامية بعد عصر الخلافة الراشدة، قد جعل المسجد يتخلى عن بعض مهامه لمؤسسات أخرى⁽¹⁾، فإن دوره العلمي قد نما وازدهر بدرجة كبيرة، وخاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، إذ شهدت هذه الحقبة نهضة علمية شملت جميع الميادين، وكان المسجد هو الذي احتضن هذه النهضة، وحفلت أروقته بمعظم الدراسات الشرعية واللغوية وغيرها.

ولم يقتصر دور المسجد العلمي على إقليم دون آخر، بل كان يقوم بهذا الدور في كل البلاد الإسلامية، ومنها بلاد الأندلس، بل قد يكون دور المسجد العلمي في بلاد الأندلس عامة يفوق دوره في مشرق العالم الإسلامي؛ وذلك لأن هذه البلاد شهدت في عصور مبكرة ظهور المدارس كمعاهد تعليمية نافست المسجد، بينما تختلف الحال في الأندلس، إذ إن ظهور المدارس فيها قد بدأ في النصف الأول من القرن الخامس الهجري. ولذا كانت الانطلاقة التعليمية المنظمة بالأندلس من المساجد.

سن الالتحاق بالتعليم بالمساجد :

من أقدم المؤسسات التعليمية التي عرفها المسلمون عامة الكتاب* ؛ وقد ازداد الاهتمام بتأسيسه في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (13 - 23 هـ/ 634 - 644م) رضي الله عنه - حيث أمر ببناء بيوت المكاتب، ونصب الرجال لتعليم أبناء المسلمين وتأديبهم، وجعل لهم رزقا من بيت المال⁽²⁾. وفي العصور التالية استمر اهتمام المسلمين بالكتاب؛ إذ هو في الحقيقة الأساس لكل تعليم، حيث يبدأ الصبي بتعلم القرآن الكريم قراءة وكتابة، وشيئاً من العربية والآداب ومبادئ الحساب⁽³⁾، تهئية لتلقي العلوم المختلفة بالمساجد المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي كافة.

* لم يكن المسجد في العهد النبوي مكاناً لإقامة الصلاة فحسب؛ بل كان له وظائف وأدوار كثيرة؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعقد فيه الاجتماعات، ويستقبل فيه الوفود، ويقوم فيه حلق الذكر والعلم، وكان منطلق الدعوة والبعوث، ويرم فيه كل أمر ذي بال في السلم والحرب. للمزيد انظر: الندوي، أبو الحسن علي (9891)، السيرة النبوية، ط8، دار الشرق، جدة، ص 991؛ حركات، إبراهيم (د.ت)، السياسة والمجتمع في العصر النبوي، منشورات دار الأفق الجديدة، المغرب، ص، 242- 342.

(1) المرجع نفسه، ص 199؛ حركات، السياسة والمجتمع، ص، 242- 243.

* تطلق كلمة الكتاب على المكان الذي يتعلم فيه الصبيان، والجمع مكاتب أو كتاتيب والمعلم الذي يتولى التعليم فيه يسمى المكتب ويطلق على الصبيان الذين يتعلمون في هذا المكان الكتاب. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (4991)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1/ 996.

(2) الكتاني، محمد عبد الحي (د.ت)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ط2، دار الأرقم، بيروت، 2/ 200 .

(3) الغزالي، أحمد بن محمد (د.ت)، إحياء علوم الدين، مطبعة كرياضة فوتر، اندونيسيا، 1/ 17.

يعد التعليم في المسجد المرحلة الثانية من التعليم حيث يعقب مرحلة التعليم الأولي بالكتاب، وإن كان بعض معلمي الكتاب قد اتخذ من المسجد مكاناً لتعليم الصبيان، فلا يعني ذلك أن هاتين المرحلتين متداخلتين، ذلك أن سن المتعلم والمنهج الذي يدرس فيه هما اللذان يحددان مرحلة المسجد التعليمية.

والحقيقة أنه لما كان التعليم في المسجد له ارتباط بقضية يحرص العلماء على مراعاتها، ألا وهي حفظ السند وتسلسله من العالي إلى النازل⁽⁴⁾، ولأن الطالب سيكون ناقلاً بسنده للعلم الذي أخذه عن شيوخه، فينبغي أن يكون في سن تمكنه من ضبط ما يلقي في الحلقة، وليس هناك سن معينة تبدأ عندها هذه المرحلة فالقاضي عياض⁽⁵⁾، يرى أن الطالب متى ضبط ما سمعه صح سماعه، وبالإضافة لما تقدم فإن هناك عوامل تحدد السن التي يبدأ فيها الطالب بالتردد على حلقات العلم في المساجد، منها كون الطالب من أسرة علمية، والمدة التي قضاها في المرحلة الأولى* وحالة أسرته المالية وغيرها، وهي عوامل تختلف من شخص إلى آخر، ولكن يمكننا القول أن متوسط دخول مرحلة التعليم بالمسجد هو ما بين الثانية عشرة والخامسة عشرة، ولا يمنع ذلك أن يبدأ البعض قبل هذه السن، كما أن البعض قد يتأخر عنها، فإذا رأى الطالب أو أسرته أن لديه القدرة على الالتحاق بحلقات العلم في المسجد فإنه يذهب إلى حلقة الشيخ الذي يرغب التلمذ عليه، حيث لا يتطلب الأمر أية ترتيبات مسبقة⁽⁶⁾، كما أن له الحرية في أن ينتقل من حلقة إلى أخرى لأي سبب من الأسباب، فقد يكون أحد العلماء أبسط عبارة في تدريسه فيرغب الطلاب في الأخذ عنه والدراسة عليه، كما حدث لأبي علي بن عاشر فقد انتقل عدد من الطلاب إلى حلقاته؛ لأنهم رأوا أنه أبسط عبارة وأسهل إلقاء من أبي علي الرندي (ت: 616هـ/ 1219م) الذي كانوا يدرسون عليه قبل انتقالهم إلى حلقة ابن عاشر⁽⁷⁾.

(4) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (2007)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1/ 116.

(5) عياض اليمصبي، أبو الفضل عياض بن موسى (1970)، الإلحاح إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، ط1، دار التراث، القاهرة، ص62.

* لم تكن هناك سن معينة يبدأ عندها الصبي في تلقي العلم بالكتاب، وإنما كان ذلك متروكاً لتقدير آباء الصبيان، ولكن السن المثلى لبدء التعليم في الكتاب هي ما بين الخامسة والسابعة؛ وذلك لأن الصبي في هذه السن يكون قد تخطى ما تعرف لدى علماء التربية بالطفولة المبكرة، والتي غالباً ما تكون فرصة للهو الطفل ولعبه، الذي يفيد في تنمية مداركه وتقوية بنيته. ولعل علماء المسلمين استفادوا في تحديدهم هذه السن من بعض النصوص التربوية التي وردت عن الرسول صل الله عليه وسلم منها قوله: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع". انظر: ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (د.ت)، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 4/ 943؛ أبو داود الأزدي، سليمان بن الأشعث (7991)، سنن أبي داود، ط1، دار ابن حزم، بيروت، كتاب الصلاة، حديث رقم (594)، 1/ 932؛ الأخواني، أحمد فؤاد (5491)، التعليم في رأي القابسي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ص24؛ عبدالعال، حسين (8791)، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، ص211؛ الكتاني: نظام الحكومة النبوية، 2/ 102.

(6) العريني، يوسف بن علي (1995)، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ص103.

(7) ابن الزبير، أبو جعفر بن إبراهيم (1973)، صلة الصلة القسم الأخير أصدره إ. ليفي بروفنسال، معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، ص69.

ولا نستطيع أن نحدد السنوات التي يقضيها الطالب في تلقي العلم في هذه المرحلة ، لأن الطالب في الغالب لا يقتصر على تلقي العلم في بلده، بل يرحل في طلب العلم إلى بعض حواضر العالم الإسلامي ، ولأن الطلب عملياً لا ينتهي عند حد أو سن معينة، إلا أننا إذا جعلنا وصول الطالب إلى المرحلة التي يستطيع أن ينتصب بعدها للتدريس هي الحد الفاصل بين الطلب والتدريس، فإننا نجد بعض التراجع لعلماء وصلوا إلى هذه المرحلة وانتصبوا للتدريس، وحمل عنهم العلم، واستجيزوا وهم أبناء عشرين سنة، كما وجد من الطلاب النابهين من حصلوا على ترشيح من شيوخهم للنيابة عنهم بالتدريس في حلقاتهم ، وهو أمر يشير إلى جو النشاط العلمي والفكري الذي يهيمن على وسط العلماء⁽⁸⁾ .

أسلوب التعليم المتبع بالمساجد:

كانت العادة ألا ينتصب للتدريس في المساجد الكبار إلا من انتهت إليه الكفاية والمهارة في العلم والدين في وقته ، تلك الكفاية والمهارة التي يذاع أمرها عن طريق التدريس في المساجد والجوامع الصغار المتناثرة هنا وهناك في أرجاء الأندلس⁽⁹⁾ .

وكان أسلوب التدريس بهذه المساجد يقوم على التدرج* بالمتعلمين في مدارج التعليم ، ومن أمثلة هذا ما جاء عن الحفيد أبي بكر محمد بن زهر(ت:595هـ/1196م) من أنه قد أتى إليه اثنان من الطلبة ليشغلا عليه بصناعة الطب فلزمه مدة ، ثم أتياه يوماً وبيد أحدهما كتاب في المنطق، وكان غرضهما أن يشغلا فيه، فلما نظر ابن زهر إلى ذلك الكتاب رمى به ناحية، وأمرهما أن يجيدا حفظ القرآن، وأن يشغلا بقراءة التفسير والحديث والفقه، وأن يواظبا على مراعاة الأمور الشرعية والافتداء بها، فلما امتثلا أمره وأتقنا معرفة ما أشار به عليهما، أخرج لهما كتاب المنطق، وقال لهما الآن صلحتما لأن تقرأ هذا الكتاب وأمثاله وأشغلهما فيه⁽¹⁰⁾ .

حلقات الدرس ونظمتها :

نظام الحلقات هو الأسلوب المتبع في التدريس بالمساجد ، وهو أن يتحلق الطلاب حول الشيخ حلقة حلقة، وهذا الشكل صورة طبق الأصل للمجالس

(8) التازي، عبد الهادي(1972)، جامع القرويين، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1/ 126 - 127 : العريني، الحياة العلمية، ص 104.

(9) المرجع نفسه، 1/ 123.

* نص ابن خلدون على هذا المبدأ التعليمي بقوله: " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً، وقليلًا قليلًا، يلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن، هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى في ذلك قوة عقله، واستعداده لقبول ما يرد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك تحصل له ملكة في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن، وتحصيل مسأله". للمزيد انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(2000)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1/ 734.

(10) ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد(1882)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق ابن الطحان ، ط1، المطبعة الوهبية، القاهرة، 2/ 69 - 70.

العلمية على عصر الرسول ﷺ، تلك الصورة التي ذكر وصفها الإمام البخاري* وذلك بأن يجلس الشيخ متكئاً على أحد أعمدة المسجد، ويجلس الطلاب أمامه على هيئة نصف دائرة، ثم يضيّق طرفاها مما يلي الشيخ شيئاً فشيئاً حتى يصبح هو عقد نظامها⁽¹¹⁾، والأصل أن يجلس مساوياً لطلابيه، ولكن قد تكون زيادة أعداد الطلاب، وكثرة صفوف الحلقة دافعاً للشيخ لأن يجلس على كرسي حتى يتمكن من بُعد من الطلاب من سماع حديث الشيخ، كما يمكن للشيخ سماع ما يريد الطلاب توجيهه إليه من أسئلة أو استفسارات. وتعدّ الحلقات في أوقات محددة ومعلومة للطلاب، وغالباً ما تعقد في المسجد القريب من مكان سكني الشيخ، ولكن قد توجد من الأسباب ما تجعل الشيخ يخلق في مسجد آخر وهذه الأسباب إما ازدحام المسجد القريب منه بالحلقات، أو قد ينتقل العالم من المسجد الذي يخلق فيه إلى مسجد آخر تبركاً بإقراء أحد العلماء المبرزين فيه⁽¹²⁾، فقد كان الشيخ محمد بن عبد الله الأنصاري القرطبي (ت: 628هـ/ 1230م) يقرئ بمسجد أبي عبد الله بن المجاهد؛ تبركاً بإقراء هذا العالم فيه⁽¹³⁾. وقد يكون اشتغال أحد العلماء بالتجارة سبباً في تنقله من مكان إلى آخر، وبالتالي تدريسه في أكثر من بلد، فالشيخ علي بن محمد بن خروف (ت: 609هـ/ 1212م) كان يتحرف بالتجارة في بلدان الأندلس والمغرب، فمتى حل ببلد انتصب لتدريس ما لديه من المعارف والعلوم⁽¹⁴⁾.

كذلك كان العمل بالقضاء من الأعمال التي تجعل العالم ينتقل في أكثر من بلد، وتكون له حلقاته وطلابيه في تلك البلدان، فالشيخ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله (ت: 612هـ/ 1215م) وأخوه أبو سليمان داود بن سليمان (ت: 621هـ/ 1224م) كانا من القضاة الذين تنقلوا في أكثر من بلد، فما أن يحل الواحد منهما في بلد حتى تكون له حلقاته، ومجالس إسماعه⁽¹⁵⁾.

وكان المشايخ و العلماء يخصصون لكل علم حلقة، ويرتبون ذلك إما على

* روى البخاري أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى الرسول ﷺ وذهب واحد فوقفا على الرسول ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفه، وأما الثالث فأدبر زاهباً. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: "ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحى، فاستحى الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه انظر البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (د.ت)، الجامع الصحيح تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، حديث رقم (66) / 1، 40 - 41.

(11) الحجوي الفاسي، محمد بن الحسن (د.ت)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1/ 229:العربي: الحياة العلمية، ص 105.

(12) التازي، جامع القرويين، 1/ 125: العربي، الحياة العلمية، ص 106-105.

(13) بن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد (1973)، الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، 241/ 6:الرعي، أبو الحسن علي بن محمد (1962)، برنامج شيوخ الرعي، تحقيق إبراهيم شيوخ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص11.

(14) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 5/ 321.

(15) الرعي، برنامج شيوخ الرعي، ص56: العربي، الحياة العلمية، ص107.

مدار اليوم أو على مدار الأسبوع؛ وذلك لأن الحياة العلمية في تلك الفترة، لا تعرف ما نعرفه في وقتنا الحاضر من تخصص العالم في فرع من فروع العلم ، بل إن العالم يكون على علم ودراية بأكثر من علم، وبالتالي فإنه في تعليمه تكون له أكثر من حلقة، فقد كان الشيخ أحمد بن محمد بن إبراهيم الكتامي (ت:610هـ/1213م) يقرئ القرآن، ويروي الحديث ويعلمه، ويدرس علوم العربية في حلقات بجامع قرطبة، وتخرج على يديه أعداد كبيرة من الطلبة من مختلف المدن الأندلسية⁽¹⁶⁾.

والجدير بالذكر أنه لما كان التعليم عامة لا يقتصر على مرحلة معينة، إذ أن الإنسان مأمور بأن يتعلم ما ينفعه ويبذل ما عنده من علم، كان للعلماء حلقات لعامة الناس وأصحاب الأعمال والحرف الذين ليس في مقدورهم الانتظام في الحلقات المعتادة بالمساجد، فكانوا يعقدون هذه الحلقات في أوقات تناسب هذه الفئات، وتدرس فيها العلوم التي يحتاجونها في عباداتهم ومعاملاتهم و أمور دينهم⁽¹⁷⁾، ومن هؤلاء العلماء: أبو محمد عبد الله بن الحسن بن أحمد الأنصاري (ت:611هـ/1214م) كان له بجامع مالقة الأعظم مجلس علمي للعامة، يختلف عن مجلس تدريسه المعتاد، ويتكلم في هذا المجلس عن الحديث إسناداً ومتنا⁽¹⁸⁾، ومحمد بن إبراهيم بن المفرج الإشبيلي (ت:668هـ/1269م) كانت له بجامع غرناطة حلقتان: الأولى لتدريس الفقه والأصول لطلابه الملازمين له، أما الثانية فهي للعامة يقرئ فيها الفروع والعقائد، وامتنان بسهولة الألفاظ في تعليمه ، والتواضع والصبر في تقبل أسئلة ومناقشات الحاضرين لهذه الحلقات من العامة⁽¹⁹⁾، وأبو الحكم محمد بن أحمد الغساني المالقي (ت:749هـ/1348م) كانت له حلقة في المسجد الأعظم بمالقة، وتخرج على يديه أعداد كبيرة من الطلبة⁽²⁰⁾.

ولما كانت أيام الجمع مناسبة لاجتماع أكبر عدد من الناس وخاصة القاطنين خارج المدن، فإن بعض العلماء وجد في ذلك فرصة لتعليم هؤلاء الناس، الذين قد لا يكون لديهم الوقت الكافي للتردد على حلقات العلم، وفي الوقت نفسه هم في حاجة إلى تعلم الضروري لتيسير أمور حياتهم، وقد كانت لمحمد بن عبد الجبار القيسي (ت:611هـ/1214م) حلقات من هذا النوع حيث يخلق أثر صلاة الجمعة من كل أسبوع في مسجد ابن عيشون ببلنسية ، فتتلى عليه أي من كتاب الله فيأخذ في تفسيرها واستنباط ما فيها من الأحكام⁽²¹⁾.

(16) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 1/394، 396 - 397.

(17) حسن، حسن علي (1980)، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 417.

(18) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 4/191، 194-195؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله (1973)، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 3 / 405-406: العريني، الحياة العلمية، ص 109.

(19) ابن الخطيب، الإحاطة، 3 / 69: العريني، الحياة العلمية، ص 110.

(20) المصدر نفسه، 66/3-67.

(21) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 6/376: العريني، الحياة العلمية، ص 110.

العلوم والمؤلفات المعتمدة في حلقات المساجد:

وفيما يتعلق بالعلوم والمؤلفات التي كانت تدرس في هذه المرحلة فهي غير محددة، ولكن إطارها العام يشمل جميع ميادين الحياة العلمية المعروفة في هذه الفترة، ما عدا ما نص العلماء على عدم جواز تعليمه في المسجد*، وداخل هذا الإطار فإن الشيخ وحده هو الذي يختار التخصص الذي يرغب في تدريسه. ومن أبرز العلوم والمؤلفات التي كانت تدرس في هذه الفترة على سبيل المثال لا الحصر:

علوم القرآن والتفسير:

كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام، التيسير في القراءات لأبي عمرو الداني، الإرشاد في معرفة مذاهب القراء السبعة لابن غلبون المقرئ، التبصرة في القراءات السبع، وناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب القيسي⁽²²⁾، الكافي في القراءات السبع لأبي عبد الله الرعيني، التقريب في القراءات السبع لأبي العباس المسيلي، ناسخ القرآن ومنسوخه لأبي بكر بن العربي، البيان في القراءات السبع، والفصل في القراءات، وكتاب الهاءات لأبي طاهر عبد الواحد البغدادي،⁽²³⁾ غريب القرآن لأبي بكر بن عزيز، شرح أبي عمرو الغافقي على قصيدة الحصري في القراءات⁽²⁴⁾.

الحديث والسيرة:

أمهات كتب الحديث وتشمل صحيح البخاري ومسلم وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن أبي داود، مسند البزار الكبير⁽²⁵⁾، موطأ مالك، المنتقى في شرح الموطأ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار، التقصي لما في موطأ مالك بن أنس لأبي عمر بن عبد البر، مسانيد الموطأ لأبي ذر الهروي، تفسير غريب الموطأ⁽²⁶⁾، كتاب شمائل النبي عليه الصلاة والسلام للترمذي، كتاب إعلام النبوة لابن قتيبة، كتاب آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن النيسابوري، رياضة المتعلمين لأبي نعيم، كتاب الأربعين حديثاً، وكتاب الشريعة لأبي بكر الأجري⁽²⁷⁾، كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع لأبي

* نهي العلماء عن قراءة ومدارسة الفاحش من الكلام شعراً أو نثراً في المساجد، لأنها منزهة عن الابتذال، انظر: الونشريسي، أحمد بن يحيى (1981)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1/ 24.
(22) ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد (1989)، فهرسة ابن خير، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1/ 38 - 43.

(23) المصدر نفسه، 1/ 45 - 49، 67.

(24) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (1995)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 2/ 200.

(25) المراكشي، عبد الواحد بن علي (1963)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ص: 355؛ ابن الزبير: صلة الصلة، ص 149-150.

(26) ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير، 1/ 96، 105 - 111.

(27) المصدر نفسه، 1/ 184 - 189.

بكر البغدادي، كتاب الشهاب في الآداب والأمثال والحكم المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي عبد الله محمد القضاعي⁽²⁸⁾، كتاب مغازي رسول الله لابن عقبة، سيرة رسول الله ومغازيه للواقدي، كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير لأبي عمر بن عبد البر⁽²⁹⁾، سيرة ابن إسحاق بتهذيب ابن هشام⁽³⁰⁾.
الفقه والأصول والتصوف :

كتاب المدونة، والمختلطة منها تهذيب سحنون بن سعيد وتبويبه، المستخرجة من الأسمعة للعتبي، كتاب التفريع لابن الجلاب، كتاب الرسالة لأبي عبد الرحمن النفزي، كتاب مختصر المدونة، كتاب النوادر لأبي محمد بن زيد، كتاب الأموال لإسماعيل القاضي، كتاب مناسك الحج للقابسي، كتاب الكافي في الفقه، وكتاب الإشراف على ما في أصول فرائض المواريث من الإجماع والاختلاف لأبي عمر بن عبد البر، كتاب الوثائق والسجلات لابن العطار، كتاب الوثائق لابن الهندي⁽³¹⁾، كتاب الرقائق لعبد الله بن المبارك، كتاب الزهد لابن حنبل، كتاب الرعاية لحقوق الله تعالى، وكتاب الغيبة للهارث المحاسبي⁽³²⁾، كتاب ابن يونس، التهذيب في اختصار المدونة للبرادعي⁽³³⁾، البرهان والإرشاد للجويني⁽³⁴⁾.
اللغة والنحو والأدب :

كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، كتاب المقتضب لأبي العباس المبرد، كتاب الأصول في النحو، والموجز في النحو لأبي بكر بن السراج، كتاب الجمل لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي، كتاب الكافي في النحو، والمقنع في النحو للنحاس، كتاب الإيضاح في النحو لأبي علي الحسن الفارسي، كتاب الواضح في النحو لأبي بكر الزبيدي⁽³⁵⁾، كتاب الكامل لأبي العباس المبرد، كتاب النوادر لأبي علي إسماعيل البغدادي، كتاب اللآلئ في شرح الأمالي لأبي عبيد البكري، كتاب البيان والتبيين للجاحظ، كتاب المجالس لثعلب، كتاب العروض لأبي عمر بن عبد ربه⁽³⁶⁾، مقامات الحريري، رسالة القلم والدينار لأبي نصر بن ماکولا⁽³⁷⁾.

وكما سبق وأن أشرنا، فإن معظم العلماء لا يقتصرون في تدريسهم على علم

(28) المصدر نفسه، 1 / 220.

(29) المصدر نفسه، 1 / 284 - 285.

(30) ابن الأثير: التكملة، 3 / 210: ابن الزبير، صلة الصلاة، ص150.

(31) ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير، 1 / 296 - 310.

(32) المصدر نفسه، 1 / 340 - 345.

(33) ابن خلدون: العبر، 1 / 569 - 570.

(34) ابن الأثير، التكملة، 2 / 163 ترجمة 422: ابن القاضي الكناسي، أحمد بن محمد (1973)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 2 / 429، 466.

(35) ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير، 2 / 399 - 405.

(36) المصدر نفسه، 2 / 425 - 431.

(37) ابن الأثير، التكملة، 2 / 43، 3 / 63 - 64.

واحد فقط، وبالتالي فقد كان لهؤلاء العلماء أكثر من حلقة في اليوم، وكان العلماء يفاضلون بين العلوم التي يدرسونها تقديماً وتأخيراً، فيقدمون إقراء القرآن وتفسيره ثم الحديث وعلومه.

أوقات الدراسة بالمساجد:

في الغالب الوقت الملائم لإلقاء الدرس في المساجد، هو ما بعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الشمس، وهذا الوقت يناسب الطالب والمعلم في آن واحد، إذ أن عقد الحلقات في هذا الوقت يجعلها تحظى بعدد كبير من طلاب العلم، سواء أكانوا من المتفرغين لطلب العلم أم ممن لديهم أعمال يتكسبون منها، إذ العادة ألا تبدأ الأعمال إلا بعد طلوع الشمس، كما أن العلماء هم أيضاً لديهم مشاغل أخرى⁽³⁸⁾، وقد كان عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (ت: 582هـ / 1186م) يقسم نهاره بين الإقراء والقيام ببعض الأعمال، فإذا صلى الصبح أقرأ إلى وقت الضحى، ثم قام فركع ثمان ركعات، ثم انصرف إلى منزله واشتغل بالتأليف إلى صلاة الظهر، فإذا صلى الظهر أدى الشهادات وقرئ عليه في أثناء ذلك إلى العصر، فإذا صلى العصر مشى في حوائج الناس⁽³⁹⁾.

كما وجد من العلماء من جعل تدريسه ما بعد الفجر وما بعد صلاة العصر، وقد تمتد الدراسة في المسجد إلى الليل، وخاصة ما بين العشائين، فقد كانت حلقات الشيخ أبي الخطاب أحمد بن واجب (ت: 614هـ / 1217م) في جامع بلنسية تمتد إلى هذا الوقت، ويبدو أن شهرة هذا العالم الذي وصفه ابن الأبار بأنه "حامل راية الرواية بشرق الأندلس وآخر المحدثين المسندين" جعلت الطلاب يزدحمون في الأخذ عنه مما اضطره إلى التدريس طوال النهار⁽⁴⁰⁾.

طرق التعليم المتبعة في المساجد:

تنوعت طرق التعليم المتبعة في المساجد الأندلسية، ومن أبرزها ما يلي:

1 - السماع :

وهو أن يسمع الطالب من لفظ شيخه، سواء حدثه الشيخ من كتاب يقرؤه أم من محفوظاته، وسواء أملى عليه أو لم يمل⁽⁴¹⁾، وإذا أراد طالب العلم أن يؤدي علماً أخذه عن شيخه بهذه الطريقة فعليه أن يوضح صورة أخذه فيقول: (سمعت على الشيخ، سمعت من الشيخ، حدثني أو حدثنا الشيخ، أخبرني أو أخبرنا الشيخ، أو أنبأني أو أنبأنا الشيخ)⁽⁴²⁾.

(38) العريني، الحياة العلمية، ص 112.

(39) الضبي أحمد بن يحيى بن عميرة (1989)، بغية الملتبس في تاريخ أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2/ 508؛ العريني، الحياة العلمية، ص 112.

(40) ابن الأبار، التكملة، 1/ 94؛ العريني، الحياة العلمية، ص 112.

(41) ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (1972)، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) تحقيق نور الدين عتر، ط 2، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص 87؛ الصباغ، محمد بن لطف (1990)، الحديث النبوي، ط 6، المكتب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص 166.

(42) المصدر نفسه، ص 87 - 89؛ ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير، 1/ 36.

والسمع ينقسم إلى إملاء و تحديث، سواء كان من حفظ الشيخ أو قراءة من الكتاب، وهو أرفع درجات الرواية عند الأكثرين⁽⁴³⁾. ويعد التحديث المصاحب بالإملاء، أعلى صور السمع منزلة وأدعى إلى الثقة في المادة العلمية المحصلة، لأن الشيخ والطالب كليهما يكونان بعيدين عن الغفلة، كما أن المقابلة التي تجرى في العادة بين أصل الشيخ وما كتبه الطالب مدعاة للاطمئنان على صحة النص ومطابقته للأصل⁽⁴⁴⁾.

حرص طلبة العلم في الأندلس على السمع ممن كانت روايته للكتب بالسمع المتصل إلى مؤلفيها، فهذا علي بن محمد القرطبي (ت: 574هـ / 1178م) أحد المقرئين بجامع قرطبة، كان محدثاً ثقة صحيح السمع، انفرد في وقته برواية شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والأدب من الأحاديث النبوية عن العباسي عن القضاعي مؤلف هذا الكتاب (ت: 454هـ / 1062م) سمعاً متصلاً فأخذ عنه الناس رغبة في علو إسناده⁽⁴⁵⁾.

وفي بعض الأحيان كان طالب العلم لا يكتفي بسمع المادة العلمية من الشيخ فقط، بل يحاول تكرار السمع من زملائه الذين شاركوه السمع من الشيخ، فقد كان أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي (ت: 575هـ / 1179م) إذا انتهت حلقة شيخه يطلب من زملائه إعادة ما قاله الشيخ، ليتأكد من سماعه، مخافة أن يكون سماعه على غير ما قصده الشيخ⁽⁴⁶⁾.

نال الحديث عناية خاصة من العلماء بالأندلس فعدوا المجالس لإسماعه، وكان بعضهم يتخذ مواسم معينة كشهر رمضان، حيث يفد الطلاب من مختلف المدن الأندلسية لحضور هذه المجالس وكانت أعداد الطلاب تزداد تبعاً لمكانة الشيخ وعلو إسناده⁽⁴⁷⁾. كما كانت للكتب التي تسمع في هذه الحلقات، دور في اجتذاب الطلاب إلى تلك المجالس، وقد كان موطأ الإمام مالك وصحيح البخاري ومسلم، وجامع الترمذي، من أبرز كتب الحديث التي تسمع وتدرس في مجالس السمع في بلاد الأندلس، من ذلك أبو المغيرة عوف بن أحمد الزهري (كان حياً سنة 531هـ / 1136م) أخذ عن أبي الحسن شريح بن محمد وسمع منه صحيح البخاري في شهر رمضان⁽⁴⁸⁾.

وكان بعض العلماء لا يقتصر في إسماعه على مصنف واحد، بل يراوح في المجلس الواحد بين مصنفين، ومن هؤلاء أبو عمر أحمد بن عات الشاطبي (ت: 609هـ / 1212م) وكان من أكابر المحدثين، وجملة الحفاظ المسندين

(43) عياض اليحصبي، الألعاب، ص 69.

(44) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، 1 / 275.

(45) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 5 / 281؛ العريني، الحياة العلمية، 166.

(46) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 96؛ ابن الأبار، التكملة، 2 / 49.

(47) العريني، الحياة العلمية، ص 166.

(48) المراكشي، المعجب، ص 355؛ ابن الأبار، التكملة، 4 / 39؛ العريني، الحياة العلمية، ص 166.

للحديث والأدب، كان في مجلس سماعه يقرأ الموطأ والبخاري، حيث كان يقرأ من كل واحد من الكتابين نحو عشر أوراق عرضاً بلفظه، حتى إذا انتهى الكتابان أعاد إسماعهما مرة أخرى لطلبة آخرين⁽⁴⁹⁾.

هذا و يعد أبو محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله (ت:612هـ/1215م) وأخوه أبو سليمان داود بن سليمان (ت:621هـ/1224م) من أوسع أهل الأندلس رواية في هذه الفترة، فقد تجولا في معظم المدن الأندلسية للسمع على علمائها، والأخذ عن رواتها، كما رحلا إلى المشرق والتقيا بمشاهير علمائه، وحصلا من خلال ذلك على علم غزير في ميادين علمية مختلفة، وكانا في تحصيلهما العلمي يعتمدان على اللقاء المباشر بالشيوخ، والسمع اللفظي منهم، وقد طبقا هذا الأسلوب في تدريسهما، فلم يمنحها الإجازة لأحد من طلابهما إلا بعد سماع المادة العلمية المستجاز لها⁽⁵⁰⁾. وكان لتولي الأخوين للقضاء في عدد من المدن الأندلسية فرصة عظيمة لنشر العلم، فقد حرص كل منهما على عقد حلقات السماع، في كل بلد يحل فيه، ولشهرة هذين العالمين، فقد كان طلاب العلم يفدون من جهات الأندلس المختلفة للتلمذ عليهما⁽⁵¹⁾.

وتتوفر أمثلة عن سماع بعض مصنفات الحديث في الأندلس منها : أبو عبد الله محمد بن إدريس الغرناطي (ت:527هـ/1132م) سمع من بكار بن الغرديس صحيح البخاري⁽⁵²⁾، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن مروان البلنسي (ت:547هـ/1152م) سمع من طارق بن يعيش سنن أبي داود⁽⁵³⁾، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن إسماعيل الباجي (ت:557هـ/1191م) سمع من أبي عبد الله بن شبرين صحيح البخاري، وأخذ الناس عنه⁽⁵⁴⁾، ومحمد بن ميدمان بن بخوت القرطبي (ت:573هـ/1177م) سمع من عباد بن سرحان جامع الترمذي⁽⁵⁵⁾، وأبو الحسن علي بن محمد بن هذيل (ت:564هـ/1168م) سمع من أبي الحسن طارق بن يعيش صحيح مسلم وسنن أبي داود والشهاب للقضاعي، وسمع من أبي عبد الله بن سعادة جامع الترمذي⁽⁵⁶⁾، وأبو القاسم أحمد بن محمد بن خلف الإشبيلي (ت:588هـ/1192م) سمع من أبي الحسن شريح بن محمد صحيح البخاري⁽⁵⁷⁾، ومحمد بن يحيى بن محمد الإشبيلي (ت:600هـ/1203م) سمع

(49) ابن الأبار، التكملة، 1/ 90؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 1/ 556.

(50) المصدر نفسه، 2/287-288 / 1، 256: العريني، الحياة العلمية، ص 167.

(51) الرعيني، برنامج شيوخ العريني، ص 56: العريني، الحياة العلمية، ص 167.

(52) ابن الأبار، التكملة، 1/ 350.

(53) المصدر نفسه، 11/ 2.

(54) المصدر نفسه، 1/ 61.

(55) المصدر نفسه، 2/ 47.

(56) المصدر نفسه، 3/ 201.

(57) المصدر نفسه، 1/ 78.

من أبي الحسن بن شريح صحيح البخاري، وسمع من أبي بكر بن طاهر موطأ مالك⁽⁵⁸⁾.

ولم يقتصر استخدام طريقة السماع في التعليم على مصنفات الحديث فقط ، بل كان السماع من الطرق التي اتبعتها العلماء في تدريس العلوم الأخرى كعلوم القرآن وعلوم اللغة العربية وأدبها وغيرها، وإذ ذكرنا أمثلة من سماع مصنفات الحديث في هذه الفترة، نتبعها بذكر أمثلة من سماع مصنفات العلوم الأخرى على النحو التالي:

أبو عامر محمد بن محمد الشاطبي (ت: 541هـ / 1146م) سمع من الفقيه أبو بكر محمد بن حيدرة كتاب التمهيد لأبي عمر بن عبد البر⁽⁵⁹⁾، وطارق بن موسى بن يعيش البلنسي (ت: 549هـ / 1154م) سمع من الشريف أبو عبد الباقي الزهري كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي⁽⁶⁰⁾، وأبو عبد الله محمد بن مالك الفهري الشريشي (ت: 592هـ / 1195م) سمع من أبي القاسم بن جهور مقامات الحريري⁽⁶¹⁾، وإبراهيم بن علي بن إبراهيم الخولاني (ت: 616هـ / 1219م) سمع من أبو عبد الله بن عبد الرزاق الكامل لأبي أحمد بن عدي⁽⁶²⁾، ومحمد بن أحمد بن عبيد الشاطبي (ت: 616هـ / 1219م) سمع من أبو الحسن بن هذيل التيسير لأبي عمرو المقرئ⁽⁶³⁾، ومحمد بن طلحة بن محمد بن حزم اليابري (ت: 618هـ / 1221م) سمع من أبو بكر بن الجد كتاب سيبويه، وسمع من أبا زيد السهيلي كتابه الروض الأنف في شرح السير لابن إسحاق⁽⁶⁴⁾.

وعلى الرغم من أن السماع في الأصل يركز على النصوص وحرص العلماء على تسلسل روايتها بدقة، إلا أن التطبيق العملي لطريقة السماع لا يكتفي بترديد النصوص وتصحيحها وتقويم قراءتها فحسب، بل إن الشيخ في الحلقة يتولى الشرح والتعليق على النص والإشارة إلى مواضع الخلاف ويورد آراءه التي توصل إليها نتيجة لدراساته وأبحاثه، وقد يكتب الطلاب هذه الشروح والتعليقات على حواشي الكتاب المشروح أو في كراسة مستقلة، وفي أحيان كثيرة تكون هذه الشروح والتعليقات أصلاً لكتاب مستقل⁽⁶⁵⁾.

والأصل أن يكون الشيخ هو الذي يقرأ سواء من حفظه أم من أصله، ولكن قد توجد أحوال لا يكون الشيخ هو القارئ كأن يكون كفيفاً ولا يحفظ النص

(58) المصدر نفسه، 2/ 85.

(59) المصدر نفسه، 2/ 3.

(60) المصدر نفسه، 1/ 274.

(61) المصدر نفسه، 2/ 72.

(62) المصدر نفسه، 1/ 142.

(63) المصدر نفسه، 2/ 113.

(64) المصدر نفسه، 2/ 115.

(65) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 8 / 157 : العربي، الحياة العلمية، ص 168.

الذي يسمعه، وعلى كل حال فإن الشيوخ يفضلون اتخاذ قراء من طلابهم ليقرأوا النصوص بين أيديهم في حين يتولون الشرح والتفسير للمادة المقروءة، ولعل العلماء اتبعوا هذا التقليد حتى يمكن للطلاب تبيين الفرق بين النص والشرح⁽⁶⁶⁾، وقد جرت العادة بأن يكون جلوس القارئ على كرسي بجانب الشيخ، ويمسك الأصل الذي يسمع منه الشيخ ويتلو فقرات من المتن فيتصدى الشيخ للشرح والتعليق⁽⁶⁷⁾. ولا بد لمن يتولى القراءة بين يدي الشيوخ من توفر صفات ومميزات معينة لكي يقوم بما أوكل إليه على الوجه الأكمل، ذلك أن مهمة القارئ في الحلقة هي إيصال النص بقراءته قراءة صحيحة إلى الشيخ وإلى السامعين على حد سواء، ولذلك لا بد أن يمتاز القارئ بالنباهة والفصاحة و جهارة الصوت، وأن يكون على دراية بأنواع الخطوط حتى يستطيع تجنب الخطأ أو التصحيف، كما أن سعة ثقافة القارئ تبعده عن الخطأ في نطق بعض الألفاظ التي تعرض له أثناء قراءته، كالأعلام والمصطلحات العلمية⁽⁶⁸⁾.

هذا وقد وصل بعض القراء في تحصيلهم العلمي إلى مرتبة عالية، ومن هؤلاء أبو محمد عبد الله بن محمد بن ذي النون الحجري (ت: 591هـ / 1194م) فقد كان شيوخه يستحسنون قراءته، ولما حصل العلم وقعد للتدريس بعد صيته وعلا ذكره وتسامع طلاب العلم بمكانته العلمية، فكانوا يرحلون إليه للسمع منه، والأخذ عنه لعلو إسناده ومتانة عدالته⁽⁶⁹⁾.

والعادة المتبعة في حلقات السماع أنه عند انتهاء الطالب من سماع كتاب معين، فإنه يطلب من شيخه أن يوقع على نسخته شهادة تفيد أنه قد سمع هذا الكتاب منه، وهذه الشهادة بالإضافة إلى أنها تثبت سماع الطالب هذا الكتاب من الشيخ، فهي أيضاً تثبت مطابقة نسخة الطالب لأصل الشيخ، والغالب أن يكتب السماع في مكان بارز من الكتاب كصفحة العنوان مثلاً⁽⁷⁰⁾.

2 - القراءة :

تعد القراءة أشهر طرق التعليم، وتتحقق بأن يقرأ الطالب على الشيخ وهو يسمع، وتسمى هذه الطريقة عرضاً حيث إن القارئ يعرض على الشيخ ما يقرؤه كما يعرض القرآن على المقرئ⁽⁷¹⁾؛ وتتحقق القراءة سواء كان الطالب هو القارئ، أو قرأ غيره وهو يسمع، أو قرأ من كتاب أو من حفظه، أو كان

(66) الغريني، أبو العباس أحمد بن أحمد (د.ت)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار البصائر، الجزائر، ص 48؛ العريني، الحياة العلمية، ص 168.

(67) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، 2/ 66؛ العريني، الحياة العلمية، ص 168.

(68) العريني، الحياة العلمية، ص 168-169.

(69) ابن الأبار، التكملة، 2/ 278 - 280؛ الضبي، بغية الملتبس، 2/ 438؛ مخلوف، محمد بن محمد (1349هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1/ 159 - 160.

(70) العريني، الحياة العلمية، ص 169.

(71) عياض اليعصبي، الأعلام، ص 70 - 71.

الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه أو لا يحفظ لكن يمسك أصله هو أو ثقة غيره⁽⁷²⁾. والقراءة معتبرة عند جمهور العلماء، وتعد الأكثر شيوعاً في تعليم القراءات القرآنية، كما أنها تستخدم عامة في العلوم الشرعية وعلوم اللغة، ويمكننا تبين هذه الطريقة من خلال تراجم الأعلام التالية:

أبو جعفر أحمد بن سعيد السرقسطي (ت: 520هـ/ 1126م) وكان مقرئاً مبرزاً، أقرأ القرآن بالسبع وعلم اللغة العربية، وأخذ عنه الناس⁽⁷³⁾، وأبو العباس أحمد بن خلف بن عيشون الإشبيلي (ت: 531هـ/ 1136م) وكان إماماً في القراءات وأخذ عنه جلة علماء عصره⁽⁷⁴⁾، وأبو العباس أحمد بن محمد بن حرب المسيلي (ت: 539هـ/ 1144م) وكان من أهل التجويد والعناية بالحديث، تصدر للإقراء وأخذ عنه الناس⁽⁷⁵⁾، وأحمد بن محمد بن سعيد الأنصاري (ت: 562هـ/ 1166م) وكان محدثاً مقرئاً مفسراً أصولياً، تصدر لإقراء القرآن واللغة العربية والأدب⁽⁷⁶⁾، وأحمد بن موسى بن هذيل العبدي (ت: 570هـ/ 1174م) أقرأ القرآن وروى عنه جلة من الناس⁽⁷⁷⁾، وأحمد بن أبي المطرف عبد الرحمن بن جزي البلسي (ت: 583هـ/ 1187م) وكان ثقة عدلاً، تصدر لإقراء علم الفرائض والحساب وانتفع به الناس⁽⁷⁸⁾.

ومن هؤلاء الأعلام أيضاً أبو جعفر أحمد بن محمد المرسي (590هـ/ 1193م) أقرأ القرآن والعربية وعلم الحساب وانتفع به الناس⁽⁷⁹⁾، وأحمد بن محمد بن مقدم الرعيني الإشبيلي (ت: 604هـ/ 1207م) وكان إماماً في علم القراءات، أقرأ الناس وأخذ عنه الكثير⁽⁸⁰⁾، ومصعب بن محمد بن مسعود الخشني (ت: 604هـ/ 1207م) وكان أستاذاً نحوياً محدثاً جليلاً أقرأ الناس وأخذ عنه الكثير⁽⁸¹⁾، وأبو بكر محمد بن سليمان الشاطبي (ت: 612هـ/ 1215م) وكان من أهل العلم والأدب، أقرأ مقامات الحريري، وأخذ الناس عنه⁽⁸²⁾، وأبو بكر بن أحمد بن عبد الملك النفزي (ت: 625هـ/ 1227م) وكان مقرئاً مبرزاً، أقرأ القرآن بالسبع وأسمع⁽⁸³⁾.

وتعد قراءة الطالب على الشيخ حفظاً من قلبه أو من كتاب ينظر فيه، أو قراءة غيره وهو يسمع أفضل وأثبت في الرواية لاعتماد الشيخ في تقويمه لقراءة

(72) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 89.

(73) ابن الأبار، التكملة، 1/ 37-38؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 1/ 120.

(74) المصدر نفسه، 1/ 42؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 1/ 107.

(75) المصدر نفسه، 1/ 46؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 1/ 427.

(76) المصدر نفسه، 1/ 64-65؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 1/ 481.

(77) المصدر نفسه، 1/ 70؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 1/ 553.

(78) المصدر نفسه، 1/ 77؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 1/ 194.

(79) المصدر نفسه، 1/ 79.

(80) المصدر نفسه، 1/ 86؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 1/ 384.

(81) المصدر نفسه، 2/ 188.

(82) المصدر نفسه، 107/ 2.

(83) المصدر نفسه، 1/ 181.

الطالب على حاستي السمع والبصر⁽⁸⁴⁾. وبصفة عامة علماء الحديث يفاضلون بين صور القراءة، فأعلاها تلك التي تعتمد على الأصل المكتوب سواء من جانب الطالب القارئ أو الشيخ المستمع، فقراءة الطالب بهذه الصورة أثبتت في الرواية؛ كما يتم من خلالها مقابلة نسخة الطالب بأصل الشيخ⁽⁸⁵⁾.

ويذهب معظم علماء الحديث إلى أن القراءة دون السماع فهي تليه في المرتبة الثانية، ويرى الإمام مالك التسوية بينهما، بل يرى أن القراءة أرفع من السماع، ويعلل الإمام مالك لمذهبه هذا بأنه في حال قراءة الشيخ وسماع الطالب ربما سها الشيخ أو غلط فيما يقرؤه فلا يرد عليه الطالب السامع، إما لأنه جاهل لا يهتدي للرد، أو لهيبته لشيخه، أو يكون غلط الشيخ في موضع خلاف فلا يرده عليه لظنه أن هذا هو مذهب الشيخ فيحمل الخطأ صواباً، بينما يستبعد حصول هذه الأحوال إذا كان الطالب هو الذي يقرأ لأن الشيخ سيكون فارغ الذهن ومتيقظاً لقراءة الطالب فيرد عليه الخطأ، وقد يرد عليه أيضاً غير الشيخ ممن حضر قراءته، كما لا يعد لطالب العلم المبتدئ مذهب في المسائل الخلافية، لذلك فرد الخطأ عليه في هذه المواطن ممكن⁽⁸⁶⁾. وتعد قراءة الطالب على الشيخ حفظاً من قلبه أو من كتاب ينظر فيه، أو قراءة غيره وهو يسمع أفضل وأثبت في الرواية لاعتماد الشيخ في تقويمه لقراءة الطالب على حاستي السمع والبصر⁽⁸⁷⁾.

وإذا أراد طالب العلم أن يؤدي علماً أخذه عن شيوخه بهذه الطريقة فعليه أن يوضح صورة أخذه فيقول: "قرأت على الشيخ وهو يسمع"⁽⁸⁸⁾، وإن كان القارئ غيره يقول: "قرئ على الشيخ وهو يسمع وأنا كذلك أسمع أو سمعت من الشيخ قراءة عليه"⁽⁸⁹⁾. وذهب بعض العلماء إلى جواز استعمال الصيغ الخاصة بالسماع كحدثنا، وأخبرنا، وسمعت، لأنهم يساؤون بين القراءة والسماع، بينما منع آخرون استعمال هذه الصيغ على إطلاقها، بل لا بد من تقييدها بلفظة القراءة فيقول الراوي: "حدثنا الشيخ قراءة عليه، أخبرنا قراءة عليه، أو سمعت من الشيخ قراءة عليه"⁽⁹⁰⁾.

ولما كان الأصل في القراءة اعتمادها على أمهات الكتب المؤلفة من قبل، لم يفرض العلماء كتباً معينة على طلابهم، بل الطالب هو الذي يختار الموضوع الذي

(84) عياض اليعقوبي، الأملع، ص 76.

(85) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (2009)، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، تحقيق عرفان العشاشسونة، دار الفكر، بيروت، ص 243.

(86) عياض اليعقوبي، الأملع، ص 74 - 75؛ الصباغ، الحديث النبوي، ص 172؛ العريني، الحياة العلمية، ص 170.

(87) المصدر نفسه، ص 76.

(88) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 92-93؛ الصالح، صبحي (1991)، علوم الحديث ومصطلحاته، ط 18، دار العلم للملايين، بيروت، ص 94-95.

(89) المصدر نفسه، ص 92-93؛ الصالح، علوم الحديث، ص 94-95.

(90) السيوطي، المصدر السابق، ص 240؛ الصالح، علوم الحديث، ص 95.

يود قراءته، وقد يرشده الشيخ إلى الكتب التي تبحث هذا الموضوع، ويقرأ الطالب أو غيره الكتاب الذي يراد درسه بحضور الشيخ، وحينئذ يتحقق إطلاع الشيخ على المعلومات التي احتواها الكتاب، أو الكتب التي تدرس بإشرافه وبحضرته⁽⁹¹⁾. حرص العلماء على توثيق قراءة طلابهم، والتأكد من مطابقة ما يقرؤون لأصولهم، فقد أورد أبو الحسن علي بن محمد الرعيني الإشبيلي (ت: 666هـ/ 1267م) صورة من صور قراءته على شيوخه، فقد ذكر أنه قرأ أجزاء من موطأ الإمام مالك على شيخه أبي الحسن سهل بن مالك الغرناطي (ت: 639هـ/ 1241م)، يقول الرعيني واصفا حرص الشيخ على متابعة قراءته: "وكان يمسه علي أصوله العتيقة ويصيخ إلي بسمعه، ويريني كل سطر أقرأه عليه بأصبعه، وربما قرأ علي بلفظه مواضع يلحقه الشك في سماعه لها للثقل الذي كان في سمعه نفعه الله، فلم يكن يسامح في شيء يقع الشك فيه عنده"⁽⁹²⁾.

كما أن هذا الحرص من العلماء قد جعلهم لا يقتصرون على أصولهم فقط في تقويم قراءة طلابهم، بل يعتمدون على أصول مشاهير العلماء، أبو الحسن الرعيني السالف الذكر عندما قرأ على شيخه أبي الحسن علي بن محمد الشاري (ت: 649هـ/ 1251م) صحيح البخاري كان معتمده في تقويم قراءته عليه عدداً من الأصول منها أصل الأصيلي*، وأصل القاسبي*، وأصل ابن ورد*، وأصل ابن خير الإشبيلي*. والغالب في القراءة أن تكون فردية، وفي هذه الحالة فإن الطالب يختار الكتاب الذي يود عرضه، ويقرؤه منفرداً⁽⁹³⁾، وتتوفر أمثلة على القراءة الفردية نورد جملة منها على النحو التالي:

أبو العباس أحمد بن خلف بن سعيد الداني (ت: بعد 522هـ/ 1128م) كان

(91) عبد العال، التربية الإسلامية، ص: 148؛ الرعيني، الحياة العلمية المرجع السابق، ص 171 - 172.

(92) الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، ص: 59- 60؛ الرعيني، الحياة العلمية، ص 172 - 173.

* هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيل، نسبة إلى أصيلة المغربية، حيث ولد ونشأ فيها، كان من حفاظ مذهب الإمام مالك ومن المرزبين بعلم الحديث، جمع كتاباً في اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة سماه "كتاب الدلائل على أمهات المسائل" قرأ عليه الناس صحيح البخاري رواية أبي زيد المرزبي من علماء مكة، توفي سنة (392هـ/ 1001م) انظر: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن محمد بن الفرضي (1997)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روجية السويقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 205؛ عياض اليحصبي (1967)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة بيروت، 4/ 642 - 648.

* هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري ويعرف بالقاسبي نسبة إلى مدينة قابس بإفريقية، كان من علماء الحديث عارفاً بعلله ورجاله، فقيهاً أصولياً متكلماً، من أبرز مؤلفاته: كتاب المهدي في الفقه، والرسالة المفصلة لأحوال المتقين ومناسك الحج، توفي بالقيروان سنة (403هـ/ 1012م) انظر: عياض اليحصبي، ترتيب المدارك، 4/ 616- 621؛ ابن فرحون؛ إبراهيم بن نور الدين (1996)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون محيي الدين الجنات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 296- 297.

* هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن ورد التميمي، كان موفور الحظ من الأدب والنحو والتاريخ، متقدماً في علم الأصول والتفسير، حافظاً متقناً انتهت إليه الرئاسة في مذهب مالك. انظر: ابن فرحون، الديباج، ص: 104 - 105.

* هو أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، كان مقرئاً محدثاً جليلاً، أديباً نحوياً لغوياً واسع المعرفة، تصدر للإقراء والإسماع وأخذ الناس عنه، توفي سنة (575هـ/ 1179م) انظر: الضبي: بغية الملتبس، ص: 1/ 104؛ ابن الآبار، التكملة، 2/ 49- 50.

(93) الرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، ص: 75؛ الرعيني، الحياة العلمية، ص 173.

يقصده أبو عبد الله بن سعيد الداني لقراءة الحساب⁽⁹⁴⁾، وأبو عبد الله محمد بن مالك الفهري (ت: 593هـ/ 1196م) أخذ كتاب البيان والتبيين للجاحظ قراءة على أبي عبد الله بن الأحمر القرشي⁽⁹⁵⁾، وأبو الحسن ثابت بن محمد بن يوسف الكلاعي (ت: 628هـ/ 1230م) كان يقصد أبو عبد الله بن مالك الميرتلي لقراءة كتاب سيبويه، ويقصد أبو الحسن بن كوثر لقراءة كتاب جامع الترمذي⁽⁹⁶⁾، وأبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي (كان حيا سنة: 539هـ/ 1144م) كان يقصده أبو بكر بن طاهر الخذب، وأبو الوليد بن نام لقراءة كتاب سيبويه⁽⁹⁷⁾، وأبو بكر محمد بن خير الإشبيلي (ت: 575هـ/ 1179م) أخذ كتاب الكافي في القراءات لمحمد بن شريح قراءة على ابنه شريح منفردا⁽⁹⁸⁾.

وبالإضافة إلى مجالس القراءة الفردية وجدت مجالس للقراءة الجماعية، وفي هذه الحالة فإن طريقتي السماع والقراءة تتحققان في وقت واحد، فالمجالس الجماعية تتنوع فيها محاور الدراسة ولا تعتمد على كتاب معين تتم قراءته من قبل الشيخ أو الطالب، بل تقرأ فيها عدة كتب في مواضيع علمية مختلفة سواء في الفقه أو الحديث أو العربية وغيرها من العلوم⁽⁹⁹⁾، ومن نماذج مجالس القراءة الجماعية مجلس الشيخ الفقيه المقرئ أبو زكرياء يحيى بن زكرياء بن البنسي (ت: 619هـ/ 1222م) كان يبدأ مجلسه بالقراءات القرآنية وقراءة الكافي في القراءات لأبي عبد الله بن شريح⁽¹⁰⁰⁾.

وسواء كانت القراءة فردية أو جماعية كان طلاب العلم حرصاً منهم على تحصيل العلم يأخذون الكتاب الواحد بعدة طرق بالسماع على الشيخ، والقراءة، وسماع الآخر، بل إن بعض الطلاب كان يقرأ الكتاب على أكثر من عالم ليحيط بالروايات المختلفة ويزيد من إتقانه وليتعمق في فهم ما يحويه من علم، فأبو يحيى صهيب بن عبد المهيمن (ت: 631هـ/ 1232م) أخذ عن أبيه عن جده أبي الجيش مجاهد بن محمد الجياني (ت: 585هـ/ 1189م) كتاب الموطأ بين قراءة وسماع حدثه به عن أبي جعفر بن غزلون وعن أبي علي الصدي (ت: 514هـ/ 1120م) ثم سمع هذا الكتاب أيضاً على أبي بكر محمد بن الجد (ت: 586هـ/ 1190م) وأبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون (ت: 586هـ/ 1190م)⁽¹⁰¹⁾.

(94) ابن الأبار، التكملة، 1/ 38.

(95) المصدر نفسه، 2/ 72.

(96) المصدر نفسه، 1/ 191-192.

(97) المصدر نفسه، 3/ 191.

(98) ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص 46-45: العريني، الحياة العلمية، ص 174.

(99) العريني، الحياة العلمية، ص 174.

(100) ابن الأبار، التكملة، 4/ 189.

(101) المصدر نفسه، 2/ 225: ابن الأبار (1989)، المعجم في أصحاب القاضي الصدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص 204.

3 - الإملاء :

وهي طريقة مشابهة للإقراء لكنها تميل أكثر إلى القول من الذاكرة، حيث يميل الشيخ على طلبته ما يعرفه من علوم⁽¹⁰²⁾، وسواء كان الإملاء من حفظ الشيخ أو من كتاب بين يديه، وقد بدأت هذه الطريقة تقل تدريجياً مع انتشار الكتب ورواج صناعة الورق في هذه الفترة.

ويمكننا تبين طريقة الإملاء، من الترجمة التي أوردها ابن الأبار لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد القرطبي (كان حياً سنة 576هـ/1180م) حيث يقول: "رحل حاجاً فسمع بالإسكندرية من أبي طاهر السلفي ولقي بالمهدية أبا عبد الله محمد المازري (ت: 536هـ/1141م) فحمل عنه تأليفه المترجم بالمعلم من إملائه على صحيح مسلم"⁽¹⁰³⁾، وكذلك الترجمة التي أوردها لأبي الحسن يحيى بن عبد الله بن محمد الأنصاري (ت: 623هـ/1226م) حيث يقول: "سمعت منه أخباراً وأشعاراً وأجاز لي بلفظه وأملى علي من نثره"⁽¹⁰⁴⁾.

خاتمة :

تعد المساجد الركيزة الأولى في التعليم ونشر المعرفة، ودراسة تاريخ المساجد و الحركة التعليمية بها في أي إقليم تعني دراسة تاريخ وحضارة أمة، فهي تعكس صورة المجتمع ومدى عنايته بالعلم والعلماء، ومن خلال دراستنا لجوانب معينة من تاريخ التعليم بالمساجد الأندلسية خرجنا ببعض النتائج، وهي:

- لم يقتصر دور المساجد في العالم الإسلامي على العبادة وإقامة الشعائر الدينية فقط؛ بل انتظمت بداخلها حلقات للعلم والدرس والتحصيل، كان لها الفضل في نشر العلم وطمس الجهل.
- طرقت علماء الأندلس في تدريسهم ميادين علمية متنوعة، اتسمت بالشمولية والتكامل.
- نظام التعليم بالمساجد والأساليب المتبعة فيه في هذه الفترة، شاهد على أصالة ورقي العملية التعليمية والتربوية ببلاد الأندلس.
- غزارة وشمولية المواد الدراسية المعتمدة في التعليم لأهميات الكتب الأولية الأصيلة والرصينة.
- طرقت التعليم المتبعة بالمساجد الأندلسية والمتمثلة في السماع والقراءة والإملاء، من الطرق الأساسية والأصيلة في العملية التعليمية والدالة على جودة التعليم وإبداعه.
- عدم خضوع التعليم لقواعد وبرامج معينة، فالطالب هو الذي يتخير الشيخ الذي سيتلمذ على يديه، أما الشيخ فكانت له حرية الاختيار في تدريس المادة العلمية.
- كان للمسجد دور كبير في إثراء الحركة العلمية، بما أفرز من نخب علمية أغنت المكتبات بالكتب والمؤلفات المتنوعة.

(102) عيسى، محمد عبد الحميد (1982)، تاريخ التعليم في الأندلس، ط1، دار الفكر العربي، ص 348.

(103) ابن الأبار، النكمة، 1/ 132 - 133.

(104) المصدر نفسه، 4/ 190.

قائمة المصادر والمراجع .

أولا - المصادر:

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (1995)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت.
- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (1989)، المعجم في أصحاب القاضي الصديقي، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة.
- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن قاسم (1882)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق ابن الطحان، ط1، المطبعة الوهبيية، القاهرة.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (د.ت)، الجامع الصحيح، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة.
- الحجوي الفاسي، محمد بن الحسن (د.ت)، الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (2007)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، ط1، مكتبة المعارف، الرياض.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (1973)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (2000)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت.
- ابن خير الإشيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر (1989)، فهرسة ابن خير، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة.
- أبو داود الأزدي، سليمان بن الأشعث (1997)، سنن أبي داود، ط1، دار ابن حزم، بيروت.
- الرعيني، أبو الحسن علي بن محمد (1962)، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
- ابن الزبير، أبو جعفر بن إبراهيم (1973)، صلة الصلة القسم الأخير أصدره إ. ليفي بروفنسال، معهد العلوم العليا المغربية، الرباط.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (2009)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عرفان العشاشسونة، دار الفكر، بيروت.
- ابن الصاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن (1972)، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) تحقيق نور الدين عتر، ط2، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (1986)، بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة.
- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد (1973)، الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد (د.ت)، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن عياض اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى (1970)، الأملع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، ط1، دار التراث، القاهرة.
- ابن عياض اليحصبي، أبو الفضل عياض بن موسى (1967)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة بيروت.

- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد (د.ت)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية ، دار البصائر ، الجزائر.
- الغزالي، أحمد بن محمد (د.ت)، إحياء علوم الدين ، مطبعة كرياضة فوترا ، اندونيسيا.
- ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين (1996) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون محيي الدين الجنات، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (1997)، تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق روحية السويقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن القاضي الكناسي، أحمد بن محمد (1973)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (1963)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (1997)، لسان العرب، ط6، دار صادر، بيروت.
- الونريشي، أحمد بن يحيى (1981)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي.
- ثانيا- المراجع :
- الأهواني، أحمد فؤاد (1945)، التعليم في رأي القاسبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.
- التازي، عبد الهادي (1972)، جامع القرويين ، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- حركات ، إبراهيم (د.ت)، السياسة والمجتمع في العصر النبوي، منشورات دار الأفق الجديدة، المغرب.
- حسن ، حسن علي (1980)، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الصالح، صبحي (1991)، علوم الحديث و مصطلحاته، ط 18، دار العلم للملايين، بيروت.
- الصباغ، محمد بن لطفى (1990)، الحديث النبوي ، ط6، المكتب الإسلامي ، بيروت.
- عبد العال، حسين (1978)، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة.
- العريني، يوسف بن علي بن إبراهيم (1995)، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة.
- عيسى، محمد عبد الحميد (1982)، تاريخ التعليم في الأندلس، ط1، دار الفكر العربي.
- الكتاني، محمد عبد الحي (د.ت)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ط2، دار الأرقم ، بيروت.
- مخلوف، محمد بن محمد (1349هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة.
- الندوي، أبو الحسن علي (1989)، السيرة النبوية، ط8 ، دار الشرق، جدة.

بعض المتغيرات الأسرية والتربوية وعلاقتها بالتحصيل العلمي دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة بنغازي .

إعداد :

أ. مبروكة إبراهيم أمينية

محاضر مساعد، كلية الآداب والعلوم وتوكرة، جامعة بنغازي.

الاستلام: 01 / 09 / 2021 م

القبول: 16 / 10 / 2021 م

المستخلص :

يعد التحصيل العلمي من الموضوعات ذات الأهمية في المجال التعليمي، ويعتبر المعيار الوحيد الذي يتم بموجبه قياس تقدم الطلبة في الدراسة، ونقلهم من صف تعليمي إلى آخر، وكذلك توزيعهم في تخصصات التعليم المختلفة، أو قبولهم في كليات وجامعات التعليم العالي، وفي مجال الحياة اليومية.

وتهدف الدراسة إلى التعرف على المتغيرات الأسرية والتربوية وهي (مستوى تعليم الأب والأم، ودخل الأسرة الشهري، ورضا الطالب عن طرق التدريس، ومستوى اللغة العربية للطالب)، وعلاقتها بالتحصيل العلمي، وما لهذه المتغيرات من تأثير على تحصيل الطالب سواء أكان سلبياً أم إيجابياً، وتعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية التي تعتمد على المنهج الوصفي، وأجريت هذه الدراسة على عينة مكونة من (379) مفردة من طلاب وطالبات جامعة بنغازي من أربع كليات وهي (الآداب، القانون، العلوم، الهندسة)، الذين تم اختيارهم عن طريق العينة العشوائية الطبقية النسبية، وجمعت بيانات الدراسة بواسطة استمارة الاستبيان، وتحليلها باستخدام البرنامج الإحصائي الخاص بالعلوم الاجتماعية SPSS، حيث توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أبرزها وجود علاقة بين التحصيل العلمي للطالب ومستوى تعليم الأب، بينما لا وجود لأي علاقة بين التحصيل العلمي و المتغيرات الأخرى، وهي: مستوى تعليم الأم، دخل الأسرة الشهري، الرضا عن طريقة تدريس الأساتذة، مستوى اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية : الطالب الجامعي - مستوى تعليم الأب- مستوى تعليم الأم- ضعف اللغة العربية.

Abstract

Academic achievement is one of the important topics in the educational field and is the only criterion that measures students' progress in the study and transferring them from one class to another, As well as the student distribution in different education disciplines in colleges and universities, also in their daily life.

The study aimed to identify the relationship between the level of education of the father and the mother, the monthly family income and the student's satisfaction with the methods of teaching also the level of the Arabic language of the student and its relation to the educational achievement, in addition to the impact of these variables on the student's, whether positive or negative.

This study is one of the analytical descriptive studies based on the descriptive curriculum, and this study was conducted on (379) sample of the University of Benghazi students from four faculties (Arts, Law, Science, and Engineering), and were selected by the relative stratified random sample, collected the study data by questionnaire form, and was analyzed by statistical program for social sciences SPSS.

This study reached several results, the most particularly one was a relationship between the level of education of the father and the educational attainment of the student, while there is no relationship between the student's educational achievement and the other variables.

Keywords: educational achievement- University student- level of father's education - level of mother's education - weakness of Arabic language.

المقدمة :

يعد التحصيل العلمي من أكثر المفاهيم تركيباً وتعقيداً نظراً لاشتراك العديد من العوامل الأسرية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية في إنتاجه، كما أنه يشكل دوراً مهماً في صنع الحياة اليومية للفرد والأسرة والمجتمع ولا يوازيه في ذلك أي مفهوم آخر سوى الإنسان نفسه المنتج للتحصيل وكما أن التحصيل مهم للحياة وتقدم الفرد فهو هام جداً للمجتمع وخاصةً في بيئتنا العربية عموماً. وهو من الموضوعات التي تحظى باهتمام العديد من العلوم، ومن أهم المحركات التي يتوقف عليها مستقبل الطالب، فهو يوفر له الانتقال من مرحلة دراسية إلى أخرى، ويقاس بمعدل الدرجات التي يحصل عليها الطالب في نهاية العام الدراسي. فالدراسة التي أجراها تقرير التنمية البشرية في ليبيا عام 1999م يرى أن الارتقاء بالتحصيل العلمي للفرد أصبح هدفاً للأغلبية من الأسر الليبية بصفة عامة بالرغم من أن العائد الفردي المتأتي من مواصلة التعليم لم يعد مقترناً بالدخل العالي، فإن أولياء الأمور يطمحون إلى إيصال أبنائهم إلى مرحلة التعليم العالي، ويعتبرون ذلك بمثابة علامة تدل على عدم فشل الأسرة في تربية أولادها، إضافة إلى أن وصول الأولاد إلى المراحل التعليمية العالية يعد بحد ذاته مصدراً للفخر والتباهي للأبوين.⁽¹⁾ فقد أشارت العديد من الدراسات العربية والأجنبية إلى أن مستوى الأسرة الاقتصادي والاجتماعي والثقافي له دور كبير في التحصيل العلمي للأبناء، ومنها الدراسة التي أجراها إبراهيم عثمان في 1989م بالكويت عن الخلفية الأسرية المؤثرة في التحصيل الدراسي وأكد فيها أن المستوى التعليمي للوالدين له علاقة ارتباط قوية بالتحصيل الدراسي.⁽²⁾ وعند الحديث عن طرائق التدريس التي يعتمدها أعضاء هيئة التدريس في مستويات التعليم العالي، باعتبارها أحد العوامل المؤثرة في التحصيل نجد أن الكثير من الدراسات تؤكد نتائجها على أن معظمهم يعتمد على أسلوب المحاضرة التقليدي في تدريس المقررات الدراسية، حيث أكدت دراسة مصلح الصالح في 1981م أنه لا توجد علاقة ذات دلالة بين اتجاه الطالب نحو المحاضرات والمعدل التراكمي وتعتبر هذه النتيجة منطقية إذ إن أكثر الموضوعات اتصالاً بالتحصيل العلمي هي المحاضرات فإذا كان الطالب راغباً فيها انعكس ذلك على تحصيله إيجابياً والعكس.⁽³⁾ وعلى الرغم من أن موضوع هذه الدراسة يتفق مع هذه الدراسات إلا أننا نحتاج إلى دراسة عن التحصيل العلمي وعلاقته بالمتغيرات الأسرية و التربوية في مرحلة التعليم الجامعي على المستوى المحلي. ومن هنا فإننا بحاجة ماسة إلى دراسة موضوع التحصيل العلمي بوجه عام، وإلى دراسة فئة الشباب في المرحلة الجامعية في ليبيا ببنغازي

(1) الحوات، على (1999) تقرير التنمية البشرية في ليبيا، المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، طرابلس، 119.

(2) عثمان إبراهيم (1993) الخلفية الأسرية ومعدلات التحصيل الدراسي، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد (21)، العدد 1، 22.

(3) الصالح، مصلح (2004) عوامل التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 219.

بوجه خاص؛ وذلك لكونهم أهم فئات المجتمع، وهدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين المتغيرات الأسرية والتربوية والتحصيل العلمي للطالب، وكذلك التعرف على مستوى تعليم الأب والأم، ودخل الأسرة الشهري، ورضا الطالب عن طرق التدريس، ومستوى اللغة العربية للطالب، وعلاقتها بالتحصيل العلمي، ويرجع اهتمامنا بالمتغيرات السابقة نظراً لأن تلك المتغيرات هي من ضمن أكثر المتغيرات ذات التأثيرات الأسرية والتربوية التي تؤثر على التحصيل العلمي ولها علاقة وطيدة به.

مشكلة الدراسة :

يعد موضوع التحصيل العلمي من أهم الموضوعات التي تشغل بال الآباء والمعلمين والقائمين على العملية التعليمية، فتدني التحصيل يعدّ مصدر إهدار في القوى البشرية الفعالة التي يصعب الإتيان بديل عنها للمجتمع، وهو لا يتأثر بعامل أو متغير واحد بل بعدة متغيرات، إلا أن هذه الدراسة تتمحور حول "بعض المتغيرات الأسرية والتربوية وعلاقتها بالتحصيل العلمي"، ولقد تم الإقتصار على هذه المتغيرات لما لها من تأثير كبير على التحصيل العلمي.⁽⁴⁾ وأجرى هايمن Hyman دراسة أكدت نتائجها على أن

الآباء من الأسر ذات المستوى الاجتماعي والاقتصادي المرتفع يخططون لمستقبل أبنائهم الدراسي مبكراً، ويعتبرون التعليم الجامعي أساسياً لمستقبل أبنائهم العلمي والمهني.⁽⁵⁾ كما يرى موثون MUTHON في 2013 أن دخل الأسرة يعد من المتغيرات الأسرية التي لها أثر على التحصيل الدراسي للطلاب باعتبار أن المكون المادي يلعب دوراً هاماً في توازن واستقرار الاسر ويؤثر الوضع المادي للأسرة على الأداء الأكاديمي للطلاب.⁽⁶⁾ وقد أجرى جانو ونصرة دراسة في جامعة تشرين عن أثر العوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية في مستوى تحصيل الطلبة العلمي التي أكدت نتائجها على أن المستوى التعليمي المتوسط للآباء يؤثر إيجابياً في مستوى تحصيل الأبناء بينما يؤثر عدم تعليم الأبوين سلباً في مستوى تحصيلهم العلمي.⁽⁷⁾ كما أنّ العملية التعليمية بعناصرها المختلفة تؤثر على تحصيل الطلاب؛ حيث إن نتائج بعض الدراسات أكدت على أن طرائق التدريس التي يعتمد عليها أعضاء هيئة التدريس في مستويات التعليم العالي معظمها ذات أسلوب تقليدي في تدريس المقررات الدراسية، وإن معظم الطلاب غير راضيين عن الطريقة التي يُدرس بها الأساتذة في المحاضرات، وهذا يؤدي إلي تدنى مستوى إقبال الطالب على متابعة الدروس، وهبوط نتائج التحصيل. وقد أكد لاركن Larkin على أن السبب الرئيسي لانخفاض

(4) نصرالله، عمر عبد الرحيم(2004)، تدني مستوى التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية، الوراق للنشر والطباعة، عمان، الأردن، 113.

(5) نحيلي،علي(2002)، العلاقة بين تحصيل الوالدين علمياً وتحصيل الأبناء دراسة ميدانية في مدينة دمشق، مجلة جامعة البعث للعلوم الإنسانية، مجلد(24)، العدد(1)، 180 - 181.

(6) الخير، سناء مهنا،(2017)، البيئة الأسرية وأثرها في التحصيل الدراسي للتلاميذ،السودان،14.

(7) نحيلي،علي، مرجع سابق،177.

مستوى التدريس الجامعي يرجع إلى النقص في مهارات التدريس بصورة عامة.⁽⁸⁾ كما أنّ اللغة العربية لها دور في تحصيل الطالب؛ والملاحظ في جامعاتنا أنّ العديد من الطلاب يعانون من ضعف في لغتهم العربية من خلال وجود العديد من الأخطاء الإملائية والأسلوبية الشائعة في البحوث وأوراق الاختبارات، وما لهذا من انعكاس سلبي على التحصيل العلمي للطالب؛ وهذا ربما يؤدي إلى ضعف خريجي الجامعة في المهارات اللغوية وعدم كفاية تأهيلهم، ومن هنا فإن هذه الدراسة تعد موضعاً للبحث العلمي، وبناءً على ذلك يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال التالي: هل هناك تأثير للمتغيرات الأسرية والتربوية على التحصيل العلمي للطلاب في المرحلة الجامعية؟

وتنبثق من السؤال الرئيسي عدة تساؤلات وهي:

1. هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى تعليم الأب والتحصيل العلمي للطلاب .
2. هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى تعليم الأم والتحصيل العلمي للطلاب .
3. هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين دخل الأسرة الشهري والتحصيل العلمي للطلاب.
4. هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين رضا الطالب عن طريقة التدريس والتحصيل العلمي له.
5. هل هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى اللغة العربية للطلاب والتحصيل العلمي له.

أهمية الدراسة : تكمن أهمية الدراسة في أنّها تركز على التحصيل العلمي، وهو يعد موضوعاً مهماً في مجتمعنا الليبي، وفي جامعاتنا الليبية بصفة خاصة، وذلك لتركيزها على الفئات الشابة، وعلى الرغم من تعدد البحوث والدراسات حول هذا الموضوع، فإنه لم يحظَ بالاهتمام الكافي محلياً، وخاصةً في مرحلة التعليم الجامعي بمدينة بنغازي، وإنّ هذه الدراسة ركزت على طلاب الجامعة بمختلف الكليات ومختلف الأنظمة الدراسية، ويمكن أن تساعد نتائج هذه الدراسة في اتخاذ القرارات المتعلقة بتصحيح مسار التعليم العالي في جامعة بنغازي، وكذلك وضع ضوابط قد تساعد في الحد من الهدر التعليمي مستقبلاً، وربما تفتح آفاقاً كثيرة لترشيد سياسة القبول في الجامعات، وأنّ تتم وفقاً لمعدل الطالب في الشهادة الثانوية، وقدراته وميوله ورغباته الذاتية؛ وذلك لإيجاد توازن بين مستوى الإنفاق الاقتصادي والتربوي للموارد البشرية، ومخرجات التعليم في الجامعات الليبية عامةً، وجامعة بنغازي بصفة خاصة.

أهداف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف وهي:

(8) المطوع، نجاة، مصباح عيسى(1986)، أثر استخدام اللغة الانجليزية كوسيلة اتصال تعليمية علي التعليم الأكاديمي، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، مجلد(14)، العدد(4)،159.

. التعرف على العلاقة بين المتغيرات الأسرية والتربوية و التحصيل العلمي للطالب.
 . التعرف على العلاقة بين مستوى تعليم الأب والتحصيل العلمي للطالب.
 . التعرف على العلاقة بين مستوى تعليم الأم والتحصيل العلمي للطالب.
 . التعرف على العلاقة بين دخل الأسرة الشهري والتحصيل العلمي للطالب.
 . التعرف على العلاقة بين رضا الطالب عن طريقة التدريس والتحصيل العلمي له.

. التعرف على العلاقة بين مستوى اللغة العربية للطالب والتحصيل العلمي له.
مصطلحات الدراسة : التحصيل العلمي: هو نتاج عملية التعليم الجامعي المتمثل في المعدل (المتوسط الفصلي، والتراكمي) للطالب، والذي يقاس بواسطة الاختبارات منها ما هو شهري، ومنها ما هو نهائي، ويدخل في تحديد درجته في المواد الدراسية، بالإضافة إلى الاختبارات أيضاً، و مواظبته ونشاطه داخل الفصل الدراسي في المناقشات وإعداد البحوث، والمتطلبات الأخرى التي يحددها أعضاء هيئة التدريس.⁽⁹⁾

التحصيل العلمي : يعرفه (الشيباني،1990) بأنه الدرجة العلمية التي حصل عليها التلميذ في اختبار معين من قبل المعلمين سواء كان هذا الاختبار شفويًا أم تحريريًا أم كليهما معاً.⁽¹⁰⁾

التحصيل العلمي إجرائياً : وهو يقاس على أساس التقدير أو المعدل العام الذي يتحصل عليه الطالب (ممتاز، جيد جداً، جيد، مقبول، راسب) في جميع المواد الدراسية في السنة الدراسية أو الفصل الدراسي للكليات التي تتبع النظام الفصلي من وجهة نظر الطلاب أنفسهم.

طريقة التدريس: هي الأسلوب الذي يستخدمه الأستاذ لتوجيه نشاط الطلاب، والإشراف عليهم من أجل إحداث التعلم المنشود لديهم⁽¹¹⁾
 رضا الطالب عن طريقة التدريس إجرائياً: وهو تم قياسه على أساس مدى رضا الطالب عن طريقة التدريس التي يستخدمها الأساتذة في تدريسهم سواء من ناحية النوع أم العدد من وجهة نظر طلاب الكليات العلمية والأدبية بجامعة بنغازي.

ضعف اللغة العربية: وهو يقصد به انخفاض أداء الطلاب في المهارات اللغوية، وهي: الاستماع، الكلام، القراءة، الكتابة عند مستوى (50%)، والضعف اللغوي لدى الطلاب يتمثل في كثرة الأخطاء المتعددة التي يرتكبها الطلاب في مواقف النشاط اللغوي من قراءة وكتابة وتعبير شفوي.⁽¹²⁾
مستوى اللغة العربية للطالب إجرائياً: وهو تم قياسه على أساس مستوى

(9) الصالح، مصلح(2004)،عوامل التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية، مرجع سابق، 13.

(10) الشيباني، التومي، (1990)،التعليم وقضايا المجتمع العربي المعاصر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،119.

(11) الوائلي،سعادعبدالكريم،(2004)،طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير بين التنظير والتطبيق، دار الشروق،عمان،37.

(12) أحمد، جمعة أحمد،(2006)،الضعف في اللغة تشخيصه وعلاجه، دار الوفاء، الإسكندرية،17.

الطالب في اللغة العربية (ممتاز، جيد جداً، جيد، مقبول، ضعيف) من وجهة نظر طلاب جامعة بنغازي أنفسهم.

دخل الأسرة: "أي مورد تتلقى منه الأسرة دخلاً، سواء موارد إنتاجية (معاشات، رواتب وأجور)، أم دخول تحويلية (بيع ممتلكات، عائدات من البنوك)"،⁽¹³⁾ دخل الأسرة الشهري إجرائياً: وهو يقاس على أساس إجمالي العائد المادي الذي تحصل عليه أسرة المبحوث شهرياً، والعائد المادي يشمل الرواتب أو المعاشات، وما تحصل عليه الأسرة من أي مصدر آخر حسب وجهة نظر طلاب جامعة بنغازي. المتغيرات الأسرية: وهي مستوى تعليم الأب، مستوى تعليم الأم، دخل الأسرة الشهري.

المتغيرات التربوية: وهي رضا الطالب عن طريقة التدريس، مستوى اللغة العربية للطالب.

المستوى التعليمي للأب إجرائياً: وهو يقيس هذا المتغير الحالة التعليمية لأب المبحوث إذا كان مستواه (أمي، أساسي، متوسط، عالي ما فوق) أثناء إجراء هذه الدراسة.

المستوى التعليمي للأم إجرائياً: وهو يقيس هذا المتغير الحالة التعليمية للأم المبحوث إذا كان مستواها (أمي، أساسي، متوسط، عالي ما فوق) أثناء إجراء هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

1 - دراسة لطيفة القيادي (1982) "بعض العوامل المؤثرة في التحصيل العلمي في مدينة طرابلس لليبيا" وهي تهدف إلى التعرف على الأسباب التي تؤدي إلى تدني مستوى التحصيل الدراسي للتلاميذ؛ وذلك بدراسة علاقة المستوى التعليمي للوالدين، ووظيفة الأب وتأثير كل منها في التحصيل الدراسي للأبناء، واختيرت عينة عشوائية من تلاميذ الصف التاسع بمدينة طرابلس، وبلغ عدد العينة 717 تلميذ وتلميذة من بينها 490 تلميذ و227 تلميذة، واستخدمت الباحثة المنهج الوثائقي؛ وذلك عن طريق التقارير، والإحصائيات، والنشرات، والسجلات الرسمية، والبيانات، ونتائج امتحانات إتمام شهادة التعليم الأساسي كأدوات لبحثها، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: 1. وجود علاقة بين المستوى التعليمي للوالدين ومستوى التحصيل الدراسي للأبناء، حيث سجلت أعلى نسبة لأبناء الآباء المتعلمين بنسبة 51 %؛ أي أن كلما ارتفع المستوى التعليمي للوالدين ارتفع مستوى التحصيل الدراسي للأبناء؛ 2. وجود علاقة بين وظيفة الآباء ومستوى التحصيل الدراسي لأبنائهم، حيث سجلت أعلى نسبة لأبناء الرؤساء والمدراء والمهنيين بنسبة 51 %، تليها نسبة أبناء الموظفين والعمال والحرفيين بنسبة 39 %؛ 3. لا توجد علاقة بين مستوى تعليم الأم والتحصيل

(13) فرداوي، محمد وآخرون، (2004)، خصائص دخل الأسرة وعلاقتها بخصائص سكنها، 6. [/studies/org.cbssyr.www](http://studies/org.cbssyr.www) (15may2010)saturday

- الدراسي للأبناء، حيثُ كانت نسبة تفوق أبناء الأمهات الأميات 37 %، بينما نسبة تفوق أبناء الأمهات المتعلمات 36 %.⁽¹⁴⁾
2. دراسة الحسن بن محمد المفيدى (1994) “بعض العوامل المؤثرة على تحصيل الطالب الجامعي في كلية التربية جامعة الملك فيصل بالأحساء بالسعودية” وهي تهدف إلى التعرف على تأثير ثلاث عوامل، هي: المستوى التحصيلي في الثانوية العامة، النوع أو الجنس، والتخصص في مستوى تحصيل الطالب في المرحلة الجامعية، أيضا إلى مساعدة المسؤولين في وضع ضوابط لهذه العوامل المؤثرة في معدل التحصيل الجامعي، والحد من ظاهرة الفصل الأكاديمي والدراسي، والحد من الهدر التعليمي، كذلك تهدف إلى إيجاد نوع من التوازن بين مستوى الإنفاق الاقتصادي والتربوي للموارد البشرية، ومخرجات التعليم في الجامعة العربية عامة، وفي المملكة العربية السعودية خاصة، وبلغت عينة الدراسة (427) طالب وطالبة من كلية التربية جامعة الملك فيصل بالأحساء باستخدام استمارة الاستبيان كأداة جمع بيانات. وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: 1. الطلاب الحاصلون على معدلات عالية في الثانوية العامة يحرزون على معدلات تراكمية عالية في تحصيلهم الجامعي، والطلاب ذوي المعدلات المنخفضة في الثانوية يحصلون على معدلات منخفضة في تحصيلهم الجامعي؛ 2. ليس هناك تأثير لاختلاف نوع الجنس في تحصيل الطالب الجامعي؛ أي أن تفوق طلاب القسم العلمي في تحصيلهم الجامعي على طلاب القسم الأدبي.⁽¹⁵⁾
3. دراسة حكمت عرابي (1995) “علاقة التحصيل الدراسي للطالبة الجامعية السعودية ببعض المتغيرات الأسرية” وهي تهدف إلى تقصي العلاقة بين بعض المتغيرات الأسرية وبين الاستقرار الذاتي للطالبة السعودية وتحصيلها الأكاديمي، وبلغت عينة الدراسة 500 طالبة في مركز الدراسات الجامعية للبنات، وأخذت العينة بالطريقة العشوائية من بين الطالبات المنتظمات بالمستويين الثاني والثالث باستخدام الاستبانة كأداة لجمع بيانات تم تصميمها على ثلاثة محاور، هي: المتغيرات الأسرية، الاستقرار الأسري، التحصيل الدراسي للفتاة، وتوصلت الدراسة إلى نتيجة واحدة، وهي: أن هناك متغيرات وسيطة تؤثر في المحصلة النهائية للعلاقة بين المتغيرات الأسرية المختلفة، والتحصيل الدراسي لدى الفتاة، ومن أبرز هذه العوامل درجة الاستقرار الأسري، حيث يعمل على ترجمة الأثر النهائي للعوامل الأسرية الإيجابية والسلبية في تحصيل الفتاة.⁽¹⁶⁾

(14) القيادي، لطيفة (1982)، بعض العوامل المؤثرة في التحصيل العلمي في مدينة طرابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الفاتح، 36 - 37.

(15) المفيدى، الحسن بن محمد (1994)، بعض العوامل المؤثرة على تحصيل الطالب الجامعي في كلية التربية جامعة الملك فيصل بالأحساء، مجلة كلية التربية، المجلد الأول، العدد (10)، 446 - 468.

(16) عرابي، حكمت (1995)، علاقة التحصيل الدراسي للطالبة الجامعية السعودية ببعض المتغيرات الأسرية، مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية، المجلد السابع، العدد (1)، 353 - 581.

4 . دراسة محمد أحمد الكرش (1996) "بعض العوامل التربوية المؤدية إلى تدني التحصيل العلمي للطلاب في مادة الرياضيات بالمرحلة الثانوية بدولة قطر كما يراها المعلمون والطلاب" وهي تهدف إلى تحديد العوامل التربوية التي أدت إلى تدني التحصيل العلمي لطلاب المرحلة الثانوية في مادة الرياضيات؛ وذلك من وجهة نظر المعلمين والطلاب، وتكونت عينة الدراسة من 34 معلماً ومعلمة 470 طالب وطالبة بمدارس المرحلة الثانوية بدولة قطر، واستخدمت الاستبيان كأداة جمع بيانات، وتم إعداد استبيانين: إحداهما للمعلمين، والآخر للطلاب، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:1. عدم تدريب الطلاب على الأسئلة التي تقيس المستويات العليا من التفكير؛ مما يؤدي إلى أن الطلاب يركزون على الحفظ دون الفهم، كما أنهم يستذكرون في الوقت الذي يسبق الاختبار مباشرة، أما الطلاب فإنهم يرون أن من عوامل تدني مستواهم التحصيلي في مادة الرياضيات هي طريقة عرض الكتاب حيث لا تتيح لهم الفرصة لمتابعة المقرر بأنفسهم، 2. أن الطريقة التدريسية لمادة الرياضيات لا تشجع على البحث والاستفادة من مادة الرياضيات، أيضاً المعلم لا يستخدم الوسائل التعليمية في أثناء الشرح، 3. أقر الطلاب بأنهم قلقون من درجاتهم الامتحانية؛ مما يؤثر في نتائج تحصيلهم.⁽¹⁷⁾

5 . دراسة خليفة رمضان طنيش (1998) "بعض المتغيرات الأسرية وعلاقتها بمستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب مرحلة التعليم المتوسط ببلدية الجبل الغربي بليبيا" وهي تهدف إلى التعرف على الصعوبات والمشكلات الأسرية التي تعوق الطلاب، وتقف حائلاً دون تحقيق نتائج مرضية في الامتحانات المدرسية، والتعرف على الدور الذي تقوم به الأسرة في متابعة أبنائها، واختلاف درجة هذه المتابعة من أسرة لأسرة، وتم اختيار عينة عشوائية من مجتمع البحث، وبلغ عددها 128 طالباً وطالبة من القسم العلمي، ومن القسم الأدبي 112 طالباً وطالبة، باستخدام الباحث استمارة استبيان مكونة من 42 سؤالاً، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: 1. وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تحصيل الطلاب الذين دخلهم الأسرى كافٍ، حيث كان تحصيلهم الدراسي أعلى من أفراد المجموعة الذين دخلهم الأسرى غير كافٍ؛ 2. وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 بين تحصيل الطلاب الذين يقطنون منزل قديم لصالح أفراد المجموعة الذين يقطنون منزل حديث؛ 3. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 بين تحصيل الطلاب الذين مستوى تعليم والديهم عالٍ أو متوسط والآباء الأميين؛ 4. عدم وجود اختلاف بين مستوى تعليم الوالدين ومستوى تحصيلهم الدراسي؛ 5. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة 0.05 بين تحصيل الأبناء وحجم الأسرة؛

(17) الكرش، محمد أحمد، (1998)، بعض العوامل التربوية المؤدية إلى تدني التحصيل العلمي للطلاب في مادة الرياضيات بالمرحلة الثانوية بدولة قطر كما يراها المعلمون والطلاب، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، السنة (7)، العدد (14)، 85-119.

وهذا يعني أن مستوى التحصيل الدراسي للطلاب حسب مستويات أحجام الأسرة متعادل:6. وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الذين لا يوجد لديهم مشاكل بين الأب والأم في العلاقات العائلية على حساب المجموعة غير المتوافقة.⁽¹⁸⁾

6. دراسة فؤاد علي العاجز (2002) "العوامل المؤثرة في تدني المعدلات التراكمية لدى بعض طلبة الكليات الإنسانية بالجامعة الإسلامية بغزة" وهي تهدف إلى التعرف على العوامل الكامنة وراء ظاهرة تدني المعدلات التراكمية لبعض الطلبة بكليات الجامعة الإسلامية بغزة ومحاولة إيجاد السبل الكفيلة للعمل على رفع المعدلات التراكمية للطلبة، مستخدماً الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث بلغت عينة الدراسة 283 طالب وطالبة ممن حصلوا على معدلات تراكمية أقل من 70 %، وهي تمثل نسبة 14.3 % من مجتمع الدراسة البالغ 1972 طالب وطالبة من كليات أصول الدين والشريعة والآداب والتربية والتجارة، باستخدام استبانة اشتملت على (39) فقرة موزعة على ثلاثة مجالات، وهي العوامل الشخصية (13) فقرة، والعوامل التربوية (13) فقرة، والعوامل الاجتماعية والاقتصادية (13) فقرة، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: 1. أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية أكثر تأثيراً في تدني المعدلات التراكمية للطلاب والطالبات تليها العوامل الشخصية وأخيراً العوامل التربوية؛ 2. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين طلاب وطالبات الجامعة الإسلامية في متغير الجنس؛ وهذا مما لا يؤثر على المعدل التراكمي المتدني.⁽¹⁹⁾

التعقيب على الدراسات السابقة :

تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في الأهداف؛ فهناك دراسات ركزت على المتغيرات الأسرية كدراسة حكمة عرابي، لطيفة القيادي، خليفة طنيش، ودراسات ركزت على المتغيرات التربوية كدراسة فؤاد العاجز، أما بالنسبة لأداة جمع البيانات فمعظم الدراسات استخدمت استمارة الاستبيان ما عدا دراسة لطيفة القيادي التي استخدمت الإحصاءات الرسمية، واتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسة لطيفة القيادي على وجود علاقة بين مستوى تعليم الأب والتحصيل العلمي، في حين اختلفت عن دراسة رمضان طنيش التي توصلت إلى وجود علاقة بين دخل الأسرة الشهري والتحصيل العلمي، وعن دراسة أحمد الكرش في أن طريقة التدريس تؤثر على التحصيل العلمي .

(18) طنيش، خليفة رمضان، (1998)، بعض المتغيرات الأسرية وعلاقتها بمستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب مرحلة التعليم المتوسط ببلدية الجبل الغربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة طرابلس، 43-42.

(19) العاجز، فؤاد علي، (2002)، العوامل المؤثرة في تدني المعدلات التراكمية لدى بعض طلبة الكليات الإنسانية بالجامعة الإسلامية بمدينة غزة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد (1)، 1-23.

الإطار النظري:

العوامل المؤثرة في التحصيل العلمي:

1. الذكاء والتحصيل العلمي: يعد عامل الذكاء من أكثر العوامل ارتباطاً بالتحصيل العلمي، وأثبتت العديد من الدراسات التي أجريت لمعرفة العلاقة بين الذكاء والتحصيل الأكاديمي، منها الدراسة التي قام بها سيرل بيد Serial beed في إنجلترا، والتي قام بها بون دوترمان B.dotarman man في أمريكا، وأكدت هاتان الدراستان على أن هناك علاقة مرتبطة موجبة بين الذكاء والتحصيل؛ ولذلك يلعب الذكاء دوراً بارزاً في عملية التفوق الدراسي والتحصيل لدى الطالب.⁽²⁰⁾ كما أجريت عدة دراسات تم الكشف من خلالها على أنه ليس من الضروري أن يكون كل متفوق في التحصيل متفوقاً في الذكاء، فربما يكون طالباً لديه درجة متوسطة من الذكاء ولكنه يتفوق دراسياً بفعل عمليات بذل الجهد. ولقد جمع تايلور Taylor عدداً من الدراسات التي دارت حول الذكاء كوسيلة للتنبؤ بالتحصيل العلمي، ووجد أن هناك ارتباطاً يتراوح ما بين (0.40-0.60) بين الذكاء والنجاح الدراسي، ومثل هذا الارتباط يدل على علاقة بين الذكاء والتحصيل.⁽²¹⁾

2. ضعف اللغة العربية والتحصيل العلمي: يعد ضعف اللغة العربية لدى الطالب من العوامل الرئيسية التي تؤثر في التحصيل العلمي له، كما أن كثرة الشكاوي المتكررة للأباء والأمهات عن ضعف التحصيل عند أبنائهم كان نتيجة لضعف لغتهم العربية، وأن أبنائهم لا يجيدون القراءة والكتابة باللغة العربية، والشكاوي التي يرددها الأهالي وأولياء الأمور لا تنتهي عند هذا الحد، كما أن المعلمين في مدارس التعليم الأساسي والمتوسط، وأيضاً أساتذة الجامعات يشكون من هذا الضعف، حيث تكثر الأخطاء اللغوية التي يرتكبها تلاميذ المدارس، وطلاب الجامعات في مختلف نشاطاتهم اليومية، ويقع فيها خريجو الجامعات، في المؤسسات الحكومية والأهلية، وفي الميدان التعليمي بمختلف مستوياته.⁽²²⁾ ويقول "عمر التومي الشيباني أيضاً أن من أبرز وأخطر مظاهر ومؤشرات هذا التدهور في التحصيل هو الضعف الخطير والمفزع في اللغة العربية خطأً وكتابةً إملاءً وتعبيراً وقواعداً وأسلوباً في جميع مراحل التعليم من المرحلة الابتدائية حتى الجامعية".⁽²³⁾ ومن هنا فإن هناك العديد من العوامل التي أدت إلى ضعف اللغة العربية والتي منها شبكات الانترنت، فمثلاً يلاحظ أن اللغة المستخدمة والسائدة

(20) العشيبي، سعاد علي، (2000)، التحصيل الدراسي وفقاً لعادات الاستذكار واتجاهات الطلبة نحو الدراسة بكلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة بنغازي، 19.

(21) سعيد، أحلام محمود (2004)، الذكاء وعادات الاستذكار وعلاقتها بتحصيل طلاب الثانوية التخصصية في مدينة البيضاء وفق بعض المتغيرات، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة قارون، 18.

(22) العكروني، زريق خليفة، (2007)، تدنى مستوى التحصيل العلمي في اللغة العربية في المرحلة الثانوية في الجماهيرية العظمى، منشورات جامعة السابع من أبريل، الزاوية، 20-19.

(23) الشيباني، التومي، (1990)، التعليم وقضايا المجتمع العربي المعاصر، مرجع سابق، 123.

في الإنترنت هي اللغة الإنجليزية وأن 80% من صفحات المواقع المتوفرة على الشبكة مكتوبة بالإنجليزية، كما أن اللغة العربية أصبحت تهمش لمصلحة اللغة الإنجليزية على أنها هي لغة العمل والتواصل على جميع الأصعدة، بالإضافة إلى انتشار الكلمات الأجنبية على المتاجر والمطاعم والفنادق والحياة العامة والكلمات العامية والأخطاء النحوية على وسائل النقل وفي الإعلانات والإعلام، وفي العملية التعليمية والعلمية في المدارس والمعاهد والجامعات، بالإضافة إلى قصور محتوى المناهج وسوء تصميمها والكتب التي ينقصها عنصر التشويق والارتباط بواقع الطلاب وحياتهم ومتطلباتهم، وهناك من يقول بأنها تعود إلى ضعف التكوين العلمي والمهني للكثير من معلمي اللغة في جميع مراحل التعليم الذي له الأثر الأكبر في قلة التحصيل العلمي لدى الطالب، ومنهم من يرجعها إلى الطالب نفسه وعدم حديثه ورغبته في إدراك المهارات الأساسية في اللغة العربية، ويؤكد "أحمد الضبيب في هذا الشأن (أن ضعف اللغة العربية في الوقت الراهن يعود بالدرجة الأولى إلى أبنائها الذين تنكروا لها وضيعوا أمامها سبل الحياة)، فقد أورثت هذه الأسباب لغة ضعيفة باهتة على ألسنة أبنائها، كما أورثت المتحدثين بها جملة من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية، ورداءة في الخط والكتابة وركاكة وضعفاً في الصيغ والروابط الأسلوبية، ومشكلات في القراءة الجهرية، وقصوراً في الفهم والاستيعاب".⁽²⁴⁾ ومن هنا فإن اللغة العربية ستواجه تحديات كبرى، ما لم يتنبه إلى ذلك السياسيون والمخططون وأصحاب القرار والمنفذون، إلى جانب العلماء والباحثين،

ومن أجل اتخاذ الوسائل الفعالة الكفيلة باستمرار اللغة العربية حية ومنتجة، ومن أهميتها القضاء على الهزيمة النفسية التي يشعر بها العربي نحو لغته ونشر الوعي بأهمية اللغة في بناء الذات العربية، وتفعيل دور اللغة في المستقبل العربي.⁽²⁵⁾

3. المنهج والتحصيل العلمي: إن صفات المنهج الدراسي غير الصالح تجعل له تأثيراً ضاراً على تحصيل الطلاب، منها ضعف ارتباطه ببيئة الطالب وقضايا ومشكلات مجتمعه وأمته، وضعف ارتباطه بميول ورغبات الطلاب، حيث إن تدني أو هبوط مستوى تحصيل الخريجين من الطلاب بصفة عامة في جميع مجالات التعليم وجميع التخصصات يرجع إلى أسباب عديدة منها المنهج والمواضيع التي يحددها، وأن هبوط مستوى التحصيل الدراسي في حد ذاته يعتبر دافعاً قوياً لإعادة النظر في المنهج وخطته من جديد وتطويره.⁽²⁶⁾

(24) الضبيب، أحمد بن محمد، (2001)، اللغة العربية في عصر العولمة، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، 216.

(25) النصار، صالح بن عبد العزيز، (2007)، ضعف الطلاب في اللغة العربية أدراك المشكلة وتأخر العلاج، كلية التربية، جامعة الملك سعود، صحيفة الرياض، العدد (14179). com.gmail@s.Alnassar.

(26) بشري العكايشي كامل الزبيدي، أسباب انخفاض التحصيل الدراسي لدى طلبة الجامعة في العراق، مؤتمر التعثر الأكاديمي للطلاب المسؤولة على من، (2006/3/27-30)، 11.

4. طرق التدريس والتحصيـل العلمي: إن طرق التدريس باختلاف أنواعها وصيغها هي وسائل الاتصال الحقيقية الحاملة لرسالة التعليم سواء أكان محتوى هذه الرسالة معرفي أم مهاري أم عاطفي أم قيمي، وعادةً ما يختار الأستاذ الجامعي الطريقة التي يستخدمها مع طلابه، وينبغي أن تناسب قدرات الطلاب اللفظية واهتماماتهم وخبراتهم.⁽²⁷⁾ وعند الحديث عن طرق التدريس التي يعتمدها أعضاء هيئة التدريس في مستويات التعليم العالي، نجد أن الكثير من الدراسات تؤكد نتائجها على أن الأغلبية منهم يعتمد على أسلوب المحاضرة التقليدي في تدريس المقررات الدراسية، حيث أكدت دراسة مصلح الصالح أنه لا توجد علاقة ذات دلالة بين اتجاه الطالب نحو المحاضرات والمعدل التراكمي وتعتبر هذه النتيجة منطقية إذ إن أكثر الموضوعات اتصالاً بالتحصيل الدراسي هي المحاضرات فإذا كان الطالب راغباً فيها انعكس ذلك على تحصيله إيجابياً والعكس بالعكس.⁽²⁸⁾

5. العوامل الاجتماعية والاقتصادية للأسرة: يعد المستوى الاجتماعي للأسرة من الجوانب التي لها أهمية خاصة في حياة الأسرة وأبنائها معاً، حيث أن الطلاب الذين يعيشون في إطار أسرة كبيرة وكثيرة يكون اهتمام الأسرة بهم قليلاً نسبياً؛ مما يؤدي إلى شعورهم بعدم الاهتمام وإلى إهمال الدراسة والتعلم وهذا بدوره يؤدي إلى انخفاض مستوى التحصيل العلمي.⁽²⁹⁾ وعند الحديث عن المستوى الاقتصادي الذي يسود الأسرة فهو يلعب دوراً هاماً، ويسهم إلى حد كبير في تكامل شخصية الفرد، فالوضع الاقتصادي السيء والصعب، والفقر، والاضطراب الاقتصادي، وعدم الشعور بالأمن من شأنه أن يؤثر في تماسك الأسرة وتكاملها، وبالتالي يُعرض الطلاب إلى مختلف التجارب القاسية، والإحباط المتواصل الذي يؤثر عليهم، وبالتالي انخفاض التحصيل الذي يصلون إليه.

6. العوامل التعليمية والثقافية للأسرة: إن المستوى الثقافي والتعليمي للأسرة له تأثير كبير على التحصيل العلمي للأبناء، وتلعب ثقافة الوالدين دوراً هاماً في تقدم الأبناء، وتفوقهم التعليمي والتحصيلي، مستوى تعليم الآباء والأمهات، واتجاهاتهم وميولهم ورغباتهم نحو التعلم له أثره في توجيه الأبناء نحو التحصيل العلمي.⁽³⁰⁾

الإجراءات المنهجية :

منهج الدراسة و أداة جمع البيانات: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الذي من خلاله يقوم الباحث بوصف الظاهرة الاجتماعية وصفاً كمياً وكيفياً، ولقد تم تصميم استمارة الاستبيان كأداة لجمع بيانات، وتحتوي على مجموعة

(27) الصالح، مصلح(2004)،عوامل التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية، مرجع سابق، 13.

(28) الصالح، مصلح(2004)،عوامل التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية، مرجع سابق، 219.

(29) التقرير الموجز الشؤون الاجتماعية والاقتصادية، الأمم المتحدة، نيويورك، 7،(2004).

(30) نصرالله، عمر عبد الرحيم(2004)، تدني مستوى التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية، مرجع سابق،64.

من الأسئلة المتعلقة بموضوع الدراسة، وتم التركيز على البيانات التي تتماشى مع أهداف هذه الدراسة.

إجراءات المعاينة: أجريت الدراسة على عينة من طلاب وطالبات جامعة بنغازي من أربع كليات وهي (الأداب، القانون، العلوم، الهندسة)، البالغ عددهم (28461) طالباً وطالبة، وتم تحديد حجم العينة بنسبة تمثيل قدرها 1.33 بما يعادل 379 مفردة وذلك من خلال الإحصائية المستخرجة من قسم التسجيل والقبول بإدارة المسجل العام بالجامعة بنغازي 2019 م، وتم اختيار العينة العشوائية الطبقية النسبية، وهي من أكثر أنواع العينات الاحتمالية الملائمة لمجتمع الدراسة، من خلال استخدام البرنامج الإحصائي الخاص بالعلوم الاجتماعية SPSS، سيتم عرض الجداول التكرارية والنسب المئوية، وجداول اختبار الفروض التي استخدم فيها الكاي المربع (كا²-square).
عرض البيانات وتحليلها وتفسيرها:
أولاً: التحليل الوصفي:

جدول رقم (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب النوع.

| النوع | التكرار | النسبة المئوية (%) |
|---------|---------|--------------------|
| ذكر | 154 | 41 % |
| أنثى | 225 | 59 % |
| المجموع | 379 | 100 % |

تبين من الجدول المدون أعلاه إلى أن أكثر من نصف أفراد العينة هم من الإناث، حيث بلغت النسبة 59 %، في حين أن باقي أفراد العينة من الذكور، حيث بلغت نسبتهم 41 %.

جدول رقم (2) يوضح توزيع أفراد العينة حسب العمر بالسنوات.

| العمر بالسنوات | التكرار | النسبة المئوية (%) |
|----------------|---------|--------------------|
| 20 - 18 | 107 | 28 % |
| 23 - 21 | 149 | 39 % |
| 33 - 24 | 123 | 33 % |
| المجموع | 379 | 100 % |

تبين من الجدول السابق أن أكثر من ثلث أفراد العينة يتمركزون في الفئة العمرية الواقعة ما بين (23 - 21) بنسبة بلغت 39 %، وهي فئة متوسطي العمر، وتأتي بعدها الفئة العمرية من (33 - 24)، وهي الفئة الأكبر عمراً حيث

بلغت نسبتها 33 % ؛ وربما يرجع زيادة أعمار هذه الفئة عن العمر الافتراضي للدراسة في الجامعة من 18 - 22 حتماً إلى تكرار سنوات الرسوب، وكذلك الانقطاع عن الدراسة ثم العودة إليها مرة أخرى، أما الفئة العمرية من (18 - 20)، وهي فئة صغار العمر في هذه الدراسة، فقد بلغت نسبتهم 28 %، وهي أقل نسبة.

جدول رقم (3) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الكلية.

| النسبة المئوية (%) | التكرار | الكلية |
|--------------------|---------|---------|
| 31 % | 119 | الآداب |
| 17 % | 64 | القانون |
| 25 % | 93 | العلوم |
| 27 % | 103 | الهندسة |
| 100 % | 379 | المجموع |

يتضح من الجدول السابق أن ثلث أفراد العينة تقريباً من كلية الآداب، حيث بلغت نسبتهم 31 %، وأن أكثر بقليل من ربع أفراد العينة من كلية الهندسة فقد بلغت نسبتهم 27 %، في حين أن 25 % من أفراد العينة من كلية العلوم، وهم يمثلون ربع أفراد العينة، وأن 17 % فقط من أفراد العينة من كلية القانون، وهم يمثلون أقل نسبة.

جدول رقم (4) يوضح التقدير العام لأفراد العينة.

| النسبة المئوية (%) | التكرار | التقدير العام |
|--------------------|---------|---------------|
| 9 % | 34 | ممتاز |
| 28 % | 108 | جيد جداً |
| 41 % | 157 | جيد |
| 15 % | 55 | مقبول |
| 7 % | 25 | راسب |
| 100 % | 379 | المجموع |

يتضح من الجدول أعلاه أن أكثر من ثلث أفراد العينة من ذوي التقدير الجيد، وبلغت نسبتهم 41 %، وتليها نسبة الذين تقديروهم جيد جداً، وبلغت 28 %، في حين أن نسبة الراسبين كانت 7 %، وهي أقل نسبة؛ وهذا يعد مؤشراً جيداً يوضح من خلاله ارتفاع نسبة النجاح بين الطلاب، وهذه النسبة للراسبين ربما ترجع إلى إهمالهم، وعدم مبالاتهم بالمحاضرات والقيام بالبحوث وأوراق العمل، وعدم الدراسة في أثناء الامتحانات أو لصعوبتها.

جدول رقم (5) يوضح توزيع أفراد العينة وفق المستوى التعليمي للأب.

| النسبة المئوية (%) | التكرار | المستوى التعليمي للأب |
|--------------------|---------|-----------------------|
| 8 % | 31 | أمي |
| 17 % | 64 | أساسي |
| 37 % | 140 | متوسط |
| 38 % | 144 | عال فما فوق |
| 100 % | 379 | المجموع |

يتضح من الجدول السابق أن المستوى التعليمي العالي فما فوق هو الأعلى نسبة بين آباء أفراد العينة، حيث بلغت نسبة هذه العينة 38 %، يليه المستوى التعليمي المتوسط، فقد بلغت نسبة هذا المستوى 37 %، ثم يليه المستوى التعليمي الأساسي إذ بلغت نسبته 17 %، في حين أن الأميين منهم تبلغ نسبتهم 8 %، وهم أقل نسبة؛ ومن هذا التوزيع نلاحظ أن هناك ارتفاعاً في المستوى التعليمي للآباء أفراد العينة، كما نلاحظ أن الأمية موجودة بين نسبة منهم ولكنها قليلة.

جدول رقم (6) يوضح توزيع أفراد العينة وفق المستوى التعليمي للأم.

| النسبة المئوية (%) | التكرار | المستوى التعليمي للأم |
|--------------------|---------|-----------------------|
| 18 % | 69 | أمي |
| 20 % | 75 | أساسي |
| 39 % | 147 | متوسط |
| 23 % | 88 | عال فما فوق |
| 100 % | 379 | المجموع |

تبين من الجدول المدون أعلاه أن أكثر من ثلث أمهات أفراد العينة من ذوات المستوى التعليمي المتوسط، وبلغت نسبة هذه الفئة 39 %، في حين أن المستوى التعليمي العالي فما فوق بلغت نسبته بينهن 23 %، يليه المستوى التعليمي الأساسي، حيث بلغت نسبته بينهن 20 %، في حين أن أمهات العينة من الأميات، قد بلغت نسبتهن 18 %؛ ومن هذا التوزيع يلاحظ أن هناك ارتفاعاً، ولكن ليس كبيراً في المستوى التعليمي لأمهات أفراد العينة، كما يلاحظ أن الأمية موجودة بين نسبة منهن ليس بقليلة.

جدول رقم (7) يوضح توزيع أفراد العينة وفقاً لمتوسط دخل الأسرة الشهري.

| متوسط دخل الأسرة | التكرار | النسبة المئوية (%) |
|------------------|---------|--------------------|
| 500 - 110 | 147 | 39 % |
| 899 - 501 | 117 | 31 % |
| 6000 - 900 | 115 | 30 % |
| المجموع | 379 | 100 % |

تبين من الجدول السابق أن أكثر من ثلث أفراد العينة تقريباً تقع دخول أسرهم عند الفئة من 500 - 110 والتي تمثل الدخل المنخفض في هذه الدراسة حيث بلغت نسبة هذه الفئة 39 %، وتليها نسبة أفراد العينة الذين تقع دخول أسرهم عند الفئة من 899 - 501 وهي تمثل فئة الدخل المتوسط فقد بلغت 31 %، في حين أن 30 % من أفراد العينة تقع دخول أسرهم عند الفئة من 900 - 6000، وهي تمثل فئة الدخل المرتفع؛ ومن هذا التوزيع يتبين أن هناك انخفاضاً في مستوى دخول أسر أفراد عينة هذه الدراسة فمعظم تلك الأسر تقريباً تقع دخولهم ضمن فئة الدخل المنخفض.

جدول رقم (8) يوضح توزيع أفراد العينة وفق حجم الأسرة.

| حجم الأسرة | التكرار | النسبة المئوية (%) |
|------------|---------|--------------------|
| 5 - 3 | 119 | 31 % |
| 8 - 6 | 139 | 37 % |
| 17 - 9 | 122 | 32 % |
| المجموع | 379 | 100 % |

تبين من الجدول السابق أن أكثر من ثلث أفراد العينة تقع أسرهم عند الفئة من (6 - 8)، وهي التي تمثل الأسر متوسطة الحجم في هذه الدراسة، حيث بلغت نسبة هذه الفئة 37 %، في حين أن 32 % من أفراد العينة تقع أسرهم عند الفئة من (9-17)، وهي تمثل الأسر كبيرة الحجم، وأن 31 % فقط من أفراد العينة تقع أسرهم عند الفئة من (3 - 5)، وهي تمثل الأسر صغيرة الحجم؛ ومن هذا التوزيع نلاحظ أن حجم الأسرة المتوسطة احتل أعلى نسبة، وتليها الأسرة كبيرة الحجم.

جدول رقم (9) يوضح توزيع أفراد العينة وفق مدى رضا الطالب عن طريقة التدريس.

| النسبة المئوية (%) | التكرار | الرضا |
|--------------------|---------|---------|
| 22 % | 82 | نعم |
| 78 % | 297 | لا |
| 100 % | 379 | المجموع |

يتبين من الجدول المدون أعلاه أن أفراد العينة الذين أجابوا بلا غير راضيين على طريقة التدريس، وبلغت نسبتهم 78.4 %، وهم يشكلون أكثر من ثلاثة أرباع العينة، أما الذين أجابوا بنعم راضون على طريقة التدريس، بلغت نسبتهم 21.6 %؛ ومن هذا التوزيع نلاحظ أن هناك ارتفاعاً في نسبة غير الراضين على طريقة التدريس، وربما يرجع ذلك إلى أنها طريقة مملّة، وتعتمد على التلقين و التسميع والحفظ بحيث لا تشجع على البحث، ولا تحدد القدرات والاستعدادات الحقيقية للطالب، وربما الأستاذ لا يستخدم الوسائل التوضيحية في أثناء الشرح.

جدول رقم (10) يوضح توزيع أفراد العينة وفق طريقة التدريس الأكثر شيوعاً التي يستخدمها الأساتذة الجامعيون.

| النسبة المئوية (%) | التكرار | طريقة التدريس الأكثر شيوعاً |
|--------------------|---------|-----------------------------|
| 77 % | 290 | المحاضرة |
| 3 % | 10 | التجارب العملية |
| 10 % | 37 | الوصف والشرح |
| 8 % | 32 | المناقشة الجماعية |
| 2 % | 9 | طرق أخرى تذكر |
| 100 % | 379 | المجموع |

يتضح من الجدول المدون أعلاه أن المحاضرة هي طريقة التدريس الأكثر استخداماً بين الأساتذة الجامعيين، وهي تمثل أكثر من ثلاث أرباع العينة، حيث بلغت نسبتها 77 %، وتليها طريقة الوصف والشرح في الاستخدام، وبنسبة أقل بكثير عنها، فقد بلغت نسبتها 10 %؛ ومن هذا التوزيع يتبين أن هناك ارتفاعاً واضحاً في طريقة المحاضرة باعتبارها الطريقة التي يستخدمها الأغلبية من أعضاء هيئة التدريس.

جدول رقم (11) يوضح توزيع أفراد العينة حسب ما إذا كان المقررات يدرسها أفراد العينة مناسبة لمجال تخصصهم في القسم الذي ينتمون إليه.

| عدد المقررات | التكرار | النسبة المئوية (%) |
|--------------|---------|--------------------|
| مناسبة | 249 | 66 % |
| غير مناسبة | 130 | 34 % |
| المجموع | 379 | 100 % |

تبين من الجدول المدون أعلاه أن الأغلبية من أفراد العينة يرون أن عدد المقررات الدراسية مناسبة، وبلغت نسبتهم 66 %، في حين أن الذين أجابوا بأن عددها غير مناسب، بلغت نسبتهم 34 %؛ ربما يرجع لكثرة عددها، ودخول مواد من تخصصات أخرى في مجال تخصص الطالب.

جدول رقم (12) يوضح توزيع أفراد العينة حسب ما إذا كان ضعف اللغة العربية يؤثر على التحصيل العلمي.

| الرأي | التكرار | النسبة المئوية (%) |
|---------|---------|--------------------|
| نعم | 376 | 73 % |
| لا | 103 | 27 % |
| المجموع | 379 | 100 % |

تبين من الجدول السابق أن أكثر من ثلثي أفراد العينة يرون أن ضعف اللغة العربية يؤثر على التحصيل العلمي، وبلغت نسبتهم 73 %؛ وربما يرجع ذلك إلى عدم قدرتهم على التعبير أو الكتابة بشكل صحيح في المحاضرات والبحوث بشكل عام، وفي الاختبارات بشكل خاص؛ مما يؤدي أحياناً إلى رسوب الطالب بالرغم من صحة إجابته أحياناً، أما الذين أجابوا بأن ضعف اللغة العربية لا يؤثر على التحصيل العلمي بلغت نسبتهم 27 % فقط من أفراد العينة.

ثانياً: التحليل الإحصائي لاختبار الفروض:

جدول رقم (13) يوضح العلاقة بين مستوى تعليم الأب والتحصيل العلمي للطالب.

| المجموع | المستوى التعليمي للأب | | | | التحصيل العلمي للطالب |
|---------|-----------------------|-------|-------|-------|-----------------------|
| | عالٍ فما فوق | متوسط | أساسي | أمي | |
| 34 | 20 | 8 | 4 | 2 | ممتاز |
| % 9 | % 14 | % 6 | % 6 | % 6 | |
| 108 | 48 | 40 | 17 | 3 | جيد جداً |
| % 28 | % 33 | % 28 | % 27 | % 10 | |
| 157 | 43 | 70 | 27 | 17 | جيد |
| % 41 | % 30 | % 50 | % 42 | % 55 | |
| 55 | 23 | 15 | 9 | 8 | مقبول |
| % 15 | % 16 | % 11 | % 14 | % 26 | |
| 25 | 10 | 7 | 7 | 1 | راسب |
| % 7 | % 7 | % 5 | % 11 | % 3 | |
| 379 | 144 | 140 | 64 | 31 | مجموع |
| % 100 | % 100 | % 100 | % 100 | % 100 | |

$x^2 = 27.160$ درجة الحرية 12 دالة على مستوى دلالة 0.05

يلاحظ من الجدول السابق أن قيمة $x^2 = 27.160$ دالة إحصائياً، ودرجة حرية 12، وعند مستوى دلالة 0.05، وهذا يعني وجود علاقة دالة إحصائياً بين مستوى تعليم الأب والتحصيل العلمي للطالب، ويلاحظ من المعطيات الواردة في الجدول السابق أن أعلى نسبة سجلت للطلاب ذوي التقدير الجيد من فئة الآباء الأميين، حيث بلغت نسبتهم 55%، وتتفق هذه الدراسة مع لطيفة القيادي 1982، حيث توصلت إلى وجود علاقة بين المستوى التعليمي للوالدين ومستوى التحصيل الدراسي للأبناء، حيث سجلت أعلى نسبة لأبناء الآباء المتعلمين بنسبة 51%، في حين أنها لا تتفق مع دراسة خليفة رمضان طنيس 1998 التي توصلت إلى عدم وجود علاقة بين مستوى تعليم الوالدين والمستوى التحصيل الدراسي للأبناء.

جدول رقم (14) يوضح العلاقة بين مستوى تعليم الأم والتحصيل العلمي للطالب.

| المجموع | المستوى التعليمي للأم | | | | التحصيل العلمي للطالب |
|---|-----------------------|-------|-------|-------|-----------------------|
| | عالٍ فما فوق | متوسط | أساسي | أمي | |
| 34 | 12 | 14 | 4 | 4 | ممتاز |
| % 9 | % 14 | % 10 | % 5 | % 6 | |
| 108 | 32 | 40 | 18 | 18 | جيد جداً |
| % 28 | % 36 | % 27 | % 24 | % 26 | |
| 157 | 27 | 61 | 37 | 32 | جيد |
| % 41 | % 31 | % 41 | % 49 | % 46 | |
| 55 | 10 | 21 | 13 | 11 | مقبول |
| % 15 | % 11 | % 14 | % 17 | % 16 | |
| 25 | 7 | 11 | 3 | 4 | راسب |
| % 7 | % 8 | % 8 | % 4 | % 9 | |
| 379 | 88 | 147 | 75 | 69 | مجموع |
| % 100 | % 100 | % 100 | % 100 | % 100 | |
| = 13.098 درجة الحرية 12 غير دالة على مستوى دلالة 0.05 | | | | | |

يلاحظ من الجدول المدون أعلاه أنه لا توجد علاقة بين مستوى تعليم الأم والتحصيل العلمي للطالب، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة لطيفة القيادي 1982م، حيث توصلت إلى أنه لا توجد علاقة بين مستوى تعليم الأم والتحصيل الدراسي للأبناء، وكذلك تتفق مع دراسة خليفة رمضان طنيس 1998، حيث توصلت إلى عدم وجود علاقة بين مستوى تعليم الوالدين والمستوى التحصيل الدراسي للأبناء.

جدول رقم (15) يوضح العلاقة بين دخل الأسرة الشهري والتحصيل العلمي للطالب.

| المجموع | دخل الأسرة الشهري | | | التحصيل العلمي للطالب |
|---------|-------------------|------------|------------|-----------------------|
| | دخـل مرتفع | دخـل متوسط | دخـل منخفض | |
| 34 | 15 | 9 | 10 | ممتاز |
| % 9 | % 13 | % 8 | % 7 | |
| 108 | 33 | 36 | 39 | جيد جداً |
| % 28 | % 29 | % 31 | % 27 | |
| 157 | 42 | 53 | 62 | جيد |

| | | | | |
|---|-------|-------|-------|-------|
| % 41 | % 36 | % 45 | % 42 | |
| 55 | 14 | 14 | 27 | مقبول |
| % 15 | % 12 | % 12 | % 18 | |
| 25 | 11 | 5 | 9 | راسب |
| % 7 | % 10 | % 4 | % 6 | |
| 379 | 115 | 117 | 147 | مجموع |
| % 100 | % 100 | % 100 | % 100 | |
| = 9.639 درجة الحرية 8 غير دالة على مستوى دلالة 0.05 | | | | |

يلاحظ من الجدول المدون أعلاه أن قيمة =9.639 غير دالة إحصائياً، بدرجة حرية 8، وعند مستوى دلالة 0.05، أي أنه لا توجد علاقة بين دخل الأسرة الشهري والتحصيل العلمي للطالب، ولا تتفق نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة خليفة رمضان طنيس 1998م، حيث توصلت هذه الدراسة إلى وجود علاقة بين دخل الأسرة الشهري والتحصيل العلمي للطالب.

جدول رقم (16) يوضح العلاقة بين رضا الطالب عن طريقة تدريس والتحصيل العلمي له.

| المجموع | رضا الطالب عن طريقة تدريس | | التحصيل العلمي للطالب |
|---|---------------------------|-------|-----------------------|
| | لا | نعم | |
| 34 | 28 | 6 | ممتاز |
| % 9 | % 9 | % 7 | |
| 108 | 86 | 22 | جيد جداً |
| % 28 | % 29 | % 27 | |
| 157 | 117 | 40 | جيد |
| % 41 | % 39 | % 49 | |
| 55 | 46 | 9 | مقبول |
| % 15 | % 16 | % 11 | |
| 25 | 20 | 5 | راسب |
| % 7 | % 7 | % 6 | |
| 379 | 297 | 82 | مجموع |
| % 100 | % 100 | % 100 | |
| = 2.729 درجة الحرية 4 غير دالة على مستوى دلالة 0.05 | | | |

يلاحظ من الجدول المدون أعلاه أن قيمة =2.729 غير دالة إحصائياً، بدرجة

حرية 4, وعند مستوى دلالة 0.05, أي أنه لا توجد علاقة بين رضا الطالب عن طريقة تدريس والتحصيل العلمي للطالب, حيث أن الذين أجابوا بنعم وراضون عن طريقة التدريس وتحصيلهم جيد, بلغت نسبتهم 49%, وهي أعلى نسبة, واختلفت هذه الدراسة عن دراسة محمد أحمد الكرش في 1996م, حيث بينت أن الطلاب يرون أن طريقة التدريس لا تشجع على البحث, وأن المعلم لا يستخدم الوسائل التعليمية أثناء الشرح؛ مما يؤثر على درجاتهم الامتحانية نتائج تحصيلهم.

جدول رقم (17) يوضح العلاقة بين مستوى اللغة العربية للطالب والتحصيل العلمي له.

| المجموع | مستوى اللغة العربية للطالب | | | | | التحصيل العلمي للطالب |
|--|----------------------------|-------|-------|----------|-------|-----------------------|
| | ضعيف | مقبول | جيد | جيد جداً | ممتاز | |
| 34 | 2 | 4 | 4 | 11 | 13 | ممتاز |
| % 9 | % 9 | % 13 | % 5 | % 9 | % 10 | |
| 108 | 7 | 8 | 16 | 30 | 47 | جيد جداً |
| % 28 | % 30 | % 27 | % 21 | % 24 | % 37 | |
| 157 | 7 | 11 | 39 | 55 | 45 | جيد |
| % 41 | % 30 | % 37 | % 52 | % 44 | % 35 | |
| 55 | 5 | 6 | 13 | 15 | 16 | مقبول |
| % 15 | % 22 | % 20 | % 17 | % 12 | % 13 | |
| 25 | 2 | 1 | 3 | 13 | 6 | راسب |
| % 7 | % 9 | % 3 | % 4 | % 11 | % 5 | |
| 379 | 23 | 88 | 147 | 75 | 69 | مجموع |
| % 100 | % 100 | % 100 | % 100 | % 100 | % 100 | |
| = 19.24 درجة الحرية 16 غير دالة على مستوى دلالة 0.05 | | | | | | |

يلاحظ من الجدول المدون أعلاه, أن قيمة =19.24 غير دالة إحصائياً, بدرجة حرية 16, وعند مستوى دلالة 0.05, أي أنه لا توجد علاقة بين مستوى اللغة العربية للطالب والتحصيل العلمي له, حيث أن 52% من الذين مستواهم جيد في اللغة العربية وتحصيلهم جيد سجلت أعلى نسبة.

- النتائج العامة؛ توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج العامة:

بالنسبة لخصائص عينة الدراسة اتضح أن أكثر من نصف أفراد العينة هم من الإناث وبلغت نسبتهم (59%), وأن (39%) من أفراد العينة تتراوح أعمارهم ما بين 21 - 23 سنة، وأن (31%) من أفرادها من كلية الآداب, بينما (41%)

من أفرادها من ذوي التقدير الجيد، وأن (38 %) من أفرادها المستوى التعليمي لأبائهم عالٍ فما فوق وبنسبة (39 %) من أفرادها المستوى التعليمي لأمهاتهم متوسط، وبالنسبة نفسها أي (39 %) من أفرادها دخول أسرهم ما بين 110-500 دينار، والتي تمثل الدخل المنخفض، بينما (37 %) من أفرادها تقع أسرهم عند الفئة من (6 - 8)، وهي التي تمثل الأسر متوسطة الحجم، بينما (78 %) من أفرادها غير راضيين على طريقة التدريس، واكتشفت الدراسة أن (77 %) من أفرادها أجابوا بأن المحاضرة هي طريقة التدريس الأكثر استخداماً بين الأساتذة الجامعيين، في حين أن (55 %) من أفرادها أجابوا بأن المقررات الدراسية ملائمة لقدراتهم العقلية، كما أكدت النتائج أن (67 %) من أفرادها أجاب بأن تدريس مادة اللغة العربية ضروري في كل المراحل الدراسية.

- نتائج اختبار الفروض: توصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، كما يلي:

1. اكتشفت الدراسة عن وجود علاقة دالة إحصائياً بين مستوى تعليم الأب والتحصيل العلمي للطالب، وأن أعلى نسبة سجلت للطلاب ذوي التقدير الجيد من فئة الآباء الأميين، حيث بلغت نسبتهم 54.8%، بينما سجلت أعلى نسبة للطلاب ذوي التقدير الجيد جداً الذين مستوى تعليم آبائهم عالٍ فما فوق، حيث بلغت نسبتهم 33.3%.

2. افترضت الدراسة وجود علاقة دالة إحصائياً بين مستوى تعليم الأم والتحصيل العلمي للطالب، حيث توصلت إلى أنه لا توجد علاقة بين مستوى تعليم الأم والتحصيل الدراسي للأبناء.

3. اكتشفت الدراسة عن عدم وجود علاقة بين دخل الأسرة الشهري والتحصيل العلمي للطالب.

4. اكتشفت الدراسة عن عدم وجود علاقة بين الرضا عن طريقة تدريس الأستاذ والتحصيل العلمي.

5. افترضت الدراسة وجود علاقة دالة إحصائياً بين مستوى اللغة العربية والتحصيل العلمي للطالب، وكشفت الدراسة عن عدم وجود علاقة بين مستوى اللغة العربية والتحصيل العلمي للطالب.

التوصيات: من خلال النتائج السابقة توصي الدراسة بالآتي:

- ضرورة إعداد دورات تدريبية وتثقيفية لأولياء الأمور من الآباء لتوعيتهم والرفع من مستوى تعليمهم وأن يتم إعداد برامج لتعليم الكبار.

- ضرورة توجيه الآباء لأبنائهم للاستفادة من أوقات الفراغ عن طريق مطالعة الكتب العلمية والثقافية التي تتفق وميولهم.

المقترحات:-

- تقترح الدراسة على الوالدين غرس الأفكار والاتجاهات الإيجابية في أبنائهم والإشادة بأهمية التعليم، وأثره في بناء المجتمعات وازدهارها.

- على الدولة دعم الأسر محدودة الدخل بمشروعات إنتاجية مدرة للدخل لتوفير

- متطلبات العملية التعليمية للأبناء الطلاب.
- تطوير عضو هيئة التدريس لطرق تدريسه بحيث تشجع على التفكير والنقاش والتساؤل والفهم والتطبيق لدى الطالب وليس الحفظ والاسترجاع فقط وحثهم وتشجيعهم على المشاركة الإيجابية في المحاضرات .
 - أن يكون للجامعات دور في رفع شأن اللغة العربية وذلك من خلال وضع استراتيجيات وخطط لتطوير اللغة العربية وتنمية اعتزاز طلابنا في جميع المراحل الجامعية بلغتهم العربية من خلال الندوات والمحاضرات.
 - الاهتمام بما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج باعتبارها مؤشرات ومنطلقات لدراسات أخرى.

قائمة المراجع

الكتب:

1. أحمد، جمعة أحمد، (2006)، الضعف في اللغة تشخيصه وعلاجه، دار الوفاء، الإسكندرية.
2. التقرير الموجز الشؤون الاجتماعية والاقتصادية، الأمم المتحدة، نيويورك، (2004).
3. الحوات، على (1999) تقرير التنمية البشرية في ليبيا، المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، طرابلس.
4. الخير، سناء مهنا (2017)، البيئة الأسرية وأثرها في التحصيل الدراسي للتلاميذ، السودان.
5. الشيباني، التومي، (1990)، التعليم وقضايا المجتمع العربي المعاصر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.
6. الصالح، مصلىح (2004) عوامل التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية، السورق للنشر والتوزيع، عمان.
7. الضبيب، أحمد بن محمد، (2001)، اللغة العربية في عصر العولمة، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض.
8. العكروني، زريق خليفة، (2007)، تدني مستوى التحصيل العلمي في اللغة العربية في المرحلة الثانوية في الجماهيرية العظمى، منشورات جامعة السابع من أبريل، الزاوية.
9. الوائلي، سعاد عبد الكريم، (2004)، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير بين التنظير والتطبيق، دار الشروق، عمان.
10. نصر الله، عمر عبد الرحيم (2004)، تدني مستوى التحصيل الدراسي في المرحلة الجامعية، السورق للنشر والطباعة، عمان، الأردن.

الرسائل العلمية:

1. العشيبي، سعاد على، (2000)، التحصيل الدراسي وفقاً لعادات الاستذكار واتجاهات الطلبة نحو الدراسة بكلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بنغازي.
2. القيادي، لطيفة (1982)، بعض العوامل المؤثرة في التحصيل العلمي في مدينة طرابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الفاتح.
3. سعيد، أحلام محمود (2004)، الذكاء وعادات الاستذكار وعلاقتها بتحصيل طلاب الثانويات التخصصية في مدينة البيضاء وفق بعض المتغيرات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة قاريونس.
4. طنيس، خليفة رمضان، (1998)، بعض المتغيرات الأسرية وعلاقتها بمستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب مرحلة التعليم المتوسط ببلدية الجبل الغربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة طرابلس.

المجلات:

1. العاجز، فؤاد علي، (2002)، العوامل المؤثرة في تدني المعدلات التراكمية لدى بعض طلبة الكليات الإنسانية بالجامعة الإسلامية بمدينة غزة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد (1).
2. الكرش، محمد أحمد، (1998)، بعض العوامل التربوية المؤدية إلى تدني التحصيل العلمي للطلاب في مادة الرياضيات بالمرحلة الثانوية بدولة قطر كما يراها المعلمون والطلاب، مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، السنة (7)، العدد (14).

3. المطوع، نجاة، مصباح عيسى (1986)، أثر استخدام اللغة الانجليزية كوسيلة اتصال تعليمية علي التعليم الأكاديمي، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد (14)، العدد (4).
4. المفيدى، الحسن بن محمد، (1994)، بعض العوامل المؤثرة على تحصيل الطالب الجامعي في كلية التربية جامعة الملك فيصل بالإحساء، مجلة كلية التربية، المجلد الاول، العدد (10).
5. عرابي، حكمت، (1995)، علاقة التحصيل الدراسي للطالبة الجامعية السعودية ببعض المتغيرات الأسرية، مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية، المجلد السابع، العدد (1).
6. عثمان، إبراهيم (1993) الخلفية الأسرية ومعدلات التحصيل الدراسي، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد (21)، العدد (1).
7. نحيلي، علي (2002)، العلاقة بين تحصيل الوالدين علمياً وتحصيل الأبناء دراسة ميدانية في مدينة دمشق، مجلة جامعة البعث للعلوم الإنسانية، مجلد (24)، العدد (1).
- المؤتمرات :
1. بشرى العكايشي كامل الزبيدي، أسباب انخفاض التحصيل الدراسي لدى طلبة الجامعة في العراق، مؤتمر التعثر الأكاديمي للطلاب المسؤولة على من، (2006/3/27-30).
- مقالات المواقع الالكترونية :
1. النصار، صالح بن عبد العزيز، (2007)، ضعف الطلاب في اللغة العربية أدراك المشكلة وتأخر العلاج، كلية التربية، جامعة الملك سعود، صحيفة الرياض، العدد (14179).
Alnassar.s@gmail.com.
2. فرداوي، محمد وآخرون، (2004)، خصائص دخل الأسرة وعلاقتها بخصائص سكنها.
(www.cbssyr.org/studies/saturday(15may2010)

وسائل الإعلام ودورها في عملية التنشئة الاجتماعية

د. هاجر أحمد الشريف
أستاذ مساعد بمدرسة العلوم الانسانية - قسم الخدمة الاجتماعية
الأكاديمية الليبية طرابلس

القبول: 2021 / 10 / 25

الاستلام: 2021 / 09 / 14

المستخلص :

تلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً في عملية التنشئة الاجتماعية والنمو الاجتماعي للفرد والجماعة، خاصة في ظل التطورات التكنولوجية الهائلة التي شهدتها تلك الوسائل من حيث نقل المعلومات والأفكار المعرفية والثقافية والاجتماعية، والتي تساعد في رفع المستوى العلمي والمهني لأفراد المجتمع، وحرصاً على أداء رسالتها المهنية بوضوح وشفافية حيث يؤدي ذلك إلى تغيير الكثير من المفاهيم والتصورات والأفكار لدى الأفراد والشعوب .
الكلمات الدالة : (وسائل الإعلام - التنشئة الاجتماعية) .

Abstract :

The media plays an important role in the process of socialization and social growth of the individual and the community as a whole, especially in light of tremendous technological developments that these means have had on the scientific and professional level of members of society, and in order to performing its professional mission clearly and transparently, as this leads to changing many concepts, perceptions, and ideas among individuals and communities.

Key Words: (Media – Social growth)

مشكلة الدراسة :

تعتبر وسائل الإعلام من أهم وأبرز الوسائل التي تقوم بنقل المعلومات والأحداث والأخبار لأفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم وأنواعهم، ولها دوراً فعالاً في التأثير عليهم بطرق مختلفة والعمل على إقناعهم وتوجيه سلوكياتهم وأفعالهم واتجاهاتهم، فهي لها أهمية في تفعيل عملية التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع المستهدف بهدف ضمان استجابته لها.

حيث تعتبر الأسرة أهم المؤسسات التربوية التي يعتمد عليها المجتمع الليبي في الحفاظ على الهوية الوطنية وتعمل على تحقيق الاستمرار وضبط السلوكيات والتوازن المجتمعي ، وفي عصرنا الراهن تعددت المؤسسات التربوية وهذا ما اثر على دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية ، فقد أحدثت وسائل الاعلام تغيراً كبيراً في نمط العلاقات والتفاعلات داخل المجتمعات الانسانية وداخل الأسرة بشكل خاص والتي لم يعد بإمكانها السيطرة على زمام أمرها فيما يتعلق بتربية الأبناء وتنشئتهم وفق معايير الثقافة الاسلامية .

حيث يعيش المجتمع الليبي تطوراً هائلاً في مجالات التكنولوجيا والمعلومات وتدفقها بصورة غير مسبوقة ، حاملاً في ثناياه ضروباً من القيم الثقافية والمناهج السلوكية المغايرة ، والهدامة لما عند المجتمع من القيم الحضارية وخصوصية ثقافية ، والتي تتمثل في صراع الأجيال ، وفي عمليات الاختراق الثقافي التي تشكل في مجملها معطيات حياتية تنعكس على حركة المجتمعات مما اثر في جميع أوجه الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية .

كما أكدت إحدى الدراسات ” بأن انتشار القنوات الفضائية زاد حدة المنافسة بينها لجذب أكبر عدد من المشاهدين وسلكت من أجل ذلك شتى الطرق والوسائل والبرامج وأصبحت مصدراً وطرفاً فاعلاً في ظهور أنماط جديدة وظواهر خطيرة يخشى أن تسهم في خلخلة النظام الاجتماعي ، وتهدد تماسك المجتمع ، ومن خلال ما تمرره من مضامين ومحتويات ظاهرة أو مخفية كفيلة بحجب اهتمام المشاهدين عن قضاياهم⁽¹⁾ .

كما تنظر النظرية المعرفية إلى أن اكتساب القيم ينشأ من محاولة الفرد تحقيق التوازن في علاقاته الاجتماعية وقدراته العقلية ، وطريقته في التفكير حول الأسئلة التي تتعلق بالصواب والخطأ وفهم ما حوله .

وأشارت العديد من الدراسات الأخرى إلى أهمية تأثير وسائل الإعلام على الأفراد في مجالات مختلفة، كما أكدت نتائج عدد من الدراسات أهمية الدور الذي تمارسه وسائل الإعلام في توجيه السلوك، وتشكيل الإدراك، ويقود هذه التغيرات لتشكيل عقل جديد مختلف معرفياً ووجدانياً وسلوكياً عن الأجيال السابقة .

كما أشارت نتائج دراسة أخرى بتخوف بعض الأسر من تأثير بعض

(1) منيرة عمر الشلي ، الاضطرابات النفسية والسلوكية للأطفال ، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ، الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس السنة الحادية عشر ، العدد (11) ، 2003م ، ص 57 .

الفضائيات على الوظائف الأساسية والوقوع في بعض المشكلات منها (الاجتماعية - الاقتصادية - الصحية) كما أن هناك تأثيرات سلبية أخرى وهي السيطرة على الأسرة بشكل أدى إلى التشويش أفكارهم وعدم القدرة على التعامل مع نمط السلطة داخل الأسرة وكلما زادت ساعات المشاهدات قلت الوظائف الأساسية (2).

إلا أن غالبية هذه التحليلات والدراسات تميل إلى تجاهل المحيط الاجتماعي الذي يتم خلاله التأثير من وسائل الإعلام على المتعرضين لها، وإن سلوكيات الأفراد ليست مجرد ردود أفعال للمواقف بل هي ناتج لقدرتهم على إدراك معاني الرموز وتفسير الواقع أو المواقف، كما لا تبرز هذه الدراسات أنماط وأساليب التفاعل الإيجابي الواعي مع هذه الوسائل الإعلامية وذلك مما يمكن أن تتبناه الأسرة باعتبارها وسيطاً صاعقلاً ومؤثراً بين الفرد ومحيطه الاجتماعي والثقافي. ومن هذا تتبع مشكلة هذه الدراسة من تغيرات تكاد تكون انقلابية على مفاهيم الحياة وأسلوبها، وعليه جاءت هذه الدراسة لإبراز ماهية كل من المفهومين وسائل الإعلام والتنشئة الاجتماعية، والتطرق إلى تأثير هذه الوسائل على المجتمع عامة باختلاف فئاته العمرية، ومنه استنتاج دورها في التنشئة الاجتماعية.

أهمية الدراسة :

1- تتأني أهمية هذه الدراسة من أهمية وسائل الإعلام التي تشكل في عصرنا الحاضر القوة الأكثر تأثيراً في حياتنا وحيوة أبناءنا بسبب التطور التكنولوجي ، وذلك بهدف رصد دور وسائل الإعلام في تشكيل منظومة الأسرة .

2- كذلك أهمية التنشئة الاجتماعية السليمة التي تعتمد عليها منظومة الأسرة في تكوين شخصية الأبناء وتأثرها بوسائل الاعلام المختلفة .

أهداف الدراسة : تسعى هذه الدراسة لتحقيق هدف رئيسي مفاده (التعرف على وسائل الإعلام ودورها في عملية التنشئة الاجتماعية) وتندرج منه مجموعة من الأهداف الفرعية التالية :

- 1) التعرف على أهم وسائل الإعلام التي تؤثر على عملية التنشئة الاجتماعية .
- 2) التعرف على السلبيات المترتبة على الاستخدام الخاطيء لوسائل الاعلام .
- 3) محاولة وضع بعض المقترحات والتوصيات التي قد تفيد الأسرة الليبية لمواجهة السلبيات التي تبتها وسائل الإعلام .

تساؤلات الدراسة : تسعى هذه الدراسة للإجابة على تساؤل رئيسي مفاده (ما دور وسائل الإعلام عملية التنشئة الاجتماعية؟) وتندرج منه مجموعة من التساؤلات الفرعية التالية :

1) ما أهم وسائل الإعلام التي تؤثر على عملية التنشئة الاجتماعية؟

(2) فتحي رمضان السني ، تأثير القنوات الفضائية علي الوظائف الأساسية للأسرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا ، بمدينة طرابلس 2007 .

(2) ماهي السلبيات المترتبة على الاستخدام الخاطئ لوسائل الإعلام؟
منهج الدراسة: لقد اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لأنه أنسب المناهج التي يمكن توظيفها لوصف الواقع بالصورة التي عليها .
النتيجة الاجتماعية: اصطلاحاً: تقديم الاخبار والمعلومات الدقيقة الصادقة للناس،
 والحقائق التي تساعدهم على ادراك ما يجري حولهم وتكوين اراء صائبة في كل ما يهمهم من امور .⁽³⁾
وسائل الإعلام: أداة تسمح بالاتصال بين طرفين وهما الإعلامي والجمهور أو المرسل والمستقبل من خلال استعمال العديد من الوسائل الإعلامية المتنوعة التي تنقل المعلومات والحقائق والرسالة الاعلامية بينهما .⁽⁴⁾
 - النظرية العقلية المعرفية :

النظرية العقلية هي استخدام ملكة التفكير المنطقي لعلاج مشكلات الإنسان من خلال تصحيح معارفه وأفكاره وأساليبه في التفكير.⁽⁵⁾
 كما أنها مجموعة من المفاهيم تتعلق بطريقة تنمية قدرة الفرد الفكرية والعقلية في الاستقبال والمعالجة ، وتمثل أنماط التفكير والمعتقدات الفردية وارتباطهما بالسلوك الإنساني محور تركيزها حيث تؤكد على أن السلوك الإنساني في معظم جوانبه سلوك مكتسب عدا بعض الانعكاسات الغريزية ، وكذلك التي تنشأ من التأثيرات الخارجية ، ولذا فإن الإنسان يستطيع أن يتعلم سلوكيات جديدة لمقابله احتياجاته .⁽⁶⁾

كما أن أصحاب المنظور المعرفي ينصب اهتمامهم على البناء المعرفي ودوره في القيم فقد فسروا السلوك وفق العمليات العقلية ، والتي على أساسها يقوم الفرد بتفسير العالم من حوله، ولم يغفل أصحاب هذا المنظور دور المجتمع في ظهور القيم إذ أن ظهورها يكون محكوماً بهدف الحصول على شيء معين ، وأن الحكم على المواقف يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفرد ، وبملاقاته الاجتماعية وقدراته العقلية .

حيث اتفق أصحاب النظرية العقلية المعرفية مع النموذج التطوري في تفسير وظائف الإعلام ويتضمن الافتراضات :⁽⁷⁾

- 1 - النظر إلى المجتمع باعتباره مجموعة من الأجزاء المترابطة ، وانه تنظيم يضم الأنشطة المترتبة المتكررة والنموذجية .
- 2 - يتعرض المجتمع باستمرار للتغيير حيث تصبح أشكاله الاجتماعية مختلفة ومتميزة .

(3) عبدالرازق محمد الدليمي - المدخل الى وسائل الاعلام والاتصال - دار الثقافة للنشر - عمان 2011 - ص "17 - 18".

(4) حنا عيسى ، الأعلام القوي دعامة أساسية للدولة ، مجلة دنيا الوطن الإلكترونية ، 19 / 7 / 2016م .

(5) عقيل حسين عقيل ، وحيدة علي الهادي ، خدمة الفرد قيم وحدائق ، طرابلس ، دار الحكمة ، 2006 ، ص 26 .

(6) سمير حسن منصور ، واقع استخدام البحث العلمي في الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية ، دراسة تطبيقية على بعض مجالات الممارسة ، ص 141 .

(7) منال أبو الحسن ، علم الاجتماع الإعلامي - النظريات والوظائف والتأثيرات ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، 2006 ، ص 104-105 .

- 3 - الاشكال الاجتماعية الجديدة التي تساعد الناس على تحقيق أهدافهم ولا تتعارض مع القيم الموجودة وتصبح أجزاء ثابتة من المجتمع المتطور.
- 4 - يتم نقل الاشكال الاجتماعية الجديدة من المجتمعات أخرى عن طريق الأفراد الذين يبحثون عن وسائل أكثر فعالية لتحقيق الاهداف التي يعتبرونها مهمة .
- مفهوم التنشئة الاجتماعية :

التنشئة الاجتماعية عبارة عن إعداد الأفراد وتأهيلهم عن طريق ربطهم مع المجتمع وجعلهم جزءاً لا يتجزأ منه ومكوناً من المكونات البشرية فيه، وتعرف أيضاً بأنها العملية التي يكتسب فيها الإنسان مجموعة من المهارات الاجتماعية، التي تعتمد على الخبرة المعرفية والإدراكية المرتبطة بكل مرحلة من مراحل العمرية، وتساعده على التكيف مع البيئة المحيطة به، وتحقيق المعنى الحقيقي للتواصل الاجتماعي بينه وبين الأشخاص الآخرين المحيطين به.

فالتنشئة كعملية مستمرة لا تقتصر فقط على مرحلة عمرية محددة وإنما تمتد من الطفولة، فالمرهقة، فالرشد وصولاً إلى الشيخوخة ولهذا فهي عملية حساسة ولا يمكن تجاوز أي مرحلة لأن لكل مرحلة تنشئة خاصة تختلف في مضمونها وجوهرها عن سابقتها، ولا يكاد يخلو أي نظام اجتماعي صغيراً كان أم كبيراً وأي مؤسسة رسمية أو غير رسمية من هذه العملية ولكنها تختلف من واحدة إلى أخرى بأسلوبها لا بهدفها ومن أبرز مؤسسات التنشئة الاجتماعية نجد الأسرة، التي تعتبر البيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد وتبنى فيها الشخصية الاجتماعية باعتبارها المجال الحيوي الأمثل للتنشئة الاجتماعية والقاعدة الأساسية في إشباع مختلف حاجات الفرد المادية منها والمعنوية بطريقة تسير فيها المعايير الاجتماعية والقيم الدينية والأخلاقية وذلك من خلال إتباع الوالدين مجموعة من الأساليب في إشباع حاجات أبنائهم .

أشكال التنشئة الاجتماعية : (8)

تعتبر التنشئة الاجتماعية السليمة صمام الأمان للأسرة والتي من شأنها تحول الإنسان إلى كائن اجتماعي قادر على التفاعل والاندماج بسهولة مع أفراد المجتمع، ويشاركها في ذلك المؤسسات الرسمية كالمدرسة والغير رسمية كالمساجد والمؤسسات الثقافية والاجتماعية .

وهناك نمطان أو شكلان من التنشئة الاجتماعية : تنشئة اجتماعية مقصودة (ممنهجة) أي لها منهاج وطريقة رسمية تتبعها كالمدرسة مثلاً وتنشئة اجتماعية غير مقصودة (عشوائية)، أي لا تعتمد على منهاج وطريقة محددة في تحقيق التنشئة الاجتماعية كالأسرة وغيرها.

التنشئة الاجتماعية المقصودة : يتم هذا النمط عن طريق الأسرة والمدرسة، حيث يتعلم الأبناء اللغة وأداب الحديث والسلوك والمعايير والاتجاهات عن طريق

(8) رشيد حسن أحمد البدرابي، "الاتجاهات النفسية نحو عمل المرأة السياسي والاجتماعي وعلاقتها بالتنشئة الأسرية"، دار جريس، الأردن، 2013.

الأسرة (التعلم غير الرسمي)، فهي الأداة التي تعمل على نقل المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم السائدة بعد أن تترجمها إلى أساليب التنشئة الاجتماعية وهي التي يعهد إليها المجتمع بالحفاظ على هويته وضبط سلوكيات أفرادها لتأمين استقراره، كما أن التعلم المدرسي الرسمي يكون تعليماً مقصوداً يعمل على تربية الأطفال وتنشئتهم من خلال الخبرات المنظمة التي تفرض نوعاً معيناً من التنشئة الاجتماعية.

التنشئة الاجتماعية غير مقصودة: يتم هذا النمط عن طريق المسجد ووسائل الإعلام والإذاعة والتلفاز والسينما والمسرح وما إلى ذلك، حيث يتعلم الفرد المهارات والأفكار والمعايير الاجتماعية والاتجاهات والعادات المتصلة بالحب والكره والنجاح والفشل والتعاون وتحمل المسؤولية، وتتحقق التنشئة الاجتماعية السوية بفعل تلك الخبرات التي يكتسبها الفرد من خلال ممارسته لتلك الأنشطة.

- خصائص التنشئة الاجتماعية: هناك العديد من الخصائص التي تعنى بها عملية التنشئة الاجتماعية من أهمها ما يلي: ⁽⁹⁾

• عملية تعلم اجتماعي: وهي عملية نمو وتحول من طفل يعتمد على غيره إلى فرد ناجح يتحمل المسؤولية، ومن خلالها يتعلم العادات والتقاليد والقيم والأدوار.

• عملية تحركية وفي تفاعل دائم ومتغير: بحيث يصبح الفرد مكتسباً للثقافة التي يعيشها ومن ثم ينقل هذه الثقافة للآخرين.

• تعدد وتنوع مؤسساتها وأساليبها: الأماكن التي تتم بها عملية التنشئة الاجتماعية المقصودة وغير المقصودة متنوعة فهناك الأسرة الصغيرة، العائلة، القبيلة والدولة، والمدرسة والمعهد والجامعة، ودور العبادة وأماكن العمل، ووسائل الإعلام على اختلاف أنواعها والنوادي الرياضية والاجتماعية والثقافية والثقافة المجتمعية.

• عملية مستمرة: تبدأ بالحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها، إلا أنها تختلف في الدرجة وليس النوع في الفترة المتأخرة من حياة الفرد.

• عملية إنسانية، يتميز بها الإنسان، ولا بد من تحقيقها.

• عملية تلقائية، ليست من صنع الفرد أو المجموعة، وإنما من صنع المجتمع.

• عملية نسبية: تخضع لأثر الزمان والمكان.

• عملية عامة منتشرة في جميع المجتمعات، وتختلف من مجتمع لآخر

- أهمية وأهداف التنشئة الاجتماعية:

1. تعد عملية التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات المهمة التي تخص الفرد في مختلف مراحل حياته، وذلك لتحقيق تنشئة اجتماعية سوية وتنمية شخصية الأبناء لكي يكونوا أسوياء وصالحين في المجتمع، لذا لا بد من الإشارة

(9) إبراهيم عبدالله ناصر، علم الاجتماع التربوي، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، 2011، ص 89-90.

إلى أهمية هذه العملية والأهداف التي ترمي إليها ويمكن تلخيصها في أهم النقاط التالية :

2. اكتساب المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك وتوجهه ، فلكي يحقق المجتمع أهدافه وغاياته فإنه يقوم بغرس قيمه واتجاهاته في الأفراد .
3. تعليم الأدوار الاجتماعية التي يشغلها ويمارسها الأفراد والجماعات وتختلف باختلاف السن والجنس والمهنة ، وكذلك باختلاف ثقافة المجتمع .
4. الضبط الاجتماعي لتوجيه وضبط السلوك الافراد وفقاً لوسائل الضبط العرفية والقانونية المتمثلة في الدين والأسرة والمدرسة لتحقيق الامن الاجتماعي .

- وسائل الاعلام والتنشئة الاجتماعية :

يقصد بوسائل الإعلام المؤسسات الأهلية، والحكومية الرسمية وغير الرسمية التي تنشر الثقافة وتعرف وترسخ لدى الأفراد تراث المجتمع والقيم والعادات والتقاليد، وتعني بالنواحي التربوية كهدف لتكيف الفرد مع الجماعة إذ تعتبر عنصر أساسي من عناصر التنشئة، ومن هذه المؤسسات (الإذاعة المرئية والمسموعة والصحف ودور السينما والمسرح) .

ولوسائل الإعلام دور كبير في التنشئة الاجتماعية فهي تعتبر من أهم المؤثرات والموجهات التي تساهم في توجيه سلوك الأفراد ضمن بيئة معينة، وتجعلهم يكتسبون مجموعة من المعارف والمعلومات حول شيء ما، لذلك ساهمت هذه الوسائل في التأثير في التنشئة الاجتماعية بشكل واضح ومباشر، خصوصاً مع التطورات الحديثة التي شهدتها أغلب قطاعات الإعلام المرئي، والمسموع، والمقروء، وهذا ما ظهر وأضحاً في مواكبتها لتكنولوجيا المعلومات الحديثة في التوجيه الفكري للأفراد.

حيث أصبحت وسائل الإعلام قوة حضارية مذهلة ذات تأثير كبير علي كل أفراد المجتمع ، فهي تعبر عن ظروف المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتنقل صوراً من واقع المجتمعات الأخرى في شتى أنحاء العالم ، وهي أيضاً تحدث تأثيراً مباشراً على الفكر البشري من خلال تزويد الأفراد بالمعلومات عن طريق الاعتماد على الصوت، والصورة، والكتابة في توصيلها لهم،⁽¹⁰⁾ ومن هنا يبدأ تأثيرها على التنشئة الاجتماعية مستخدمة في ذلك تكنولوجيا عصرية تتطور بين الحين والآخر بما في ذلك أثاره المشاهد وإقناعه و السيطرة علي ذهنه وذوقه ويمكن القول بان وسائل الإعلام في العصر الحديث أصبحت هي المحرك الحقيقي لقيم وسلوك واتجاهات المجتمعات مهما بلغت درجة تقدمها وتطورها .

و كما أكد (مولود الطبيب) في دراسته بأن وسائل الأعلام قد امتد أثرها لنقل أخبار ومعلومات عن مجتمعات العالم ككل وخاصة ما نراه اليوم من تقدم تكنولوجي ساهم في جعل العالم وكأنه وحدة واحدة .⁽¹¹⁾

(10) هالة حجاجي عبدالرحمن ، دور معلمة رياض الاطفال في ضوء المتغيرات المعاصرة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، جدة ، 2019م ص 56 - 58 .

(11) مولود زايد الطبيب ، التنشئة السياسية دورها في تنمية المجتمع ، المؤسسة العربية الدولية للنشر ، عمان ، 2001 ، ص 88 .

ولكن في العصر الراهن أصبحت وسائل الإعلام من مؤسسات التربية التي من غير الممكن ضبطها وتوجيهها ذلك لأن غالبية هذه الوسائل تنقل ثقافات من خارج المجتمع، كما يسعى عدد كبير منها لتحقيق أهداف ومصالح تجارية لأفراد ومؤسسات لا تعير اهتماماً لمختلف المعايير والقيم الأخلاقية التي تميز ليس فقط ثقافة المجتمع بل عناصر مشتركة في أديان وثقافات مختلفة للمجتمعات الإنسانية، وتنشئتهم تنشئة تتلاءم مع خصوصية مجتمعنا الليبي، ومن هنا فان توفر الأمن الأسري للأسرة الليبية بات أمراً ضرورياً وملحاً لحمايتها من التغيير الثقافي والاجتماعي الذي طال البنية الاجتماعية والاخلاقية وفق النموذج الغربي والذي يسوق له الاعلام المرئي .

كما أثبت أحد الدراسات أن التطور التكنولوجي قد قدم لوسائل الإعلام والاتصال أشكالاً وأفكاراً جديدة بحيث تؤكد الدراسات التي تم إجرائها، أن الطفل في عصر المعلومات، يحمل من الأفكار ما يماثل مرحلة من مراحل الإنجاز الفكري والعلمي، وجعله ينظر إليها كمصدر تربوي، ومرجعية فكرية ومعلوماتية. كما أدى ذلك إلى ظهور علاقات اجتماعية جديدة، وقيم سلوكية حديثة، واتجاهات وعادات لم تكن موجودة، قد تتفق وقد تتعارض مع الإطار الثقافي والقيمي لمجتمعنا و للإعلام عموماً أهمية كبيرة لا يمكننا أن ننكرها، رغم ما قد يحمله من سلبيات أخرى.⁽¹²⁾

فالتنشئة في عصر وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، تختلف عن ما قبل انتشار هذه الوسائل الحديثة، لما تحمله من خصائص مغايرة، وتأثيرات قوية ومباشرة. فقد أصبحت الأسرة تنظر إلى هذه الوسائل من منظور تربوي، قادرة على مساعدة الوالدين في الاستعانة بها في تنوير المساعي التربوية للأسرة. فالمعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام والاتصال تمثل بالنسبة للوالدين قيمة مضافة لإنتاج المعرفة للطفل والعامل الاساسي في الحياة الاجتماعية، والتوجه الذي قد يسلكه الطفل في حياته المستقبلية.

وعندما ترتقي وسائل الإعلام يكون من بين وظائفها إدارة الرأي والشوري حول القضايا العامة، والمساعدة على انجاح وتنمية المشاريع العامة وحين تبلغ شأناً يكون أهم وظائفها تحقيق الشرعية العليا، تربية الأمة وترسيخ قيمها ومثلها، فضلاً عن دفع ألوان الغزو الفكري عنها.⁽¹³⁾

أنواع وسائل الإعلام :⁽¹⁴⁾

وسائل الإعلام المطبوعة :

هو مصطلح يعبر به عن جميع وسائل الاتصالات المكتوبة بخط اليد، أو

(12) ايكوفان شفيق، دور وسائل الإعلام والاتصال في عملية التنشئة الاجتماعية، مجلة مجتمع تربوية عمل، العدد (1) جوان، 2016، ص 10.

(13) محمد علي الفوزي، نشأة وسائل الاتصال وتطورها، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2007، ص 26.

(14) المرجع سابق، ص 31.

بغير خط اليد، والمصورة بطريقة ميكانيكية، أو إلكترونية بجميع أشكالها، ومن أهم وسائل الإعلام المطبوعة ما يأتي:

• الكتب: لم تكن الكتب من وسائل الإعلام في السابق، بل كانت مخصصة لنخبة الشعب؛ لأسباب كان أهمها أن الكتب لم تكن حينها مطبوعة بل مخطوطة، بالإضافة إلى أن نسبة الإمام بالقراءة، والكتابة كانت متدنية، مما سبب احتكارها لصالح فئة معينة من الناس، ومن الجدير بالذكر أن الكتب لم تستخدم كوسيلة إعلام حتى القرن التاسع عشر، لتتجاوز ذلك في وقتنا الحاضر بعد أن أصبحت أداة للتعليم، وحفظ المعلومات، ونقلها أيضاً.

• الصحف: تعد الصحف من أهم وسائل الإعلام، وأكثرها فعالية، وقد نشرت أول صحيفة في ألمانيا، لتمتد بعدها لأنحاء العالم كافة، لما لها من دور في توفير المعلومات، وتبسيطها للقراء، وبناء الرأي العام، والتعليم، وتوفير المتعة، والتسلية، والإعلانات.

• المجلات: تنشر المجلات بشكل دوري على شكل مجلدات، وتمتاز المجلات عن الصحف بغلاف مزدوج، وورق ذي جودة عالية، ولكنها تتشابه معها بالاستخدامات.

وسائل الإعلام المسموعة والمرئية :

• الراديو: وما يعادله في العصر الحديث كالملفات الصوتية.
• الفيديوهات: يعبر بهذا المصطلح عن كل محتوى يشتمل على الأفلام مثل التلفاز السينما، وأشرطة الفيديو الترويجية، والإعلانات التجارية، ومواقع تبادل ملفات الفيديو.

• وسائل التواصل الاجتماعي: تشمل الأدوات الرقمية التي تتيح التواصل بين الناس وإنتاج، ومشاركة المحتوى.

• الألعاب: أي الألعاب الرقمية، والبيانات الافتراضية.

• الإنترنت: تتزايد أهمية الإنترنت في الحياة اليومية للأفراد حول العالم فهو شبكة عالمية تتكون من مجموعة من المواقع الإلكترونية المختلفة التي يتم الوصول إليها عبر الإنترنت، ويتكون الموقع الإلكتروني من النصوص، والصور، وغيرها من المصادر الأخرى، كما أن المواقع الإلكترونية تشبه وسائط إعلام أخرى مثل المقالات الصحفية، أو البرامج التلفزيونية، أو الوسائط التفاعلية، وتتعدد أغراض هذه المواقع فقد تكون منصة للأخبار، أو لنشر الإعلانات، أو مكتبة إلكترونية، أو منبراً لمشاركة الصور، ونشرها، أو مواقع تعليمية، كما لها القدرة على التواصل بشكل سريع، ومن الوسائل التي يتم التواصل من خلالها البريد الإلكتروني فهو من أقدم الطرق العالمية، وأكثرها استخداماً في التواصل، ومشاركة المعلومات وكذلك وسائل التواصل الاجتماعي تتيح التواصل بين الناس بطرق شتى، لبناء مجتمعات إلكترونية وخاصة فئة المراهقين والشباب .

ونلخص من هذا كله أنه لا غناء عن وسيلة أو أخرى وأن اختلفت درجة تأثيرها وقوة فاعليتها ، وطالما مشارب الناس مختلفة ودرجة حضارة الشعوب وثقافتها متباينة سوف تظل النظرة إلى وسائل الاعلام من دولة إلى أخرى مختلفة .⁽¹⁵⁾

و تعتبر من أهم المؤسسات الاجتماعية والثقافية وأخطرهما في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال والناشئة، بما تحمله من مثيرات جذابة، ومؤثرات فاعلة، وبما تتضمنه من معلومات وخبرات وسلوكيات تقدمها عبر أحداثها وشخصياتها، بطريقة مغرية تجذب انتباه القراء والمستمعين والمشاهدين لموضوعات وسلوكيات ومواقف مرغوب فيها .

وإن كافة وسائل الاعلام المسموعة والمرئية والمطبوعة تلعب دوراً بارزاً في تكوين شخصية الفرد وتطبيعته الاجتماعي على أنماط سلوكية معينة، فهناك من يرى أن الدور الفاعل لكافة وسائل الاعلام يبدأ مع الطفل عندما يصل إلى مرحلة الإدراك، وهناك من يرى أن هذا الدور يسبق هذه المرحلة بكثير، إذ يبدأ من مرحلة تعليم وتثقيف الوالدين حول الكيفية التي تساعداهما في إنجاب الطفل معافى سليم عند حدوث الحمل، وتمتد بعد ذلك أدوار وسائل الاعلام في توجيه الأبوين حتى يصلوا إلى المرحلة التي تخاطب فيها مباشرة، وهنا تبرز أهمية البرامج الاعلامية الموجهة للطفل وتأثيرها الكبير وإسهامها الفاعل في التنشئة الاجتماعية ، ومن ثم الاسهام في بلورة اتجاهاته وقدراته وسلوكياته بما يخدم أهداف المجتمع .⁽¹⁶⁾

وظائف الإعلام :

للإعلام عموماً أهمية كبيرة لا يمكننا أن ننكرها، رغم ما قد يحمله من سلبيات أخرى، وهو ما جعله يصنف من بين المؤسسات الفاعلة والمدعمة للتربية من منظور الأسرة. ويتضح ذلك من خلال الوظائف والأدوار المتعددة التي يقدمها للأفراد والجماعات، والتي نذكر من أهمها:

أولاً : الوظائف الأساسية : يقوم الإعلام بوظائف أساسية باعتباره نشاطاً فردياً وجماعياً، ويشمل كل الأفكار والحقائق والبيانات، و المشاركة فيها ويمكن تحديد الوظائف تحديد الأساسية التي يؤديها الاتصال والإعلام في أي نظام اجتماعي،⁽¹⁷⁾ ومن هنا يمكن تحديد الوظائف الأساسية التي يؤديها الإعلام المرئي بشكل عام في أي نظام اجتماعي علي النحو التالي :

1. الوظيفة الإخبارية : هي نشر الحقائق والإخبار الصحيحة حول كل ما يدور في الساحة العالمية مع محاولة رفع درجة التفاعل مع الأحداث واتخاذ الطرق الحديثة لجمع البيانات والمعلومات وتخزينها بغرض الاستفادة منها في تحقيق حاجات المجتمع ، و ذلك عن طريق النقاش والحوار وتبادل وجهات

(15) شاكر إبراهيم ، الإعلام ووسائله ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، مؤسسة آدم للنشر والتوزيع ، 1975 . ص 124 ،

(16) جميل خليل محمد، الاعلام والطفل، دار المعتز، الأردن، 2014، ص431.

(17). محمد محمود ذهبية ، الإعلام المعاصر ، عمان : مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع . 2010 ، ص 42 .

- النظر للوصول إلي القرار الأمثل وتطبيقه تطبيق سليم , و يتم كل هذا في
خلل تدعيم التعاون والتآزر والتكامل بين الأفراد المجتمع .⁽¹⁸⁾
2. الوظيفة التثقيفية : الإعلام يهدف إلي تثقيف الناس من خلال إعلام هادف
ينقل الإنسان من الجهل إلي الإعلام بالشيء و المعرفة به , كالبرامج الزراعية
التثقيفية , وبرامج البيئة , ومهما كانت أشكال التثقيف العام فوسائل
الإعلام علي تنوعها من ندوة إلي الإذاعتين مروراً بالكتاب وغيرها وإنما هي
وسائل التثقيف وزيادة الاطلاع وتعميق الثقافة .⁽¹⁹⁾
3. الوظيفة الترفيهية : يعد الترفيه أحد الأمور ذات التأثير الكبير والواضح التي
تقوم بها وسائل الإعلام والاتصال، حيث تعتبر مصدراً للخيال، ومنفذاً للهروب
من الواقع ، وأحياناً تكون وسائل الإعلان والاتصال أفضل طريقة لمشاركة
عدد كبير من الجمهور للفكاهة أو قصة شيقة، من خلال الإعلانات وتعتبر
محطات المذيع أيضاً مثلاً على وسائل الإعلام والاتصال الموجودة في الغالب
للترفيه عن المستمعين، وأيضاً تهدف وسائل الإعلام إلى نشر الثقافات المختلفة
، من خلال عرض بعض الممارسات الثقافية المختلفة، مما يؤدي إلى كسر
حواجز الاختلاف بين الشعوب والقدرة على تفهم بعضها.⁽²⁰⁾
4. منتدى لنقاش القضايا المهمة: في بعض الصحف والمجلات يتم السماح للقراء
بالرد على الصحفيين، والتعبير عن آرائهم حول القضايا المطروحة منهم،
وفي الوقت الحالي يعتبر الإنترنت وسيلة ديمقراطية تسمح لجميع الأشخاص
بالتعبير عن آرائهم، ونشرها من خلال التدوين أو تسجيل فيديو.
5. نشر الوعي : من أشكال وسائل الإعلام التي تحاول في كثير من الأحيان
تحقيق هدف نشر الوعي ، هي الكتب، أو الشعر، مثال عليها الأفلام
الوثائقية، حيث يمكن لشركة ما وضع فيلم وثائقي ليس فقط للإعلام،
أو الإقناع، أو الترفيه، ولكن أيضاً لاطلاع الجمهور على الموقف الحالي ونشر
الوعي، إضافة إلى ذلك فإن خلق وعي عام بشأن القضايا المهمة في الوقت
الحالي يتوقف على وسائل الإعلام والاتصال؛ مثل نشر الوعي في انتشار
بعض الأمراض المعدية ، وعملية التطعيم، وقضايا الفساد، وانتشار التلوث،
والانفجار السكاني، وغيرها من القضايا التي تحتاج إلى وعي كبير من قبل
الناس.⁽²¹⁾

وقد كان التطور في هذه الوسائل الإعلامية مذهباً، جعل المدن تقترب وتتداخل
عبر شبكة من الاتصالات والأطراف الضوئية، وتتخطى حواجز الزمان والمكان،
وأصبح الإعلام أحد محددات السلوك، أو أحد العوامل المؤثرة فيه بقوة. ووضحت

(18) عواشة محمد حقيق ، الرأي العام بين الدعاية والإعلام ، طرابلس : الجامعة المفتوحة ، 1998 ، ص 101 .

(19) محمد عمر الحجاجي ، عولة الإعلام الثقافية ، دمشق : دار الكتب للطباعة و النشر و التوزيع ، 2002 ، ص 26 .

(20) محمد صاحب سلطان، وسائل الاعلام والاتصال دراسة في النشأة والتطور ، دار المسيرة للطباعة والنشر ، 2012 ، ص 107

(21) محمد صاحب سلطان، وسائل الاعلام والاتصال دراسة في النشأة والتطور ، مرجع سابق ، ص 107

وسائل الإعلام الأخرى ذات تأثير لا يقاوم على سلوك الأبناء، وأمام هذا الدور الإعلامي المؤثر في التفكير والقيم والسلوك والعواطف، أصبح من الضروري أن تتكاتف جهود التربويين والإعلاميين لتعزيز مسيرة الإعلام وتطوير دوره في المجتمع المعاصر. (22)

ثانياً : الوظائف الثانوية للإعلام : هناك وظائف ثانوية إلى جانب المؤسسات الاجتماعية الأخرى : (23)

1. وظيفة التنشئة الاجتماعية : تنحصر هذه الوظيفة في توفير رصيد مشترك من المعرفة , ويمكن الأفراد من إن يعملوا كأعضاء ذوي فعالية في المجتمع الذي يعيشون فيه ودعم التآزر والوعي الاجتماعيين و بذلك تكفل مشاركة نشطة في الحياة العامة.
 2. وظيفة تنشيط الدوافع : يقصد بذلك إن التلفاز يسهم في دعم الأهداف المباشرة والنهائية لكل مجتمع وتشجيع الاختيارات الشخصية و التطلعات ودعم الأنشطة الخاصة بالأفراد والجماعات و التي تتجه نحو تحقيق الأهداف المتفق عليها .
 3. وظيفة الحوار : لاشك إن التلفاز يسهم في تقديم الحقائق اللازمة لتوضيح مختلف وجهات النظر حول القضايا العامة وتوفير الأدلة الملائمة والمطلوبة لدعم الاهتمام والمشاركة علي نحو أفضل بالنسبة لكل الأمور التي تهم المجتمع محلياً وإقليمياً وعالمياً .
 4. وظيفة التربية : يبرز دورها في نشر المعرفة علي نحو يعزز النمو الثقافي والفكري وتكوين الشخصية واكتساب المهارات والقدرات في كافة مراحل عمر الإنسان .
 5. وظيفة التنمية الاقتصادية : يحاول التلفاز من خلال برامجه المتنوعة نشر الثقافة والمحافظة علي التراث والتطوير الثقافي عن طريق توسيع آفاق الفرد والمجتمع وإشباع الحاجات لجمالية , وتنمية القدرة علي الإبداع والابتكار .
 6. وظيفة تحقيق التكافل الاجتماعي : تتمثل هذه الوظيفة في توفير الفرص لكل أفراد المجتمع المحلي والدولي بما يكفل لهم الوصول إلي وسائل متنوعة تحقق حاجاتهم في التعارف والتعريف علي ظروف معيشة الآخرين ووجهات نظرهم وتطلعاتهم .
- ويقوم الإعلام بدور شديد الأهمية في عملية التنشئة الاجتماعية حيث أنها أكثر مؤسسات التنشئة وجوداً وتنوعاً وتقللاً ولا يخلو بيت منها ، ومن أهم وظائفها :

1. يساعد الإعلام على الاطلاع والمعرفة حول كافة الأخبار، والأحداث التي تجري حول العالم، والأنشطة الاجتماعية في كل مجتمع ، ونمط الحياة والترفيه المختلف والمتنوع .

(22) حسين المصطفى ، الإعلام وبناء الأسرة ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، 2010 م ، ص 56 - 62 .

(23) محمد محمود ذهبية ، الإعلام المعاصر ، مرجع سابق ، ص 45 .

2. يعمل الاعلام كوسيط بين الجهات الرسمية الحكومية و المواطنين، من خلال برامج الشكاوى، إلى جانب التقارير الصحفية والقصص الواقعية الاطلاع على معاناة المواطنين واخذ القرارات اللازمة، وحل مشاكل المواطن.
3. يقوم الاعلام ببعض الوظائف التجارية كالإعلانات التجارية، والتسويق، الترفيه، ويشمل ذلك تقديم المسلسلات والأعمال الدرامية المختلفة، والأغاني والموسيقى، والفعاليات الرياضية.
4. كما يساعد الاعلام في التعليم، حيث يوجد العديد من الفضائيات التي تهتم بشرح المناهج التعليمية .
5. إغراء الناس واستمالتهم بما يتفق مع رغبة موجه الرسالة الإعلامية .
6. يلعب الاعلام دور هام في عملية التوجيه، وذلك عبر البرامج الإذاعية التي تتحدث عن حقوق الميراث للمرأة، أو المقالات العمودية التي يكتبها البعض في الصحف ، أو في الزوايا الإلكترونية للمواقع الإعلامية، الاجتماعية، أو السياسية، أو العامة والمنوعة.

ثالثاً : الأساليب التي تستخدمها وسائل الاعلام في التنشئة الاجتماعية : (24)

- هناك العديد من الأساليب التي تتميز بها وسائل الاعلام المتنوعة في تحقيق التنشئة الاجتماعية للطفل من أهمها ما يلي:
- التكرار: إذ تعتمد وسائل الاعلام على إحداث تأثير معين عن طريق تكرار أنواع معينة من العلاقات والشخصيات والأفكار والصور: القصص، الكتب ومجلات الأطفال، الإذاعة والتلفاز...الخ.
 - الجاذبية : ممّا يضاعف أثر التكرار تنوع الأساليب التي تشدّ الأطفال إلى وسائل الاعلام المختلفة، وأساليب الجذب تزداد مع تقدّم التقنيات وانتشار أجهزة الاعلام الحديثة وزيادة عدد من يتعرضون لها من الأطفال.
 - الدعوة الى المشاركة : قد يلجأ بعض الاعلاميين ووسائل الاعلام إلى دعوة الأطفال إلى المشاركة الفعلية إما بالكتابة أو بالرسم .
 - عرض النماذج: قد تكون نماذج شخصية يتمثل فيها سلوك معين لشخص يشغل مكانة اجتماعية معينة

فالإعلام يقوم بدور بارز وفعال في عملية التنشئة الاجتماعية لما يملك من خصائص تعزز من دوره، منها: جاذبيته التي تثير اهتمامات النشء، وتملاً جانباً كبيراً من وقت فراغهم، خاصة وأنها تعكس الثقافة العامة للمجتمع، والثقافات الفرعية للفئات الاجتماعية المختلفة، وتحيط الناس علماً بموضوعات وأفكار ووقائع وأخبار ومعلومات ومعارف في جميع جوانب الحياة، بالإضافة إلى أنها تجذب الجمهور إلى أنماط سلوكية مرغوب فيها، وتحقق له المتعة بوسائل متنوعة على مدار الساعة بما يشبع حاجاته. لقد استطاع الإعلام أن يغزو البيت والشارع والمدرسة ويحدث تغييراً كبيراً في القيم، وإذا لم يواجه ذلك بعملية

(24) صالح محمد أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة، الأردن، ص 234،235

تربوية منظمة تواكب هذا التطور المذهل، فسوف يؤدي إلى التخبط والعشوائية بل والضياع في عملية التنشئة الاجتماعية. (25)

استنتاجات الدراسة :

- 1- أن وسائل الإعلام تلعب دوراً كبيراً في مجتمعاتنا.
- 2- أن الأسرة لها دور كبير - قد يزيد، وقد ينقص- في التأثير على دور هذه الوسائل، لذا فإنه من الضرورة بمكان تزويد الأسرة ببعض التوصيات والخطوات التي تساعد في إكساب أفرادها منذ طفولتهم المبكرة مهارة التفاعل الواعي مع وسائل الإعلام، بحيث يصبحون مؤثرين بها أيضاً وليس فقط مجرد متأثرين.
- 3- أن سلامة المجتمع وقوة بنيانه وتقدمه وازدهاره وتماسكه مرتبط بسلامة الصحة النفسية والاجتماعية لأفراده ، فالفرد داخل المجتمع هو صانع المستقبل وهو المحور والمركز والهدف والغاية المنشودة .
- 4- إن المجتمع الواعي هو الذي يضع نصب عينه قبل اهتماماته بالإنجازات والمشاريع المادية الفرد كأساس لازدهاره وتقدمه الاجتماعي، وحتى يكون هذا الفرد عضواً بارزاً في تحقيق التقدم الاجتماعي لا بد الاهتمام بتنشئته الاجتماعية السليمة .

التوصيات :

1. ضرورة تحديد الأهداف الإعلامية التي ترتبط بحياة أفراد المجتمع .
2. الالتزام والحرص على منظومة القيم التي ينبغي أن تؤكدها مضامين وسائل الإعلام الموجهة للأبناء (قيمة العلم - قيمة الأبداع - قيمة العمل الجماعي) .
3. استخدام الوسائل الإعلامية ضمن أهداف محددة وروية واضحة واعية - وبأساليب فنية مشوقة وبمعرفة واعية لمضامين ما تقدمه الوسائل الإعلامية .
4. اختيار القائمين عليها ، والتقويم المستمر للمحتوى والأسلوب ، والانتباه للغزو الإعلامي والثقافي المدمر للمجتمع الليبي .
5. علينا الانتباه للخلل الذي سببه الإعلام في بيوتنا ومجتمعاتنا العربية للحفاظ على ديننا وثقافتنا وعاداتنا وتقاليدنا ، وزرع ثقافة تربوية تحد من الاستخدام المفرط لوسائل الاعلام بالإضافة إلى مراقبة أبنائنا في ما يتعرضون له من مضامين إعلامية مدمرة للأسرة والمجتمع .

(25) حسين المصطفى ، الإعلام وبناء الأسرة ، مرجع سابق ، ص 56-62 .

قائمة المراجع :

- 1 إبراهيم عبدالله ناصر، علم الاجتماع التربوي، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، 2011.
- 2 ايكوفان شفيق، دور وسائل الإعلام والاتصال في عملية التنشئة الاجتماعية، مجلة مجتمع تربية عمل، العدد (1) جوان، 2016.
- 3 جميل خليل محمد، الاعلام والطفل، دار المعتز، الأردن، 2014.
- 4 حسين المصطفى، الإعلام وبناء الاسرة، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2010 م.
- 5 حنا عيسى، الإعلام القوي دعامة أساسية للدولة، مجلة دنيا الوطن الإلكترونية، 19 / 7 / 2016 م.
- 6 رشيد حسن أحمد البدراوي، "الاتجاهات النفسية نحو عمل المرأة السياسي والاجتماعي وعلاقتها بالتنشئة الأسرية"، دار جريس، الأردن، 2013.
- 7 سمير حسن منصور، واقع استخدام البحث العلمي في الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، دراسة تطبيقية على بعض مجالات الممارسة.
- 8 شاكر إبراهيم، الإعلام ووسائله ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مؤسسة أدم للنشر والتوزيع، 1975.
- 9 صالح محمد أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة، الأردن.
- 10 عبدالرازق محمد الدليمي - المدخل الى وسائل الاعلام والاتصال - دار الثقافة للنشر - عمان 2011.
- 11 عقيل حسين عقيل، وحيدة علي الهادي، خدمة الفرد قيم وحدثة، طرابلس، دار الحكمة، 2006.
- 12 عواشة محمد حقيق، الرأي العام بين الدعاية والإعلام، طرابلس: الجامعة المفتوحة، 1998.
- 13 فتحى رمضان السنني، تأثير القنوات الفضائية علي الوظائف الأساسية للأسرة، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا، بمدينة طرابلس 2007.
- 14 محمد صاحب سلطان، وسائل الاعلام والاتصال دراسة في النشأة والتطور، دار المسيرة للطباعة والنشر، 2012.
- 15 محمد علي القوزي، نشأة وسائل الاتصال وتطورها، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2007.
- 16 محمد عمر الحجاجي، عولمة الإعلام الثقافية، دمشق: دار الكتب للطباعة و النشر و التوزيع، 2002.
- 17 محمد محمود ذهبية، الإعلام المعاصر، عمان: مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع. 2010.

- 18 منال أبو الحسن ، علم الاجتماع الإعلامي - النظريات والوظائف والتأثيرات ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، 2006 .
- 19 منيرة عمر الشلي ، الاضطرابات النفسية والسلوكية للأطفال ، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ، الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس السنة الحادية عشر ، العدد (11) ، 2003 م .
- 20 مولود زايد الطيب ، التنشئة السياسية دورها في تنمية المجتمع ، المؤسسة العربية الدولية للنشر ، عمان ، 2001
- 21 هالة حجاجي عبدالرحمن ، دور معلمة رياض الاطفال في ضوء المتغيرات المعاصرة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، جدة ، 2019 م .

الحق في الحصول على المعلومات وأهمية تداولها

إعداد: د. جبريل عوض موسى جبريل
كلية القانون جامعة بنغازي

الاستلام: 2021 / 09 / 12

القبول: 2021 / 10 / 22

المستخلص:

لحق الحصول على المعلومات دوراً هاماً وأساسياً في تقدم المجتمع وتطوره، ويتمثل هذا الدور الهام والأساسي في التخطيط، وفي صناعة القرارات واتخاذها على كل المستويات وجميع المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والإدارية. كما أن لهذا الحق دوراً فعالاً أيضاً في تكريس ثقافة الشفافية والمحاسبة في الحياة العامة، وإشراك المجتمع في إدارة الشؤون العامة، وتوطيد الحكم الرشيد وتجاوز سلبيات وأثار تسيير الشأن العام تحت غطاء التعتيم والسرية، للوصول إلى أكبر قدر من الاتفاق حول مختلف القضايا في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: " معلومة - تعتيم - وصول - شفافية - مكافحة".

Summary:

The right to information has an important and fundamental role in the development and progress of societies. This important and fundamental role is represented in planning, decision-making and decision-making at all levels and in all political, social, economic and administrative fields. It also has an effective role in establishing a culture of transparency and accountability in public life, and involving individual's society in managing public affairs, consolidating good governance, and overcoming the negatives and effects of running public affairs under the cover of opacity and secrecy, to reach the greatest degree of agreement on various issues in society.

Key words: (Information – Dimness – Access – Transparency – Combat)

تقديم:

يعتبر الحق في الحصول على المعلومات من أهم ركائز البناء الديمقراطي لأي مجتمع، كما يعد الوصول إلى المعلومات من المتطلبات الأساسية لمشاركة الأفراد في الحياة العامة، ومناقشة السياسات ومشاريع القوانين، ومراقبة الحكومات، وكشف انتهاكات حقوق الإنسان، وكشف الفساد وترهل أجهزة الحكومة، وتسهيل إقامة المشاريع التجارية والاقتصادية. كما تعد المعلومات من أفضل الوسائط للحوار بين المواطنين للوصول إلى أكبر قدر من الاتفاق حول مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وبالنظر إلى أهمية هذا الموضوع، كان ذلك دافعاً لاختياره وبحثه، والذي سنقدمه من خلال النقاط التالية:

1 - مشكلة البحث :

إن وصول المواطن إلى المعلومات وحصوله عليها ليس غاية في حد ذاته، وإنما وسيلة لتحقيق التواصل، وتعميق الشفافية، وترسيخ الحكم الرشيد، وتكريس احترام حقوق وحريات الإنسان، ومحاصرة الفساد عن طريق التقييم وتحديد المسؤولية وربطها بالمحاسبة، وذلك دعماً للتواصل واستعادة الثقة المفقودة للمواطن اتجاه الإدارة. وبالتالي، عدم تمكن المواطن من الوصول إلى المعلومات، يجعله خارج أية مشاركة في الحياة العامة.

2 - أهمية البحث :

تنبع أهمية البحث في تناوله لأبرز وأهم الحقوق في العصر الحالي لاتصاله بالعديد من الحقوق والحريات الأخرى، ويعد الخطوة الأولى نحو إدارة أكثر انفتاحاً، وأداة لتقييم أداء الحكومة حيث يتيح للمتعاملين مع أجهزة الدولة المختلفة من أفراد وإعلاميين ومجتمع مدني، رقابة أدائها ومساءلتها حال وجود مخالفات نتيجة فساد أو سوء إدارة.

3 - أهداف البحث:

يهدف البحث لنشر الوعي لدى طبقات المجتمع حول حق الحصول على المعلومات وأهميته، وبيان موقف الاتفاقيات الدولية والداستاتير المعاصرة التي تناولته، والحد من تعسف السلطة التشريعية والتنفيذية في ممارستها للصلاحيات التي خولها الدستور عند تنظيم هذا الحق، والحد من انتشار الفساد الإداري المستتر وراء السرية الإدارية.

4 - منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي، الذي يعد المنهج الرئيسي للدراسات القانونية، بالإضافة إلى المنهج المقارن، لمقارنة وضع حق الحصول على المعلومات في الاتفاقيات الدولية والداستاتير المعاصرة والوصول إلى صيغة من الترابط بينها، وسنقوم بعرض آراء الآخرين وتحليلها، وطرح رؤيتنا حول هذا الموضوع.

5 - خطة البحث:

إن تناولنا لموضوع البحث، سيكون من خلال مطلبين، وفقاً لما يلي :
المطلب الأول : أهمية تداول المعلومات.
المطلب الثاني : حق الحصول على المعلومات.

المطلب الأول

أهمية تداول المعلومات

توجد مسميات مختلفة لحق الحصول على المعلومات، أبرزها: (حرية المعلومات) Freedom of information، أو (الوصول إلى المعلومات) - Access to information، أو (الحق في المعلومات) Right to information. وهي جميعها مصطلحات تعني شيئاً واحداً وهو (حق الفرد الذي يعيش في مجتمع ما أن يحصل على معلومات كافية من الإدارة أو السلطة التي تحكم هذا المجتمع، حول الأمور التي تعنيه ويرغب في معرفتها)، ويشمل ذلك (تلبية طلبه في الحصول على المعلومات التي تحتفظ بها الجهات والهيئات العامة). ويقع مبدأ احتفاظ الهيئات العامة بالمعلومات نيابة عن الجمهور في صلب ضمان التدفق الحر للمعلومات والأفكار بشكل فعلي، ومن الواجب تسهيل الوصول إليها ما لم يكن هناك سبب لعدم كشفها⁽¹⁾.

ونحن نرى في بحثنا هذا استعمال مصطلح (الحق في الحصول على المعلومات) The right receive information، لكونه ذات المصطلح الذي أخذت به بعض الاتفاقيات الدولية، وبعض الدساتير المعاصرة وهي في صدد تنظيمها لهذا الحق. وكذلك، أخذ به مكتب مقرر اللجنة الخاص التابع للأمم المتحدة والمتعلق بحرية الرأي والتعبير، كما سنرى فيما بعد.

وتنبع أهمية تداول المعلومات بكل شفافية، في كونها تساهم في تقدم المجتمع وتطوره ورفع مستواه المعرفي ومواجهة التطورات الحديثة في كل المجالات. فالمعلومات التي يتم تداولها داخل المجتمع، هي خدمة تستهدف زيادة قدرات الإنسان الثقافية والمعرفية، وإمكانياته النقدية، وقدراته على مراقبة الحكومة وكشف انتهاكات حقوق الإنسان، وكشف الفساد وترهل أجهزة الحكومة⁽²⁾ وعليه، سنتناول من خلال هذا المطلب دور تداول المعلومات في تدعيم الشفافية، بالإضافة إلى دورها في مكافحة الفساد. وذلك في فرعين، على النحو التالي:

الفرع الأول

دور تداول المعلومات في تدعيم الشفافية

أولاً : تعريف الشفافية وخصائصها :

1 - تعريف الشفافية: عرفت الشفافية، بأنها : (حق كل مواطن في الوصول إلى المعلومات ومعرفة آليات اتخاذ القرار المؤسسي، وحق الشفافية مطلب ضروري لوضع معايير أخلاقية وميثاق عمل مؤسسي لما تؤدي إليه من الثقة، وكذا المساعدة على اكتشاف الفساد)⁽³⁾

(1) Administrative ,rights human Fundamental ,openness and information of freedom ,Shaw birkin Patrick (1) review law ,2006 ,p182.

(2) د. فاروق أبو زيد: الإعلام والديمقراطية. عالم الكتب. بدون تاريخ نشر. ص36.

(3) د. عبد العزيز جميل مخيمر وآخرون: قياس الأداء المؤسسي للأجهزة الحكومية. المنظمة العربية للتنمية الإدارية القاهرة. 2000. ص105.

وكذلك عرفت، بأنها: (التزام الإدارة بإشراك المواطنين في إدارة الشؤون العامة التي تمارسها الإدارة لصالح ولحساب المواطنين، مع الالتزام باتخاذ كافة الإجراءات والتدابير التي تضمن تزويد المواطنين بالبيانات والمعلومات الصادقة عن كافة خططها وأنشطتها وأعمالها ومشروعاتها وموازناتها ومدلولاتها وإعلان الأسباب الواقعية والقانونية الدافعة لها، وتوضيح طرق وإجراءات مساءلة الإدارة عن أوجه القصور أو المخالفة، وإقرار حقاً عاماً بالاطلاع والوصول غير المكلف لمعلومات وثائق الإدارة كأصل عام)⁽⁴⁾.

وبالمحصلة، فالشفافية تعني، أن المعلومات المتعلقة بالقرارات الجماعية تكون متاحة مجاناً ويسهل الوصول إليها وفهمها، وأن تكون كمية المعلومات أيضاً صادقة وواقعية، فتشير الشفافية إلى أن تتصرف الحكومة بطريقة علنية، وتعتبر الأساس لحوار ديمقراطي ملائم حول تلك الأعمال، وفق مبادئ الحوكمة الرشيدة⁽⁵⁾، وتضمن الشفافية اتخاذ القرارات الجماعية في ظل مبدأ سيادة حكم القانون وضوابطه التنظيمية، وهي تقني من الأخطاء الحكومية المحتملة عند تقدير الموارد العامة واستخداماتها، فكلما كانت برامج الإنفاق العام والموازنة أكثر شفافية تقلل احتمالات الفساد المالي.

كذلك، فإن الإفصاح والشفافية من أهم المبادئ التي تقوم عليها الحوكمة، وتوفير المعلومات التي يحتاجها المستثمرين والتي على أساسها يتخذون قراراتهم، ولذلك يجب توفير معلومات صحيحة لهم، لما في ذلك من تأثير كبير على الأوضاع الاقتصادية في البلاد⁽⁶⁾.

2 - خصائص الشفافية: تعد الشفافية من أهم شروط التنمية والتقدم والرفاهية في المجتمع، وجوهر هذا المبدأ، يتمثل في الحق في الحصول على المعلومات والحق في المعرفة، فإن وجود هذا المبدأ، يعني وجود مجتمع أكثر علماً وثقافة وانفتاحاً ومعرفة، وهو حال الدول المتقدمة في شتى مجالات المعرفة اقتصادياً واجتماعياً وصناعياً⁽⁷⁾.

وتؤمن المجتمعات الحرة، أن الحكومة ليست أكثر من وكيل عن الشعب في إدارة شئونه العامة وبالتالي يصبح من حق المواطنين ليس فقط اختيار حكاهم، وإنما أيضاً الحق في توجيههم ومحاسبتهم وهو ما يقتضي حتماً وضع الحكومة تحت ضوء الفحص والتدقيق العام في مجتمع ينبغي أن يكون منفتحاً في علاقة الحكومة بالمواطنين⁽⁸⁾.

(4) د. سامي محمد الطوخي: الإدارة بالشفافية - الطريق للتنمية والإصلاح الإداري من السرية وتدني الأداء والفساد والتسيب وتطوير الأداء البشري والمؤسسي. دراسة مقارنة. دار النهضة العربية، القاهرة. 2006. ص348.

(5) د. أحمد مصطفى أحمد صبيح: الرقابة المالية والإدارية ودورها في الحد من الفساد الإداري. دراسة مقارنة رسالة دكتوراه. كلية الحقوق، جامعة عين شمس. 2014. ص246 وما بعدها. ود. عصام عبد الفتاح مطر: الفساد الإداري. دار الجامعة الجديدة. 2011. ص296 وما بعدها.

(6) د. عصام حنفي محمود: التزام الشركات بالشفافية والإفصاح. دار النهضة العربية، القاهرة. 2006. ص3.

(7) د. ناجح أحمد عبد الوهاب: التطور الحديث للقانون الإداري في ظل نظام الحكومة الإلكترونية. رسالة دكتوراه. كلية الحقوق، جامعة القاهرة. 2011. ص112.

(8) د. سامي محمد الطوخي: شفافية أعمال الإدارة. رسالة دكتوراه. كلية الحقوق، جامعة بني سويف. 2005. ص182.

ولقد أصبحت الشفافية في الوقت الحاضر، معياراً أساسياً يقاس بها ديمقراطية الحكومات وحسن إدارتها للبلاد جنباً إلى جنب مع الشعوب. فمبدأ الشفافية من المبادئ التي تتطور في صورها ومظاهرها مع التقدم الفني والإداري والتنظيمي الذي تشهده المجتمعات المتقدمة⁽⁹⁾.

ولكي تكون الشفافية فعالة، يجب أن تجرى في الوقت المناسب، وأن تكون متاحة لكافة الجهات في ذات الوقت، وأن تكون شارحة نفسها بنفسها، فما قيمة شفافية غامضة أو مبهمه، أن يعقبها مساءلة فالشفافية ليست غاية في حد ذاتها بل وسيلة⁽¹⁰⁾.

ثانياً: دور الشفافية في تعزيز الحق في الحصول على المعلومات :

يدخل مبدأ الشفافية والحصول على المعلومات اليوم ضمن مقومات الحكم السبعة التي حُددت في وثيقة البنك الدولي لعام 1992 بشأن الحكم والتنمية في سعيها للوصول إلى الحكم الرشيد⁽¹¹⁾. ولقد أورد مقرر الأمم المتحدة الخاص عن حرية الرأي والتعبير (في التقرير السنوي لعام 2000م - 63 / 2000م / 4E / CN. الفقرة 43) مجموعة من المبادئ القانونية في شأن مبدأ الشفافية، صدق عليها أيضاً المقرر الخاص لهيئة الولايات الأمريكية عن حرية الرأي والتعبير (في التقرير السنوي لعام 1999م - 106 / OEA. Ser1 / VII الفصل B32)، وقد تمثلت هذه المبادئ، فيما يلي:

- 1 - الكشف المطلق عن المعلومات : ويرتكز مبدأ كشف المعلومات المطلق على القرينة القائلة أن كل المعلومات تصبح موضوع كشف، إلا في حالات محددة على سبيل الحصر بنص تشريعي.
- 2 - وجوب النشر: يجب على الهيئات العامة أن تنشر كحد أدنى فئة المعلومات التالية: أ- معلومات إدارية حول سبل عمل الهيئة العامة. ب- التكاليف، الأهداف، الحسابات المدققة، والقواعد والانجازات وبخاصة حين تؤمن الهيئة العامة خدمات مباشرة للشعب. ج- معلومات حول كل طلب أو شكوى أو عمل مباشر يمكن أن يرى المواطنون أنها على علاقة بالهيئة العامة. د- توجيه يتعلق بإجراءات يستطيع الأفراد على أساسها المشاركة في السياسية العامة والمشاريع القانونية. هـ- أنواع المعلومات التي تحتفظ بها والحالات التي تحتفظ بها. ومضمون أي قرار أو سياسة قد يؤثران في الشعب، مع إظهار أسباب اتخاذ القرار وخلفية المواد المهمة التي استعملت لصياغته.

(9) د. صلاح سالم زرنوقة: تحليل قضايا الفساد في مصر. الفساد والتنمية. تحرير د. مصطفى كامل السيد ود. صلاح سالم زرنوقة. مركز دراسات وبحوث الدول النامية، القاهرة. 1999. ص296.

(10) أ. إبراهيم سيف عبد الحميد: اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد. رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة. 2013. ص112.

(11) د. تهاني حسن عز الدين: الحق الدستوري في الحصول على المعلومات ودوره في مكافحة الفساد. دراسة مقارنة المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة. 2020. ص131.

3 - الترويج لحكومة الانفتاح: تلتزم الحكومات بالترويج لسياسة الانفتاح والشفافية، عن طريق اتخاذ كافة التدابير المستقبلية في التربية العامة، والتعليم، والوسائل المختلفة للإعلام من صحافة، ورايو وتليفزيون، وندوات، ومؤتمرات، وأنشطة منظمات المجتمع المدني وغيرها. وينبغي لذلك إعادة النظر في كافة القيود في التشريعات التي من الممكن أن تعرقل سياسة الانفتاح، وخاصة تشريعات الخدمة المدنية وبصفة عامة، رفع درجة الوعي لدى الشعب حول الالتزامات الأساسية لحرية الكشف عن المعلومات وحق الحصول عليها، وغيرها من الضمانات التي تكفل بشكل موضوعي إعمال سياسة الانفتاح وتطبيق مبدأ الشفافية.

4 - تحديد نطاق الاستثناء على مبدأ الشفافية.

5 - إجراءات تسهيل الوصول إلى المعلومات، ويتضمن هذا المبدأ وجوب أن تعالج طلبات المعلومات بسرعة أو بطريقة ملائمة، كما يجب أن يتاح للمواطنين إجراء مراجعة فردية لأي فرض، ويجب أن تحدد عملية إعطاء المعلومات بحسب الطلب على مستويات ثلاثة، ضمن الهيئة العامة، أو عبر اللجوء إلى الهيئات الإدارية المستقلة، أو عبر اللجوء إلى المحاكم، وعند الضرورة يجب أن ينص على ضرورة ضمان الحصول على المعلومات كاملة من قبل بعض الأشخاص الذين لا يجيدون القراءة والكتابة مثلاً أو الذين يجيدون اللغة التي كتب بها الوثيقة أو الذين يعانون إعاقة كالعمى.

6 - التكاليف: ويتضمن هذا المبدأ ألا تكون تكلفة نيل حق الوصول إلى المعلومات التي تحتفظ الهيئات العامة بها، باهظة على نحو يردع الناس عن التقدم بطلبات الحصول على المعلومات، سواءً من حيث الوقت أو المال.

7 - الاجتماعات المفتوحة العامة: ويقتضي هذا المبدأ أن تكون اجتماعات الهيئة العامة مفتوحة للجمهور، وذلك لمعرفة العمل الذي تقوم به الحكومة نيابة عن الشعب، وإمكان المشاركة في عمليات صناعة اتخاذ القرار.

8 - أسبقية الكشف: ويقتضي هذا المبدأ وجوب تعديل أو إلغاء القوانين التي تتعارض ومبدأ الكشف المطلق للمعوقات لحرية الكشف عن المعلومات، مع إدراجها على سبيل الحصر بطريقة واضحة.

9 - حماية المرشد: ويتضمن هذا المبدأ تقرير حماية قانونية للأفراد الذين يفشون معلومات حول أية مخالفات قانونية يقوم بالبلاغ عنها⁽¹²⁾.

ولذا، سعت معظم الدول المعاصرة إلى تمكين مواطنيها من حق الحصول على المعلومات تحت مسمى "الشفافية"، ذلك المصطلح الذي أصبح من مفردات التداول اليومي للدلالة على أن الدولة التي تتمسك بمبدأ الشفافية ليس لديها ما تخشى منه، وتوحي بذلك إلى أن حق المواطن في الحصول على المعلومات هو منحه من الدولة، على الرغم من وجود المرجعية القانونية الدولية الممثلة بالشرعية

(12) د. ناجح أحمد عبد الوهاب: المرجع السابق. ص124 وما بعدها.

الدولية لحقوق الإنسان، والتي تؤكد أن هذا الحق واجب على الدولة أن توفره لمواطنيها⁽¹³⁾.

وتعد السويد- وبحق- الدولة الرائدة في مجال الشفافية الإدارية وحق الحصول على المعلومات حيث بلغت من الشفافية حداً اتهمت معه بخرق قانون الإتحاد الأوروبي، وذلك بعد أن قامت بنشر وثائق ومستندات الوكالة وفقاً لقوانينها الداعمة لحق الحصول على المعلومات العامة⁽¹⁴⁾.

وفي فرنسا، قام المشرع بإصدار عدة قوانين، تمثل بداية تحول نحو انفتاح وشفافية الإدارة، وأهم هذه القوانين، القانون رقم 78 لسنة 1978 بشأن معالجة البيانات الشخصية، والقانون رقم 79 - 587 لسنة 1979 بشأن تسبب القرارات الإدارية⁽¹⁵⁾.

وفي فنلندا، فإن الحق في الحصول على المعلومات والوثائق الحكومية، يمثل حقاً عاماً للمواطن والاستثناء من هذه القاعدة يتعلق فقط بما يحدده المشرع⁽¹⁶⁾.

وفي الدول النامية - وبخاصة في الدول العربية - نجد انعدام للشفافية، والظلم يحل محل قدر كبير من التعقيم على مستوى جميع القطاعات، ويملك كل مسئول في موقعه قدراً غير محدود من السلطات والإمكانات، وتتاح له الظروف لممارسة جميع صور وأشكال القهر. وبالتالي، فإن المجال يُفتح على مصرعيه للفساد والانحراف، ويتم تغييب كل النظم والقوانين المحددة للمشاركة الجماعية في اتخاذ القرار ويتحول جميع المساعدين إلى مجموعة لا حول لهم ولا قوة في مواجهة صاحب القرار. وهذا كله، يرجع للدور غير المؤثر للمجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، وشبه الغياب الكامل لتأثير الرأي العام، مع محدودية الممارسة الديمقراطية، وإيقاف عجلة التداول السلمي للحكم⁽¹⁷⁾.

وفي الختام، إن الحديث عن الشفافية يتطلب بالضرورة الحديث عن الفساد، فهي الأداء الأولى لمحاربتة والتخلص منه، وهذا ما سنتناوله بالفرع التالي.

الفرع الثاني

دور تداول المعلومات في مكافحة الفساد

أولاً: تعريف الفساد وخصائصه:

1 - تعريف الفساد: عُرِف الفساد، بأنه: (سلوك غير سوي ينطوي على قيام الشخص باستغلال مركزه وسلطانه في مخالفة القوانين واللوائح والتعليمات، لتحقيق منفعة لنفسه أو لذويه من الأقارب والأصدقاء والمعارف على حساب المصلحة العامة، ويظهر السلوك المخالف في شكل

(13) د. ياسر سيد حسين: الحق الدستوري في الحصول على المعلومات والبيانات. رسالة دكتوراه. كلية الحقوق، جامعة القاهرة، 2014، ص25.

(14) د. تهاني حسن عز الدين: المرجع السابق، ص134.

(15) د. سامي محمد الطوخي: المرجع السابق، ص285.

(16) Luis fougere: le colloque de Graz sur l'accès a l'information, September, 1979 la gazette du palais, 1977, p.10.

(17) د. تهاني حسن عز الدين: المرجع السابق، ص139 وما بعدها.

جرائم ومخالفات كالرشوة والتهريب، والسرقة، وسوء استخدام المال العام، والتوزيع، والإنفاق غير القانوني للمال العام، وينتج عن هدر الموارد الاقتصادية للدولة، وينعكس سلباً على عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي⁽¹⁸⁾.

وعُرف أيضاً، بأنه: (سلوك منحرف يجسد وسيلة أو آلية تعكس مدى استغلال رجل الإدارة في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية معينة للموقع الوظيفي الذي يشغله أو للسلطات الرسمية المخولة له، من أجل تحقيق مصالح ذاتية أو شخصية مادية كانت أم معنوية أو الأثنين معاً، بطريقة غير مشروعة، سواءً أتى هذا السلوك منفرداً أو بالاشتراك مع آخرين داخل الجهاز الإداري أو خارجه)⁽¹⁹⁾.

وعُرف كذلك، بأنه: (سلوك مخالف للواجب الرسمي بسبب المصلحة الشخصية، مثل العائلة والقرابة أو الصداقة، والاستفادة المادية أو استغلال المركز ومخالفة التعليمات لغرض ممارسة النفوذ والتأثير الشخصي، ويدفع هذا السلوك إلى استعمال الرشوة أو المكافأة تجاه شخص معين في مركز محترم وكذلك، يشتمل على سوء استخدام المال العام، مثل التوزيع غير القانوني للموارد العامة من أجل الاستفادة الخاصة)⁽²⁰⁾.

2 - خصائص الفساد: على الرغم من الاختلاف في تعريف مفهوم الفساد - كما أسلفنا -، إلا أن هناك بعض الخصائص المميزة لهذا المفهوم :

أ - يتخذ هذا المفهوم أشكالاً متعددة يصعب الإحاطة بها والتصدي لها، كالاحتلاس، والتزوير، والابتزاز وسوء الاستخدام الواضح للأموال العامة من أجل كسب شخصي أو تحقيق أهداف خاصة، والمحسوبية والمحاباة، والتغاضي عن أنشط غير قانونية، وسوء استخدام السلطة السياسية من أجل تحقيق مكاسب شخصية.

ب- يعد الفساد الإداري والمالي أخطر أشكال الفساد، لكونه يتم في إطار من السرية والخوف، كما أن الكشف عن حالات الفساد ينتهي إلى الكشف عن جزء من الحقيقة التي يجب معرفتها كاملة، وقد أثبتت التجارب أن الصفقات الكبيرة محل الفساد تكون معقدة وغير مباشرة، تغري كبار الموظفين على الإقبال والمغامرة، لأن احتمالات الشكوك حولها تكون ضعيفة.

ج- الفساد لم يعد عملاً فردياً، بل أصبح عملاً منظماً، إذ يشترك فيه عادةً أكثر من شخص، فالفساد الإداري والمالي يتركز من الناحية الفعلية على عدة أطراف رئيسية، هم: الموظف العام الذي يبيع خدماته مستغلاً سلطاته ونفوذه

(18) د. محمد حافظ الرهوان: مكافحة الفساد شرط لازم لتحقيق الأمن والتنمية. مجلة كلية الدراسات العليا. العدد 5. يولييه 2001. ص 91.

(19) د. منى رمضان بطيخ: الإدارة العامة بين البيروقراطية والفساد الإداري. الواقع والمأمول. دار النهضة العربية، القاهرة 2014. ص 139.

(20) د. صلاح الدين فهمي محمود: الفساد الإداري كمعوق لعمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية. المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب سابقاً، حالياً أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض. 1994. ص 39 وما بعدها.

الوظيفي. والطرف الثاني: ممن يتعاملون مع هذا الموظف، الذين يشترطون منه خدمات، ليس لهم الحق في الحصول عليها، مستغلين الوازع الديني والأخلاقي والوطني لدى الموظف مع وجود البيروقراطية الفاسدة وغياب المساءلة. والطرف الثالث: هو الوكيل، إذ لا يتم التعامل في قضايا الفساد الكبيرة مباشرة بين مقدم الرشوة والمسئول الحكومي، بل يكون هناك وكيل عن المؤسسة مقدمة الرشوة، وآخر عن المسئول الحكومي. وهكذا، تتعدد الأطراف التي تتعامل مع الفساد مما يجعل منه عملية معقدة، مما تزيد من صعوبة مكافحتها.

د- وجود عنصر المغامرة أو المخاطرة الذي يصاحب أعمال الفساد، ويكون مُغرياً في المواقف التي يكون فيها عنصر المخاطرة، فالصفقات الكبيرة تغري كبار الموظفين على المغامرة، ذلك أنه كلما كبر حجم الصفقة وتعددها كونها غير مباشرة، كلما زاد الإقبال على المغامرة فيها، لأن احتمالات الشكوك حولها تكون ضعيفة. وبذلك، تكون هذه الخاصية عاملاً ضرورياً لأبد من أخذها بعين الاعتبار لمكافحة الفساد⁽²¹⁾.

ثانياً: أسباب وصور الفساد:

1 - أسباب الفساد: يرجع البعض أن من أسباب انتشار الفساد، الأسباب الاقتصادية المتمثلة في ضعف المؤسسات الحكومية، وعدم قدرة السياسات الحكومية النقدية والمالية في حل المشكلات الاقتصادية⁽²²⁾.

ويرى البعض الآخر أن من أخطر أسباب الفساد في المجتمع، هو تدني وفقد الثقة في الجهاز الإداري، ويزيد الأمر خطورة عندما يعلن المسئولون أن الفساد اجتاح العالم، وأن الفساد في مجتمعهم هو الأقل، وأن الموظف في مجتمعهم يتمتع بالنزاهة والشفافية. فهنا يفقد المواطنون ثقتهم في تصريحات المسئولين، وينعدم الأمل لديهم في الإصلاح، وأيضاً يتجاهل المسئولون الفساد - بل والتعقيم عليه - والادعاء أنهم يكشفون المواطنين بالحقائق، وينتهجون الشفافية والصراحة والوضوح، وأنهم يتصدون بيد من حديد للفساد على غير الحقيقة، مما يشجع الكثيرين على اقتران الفساد⁽²³⁾.

2 - صور الفساد: للفساد صور متعددة منها:

أ - الفساد السياسي: الذي يعد سداً ذريعاً بين الأفراد وبين ممارسة حقوقهم الديمقراطية وحرية الرأي في الانتخابات العامة، أو حرية الفكر، أو التجمع،... وغيرها⁽²⁴⁾. وهو أيضاً إساءة استخدام السلطة العامة من نظام

(21) للمزيد عن أسباب الفساد تراجع. د. نواف كنعان: الفساد الإداري والمالي. أسبابه وآثاره وسبل مكافحته. مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية، السنة 32. العدد 334. يناير 2008. ص 18. ود. عبد الرحمن محمد العيساوي: سيكولوجية الفساد والأخلاق والشفافية، ط 1. دار الفكر الجامعي، الإسكندرية. 2011. ص 54 وما بعدها.

(22) للمزيد عن أسباب الفساد تراجع. د. محمد فؤاد مهنا: القانون الإداري المصري، الجزء الأول. دون ذكر للناسخ 1958. ص 589. ود. ثروت بدوي: مبادئ القانون الإداري. دون ذكر للناسخ. 1973. ص 80.

(23) د. سامي محمد الطوخي: المرجع السابق. ص 179.

(24) د. أحمد مصطفى أحمد صبيح: المرجع السابق. ص 124.

الحكم والشخصيات العامة لأهداف غير مشروعة، كالرشوة، والابتزاز والمحسوبية، والاختلاس، وتحويل المساعدات الدولية لمصالحهم الخاصة. ويرتبط الفساد المالي بغسيل الأموال، حيث يتم استغلال النفوذ لجمع الثروات الطائلة، ثم تهريبها إلى الخارج وتحويلها إلى ذهب أو مجوهرات أو شراء عقارات.

ب - الفساد الاقتصادي أو المالي: وهو الدال على فشل النظام الاقتصادي القائم في مواجهة الأزمات الاقتصادية، من بوار أو كساد اقتصادي أو الحد من الارتفاع السريع للأسعار والخدمات الأساسية. ويتمثل كذلك، في الانحرافات المالية ومخالفة القواعد والأحكام التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في الدولة ومؤسساتها، والتهرب الضريبي، وقروض المجاملة التي تُمنح دون ضمانات، والإسراف في استخدام مال المؤسسة أو الهيئة، ويؤدي هذا النوع من الفساد إلى ظلم الفقراء، حيث تقوم الدولة بخفض الأجور وحرمان الموظفين من العلاوات والمكافآت، مما يؤدي إلى المصادر غير المشروعة لمواجهة متطلبات المعيشة⁽²⁵⁾.

ج - الفساد الاجتماعي: وهو الذي يصيب أفراد المجتمع من النواحي القيمة والخلقية والاجتماعية الذي تولد نتيجة اتباع الدول لسياسات اجتماعية متحررة تبعد كل البعد عن القيم والأخلاق والتقاليد والدين، والتي تتنافى مع الضمير الإنساني الذي هو نتاج هذه المكونات الفطرية.

د - الفساد الإداري: وهو الذي يصيب وحدات ومؤسسات وهيئات وأجهزة الدولة الإدارية، والذي يرتبط إلى حد بعيد بالموظف العام والوظيفة العام، ويمنع تطور هذه المؤسسات والهيئات، ويقف على المحسوبية دون الكفاءة⁽²⁶⁾.

والفساد الإداري، يعد من أخطر صور الفساد، فهو يمثل المحرك الرئيسي في حركة الدولة والسلطات القائمة، ويتمثل في التصرفات غير القانونية، والتعقيدات البيروقراطية، وأخطاء القطاع العام المؤدية إلى عدم تحقيق أهدافه في تقديم أفضل الخدمات العامة إلى الشعب، خاصة الخدمات الأساسية كالصحة والتعليم، وهنا نقف عند القائمين بالإدارات، فالفساد يعكس عدم أهليتهم للمسئولية بحكم تدني أخلاقياتهم وتغليب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، والمحسوبية، وتدني الكفاءات الإدارية والفنية⁽²⁷⁾.

هـ - الفساد التشريعي: وهو المتمثل في قيام أعضاء البرلمانات في الأنظمة الفاسدة، بتوجيه السياسات بشكل مضلل في تصميم القوانين لتحقيق المصلحة الخاصة لطائفة معينة⁽²⁸⁾.

(25) Dixieme congres des Nations Unies pour la preevention du crime et le traitement des delinquants ,le cout de la corruption ,publie par le Departement de l'information de l'ONU DPI .2008 \P.3 .

(26) د. أنس محمد جعفر: الوسيط في القانون العام. دون ذكر للناشر. 1985. ص 305 وما بعدها..

(27) M palmer ,Breaking the real Axis Evil :how to oust the world's last dictators by) 2050 oxford :roman and little field publishers .(2003 ,P.809.

(28) Mamadou Koulibaly :les couts de la corruption ,le courier ACP – EU ,no ,177 October – Novembre,1999 p.4.

و- الفساد القضائي: وهو الذي يهدد الجهاز القضائي، والنيابة العامة، ويقوض سيادة القانون ومبدأ الشرعية⁽²⁹⁾. ولقد عُييت الكثير من المنظمات الدولية بمواجهة هذه الظاهرة، ومنها منظمة الشفافية الدولية لمكافحة الفساد، ففي عام 2001 أصدرت المنظمة تقريراً عن الفساد العالمي وتصدره دورية، وتركز في كل عام على قطاع حيوي من قطاعات الدولة⁽³⁰⁾.

خلاصة القول، بات مؤكداً أنه لا يمكن مكافحة الفساد بجميع أنواعه وصوره بدون شفافية ملزمة لجميع الفئات في المجتمع، وذلك بالإفصاح عن المعلومات وضمان أسبابها في حرية تامة، فالوصول على المعلومات الدقيقة والصحيحة وفي الوقت المناسب والمطلوب، يعد شرطاً أساسياً لتصميم استراتيجيات مكافحة الفساد، بإتاحة المعلومة في ظل مبدأ سيادة حكم القانون وضوابطه التنظيمية التي تقي من الأخطاء الحكومية المحتملة عن تقدير الموارد العامة واستخداماتها، فكلما كانت برامج الإنفاق العام والموازنة أكثر شفافية، قلت احتمالات الفساد الإداري.

المطلب الثاني

حق الحصول على المعلومات

أصبح الحديث عن حق الحصول على المعلومات كحق دستوري، من الأوليات التي يجب على أفراد المجتمع الانشغال بها، باعتباره أحد أركان تحديث الدولة للخروج بها إلى النور والتقدم والرقى ومشاركة الشعب في إدارة شئون بلاده. وعليه، نتناول في هذا المطلب، التعريف بحق الحصول على المعلومات بالإضافة إلى كفالة هذا الحق في الاتفاقيات الدولية وفي الدساتير المعاصرة. وذلك في فرعين، على النحو التالي:

الفرع الأول

التعريف بحق الحصول على المعلومات

تعددت تعريفات حق المواطن في الحصول على المعلومات، فيعرف بأنه: (حق الفرد في الحصول على المعلومات التي تسيطر عليها السلطات العامة في أي دولة)⁽³¹⁾.

كما يعرف أيضاً بأنه: (ذلك الحق الذي يطلب من الوكالات الحكومية نشر فهرس لكل اللوائح وأن تنشر السجلات المطلوبة للمواطنين أو غير المواطنين)⁽³²⁾. كذلك عرف بأنه: (ذلك الحق الذي يتيح للمواطن حرية السؤال عن كل

(29) Intel Torchon ;la corruption et ses consequences sur notre system judiciaire etre ,2008 ,1986 universite d'Haïti " faculte de droit et des sciences Economiques des Gonaives .2002 ,P.62.

(30) د. منير الحمشي: الاقتصاد السياسي. الفساد والإصلاح والتنمية. منشورات الكتاب العربي، دمشق. 2006. ص.35.

(31) د. ناريمان إسماعيل متولي: اقتصاديات المعلومات. دراسة للأسس النظرية وتطبيقاتها العلمية على مصر وبعض البلاد الأخرى. المكتبة الأكاديمية، القاهرة. 1995. ص.50.

(32) Jeremy Lewis ,the freedom of information act :from pressure to policy implementation ,thesis ,the Johns Hopkins university ,1982 ,p.7.

معلومة توجد لدى جهة الإدارة، وتلقي الإجابة عنها بصورة أو بأخرى. فهو حق إنساني طبيعي أساسي للفرد والجماعة، وهو حاجة بيولوجية، ونفسية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، يعبر عن مدنية المجتمعات وحضارتها واحترام عقلية الفرد ومنهجية تفكيره، واشتراكه في الأدوار والمسئوليات، وتحمله لمسئوليته اتجاه مجتمعه وقضاياه المختلفة، فالمعلومة يجب أن تكون متاحة ومتوفرة لكل من يطلبها) (33).

ومن التعريفات السابقة، يتضح أن الحق في الحصول على المعلومات وإن كان يشكل أهمية للمواطن، فهو أيضاً يعتبر حاجة أساسية لأية حكومة ترغب في إثبات صلاحيتها للحكم، وإصلاح مؤسسات الدولة وجعلها أكثر شفافية يعتبر ركناً أساسياً من أركان الحكم الرشيد، وهذا لا يتم إلا من خلال إتاحة المعلومات للمواطنين للاطلاع عليها، فعلى الدولة أن تتيح آليات فعالة، لكي يستطيع المواطنون عن طريقها الحصول على المعلومات (34). كما يعتبر هذا الحق من الحقوق العامة التي لا يجوز انتهاكها. فالأمر يتعلق بحق إيجابي وسلبى في أن واحد، فمن جانب يجري البحث عن المعلومة، ومن جانب آخر يحق للجميع تلقي المعلومة (35). كذلك، إن الحصول على المعلومات لا تعني أن يتمكن المواطنون من طلب المعلومات فقط، بل يعني أيضاً أن تنشر جهة الإدارة وتعمم على نحو واسع وثائق ذات أهمية للمواطنين، على ألا يحد من نشرها إلا ضوابط قانونية. فعلى جهة الإدارة أن تنشر كحد أدنى فئات المعلومات المهمة، كالمعلومات حول سبل عملها تتضمن التكاليف والأهداف والحسابات المدققة والقواعد والإنجازات... إلخ، والإجراءات التي يستطيع المواطنون على أساسها التعرف على السياسة العامة والمشاريع الخاصة بها، وأنواع المعلومات التي تحتفظ بها والحالات التي تحفظ بها، ومضمون أي قرار أو سياسة قد يؤثران في المواطنين، مع إظهار أسباب اتخاذ القرار والأهداف المرجوة منه (36).

الفرع الثاني

كفالة حق الحصول على المعلومات

في الاتفاقيات الدولية وفي الدساتير المعاصرة

أولاً: كفالة حق الحصول على المعلومات في الاتفاقيات الدولية :

1 - الجمعية العامة للأمم المتحدة: ظهر هذا الحق على المستوى الدولي في العام 1946، عندما تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلستها الأولى، القرار رقم (59) الذي نص على أنه: (إن حرية الوصول إلى المعلومات حق أساسي للإنسان

(33) Transparency Morocco, plateforme de plaidoyer droit d'accès à l'information et recommandations sectorielles, Janvier, 2010, p.3.

(34) د. تهباني حسن عز الدين: المرجع السابق، ص 117 وما بعدها.

(35) Lyon de these, France en information'l droit Le .Brocal .F, 2004, p.42.

(36) د. بلال البرغوثي: الحق في الاطلاع. الهيئة الفلسطينية لحقوق المواطنين. 2004. رام الله. ص.13.

وحجر الزاوية لجميع الحريات التي تنادي بها الأمم المتحدة).
 2 - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان⁽³⁷⁾ : وظهر بعد ذلك، في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948، حيث نصت المادة (19) منه، على أنه: (لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حريته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود).

3 - العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية⁽³⁸⁾ : وتضمنه العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الصادر عام 1966 في مادته (19)، التي نصت على أنه: (أ- لكل إنسان الحق في اعتناق الآراء دون مضايقة. ب- لكل إنسان الحق في حرية التعبير، ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين دون اعتبار للحدود).

وقد ظل التعامل مع هذا الحق في إطار حرية الرأي وحرية التعبير حتى بداية العقد الأخير من القرن العشرين، حيث بدأ التعامل معه كحق مستقل، ويؤسس للكثير من الحقوق الأساسية الأخرى.

وفي عام 1993 قامت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان بتأسيس مكتب مقرر اللجنة الخاص التابع للأمم المتحدة والمعني بتعزيز وحماية الحق في حرية الرأي والتعبير، وتطرق له في تقاريره للسنوات 1997، 1998، حيث صرح مفوض اللجنة أن حق حرية التعبير يتضمن الحق في الحصول على المعلومات التي تحتفظ بها الدولة⁽³⁹⁾. وفي تقريره السنوي للعام 2002، أكد مقرر اللجنة الخاص في الأمم المتحدة قلقه بشأن توجه الحكومات والمؤسسات الحكومية نحو منع الناس من الحصول على المعلومات التي من حقهم الحصول عليها.

4 - اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد⁽⁴⁰⁾ : نصت المادة (10) من هذه الاتفاقية، على ما يلي: (تتخذ كل دولة طرف، وفقاً للمبادئ الأساسية لقانونها الداخلي ومع مراعاة ضرورة مكافحة الفساد ما قد يلزم من تدابير لتعزيز الشفافية في إدارتها العمومية، بما في ذلك ما يتعلق بكيفية تنظيمها واشتغالها وعمليات اتخاذ القرارات فيها، عند الاقتضاء، ويجوز أن تشمل هذه التدابير ما يلي: أ-

(37) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تم اعتماده بموجب قرار الجمعية العامة رقم (2133 ألف / د - 3) المؤرخ في 10 كانون الأول / ديسمبر 1948.

(38) العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة (2200 ألف / د - 21) المؤرخ في 16 كانون الأول / ديسمبر 1966. تاريخ بدء النفاذ: 23 آذار / مارس، وفقاً لأحكام المادة (49) منه.

(39) وقد جاء نص التصريح على النحو التالي: (بغرض البحث والتسليم ونقل المعلومات على الدول لضمان حق الوصول إلى المعلومات، بخاصة فيما يتعلق بالمعلومات التي تحتفظ بها الحكومة بكافة أشكال أنظمة الحفظ والاسترجاع التزاماً إيجابياً)

(40) تم اعتماد الأعمال التحضيرية (وثائق رسمية) للمفاوضات المتعلقة بوضع اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، من قبل الجمعية العامة 4 / 58 المؤرخ في 31 أكتوبر 2003. وبدأ نفاذ الاتفاقية في 14 كانون الأول / ديسمبر 2005، بعد 90 يوماً من تاريخ إيداع الصك الثلاثين من صكوك التصديق أو الإقرار أو الانضمام.

اعتماد إجراءات أو لوائح تمكن عامة الناس من الحصول عند الاقتضاء على معلومات عن كيفية تنظيم إدارتها العمومية واشتغالها وعمليات اتخاذ القرارات فيها، وعن القرارات والصكوك القانونية التي تهم عامة الناس مع إيلاء المراعاة الواجبة لصون حرمتهم وبياناتهم الشخصية. ب- تبسيط الإجراءات الإدارية عند الاقتضاء، من أجل تيسير وصول الناس إلى السلطات المختصة التي تتخذ القرارات. ج- نشر معلومات يمكن أن تضم تقارير دورية عن مخاطر الفساد في إدارتها العمومية).

5 - اتفاقية الاتحاد الأفريقي لمنع الفساد⁽⁴¹⁾ : تنص المادة (9) من الاتفاقية، على ما يلي: (تقوم كل دولة طرف بإقرار تدابير تشريعية وغيرها، لإضفاء الفعالية على الحق في الحصول على أية معلومات مطلوبة للمساعدة في مكافحة الفساد والجرائم ذات الصلة).

ثانياً: كفالة حق الحصول على المعلومات في الدساتير المعاصرة :

1 - الدستور السويدي⁽⁴²⁾ : تعتبر السويد أول دولة في الدول المعاصرة، التي أصدرت قانوناً يعطي المواطن الحق في الحصول على المعلومات المودعة لدى جهة الإدارة، وهو قانون الصحافة رقم (105) لسنة 1776، والذي أكد على الحق في الحصول على المعلومات الذي كفله الدستور السويدي الصادر عام 1772. وهو حق للجميع، وليس للصحافة فحسب⁽⁴³⁾. وقد نصت المادة (1) منه، على أنه: (يحق الحصول على الوثائق الرسمية) وتعرف المادة (2) من القانون المذكور، الوثائق الرسمية بأنها: (الوثائق المحفوظة لدى سلطة حكومية وحتى يتم اعتبارها بموجب المادتين 6،7 من القانون فهي التي تم استلامها أو إعدادها أو كتابتها من قبل سلطة معينة لكل مواطن سويدي).

2 - الدستور الفنلندي⁽⁴⁴⁾ : نصت المادة (12) من الدستور الصادر عام 2000، على أنه: (أ- حرية التعبير مكفولة لكل شخص، وتتضمن حرية التعبير الحق في استقبال ونشر المعلومات والتعبير عن الآراء والاتصالات الأخرى. ب- الوثائق التي في حوزة السلطات تكون مباحة، إلا إذا كان نشرها قد تم تقييده لأسباب ضرورية خاصة في القانون).

(41) تبنت الدول الأعضاء في الاتحاد الأفريقي الاتفاقية في الدورة العادية الثانية للمؤتمر الذي انعقد في موزمبيق يوليو 2003، ودخلت حيز التنفيذ في أغسطس 2006 بعد 30 يوماً من إيداع وثائق تصديق 15 دولة على الاتفاقية في ذلك الوقت.

(42) الدستور السويدي لعام 1772 دخل حيز التنفيذ من خلال انقلاب أبيض قام به الملك غوستاف الثالث.

(43) أ. لانا خالد سلامة القطيفان: دور قانون ضمان حق الحصول على المعلومات في التغطية الإعلامية في الأردن من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين. رسالة ماجستير. كلية الإعلام جامعة الشرق الأوسط، الأردن. 2012-2013. ص.29.

(44) سُن الدستور الأول في عام 1919، إثر إعلان فنلندا لاستقلالها عام 1917، في حين دخل الدستور الحالي حيز النفاذ في الأول من مارس 2000، وقد سبقته أربعة دساتير.

3 - الدستور الألماني⁽⁴⁵⁾ : تنص المادة (5) من القانون الأساسي الصادر 1990، على أنه : (سيكون لكل شخص الحق في حرية التعبير عن رأيه بالقول والكتابة والتصوير، وأن يملك الحق في حرية الحصول على المعلومات من مصادر يمكن الوصول إليها بشكل عام، كما أن حرية الصحافة وحرية التغطية بواسطة الإذاعة أو الأفلام شيء مضمون ولن تكون هناك رقابة).

4 - الدستور المصري: نصت المادة (14) من الدستور الصادر عام 1923⁽⁴⁶⁾ ، على أنه: (حرية الرأي مكفولة، ولكل إنسان الإعراب عن فكرة بالقول أو بالكتابة أو بالتصوير أو بغير ذلك في حدود القانون). ونصت المادة (47) من الدستور الصادر عام 1971⁽⁴⁷⁾ ، على أنه: (حرية الرأي مكفولة ولكل إنسان التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو غير ذلك من وسائل التعبير في حدود القانون والنقد الذاتي والنقد البناء ضمان لسلامة البناء الوطني). ونصت المادة (68) من الدستور الصادر عام 2014⁽⁴⁸⁾ ، على أنه: (المعلومات والبيانات والإحصاءات والوثائق الرسمية ملك للشعب والإفصاح عنها من مصادرها المختلفة، حق تكفله الدولة لكل مواطن وتلتزم الدولة بتوفيرها وإتاحتها للمواطنين بشفافية، وينظم القانون ضوابط الحصول عليها وإتاحتها وسريتها، وقواعد إيداعها وحفظها والتظلم من رفض إعطائها، كما يحدد عقوبة حجب المعلومات أو إعطاء معلومات مغلوطة عمداً. وتلتزم مؤسسات الدولة بإيداع الوثائق الرسمية بعد الانتهاء من فترة العمل بها بدار الوثائق القومية، وحمايتها وتأمينها من الضياع أو التلف، وترميمها ورقمنتها بجميع الوسائل والأدوات الحديثة، وفقاً للقانون)⁽⁴⁹⁾ .

5 - الدستور الليبي: نصت المادة (22) من الدستور الصادر عام 1951⁽⁵⁰⁾ ، على أنه: (حرية الفكر مكفولة ولكل شخص الإعراب عن رأيه وإذاعته بجميع الطرق والوسائل ولكن لا يجوز إساءة استعمال هذه الحرية فيما يخالف النظام العام

(45) في عام 1990، نصت اتفاقية أربعة زائد اثنين الموقعة بين شطري ألمانيا وجميع دول الحلفاء الأربعة على تنفيذ عدد من التعديلات في معاهدة التوحيد اللاحقة لعام 1990، اعتمد هذا القانون الأساسي المعدل كدستور لألمانيا الموحدة.

(46) تاريخ إصدار الوثيقة ونشرها والعمل بها في 19/4/1923.

(47) الجريدة الرسمية - العدد 36 مكرر (أ) الصادر في 12 سبتمبر 1971.

(48) الدستور المصري صدر عام 2014.

(49) في مصر رغم وجود النص الدستوري - المشار إليه - والذي يقر بحق الحصول على المعلومات للمواطنين، إلا أن إقرار مثل هذا القانون لم يعد له أولوية خاصة في ظل التحديات الأمنية التي تواجهها الدولة. وكانت هناك عدة محاولات لاقتراح مشاريع لقانون الحصول على المعلومات، ولكن لم يتم الاتفاق على نسخة واحدة. وسبق وأن قدم المجلس الأعلى للإعلام مسودة مشروع قانون من دون التنسيق مع مؤسسات المجتمع المدني ذات العلاقة، فخرج المشروع وكأنه مخصص للصحفيين فقط. منشور على الرابط التالي:

<https://tinyurl.com/y9xmws2>.

(50) دستور ليبيا هو الدستور الذي دخل حيز التنفيذ في 7/10/1951 مباشرة قبل استقلال ليبيا الرسمي في 24/12/1951.

أو ينافي الآداب). ونصت المادة (13) من الإعلان الدستوري الصادر عام 1969⁽⁵¹⁾ ، على أنه: (حرية الرأي مكفولة في حدود مصلحة الشعب ومبادئ الثورة). ونصت المادة (14) من الإعلان الدستوري الصادر عام 2011⁽⁵²⁾ ، على أنه: (تضمن الدولة حرية الرأي وحرية التعبير الفردي والجماعي، وحرية البحث العلمي، وحرية الاتصال وحرية الصحافة ووسائل الإعلام والطباعة والنشر، وحرية التنقل، وحرية التجمع والتظاهر والاعتصام السلمي بما لا يتعارض مع القانون).

6 - الدستور التونسي⁽⁵³⁾ : نص في الفصل (32) من الدستور الصادر عام 2014، على أنه: (تضمن الدولة الحق في الإعلام والحق في النفاذ إلى المعلومة، تسعى الدولة إلى ضمان الحق في النفاذ إلى شبكات الاتصال)⁽⁵⁴⁾ .

7 - الدستور المغربي⁽⁵⁵⁾: نص في الفصل (27) من الدستور الصادر عام 2011، على أنه: (للمواطنين والمواطنين حق الحصول على المعلومات الموجودة في حوزة الإدارة العمومية، والمؤسسات المنتخبة، والهيئات المكلفة بمهام المرفق العام. ولا يمكن تقييد الحق في المعلومة إلا بمقتضى القانون بهدف حماية كل ما يتعلق بالدفاع الوطني، وحماية أمن الدولة الداخلي والخارجي، والحياة الخاصة للأفراد. وكذا، الوقاية من المس بالحريات والحقوق الأساسية المنصوص عليها في هذا الدستور، وحماية مصادر المعلومات والمجالات التي يحددها القانون بدقة)⁽⁵⁶⁾ . وباستعراض النصوص السابقة يتبين لنا، أن الأسس القانونية المنظمة لحق الحصول على المعلومات في الدساتير المعاصرة غير معلومة إن كانت قد وضعت بقصد إعطاء السلطات في تلك الدول حرية التحكم في منع هذا الحق، أم أن المقصود بها هو وضع تنظيم له، أم أن ذلك يرجع لعدم الدقة أو الوضوح في الرؤية في كيفية الربط بين الحرية والمسئولية وفقاً لمبدأ التوازن بينها، وربما يكون في ذلك الكثير من الصحة. ويبدو، أن الدول المعاصرة ربما قصدت أن تضمن هذا أو ذاك من الحقوق من حيث المبدأ، لكن دون تحديد دقيق ومحكم، أي دون

(51) الإعلان الدستوري الليبي صدر عام 1969.

(52) الإعلان الدستوري الليبي صدر عام 2011.

(53) الدستور التونسي صدر عام 2014.

(54) صدر في تونس القانون الأساسي رقم (22) لسنة 2016، المتعلق بالحق في النفاذ إلى المعلومات بتاريخ 24 مارس 2016، ويتميز هذا القانون بأنه ينص على وجوب النشر الاستباقي للمعلومات، وليس فقط تزويد المعلومات إلى طالبيها كما لا يلزم النفاذ بذكر الأسباب أو المصلحة من الحصول على المعلومة ضمن مطالب النفاذ. منشور على الرابط التالي:

<http://www.legislation.tn/detailtexte/Loi-num-2016-22-du-24-03-2016-jort.2016-026->

(55) الدستور المغربي صدر عام 2011.

(56) تم إقرار قانون للحصول على المعلومات بالمغرب بتاريخ 13/12/2018، والذي دخل حيز التنفيذ في مارس 2019 ويعتبر القانون المتعلق بالحق في الحصول على المعلومات رافعة أساسية ساهم في تسريع عملية انضمام المغرب لمبادرة الشراكة من أجل الحكومة المنفتحة، بعد حصولها على نقطة 12/16، والتي تعتبر شرطاً أساسياً للانضمام إلى الشراكة من أجل الحكومة المنفتحة. منشور على الرابطين التاليين:

https://www.mmsp.gov.ma/uploads/documents/Loi.22022018_1331.pdf

<https://www.mmsp.gov.ma/ar/decline.aspx?r&320=m.9=>

اعتبار أهمية الحماية الفعلية والفعالة لتلك الحقوق، بل عهدت بتنظيم الحقوق وتعريف مداها وحمايتها للقانون، الأمر الذي يعطيها هذا الهامش من الحرية، حيث إن القانون يتعدل ويتغير بسهولة أكثر بكثير من الدستور.

وهكذا، نجد أن معظم الدساتير المعاصرة تنص على أن حرية الحصول على المعلومات مضمون (في القانون) أو (في حدود القانون) أو (بما يتفق مع القانون) أو (بالشروط التي يحددها القانون) أو (في حدود الأنظمة).

كما أننا، نجد أن الدستور الليبي لم ينص صراحة على حرية الحصول على المعلومات ويبدو أن التعامل مع هذه الحرية يكون في إطار حرية الرأي وحرية التعبير، وحرية البحث العلمي، وحرية الصحافة ووسائل الإعلام والطباعة والنشر. ومن الواضح أن الدستور الليبي، قد تضمن الحريات المذكورة في عبارات مقتضبة، لا تشمل أي تفسير في تحديد تلك الحريات، وإعطاء السلطات قدرًا واسعاً من الحرية للتحكم بها، وربما كان الهدف من الإشارة إلى تلك الحريات، هو التعامل من حيث الشكل دون إعطاء أهمية للضمانة الفعلية لتلك الحريات، وكأنه ترك المجال للقانون لحمايتها، لأن هامش الحرية فيه أوسع من الدستور، كونه يتبدل بمرونة أقل من الدستور.

خلاصة القول، إن كافة الدساتير المعاصرة قيدت حق الحصول على المعلومات، وذلك بأن أعطت للقانون حق حماية المعلومات المتعلقة بالدفاع الوطني وأمن الدولة الداخلي والخارجي، وأيضاً المعلومات المتعلقة بالحياة الخاصة للأفراد، وكذلك كل معلومة التي من شأن الحصول عليها أن يمس بالحقوق والحريات الأساسية المنصوص عليها في الدستور. ذلك أن الحق في الحصول على المعلومات ليس مطلقاً، وإنما ترد عليه قيود تهدف إلى حماية مصالح المجتمع والأفراد على السواء. ونجد كل قوانين حرية الحصول على المعلومات في العالم لا تخلوا من مثل هذه القيود.

على أن القيود التي توضع على حرية الحصول على المعلومات، يجب أن لا تتضمن مفاهيم فضفاضة تفرغ قانون تنظيمها من محتواه، ويصبح قانون لمنع الحصول على المعلومة بدلاً من الحصول عليها، لأن هناك بعض المفاهيم فضفاضة، ومن شأن إدراجها في القانون دون تحديد دقيق أن يعرقل هذا الحق. ومثال ذلك: (المعلومات المتعلقة بأمن الدولة)، فإن نص القانون على هذا المقتضى، ووقف عند هذا الحد، فستكون كل المعلومات قابلة لأن تدرج ضمن هذا الاستثناء.

لذلك، يجب على القانون أن يسمي ويعين بدقة المعلومات التي من شأن علم المواطنين بها أن يتسبب في الإخلال بأمن الدولة، كما يجب على السلطة التشريعية عند ممارستها لاختصاصاتها في مجال إقرار القوانين، أن لا تتخلى عن هذه الاختصاصات للسلطة التنفيذية إهمالاً منها إلا في الحدود المبينة في الدستور، وعلى سبيل الحصر. وهذا ما أشارت إليه المحكمة الدستورية العليا المصرية

بقولها: (وحيث إن قضاء هذه المحكمة قد جرى على أنه لا يجوز للسلطة التشريعية في ممارستها لاختصاصاتها في مجال إقرار القوانين أن لا تتخلى بنفسها عنها إهمالاً من جانبها لنص المادة (86) من الدستور المقابلة للمادة (33) من الإعلان الدستوري، الذي يعهد إليها أصلاً بالمهام التشريعية ولا تخول السلطة التنفيذية مباشرتها إلا استثناءً، وفي الحدود الضيقة التي بينها نصوص الدستور حصراً⁽⁵⁷⁾ .

وفي الختام، إن دسترة الحق في الحصول على المعلومات، وإيجاد قانون خاص يقنن كيفية ممارسته لا يعني بالضرورة أنه قد تم فعلاً ترسيخه، بل لا بد من تكريس مبادئ هذا الحق وفوائده لدى كافة المواطنين، ولدى الإدارة نفسها. ففي الدول المعاصرة - وخاصة الدول العربية - يكاد يكون الحق في الحصول على المعلومات مجهولاً لدى الكثير من أفراد المجتمع - خاصة لدى الطبقة الأمية -، أما على مستوى جهة الإدارة، فإنها لازالت غير مستوعبة لهذا الحق، ولدى أهميته في تحسين جودة العمل الإداري. لذلك، يجب تعريف الكل بأهمية ممارسة هذا الحق. وعلى منظمات المجتمع المدني أن تتحرك للتعريف بضرورة تفعيل الحق في الحصول على المعلومات، كما على وسائل الإعلام بكافة أشكالها التعريف بهذا الحق، فإعمال هذا الحق سيشكل دفعة قوية لقيام دولة القانون، وسيساهم في تفعيل مبادئ الحكم الرشيد، الذي أصبح من بين أسس النظام الدستوري لكل دولة، كما سيحسن العلاقة بين جهة الإدارة والمواطن.

الخاتمة

يعد حق الحصول على المعلومات من أهم حقوق الإنسان قاطبة، وتنبع أهميته كحق إنساني داخل المجتمعات الديمقراطية، من خلال تكريسه لثقافة الشفافية والمحاسبة في الحياة العامة، وإشراك المجتمع في إدارة الشأن العام، وتوطيد الحكم الرشيد، وتجاوز سلبيات وأثار تسيير الشأن العام تحت غطاء التعقيم والسرية، وذلك للوصول إلى أكبر قدر من الاتفاق حول مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ومن خلال بحث ودراسة هذا الموضوع، توصلنا إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، وهي على النحو التالي :

أولاً: النتائج :

- 1 - رغم اختلاف المسميات حول حق الحصول على المعلومات، فإن المعنى والمدلول واحد، وهو حق المواطن في الحصول على المعلومات التي في حوزة جهة الإدارة.
- 2 - يشكل حق الحصول على المعلومات أهمية للمواطن، بالإضافة إلى الحكومة التي ترغب في إثبات صلاحيتها للحكم، لأن إصلاح مؤسسات الدولة وجعلها أكثر شفافية، لا يتأتى هذا إلا من خلال إتاحة المعلومات للمواطنين للاطلاع عليها.

(57) حكم المحكمة الدستورية العليا المصرية في القضية رقم 133 لسنة 26 ق. "دستورية"، جلسة 4 نوفمبر 2012. مجموعة، الجزء (14) قاعدة رقم (6). ص231.

- 3 - الشفافية تعني أن المعلومات المتعلقة بالقرارات الجماعية تكون متاحة مجاناً ويسهل الوصول إليها وفهمها، وأن تكون كمية المعلومات صادقة وواقية.
- 4 - تضمن الشفافية اتخاذ القرارات الجماعية في ظل مبدأ سيادة حكم القانون وضوابطه التنظيمية، وهي تقني من الأخطاء الحكومية المحتملة عند تقدير الموارد العامة واستخداماتها، فكلما كانت برامج الإنفاق العام والموازنة أكثر شفافية تقلل احتمالات الفساد المالي والإداري.
- 5 - لا يمكن مكافحة الفساد بجميع أنواعه وصوره بدون شفافية ملزمة لجميع الفئات في المجتمع، وذلك بالإفصاح عن المعلومات وضمن أسبابها في حرية تامة.
- 6 - الحصول على المعلومات الدقيقة والصحيحة وفي الوقت المناسب والمطلوب، يعد شرطاً أساسياً لتصميم استراتيجيات مكافحة الفساد.
- 7 - إن الحق في الحصول على المعلومات ليس مطلقاً، وإنما ترد عليه قيود تهدف إلى حماية مصالح المجتمع والأفراد على السواء. ولهذا، كل قوانين حرية الحصول على المعلومات في العالم لا تخلوا من مثل هذه القيود.

ثانياً: التوصيات:

- 1 - يجب أن لا تتضمن القيود التي توضع على حرية الحصول على المعلومات، مفاهيم فضفاضة تفرغ قانون تنظيمها من محتواه، ويصبح قانون لمنع الحصول على المعلومة بدلاً من الحصول عليها.
- 2 - يجب على القانون أن يسمي ويعين بدقة، المعلومات التي من شأن علم المواطنين بها أن يتسبب في الإخلال بأمن الدولة.
- 3 - يجب على السلطة التشريعية عند ممارستها لاختصاصاتها في مجال إقرار القوانين، أن لا تتخلى عن هذه الاختصاصات للسلطة التنفيذية إهمالاً منها إلا في الحدود المبينة في الدستور، وعلى سبيل الحصر.
- 4 - يجب توفير معلومات صحيحة للمستثمرين والتي على أساسها يتخذون قراراتهم، لما في ذلك من تأثير كبير على الأوضاع الاقتصادية في البلاد.
- 5 - يجب إتاحة آليات فعالة، لكي يستطيع المواطنون عن طريقها الحصول على المعلومات للمشاركة في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد.
- 6 - يجب تعريف الكل بأهمية ممارسة هذا الحق. وعلى منظمات المجتمع المدني أن تتحرك للتعريف بضرورة تفعيل الحق في الحصول على المعلومات، كما على وسائل الإعلام بكافة أشكالها التعريف بهذا الحق فإعمال هذا الحق سيشكل دفعة قوية لقيام دولة القانون، وسيساهم في تفعيل مبادئ الحكم الرشيد الذي أصبح من بين أسس النظام الدستوري لكل دولة، كما سيحسن العلاقة بين جهة الإدارة والمواطن.

المراجع

أولاً: باللغة العربية:

1 - الكتب :

- د. أنس محمد جعفر: الوسيط في القانون العام. دون ذكر للناشر. 1985.
- د. بلال البرغوثي: الحق في الاطلاع. الهيئة الفلسطينية لحقوق المواطنين. 2004. رام الله.
- د. تهاني حسن عز الدين: الحق الدستوري في الحصول على المعلومات ودوره في مكافحة الفساد. دراسة مقارنة. المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة. 2020.
- د. ثروت بدوي: مبادئ القانون الإداري. دون ذكر للناشر. 1973.
- د. سامي محمد الطوخي: الإدارة بالشفافية - الطريق للتنمية والإصلاح الإداري من السرية وتدني الأداء والفساد والتسيب وتطوير الأداء البشري والمؤسسي. دراسة مقارنة. دار النهضة العربية، القاهرة 2006.
- د. صلاح الدين فهمي محمود: الفساد الإداري كمعوق لعملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب سابقاً، وحالياً أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض 1994.
- د. صلاح سالم زرنوقة: تحليل قضايا الفساد في مصر. الفساد والتنمية. تحرير مصطفى كامل السيد ود. صلاح سالم زرنوقة. مركز دراسات وبحوث الدول النامية، القاهرة. 1999.
- د. عبد الرحمن محمد العيساوي: سيكولوجية الفساد والأخلاق والشفافية. ط1. دار الفكر الجامعي الإسكندرية. 2011.
- د. عبد العزيز جميل مخيمر وآخرون: قياس الأداء المؤسسي للأجهزة الحكومية. المنظمة العربية للتنمية الإدارية القاهرة. 2000.
- د. عصام حنفي محمود: التزام الشركات بالشفافية والإفصاح. دار النهضة العربية، القاهرة. 2006.
- د. عصام عبد الفتاح مطر: الفساد الإداري. دار الجامعة الجديدة. 2011.
- د. فاروق أبو زيد: الإعلام والديمقراطية. عالم الكتب. بدون تاريخ نشر.
- د. محمد فؤاد مهنا: القانون الإداري المصري. الجزء الأول. دون ذكر للناشر. 1958.
- د. منى رمضان بطيخ: الإدارة العامة بين البيروقراطية والفساد الإداري. الواقع والمأمول. دار النهضة العربية، القاهرة. 2014.
- د. منير الحمشي: الاقتصاد السياسي. الفساد والإصلاح والتنمية. منشورات الكتاب العربي، دمشق 2006.
- د. ناجح أحمد عبد الوهاب: التطور الحديث للقانون الإداري في ظل نظام الحكومة الإلكترونية. رسالة دكتوراه. كلية الحقوق، جامعة القاهرة. 2011.
- د. ناريمان إسماعيل متولي: اقتصاديات المعلومات. دراسة للأسس النظرية وتطبيقاتها العلمية على مصر وبعض البلاد الأخرى. المكتبة الأكاديمية، القاهرة. 1995.

2 - الرسائل العلمية :

- أ. إبراهيم سيف عبد الحميد: اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد. رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة. 2013.
- د. أحمد مصطفى أحمد صبيح: الرقابة المالية والإدارية ودورها في الحد من الفساد الإداري. دراسة مقارنة رسالة دكتوراه. كلية الحقوق، جامعة عين شمس. 2014.
- د. سامي محمد الطوخي: شفافية أعمال الإدارة. رسالة دكتوراه. كلية الحقوق، جامعة بني سويف 2005.
- أ. لانا خالد سلامة القطيفان: دور قانون ضمان حق الحصول على المعلومات في التغطية الإعلامية في الأردن من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين. رسالة ماجستير. كلية الإعلام جامعة الشرق الأوسط الأردن. 2012 - 2013.
- د. ياسر سيد حسين: الحق الدستوري في الحصول على المعلومات والبيانات. رسالة دكتوراه. كلية الحقوق، جامعة القاهرة. 2014.

3 - البحوث والمقالات العلمية :

- د. محمد حافظ الرهوان: مكافحة الفساد شرط لازم لتحقيق الأمن والتنمية. مجلة كلية الدراسات العليا العدد 5. يولييه 2001.
- د. نواف كنعان: الفساد الإداري والمالي. أسبابه وآثاره وسبل مكافحته. مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية. السنة 32. العدد 334. يناير 2008.

ثانياً: باللغة الأجنبية:

1 - المراجع الفرنسية :

- F. brocal. Le droit l'information en France, these de Lyon 2, 2004.
- Dixieme congres des Nations Unies pour la peevention du crime et le traitement des delinquants, le cout de la corruption, publie par le Departement de l'information de l'ONU DPI\2008.
- Intel Torchon; la corruption et ses consequences sur notre system judiciaire etre 1986, 2008, universite d'Haiti " faculte de droit et des sciences Economiques des Gonaives, 2002.
- Transparency Morrco, plateforme de plaidoyer droit d'accès al information et recommandations sectorielles, Janvier, 2010.
- Luis fougere: le colloque de Graz sur l'accès a l'information, Septembre 1979, la gazette du palais, 1977.

2 - المراجع الإنجليزية:

- Jeremy Lewis, the freedom of information act: from pressure to policy implementation, thesis, the Johns Hopkins university, 1982.
- Mamadou Koulibaly: les couts de la corruption, le courrier ACP – EU, no 177, October – Novembre 1999.
- M palmer, Breaking the real Axis Evil: how to oust the world's last dictators by 2050 (oxford: roman and little field publishers, 2003).
- Patrick birkin shaw, freedom of information and openness, Fundamental human rights, Administrative law review, 2006.

ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية خلال مرحلة التحقيق

إعداد: د. منصور حمدي مصطفى
أستاذ مساعد بقسم القانون الدولي العام كلية الحقوق / جامعة طبرق

القبول: 2021 / 10 / 15

الاستلام: 2021 / 09 / 01

المستخلص

يعدّ موضوع ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية خلال مرحلة التحقيق من الموضوعات المهمة التي تبين مدى اهتمام النظام الأساسي لهذه المحكمة بضمانات وحقوق المتهم خلال مرحلة التحقيق، وذلك من أجل الوصول إلى محاكمة عادلة معترف بها في القانون الدولي. وبناءً عليه تم تقسيم هذا البحث إلى ثلاث مباحث رئيسية: تناولت في الأول ضمانات المتهم المتعلقة بسلطة التحقيق، وبينت في الثاني ضمانات المتهم المتعلقة بالقواعد الأساسية للتحقيق، وخصصت الثالث لضمانات المتهم أثناء مباشرة إجراءات التحقيق. الكلمات المفتاحية: المحاكمة العادلة، العدالة الجنائية الدولية، إجراءات التحقيق.

Summary

The issue of the guarantees of the accused before the International Criminal Court during the investigation stage is one of the important topics that show the extent to which the statute of this court is concerned with the guarantees and rights of the accused during the investigation stage, in order to reach a fair trial recognized in international law.

Accordingly, this research was divided into three main sections: in the first it dealt with the guarantees of the accused related to the investigation authority, in the second it showed the guarantees of the accused related to the basic rules of the investigation, and the third devoted to the guarantees of the accused during the conduct of investigation procedures.

Keywords: guarantees of the accused, fair trial, international criminal court, international criminal justice, investigation procedures.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين:

أما بعد:

يعتبر التحقيق المرحلة الأولى من مراحل الدعوى الجنائية بالنسبة للجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة الدولية، وذلك حسب المادة (5) من نظام روما الأساسي، والذي دخل حيز التنفيذ في 1 / 7 / 2002⁽¹⁾.

والتحقيق مرحلة تهدف إلى البحث عن الحقيقة في الدعوى الجنائية، وإيجاد الأدلة التي تساعد على معرفتها حتى تكون الدعوى الجنائية قابلة للعرض على القضاء، وبما أن هذا البحث عن الحقيقة يقتضي اتخاذ إجراءات تستهدف معرفة الأدلة التي تفيد في الكشف عنها؛ كان لابد من إسناد هذه المهمة إلى هيئة أو سلطة حريصة على حقوق الأفراد وحررياتهم، وكذلك لابد من إحاطة هذه المرحلة بمجموعة من الضمانات من أجل كفالة محاكمة عادلة للمتهمين⁽²⁾. حيث يتمتع المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية خلال مرحلة التحقيق بمجموعة من الضمانات القانونية والتي تضمنها نظام روما الأساسي لعام 1998، وذلك من أجل تحقيق محاكمة عادلة ومنصفة.

ففي مرحلة التحقيق تتعرض حقوق وحرريات المتهم للمساس، فقد تقيّد حريته ويوقف، لذا يجب أن تحاط بسياسات من الضمانات لكي تمارس بشكل يكفل الموازنة بين حق المجتمع في الوصول إلى الحقيقة ومعاقبة المجرم وبين حق المتهم في عدم المساس بحقوقه وحرّيته.

أهمية البحث :

تتجلى أهمية بحث موضوع ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية خلال مرحلة التحقيق في الآتي :

1. أن هذه الضمانات تمثل قوة القانون في مقاومة انحراف السلطة القضائية القائمة بالتحقيق عن جادة العدالة وسيادة القانون، وإلزامها بحماية حقوق المتهم وحرّياته أثناء الكشف عن الحقيقة.
2. أن توفير الضمانات للمتهم أمام المحمة الجنائية الدولية واحترامها يعزز الثقة بأحكام القضاء الجنائي الدولي، وذلك لأن الحكم الجنائي الدولي قد تم التوصل إليه بطريقة احترمت فيها حقوق المتهم وحرّياته.

(1) تنص المادة (5) من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية على أن " يقتصر اختصاص المحكمة على أشد الجرائم خطورة موضع اهتمام المجتمع الدولي بأسره، وللمحكمة بموجب هذا النظام الأساسي اختصاص النظر في الجرائم التالية: أ) جريمة الإبادة الجماعية، ب) الجرائم ضد الإنسانية، ج) جرائم الحرب، د) جرائم العدوان.

(2) أ. علاء باسم صبحي، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011، ص39.

أهداف البحث :

- نرمي من وراء هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:
1. تسليط الضوء على ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية خلال مرحلة التحقيق.
 2. بيان مدى كفاية هذه الضمانات للعمل بها أمام المحكمة الجنائية الدولية خلال مرحلة التحقيق.

إشكالية البحث :

تتلخص إشكالية البحث من خلال طرح السؤال التالي:
ما مدى الحماية القانونية التي يحظى بها المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية في مرحلة التحقيق من خلال نظام روما الأساسي؟
وبعبارة أخرى هل جاء نظام روما الأساسي خلال مرحلة التحقيق غنياً بالضمانات التي تكفل للمتهم محاكمة عادلة أم لا؟
وسيتم الإجابة على هذا السؤال من خلال هذا البحث.

منهج البحث :

للإجابة على هذه الإشكالية تم اعتماد المنهج الوصفي والتحليلي، كل ذلك من خلال وصف ما هو موجود من النصوص المتعلقة بضمانات المحاكمة العادلة في نظام روما الأساسي، ثم تحليل تلك الأحكام الواردة في تلك النصوص من خلال الملاحظة والتعليق، بما فيها الأحكام التي جاءت بها قواعد الإجراءات والإثبات الخاصة بالمحكمة الجنائية الدولية التي تتعلق بضمانات المتهم أمام تلك المحكمة والوقوف على مكامن القوة والضعف لهذه الضمانات.

خطة البحث :

- ينقسم البحث إلى ثلاث مباحث، وذلك على النحو التالي:
- المبحث الأول : ضمانات المتهم المتعلقة بسلطة التحقيق.
- المبحث الثاني: ضمانات المتهم المتعلقة بالقواعد الأساسية للتحقيق.
- المبحث الثالث : ضمانات المتهم أثناء مباشرة إجراءات التحقيق.
- ثم الخاتمة وقائمة المراجع.

المبحث الأول

ضمانات المتهم المتعلقة بسلطة التحقيق

إن ما يهدف إليه التحقيق هو البحث عن المعلومات التي تؤدي إلى الكشف عن الحقيقة التي يترتب عنها إحالة المتهم إلى محكمة مختصة، مما قد يؤدي ذلك إلى المساس بحريته وحقوقه⁽³⁾.

لذلك لا يجب تقديم الدعوى إلى المحكمة إلا بعد تدقيق وتمحيص تلك الأدلة على يد سلطة مختصة قائمة بذلك، كما يجب على من يقوم بعملية التحقيق أن يكون على قدر من الحياد والاستقلالية والكفاءة وحسن التقدير والتخصص، لأن توافر هذه الضمانات يساهم في إظهار الحقيقة، وبالتالي يمكن في ظلها أن يدافع المتهم عن نفسه، ويحاول إظهار براءته⁽⁴⁾.

وتأسيساً على ذلك سنقسم هذا المبحث إلى مطلبين: نتحدث في الأول عن السلطة القائمة بالتحقيق، وفي الثاني نتناول المحقق وضمانات المتهم.

المطلب الأول

السلطة القائمة بالتحقيق

سوف نتحدث في هذا المطلب عن تكوين السلطة القائمة بالتحقيق لمعرفة أثر هذا التكوين على ضمانات المتهم، وكذلك سنتطرق إلى آلية ممارسة سلطة التحقيق لعملها المنصوص عليها في نظام روما الأساسي، وسنبين واجبات مدعي عام المحكمة الجنائية الدولية، وسنشيراً أيضاً إلى دور الدائرة التمهيدية في التحقيق، وذلك في الفروع الآتية:

الفرع الأول

تكوين السلطة القائمة بالتحقيق

تتكون السلطة التي تتولى التحقيق من المدعي العام ونوابه، ويتم انتخاب المدعي العام بطريقة الاقتراع السري بالأغلبية المطلقة لأعضاء جمعية الدول الأطراف، وبذات الطريقة ينتخب نوابه اعتماداً على قائمة بالمرشحين يقوم هو بتقديمها، ويتولى المدعي العام ونوابه مناصبهم لمدة تسع سنوات ما لم تتقرر مدة أقصر، ولا يجوز إعادة انتخابهم⁽⁵⁾، ويتولى المدعي العام رئاسة مكتب الادعاء العام، ويتمتع بالصلاحيات الكاملة في تنظيم وإدارة المكتب⁽⁶⁾، ويعمل المدعي العام بصفة مستقلة باعتباره جهازاً منفصلاً عن المحكمة، ولا يجوز لأعضاء المكتب تلقي أية تعليمات من مصادر خارجية، ولا العمل بهذه التعليمات⁽⁷⁾.

(3) أ. براء منذر كمال عبد اللطيف، النظام القضائي، (المحكمة الجنائية الدولية)، دار الحامد للنشر والتوزيع، (ب.م)، 2007، ص 253.

(4) أ. حسن بشيت خوين، ضمانات المتهم في الدعوى الجزائية- الجزء الأول، خلال مرحلة التحقيق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998م، ص 36.

(5) المادة (4/4)، من النظام الأساسي للمحكمة.

(6) المادة (2/2) من النظام الأساسي للمحكمة.

(7) المادة (1/42) من النظام الأساسي للمحكمة.

ويشترط فيمن يجري اختياره مدعي عام أو نائباً للمدعي العام :

1. اختلاف جنسيات المدعي العام ونوابه.
2. التفرغ التام لهذا المنصب.
3. أن يتمتع المدعي العام ونوابه بالأخلاق الرفيعة والكفاءة العالية والخبرة المهنية في مجال الادعاء أو المحاكمة في القضايا الجنائية، مع المعرفة الممتازة في لغة واحدة على الأقل من لغات عمل المحكمة.
4. عدم جواز مزاوله أي نشاط يكون من شأنه التعارض مع مهامهم في الادعاء أو ينال من الثقة في استقلالهم، ويحظر عليهم كذلك القيام بأي عمل آخر ذا طابع مهني⁽⁸⁾.

وللمدعي العام ونوابه طلب التنحي على الاشتراك في قضية معينة، وفي هذه الحالة يكون لهيئة الرئاسة قبول هذا الطلب أو رفضه في ضوء الأسباب المرفقة به⁽⁹⁾.

وتحسباً لعدم تقديم المدعي العام أو نوابه لهذا الطلب؛ خول النظام الأساسي المتهم حق طلب تنحية المدعي العام أو نوابه على أن يكون هذا الطلب مشفوعاً بالأسباب الداعية إليه، وتفصل دائرة الاستئناف في هذا الطلب⁽¹⁰⁾.

ونسنتج من كل ما سبق أن السلطة التي تتولى التحقيق في الجرائم التي تدخل اختصاص المحكمة الجنائية الدولية هي سلطة مستقلة ومحايطة تكفل للمتهم مجموعة من الضمانات للدفاع عن نفسه في مرحلة التحقيق حسب نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية⁽¹¹⁾.

الفرع الثاني

آلية ممارسة سلطة التحقيق لعمالها

تمارس المحكمة الجنائية الدولية اختصاصها على الجرائم الواردة في المادة (5) في الأحوال الآتية:

أولاً: إذا أحالت دولة طرف إلى المدعي العام وفقاً للمادة (14) حالة يبدو فيها أن جريمة أو أكثر من هذه الجرائم قد ارتكبت.

ثانياً: إذا أحال مجلس الأمن متصرفاً بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة حالة إلى المدعي العام يبدو فيها أن جريمة أو أكثر من هذه الجرائم قد ارتكبت.

ثالثاً: إذا باشر المدعي العام التحقيق من تلقاء نفسه⁽¹²⁾.

بعد أن تتوافر حالة من الحالات السابقة فإن المدعي العام يقوم بتقييم

(8) المادة (2/42، 3، 5) من النظام الأساسي للمحكمة.

(9) المادة (6/42) من النظام الأساسي للمحكمة.

(10) المادة (8/42) من النظام الأساسي للمحكمة.

(11) أ. فوزية تراكة، حقوق المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019، ص 14.

(12) المادة (13) من النظام الأساسي للمحكمة.

المعلومات المتوفرة لديه ليقرر الشروع في التحقيق من عدمه، وإذا قرر الشروع في التحقيق فإنه ينظر فيما يلي:

أ. ما إذا كانت المعلومات المتاحة للمدعي العام توفر أساساً معقولاً للاعتقاد بأن جريمة تدخل في اختصاص المحكمة قد ارتكبت أو يجري ارتكابها.

ب. ما إذا كانت القضية مقبولة أو يمكن أنتكون مقبولة بموجب المادة (17).

ج. ما إذا كان يرى؛ أخذاً في اعتباره خطورة ومصالح المجني عليهم، أن هناك مع ذلك أسباباً تدعو للاعتقاد بأن إجراء تحقيق لن يخدم مصالح العدالة⁽¹³⁾.

وقد يتبين للمدعي العام أثناء التحقيق أنه لا يوجد أساس كافي للمقاضاة لأنه لا يوجد أساس قانوني أو واقعي كاف لطلب إصدار أمر قبض أو أمر حضور أو لأن القضية غير مقبولة لعدم توفر شروط المقبولية أو لأنه رأى رغم مراعاة جميع الظروف أن المقاضاة لن تخدم صالح العدالة⁽¹⁴⁾.

أن قرار مدعي عام المحكمة الجنائية الدولية بعدم وجود أساس كاف لإقامة الدعوى الجنائية ليس نهائياً، بل إن هذا القرار يخضع لرقابة الدائرة التمهيدية، كذلك يجوز للدولة القائمة بالإحالة استناداً للمادة (14) من نظام روما الأساسي، وكما يجوز أيضاً لمجلس الأمن أن يطلب من الدائرة التمهيدية مراجعة قرار المدعي العام القاضي بعدم إجراء التحقيق⁽¹⁵⁾.

نستنتج من ذلك أن السلطة القائمة بالتحقيق في الجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية لا تسعى دائماً إلى إدانة المتهم، بل قد تمتنع هذه السلطة عن القيام بالتحقيق استناداً للأسباب التي ذكرناها سابقاً، وهذا دليل آخر على استقلال هذه السلطة ونزاهتها، وإن هذا الاستقلال ينعكس إيجاباً على ضمانات المتهم⁽¹⁶⁾.

الفرع الثالث

واجبات مدعي عام المحكمة الجنائية الدولية

لقد نصت المادة (54) من نظام روما الأساسي على واجبات المدعي العام أثناء التحقيق الابتدائي، وهي كالآتي:

1. إثبات الحقيقة من خلال توسيع نطاق التحقيق ليشمل جميع الأدلة والوقائع التي تدل ما إذا كانت هناك مسؤولية جنائية بموجب نظام روما الأساسي، وعليه وهو يفعل ذلك أن يحقق في ظروف التجريم والتبرئة على حد سواء.

2. اتخاذ التدابير المناسبة لضمان فعالية التحقيق في الجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة.

(13) المادة (53/1) من النظام الأساسي للمحكمة.

(14) المادة (53/2) من النظام الأساسي للمحكمة.

(15) المادة (3*53) من النظام الأساسي للمحكمة.

(16) أ. علاء باسم صبحي، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، مرجع سابق، ص 46.

3. احترام حقوق الأشخاص الذين يجري معهم التحقيق احتراماً كاملاً⁽¹⁷⁾. وهكذا يمكن ملاحظة أن نظام روما الأساسي قد نص على الكثير من الضمانات التي تحمي حقوق المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، وذلك من خلال واجبات المدعي العام، حيث نجد أن المدعي العام يحقق في ظروف الإدانة والتبرئة في آن واحد، أي أن هدفه ليس دائماً إدانة المتهم، وإنما قد يكون هدفه تبرئة المتهم عما نسب إليه مما يجعله خصماً شريفاً⁽¹⁸⁾.

الفرع الرابع

دور الدائرة التمهيدية في التحقيق

تقوم الدائرة التمهيدية بدور مكمل لدور المدعي العام في مجال التحقيق والتمهيد لإحالة القضية للدائرة الابتدائية التي تختص بالمحاكمة، فهي المختصة باعتماد التهم، وإحالة القضية إلى الدائرة الابتدائية، والإذن للمدعي العام بالشروع بالتحقيق⁽¹⁹⁾.

ومن أهم الوظائف التي تقوم بها الدائرة التمهيدية في مجال التحقيق ما يلي:

1. إصدار القرارات والأوامر والتدابير اللازمة لأغراض التحقيق بناءً على طلب المدعي العام، كإصدار أوامر القبض أو الإحضار في أي وقت بعد بدء المدعي العام بالتحقيق (حسب شروط المادة 18).
2. اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية المجني عليهم والشهود وخصوصياتهم.
3. المحافظة على الأدلة وحماية المقبوض عليهم أو الذين استجابوا لأمر الحضور، وحماية المعلومات المتعلقة بالأمن الوطني للدول التي تتعاون مع المحكمة.
4. الإذن للمدعي العام باتخاذ خطوات التحقيق داخل دولة طرف، عندما تقرر الدائرة التمهيدية أن الدولة غير قادرة على التعاون مع المدعي العام⁽²⁰⁾.

كما أن نظام روما الأساسي أوجد فرصة فريدة للتحقيق، وذلك عندما يرى المدعي العام أن هناك خوفاً من ضياع أدلة الإثبات، أو أن عدم إجراء التحقيق في لحظة ما قد لا يمكن إجراؤه مستقبلاً، ففي هذه الحالة يبلغ المدعي العام الدائرة التمهيدية، ويجوز للدائرة التمهيدية أن تتخذ الإجراءات اللازمة لضمان فعالية الإجراءات ونزاهتها بما يضمن حماية حقوق المتهم. ومن هذه التدابير والإجراءات: إصدار توصيات أو أوامر بشأن الإجراءات الواجب اتباعها، الأمر بإعداد سجل الإجراءات، تُعين خبير، الإذن باستعانة المتهم

(17) المادة (54/1) من النظام الأساسي للمحكمة.

(18) أ. أحمد سعيد عبد الكريم، ضمانات حقوق المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2018، ص 68.

(19) د. إبراهيم محمد العناني، المحكمة الجنائية الدولية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006، ص 215.

(20) المادة (57/3) من النظام الأساسي للمحكمة.

بمهام أو تعيين محام له إذا لم يكن له محام، واتخاذ ما يلزم من إجراءات لجمع الأدلة والحفاظ عليها⁽²¹⁾.

وما يمكن استخلاصه، أن الدائرة التمهيدية تلعب دوراً بارزاً في المحافظة على حقوق المتهمين من خلال صلاحياتها التي أعطاها إياها نظام روما الأساسي، وعليه يمكن القول أن أجهزة التحقيق التابعة للمحكمة الجنائية الدولية (المدعي العام والدائرة التمهيدية) هي أجهزة مستقلة تسعى دائماً لاحترام حقوق المتهم⁽²²⁾.

المطلب الثاني

المحقق وضمانات المتهم

يقوم المحقق بدور فاعل في عملية التحقيق، وذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة، ولذلك يجب عليه أن يتمتع بمجموعة من الصفات الشخصية والموضوعية، وتعتبر هذه الصفات من أهم ضمانات المتهم فوجودها يؤدي إلى قدرة المتهم في الدفاع عن نفسه وإثبات براءته، وعدم ممارسة الأساليب غير المشروعة على المتهم من أجل الوصول إلى الحقيقة، وسنتناول هذه الصفات في الفروع الآتية:

الفرع الأول

الضمانات الشخصية للمحقق

أولاً : الإيمان برسالته :

يجب على المحقق أن يكون مقتنعاً ومؤمناً بأنه صاحب رسالة، وبأنه يمارس عمل مقدس، وأن هدفه هو الوصول إلى الحقيقة وليس فقط تجريم الأشخاص وإدانتهم⁽²³⁾.

ثانياً : قوة الملاحظة :

يجب على المحقق أن يكون منتبهاً ويقظاً لكل ما يراه حوله أثناء التحقيق، ولا يدع أمراً دون أن يتوقف عنده بالتفكير والتحليل والاستنتاج والفحص .
ثالثاً : الثقافة القانونية :

يجب على المحقق أن يكون ملماً بالمبادئ والقواعد العامة الواردة في القوانين الجنائية⁽²⁴⁾، وهذا ما نص عليه نظام روما الأساسي عندما اشترط في المدعي العام ونوابه بأن تتوفر لديهم خبرة عملية واسعة في مجال الادعاء أو المحاكمة في القضايا الجنائية⁽²⁵⁾.

(21) المادة (1/56، 2) من النظام الأساسي للمحكمة.

(22) أ. سامي عبد اللطيف حمود، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بيروت العربية، 2017، ص21.

(23) أ. حسن بشيت خوين، ضمانات المتهم في الدعوى الجزائية، ج1، مرجع سابق، ص 62.

(24) د. عبد الحميد الشواربي، ضمانات المتهم في مرحلة التحقيق، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1996، ص 133.

(25) المادة (3/42) من النظام الأساسي للمحكمة.

الفرع الثاني الصفات الموضوعية للمحقق

أولاً: حياد المحقق :

يجب أن تتوافر في المحقق الحياد التام أثناء مباشرته لإجراءات التحقيق، بحيث يكون بعيداً عن الضغوط والميول الشخصية، فإذا كان هدفه الوصول إلى الحقيقة فيجب عليه أن يترك لهذه الحقيقة أن تسطر بنودها بنفسها⁽²⁶⁾.

ولقد تضمن نظام روما هذه الصفة في المادة (42/1) عندما نص على وجوب عمل مكتب المدعي العام بصفة مستقلة، كما أجازت المادة (8/42/أ) للشخص محل التحقيق أن يطلب تحيية المدعي العام أو أحد نوابه عندما يكون حيادهم موضع شك.

ثانياً: سرعة التصرف بالتحقيق :

تعد السرعة طابع مميز للإجراءات الجنائية، بحيث تعتبر سرعة التصرف بالتحقيق إحدى ضمانات المتهم، لأنه قد يترتب على إجراءات التحقيق توقيف المتهم وحبسه احتياطياً، وبالتالي فإن سرعة التصرف بالتحقيق تجنب المتهم أضراراً كثيرة.

وسرعة التصرف تكون من ناحيتين:

الأولى: أن ينتهي من إجراءات التحقيق في أقصر وقت.

الثانية: سرعة التصرف في كل إجراء من إجراءات التحقيق على أن لا يؤثر ذلك على حقوق المتهم⁽²⁷⁾.

ثالثاً: حفظ أسرار التحقيق :

يجب على المحقق أن يحفظ أسرار التحقيق وكل ما توصل إليه من نتائج، نظراً لما تحققه هذه السرية في تحقيق العدالة والمساعدة في كشف الحقيقة، حتى لا يتمكن الجناة من معرفة ما سيقوم به المحقق ويعمدوا إلى إخفاء الأدلة⁽²⁸⁾.

وقد تناول نظام روما الأساسي هذه الصفة عندما أوجب على المدعي العام عدم الكشف عن أية معلومات أو مستندات يتم التوصل إليها أثناء التحقيق⁽²⁹⁾.

نستخلص من دراسة هذا المبحث وهو ضمانات المتهم فيما يتعلق بالسلطة القائمة بالتحقيق بأن نظام روما الأساسي جاء غنياً بالضمانات في هذه السلطة، وهذا سينعكس إيجاباً على حق المتهم في الدفاع عن نفسه وإثبات براءته.

المبحث الثاني

ضمانات المتهم المتعلقة بالقواعد الأساسية للتحقيق

التحقيق تحكمه قواعد أساسية لا بد من مراعاتها من قبل السلطة القائمة

(26) أ. أشرف فايز اللمسوي، المحكمة الجنائية الدولية، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، 2007، ص 54.

(27) أ. عبد الحميد الشواربي، ضمانات المتهم في مرحلة التحقيق، مرجع سابق، ص 133.

(28) أ. أشرف فايز اللمسوي، المحكمة الجنائية الدولية، مرجع سابق، ص 55.

(29) المادة (54/3، هـ) من النظام الأساسي للمحكمة.

به، وهذه القواعد تعتبر من أهم ضمانات المتهم، وسنتناول هذه القواعد في المطالب الآتية:

المطلب الأول

تدوين التحقيق

يعتبر التحقيق الابتدائي الذي يجريه المدعي العام مع المتهم من الأمور المهمة التي تحافظ على المعلومات والوقائع من النسيان أو التداخل، حيث يجب أن يقوم بتدوين التحقيق كاتب يرافق المدعي العام في جميع إجراءات التحقيق⁽³⁰⁾. ويشكل تدوين التحقيق ضماناً مهمة للمتهم، فمن خلال التدوين يستطيع المتهم الرجوع إلى الإجراءات والاطلاع على الشهادات المقدمة ضده؛ لتمكينه من اعداد دفاعه⁽³¹⁾.

كما أن لتدوين التحقيق أهميته بالنسبة للسلطة القائمة به، ويظهر ذلك من خلال إبعاد الشبهة عنها، وقطع الطريق على المتهم من الادعاء بعدم صحة الأقوال المنسوبة إليه⁽³²⁾.

كما يلعب التدوين دوراً هاماً لدى القضاة، فهو يُمكن القاضي من الاطلاع على إجراءات التحقيق، وكذلك تكوين قناعته حول موضوع القضية بالاعتماد على الأدلة المدونة في محاضر التحقيق من دون أن يكون ملزماً بإعادة هذه الإجراءات⁽³³⁾.

وبالرجوع إلى نظام روما الأساسي نجد أنه لم ينص على إجراء التدوين، وهذا يعتبر نقص تشريعي، إلا أن هذا النقص تم تلافيه عند وضع القواعد الإجرائية وقواعد الإثبات، حيث تضمنت هذه القواعد التي تعتبر جزءاً من نظام روما الأساسي استناداً لنص المادة (51) من نظام روما الأساسي نصوصاً توجب على السلطة القائمة بالتحقيق تدوين إجراءات التحقيق في محاضر. فقد ورد في نص القاعدة (111/1) على أن: (يفتح محضر للأقوال الرسمية التي يدي بها أي شخص يجري استجوابه في إطار التحقيق)⁽³⁴⁾.

المطلب الثاني

علانية التحقيق

إن المقصود من علانية التحقيق هو تمكين الخصوم ووكلائهم من حضور إجراءات التحقيق⁽³⁵⁾، وتتجلى مظاهر علانية التحقيق في:

(30) د. مأمون محمد سلامة، الإجراءات الجنائية في التشريع الليبي، الجزء الأول، (ب.ن)، 1971، ص 597.

(31) أ. حسن بشيت خوين، ضمانات المتهم في الدعوى الجزائية، ج1، مرجع سابق، ص 96.

(32) أ. طارق الديراوي، ضمانات وحقوق المتهم في قانون الإجراءات الجنائية، دراسة مقارنة، (ب.ن)، 2005، ص 182.

(33) أ. ربيحة العربي، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية في مرحلة التحقيق، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أكلي محند أولحاج، الجزائر، 2015، ص 28.

(34) أ. عمر سدي، ضمانات المحكمة العادلة في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المركز الجامعي لتامنغست، العدد2، الجزائر، 2012، ص242.

(35) أ. عبد الحميد الشواربي، ضمانات المتهم في مرحلة التحقيق، مرجع سابق، ص 133.

أولاً: حضور محامي المتهم إجراءات التحقيق: وهذا ما نصت عليه المادة (25/2، د) من نظام روما على حق المتهم بأن يجري استجوابه في حضور محامي، ما لم يتنازل الشخص طواعية عن حقه في الاستعانة بمحام. ثانياً: الاطلاع على أوراق التحقيق من قبل المتهم ووكيلة⁽³⁶⁾. ورغم أهمية قاعدة علانية التحقيق لما تشكله من ضمانات للمتهم في مرحلة التحقيق، إلا أنه بالرجوع إلى نظام روما الأساسي وإلى قواعد الإجراءات والإثبات لم نجد نصاً يتضمن هذه القاعدة، وهو ما يعد قصوراً في تكريس قاعدة علانية التحقيق، وكان من الأصوب تحديد نطاق سرية وعلانية التحقيق. فخطورة الجرائم التي تختص بها المحكمة الجنائية الدولية تستوجب النص على هذه القاعدة وتحديد نطاقها في التحقيق الذي يباشره المدعي العام، وذلك لأنها توفر للمتهم ضمانات الدفاع عن نفسه وإثبات براءته، فالعلانية في التحقيق تبعث الطمأنينة والثقة لدى المتهم⁽³⁷⁾.

المبحث الثالث

ضمانات المتهم أثناء مباشرة إجراءات التحقيق

لما كانت إجراءات التحقيق التي تقوم بها السلطة القائمة بالتحقيق متنوعة ومتعددة، تتعرض في أغلبها إلى حرية المتهم وحقوقه رغم تمتعه في هذه المرحلة بالقاعدة التي تقول أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته بحكم قضائي قطعي، لذا لا بد من إحاطة المتهم بالعديد من الضمانات التي من شأنها حمايته ضد تعسف السلطة القائمة بالتحقيق أثناء قيامها بتلك الإجراءات⁽³⁸⁾. وترتيباً على ما سبق سوف نقسم هذا المبحث إلى أربعة مطالب، نتناول في الأول ضمانات المتهم في القبض، ونتعرض في الثاني لضمانات المتهم في التوقيف، ونتحدث في الثالث عن ضمانات المتهم في الشهادة، ونخصص الرابع لضمانات المتهم في الاستجواب.

المطلب الأول

ضمانات المتهم في القبض

تصدر الدائرة التمهيدية بعد الشروع في التحقيق، وبناءً على طلب المدعي العام أمر بالقبض، وذلك بعد فحص الأدلة واقتناعها بوجود أسباب معقولة بأن شخص قد ارتكب جريمة تدخل في اختصاص المحكمة، أو أن القبض عليه يبدو ضروري لضمان حضوره أمام المحكمة، أو لضمان عدم عرقلة إجراءات التحقيق أو المحاكمة، أو لمنع من الاستمرار في ارتكاب تلك الجريمة أو ذات صلة بها⁽³⁹⁾.

(36) د. عبد الرؤوف مهدي، شرح القواعد العامة للإجراءات الجنائية، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997، ص 317.

(37) أ. سامي عبد اللطيف حمود، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، مرجع سابق، ص 32.

(38) د. منيرة سعود السبيعي، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، 2010، ص 169.

(39) المادة (58/1) من النظام الأساسي للمحكمة.

وحتى يكون القبض مشروعاً يجب أن يتضمن طلب المدعي العام البيانات التالية :

1. اسم الشخص وأية معلومات تدل عليه.
2. الإشارة إلى الجرائم التي ارتكبتها والتي تدخل في اختصاص المحكمة.
3. بيان الوقائع المدعي أنها تشكل تلك الجرائم.
4. بيان بالأدلة التي تثبت وجود أسباب مقنعة بأن الشخص قد ارتكب تلك الجرائم، بالإضافة إلى السبب الذي يجعل المدعي العام يعتقد بضرورة القبض على المتهم⁽⁴⁰⁾.

ويجب أن يتضمن قرار القبض الصادر من الدائرة التمهيدية البيانات التالية :

1. اسم الشخص وأية معلومات تدل عليه.
2. الجرائم التي ارتكبتها والتي تدخل في اختصاص المحكمة.
3. بيان الوقائع المدعي أنها تشكل تلك الجرائم⁽⁴¹⁾.

ويجوز للمدعي العام أن يطلب من الدائرة التمهيدية إصدار أمر حضور بدلاً من أمر القبض، فإذا اقتنعت الدائرة التمهيدية بأن هناك أسباباً معقولة للاعتقاد بأن الشخص قد ارتكب الجريمة، وأن إصدار أمر الحضور يكفي لضمان مثوله أمام المحكمة فإنها تصدر أمر الحضور، ويتضمن أمر الحضور على اسم الشخص وأية معلومة تدل عليه، والتاريخ الذي يجب عليه أن يُمثّل فيه، والجرائم التي ارتكبتها الداخلة في اختصاص المحكمة، وبيان للوقائع التي تشكل تلك الجرائم، ويجب إخطار الشخص المعني بأمر الحضور⁽⁴²⁾.

كما يجب أن يبلغ الشخص فور القبض عليه بالأسباب التي دعت إلى تجريده من حريته، وذلك لإتاحة الفرصة له لكي يطعن في مشروعية ذلك، كما أن المادة (1/55/د) نصت على عدم جواز إخضاع الشخص للقبض أو الاحتجاز التعسفي، وعدم جواز حرمانه من حريته إلا للأسباب ووفقاً للإجراءات المنصوص عليها في النظام الأساسي للمحكمة.

إجراءات إلقاء القبض على المتهم :

على الدولة الطرف في نظام روما والتي تتلقى طلباً من الدائرة التمهيدية بالقبض على المتهم أنتبأدر إلى اتخاذ الخطوات اللازمة للقبض على الشخص المطلوب، وتقديم هذا الشخص إلى السلطة القضائية لتقرر هذه السلطة وفقاً للقانون الوطني أن أمر القبض ينطبق على ذلك الشخص، وأن الشخص قد ألقى القبض عليه وفقاً للإجراءات القانونية المنصوص عليها في القانون الوطني، وأن حقوق الشخص قد احترمت عند إلقاء القبض عليه.

ومن الضمانات التي قررها نظام روما الأساسي للمتهم المقبوض عليه الحق في تقديم طلب إلى السلطة القضائية المختصة في دولته للحصول على إفراج مؤقت

(40) المادة (2/58) من النظام الأساسي للمحكمة.

(41) المادة (3/58) من النظام الأساسي للمحكمة.

(42) المادة (7/58) من النظام الأساسي للمحكمة.

في انتظار تقديمه إلى المحكمة، وقد أوجب نظام روما على السلطة المختصة في تلك الدولة إخطار الدائرة التمهيدية بأي طلب للحصول على إفراج مؤقت⁽⁴³⁾.
والخلاصة هو أن نظام روما الأساسي يشكل عدالة إجرائية بما نص عليه من ضمانات للمتهم عند القبض عليه، سواء من حيث جعل سلطة إصدار أمر القبض بيد الدائرة التمهيدية، أو من حيث بيان الأسباب التي دعت المدعي العام لإصدار أمر القبض⁽⁴⁴⁾.

المطلب الثاني

ضمانات المتهم في التوقيف (الحبس الاحتياطي)

في هذا المطلب سنتناول تعريف التوقيف والحبس الاحتياطي في الفرع الأول، ثم نتحدث عن نظام روما الأساسي و ضمانات التوقيف في الفرع الثاني.

الفرع الأول

تعريف التوقيف أو الحبس الاحتياطي

التوقيف أو الحبس الاحتياطي هو أخطر إجراءات التحقيق وأكثرها مساساً بحرية المتهم، وقد شرعه القانون لمصلحة التحقيق، فهو ليس عقوبة توقعها سلطة التحقيق، وإنما إجراء من إجراءات التحقيق قصد به مصلحة التحقيق ذاته، ومن أجل ذلك يجب أن يتحدد بحدود هذه المصلحة، ولا تسرف سلطة التحقيق في استعمال هذه الرخصة إلا إذا كان فيها مصلحة التحقيق كحجز المتهم بعيداً عن إمكان التأثير على الشهود أو إضاعة الآثار التي يمكن أن تفيد في كشف الحقيقة، أو تجنباً لإمكان هروبه نظراً لثبوت التهمة وخشية من صدور حكم عليه بالإدانة⁽⁴⁵⁾.

الفرع الثاني

نظام روما الأساسي و ضمانات التوقيف

ضمانات التوقيف التي نص عليها نظام روما الأساسي هي:

أولاً: حق المتهم الموقوف في الإفراج المؤقت:

أجاز نظام روما الأساسي للشخص الموقوف أن يطلب الإفراج عنه مؤقتاً لحين محاكمته، حيث يقدم هذا الطلب إلى الدائرة التمهيدية للمحكمة، والتي يجوز لها إما الاستمرار في احتجاز هذا الشخص أو الإفراج عنه بشروط أو بدون شروط⁽⁴⁶⁾.

ثانياً: حق التعويض:

منح نظام روما الأساسي أي شخص وقع ضحية القبض عليه أو التوقيف غير المشروع الحق في الحصول على التعويض⁽⁴⁷⁾.

وقد بينت القواعد الإجرائية وقواعد الإثبات إجراءات طلب الحصول على التعويض⁽⁴⁸⁾.

(43) المادة (59/1، 2، 3، 5) من النظام الأساسي للمحكمة.

(44) أ. علاء باسم صبحي، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، مرجع سابق، ص 82 وما بعدها.

(45) د. مأمون سلامة، الإجراءات الجنائية في التشريع الليبي، ج 1، مرجع سابق، ص 656، 667، وقد وردت هذه الشروط في المادة (119) من القواعد الإجرائية وقواعد الإثبات.

(46) المادة (60/2) من النظام الأساسي للمحكمة.

(47) المادة (85/1) من النظام الأساسي للمحكمة.

(48) انظر القواعد 173، 174، 175 من قواعد الإجراءات وقواعد الإثبات.

وعلى الرغم من أن النظام الأساسي للمحكمة قد مُنح للمتهم ضمانات عند توقيفه، إلا أنه أغفل النص على ضمانات مهمة، منها:

(1) تحديد مدة التوقيف:

وعلى الرغم من أن تحديد مدة التوقيف أمر تتطلبه ضمانات التحقيق، إلا أن النظام الأساسي وقواعد الإجراءات لم تحدد مدة التوقيف، واكتفى نظام روما بالنص على عدم احتجاز الشخص لفترة غير معقولة⁽⁴⁹⁾.

(2) تسبب قرار التوقيف:

لم يتضمن النظام الأساسي للمحكمة، وكذلك القواعد الإجرائية نصاً يلزم سلطة التحقيق تسبب قرارها بتوقيف المتهم، وتأتي أهمية التسبب في أنه يساعد المتهم أو محاميه عند الطعن في أسباب التمديد⁽⁵⁰⁾.

المطلب الثالث

ضمانات المتهم في الشهادة

قد أجاز نظام روما للمدعي العام تلقي الشهادات، إلا أنه لم ينظم إجراءات هذه الشهادة وضماناتها، وكل ما في الأمر أن نظام روما والقواعد الإجرائية وقواعد الإثبات قد نظمت الشهادة وضماناتها في مرحلة المحاكمة فقط، وفي هذه الحالة وحسب ما تنص عليه المادة (21) من نظام روما الأساسي يمكن تطبيق المبادئ العامة للقانون التي تُستخلص من القوانين الوطنية للنظم القائمة في العالم، وهي تحليف الشاهد اليمين، ومنع بعض الأشخاص من الشهادة ضد المتهم خاصة الأقارب، وحق المتهم في مناقشة الشهود⁽⁵¹⁾.

المطلب الرابع

ضمانات المتهم في الاستجواب

لخطورة الاستجواب بالنسبة للمتهم، فإننا سنتناول به شيء من العناية والتفصيل في الفروع الآتية:

الفرع الأول

تعريف الاستجواب

يعتبر الاستجواب من أهم إجراءات التحقيق، فبمقتضاه يستطيع المحقق كشف الحقيقة من خلال مناقشة المتهم في التهمة المنسوبة إليه بصورة تفصيلية ومواجهته بالأدلة المتوفرة ضده، ويستطيع المتهم أيضاً بواسطة الاستجواب إبداء دفاعه عن نفسه حتى يتمكن من دحض الأدلة والشبهات القائمة ضده⁽⁵²⁾.

(49) المادة (60/4) من النظام الأساسي للمحكمة.

(50) د. سامي عبد الحليم سعيد، المحكمة الجنائية الدولية (الاختصاص والمبادئ العامة)، دار النهضة العربية، القاهرة، 2008، ص 195.

(51) أ. مؤمن بكوش أحمد، ضمانات المحاكمة العادلة أمام المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، 2013، ص 147، 148.

(52) د. مأمون محمد سلامة، الإجراءات الجنائية في التشريع الليبي، ج1، مرجع سابق، ص 642.

الفرع الثاني

ضمانات المتهم أثناء الاستجواب

نظراً لخطورة الاستجواب بالنسبة للمتهم باعتبار أن المناقشة التفصيلية قد تؤدي بالمتهم إلى الإدلاء بأقوال في غير صالحه وتؤخذ دليل عليه، كما أنه قد يؤدي أيضاً إلى اعترافه بالتهمة المنسوبة إليه، فقد أحاطه النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية⁽⁵³⁾ بمجموعة من الضمانات التي تكفل للمتهم الدفاع عن نفسه وإثبات براءته، وهذه الضمانات هي:

أولاً: إبلاغ المتهم بالجريمة المنسوبة إليه:

والحكمة من ذلك هي تمكين المتهم من الدفاع عن نفسه وإثبات براءته⁽⁵⁴⁾. وقد أكد نظام روما على هذه الضمانة، حيث نصت المادة (2/55/أ) منه على أن: "يجري إبلاغه قبل الشروع في استجوابه، بأن هناك أسباباً تدعو للاعتقاد بأنه ارتكب جريمة تدخل في اختصاص المحكمة".

ثانياً: حق المتهم في الصمت:

يرجع أساس حق التزام الصمت أثناء مرحلة الاستجواب إلى مبدأ افتراض البراءة، دون أن يعتبر ذلك عاملاً في تحديد الإدانة أو البراءة. والحق في الصمت هو ضمان عدم إجبار المتهم على الاعتراف بالذنب أو الشهادة ضد نفسه⁽⁵⁵⁾.

وقد نصت المادة (2/55/ب) على هذا الحق، حيث نصت على: "التزام الصمت، دون أن يعتبر هذا الصمت عاملاً في تقرير الذنب أو البراءة".

ثالثاً: عدم التأثير على إرادة المتهم أثناء الاستجواب:

لا يجوز إجبار الشخص على الاعتراف وتجريم نفسه، ولا يجوز إخضاعه للإكراه أو التهديد أو التعذيب أو المعاملة اللاإنسانية، وإلا كان الاستجواب باطلاً، وهذا ما أكد عليه نظام روما في المادة (1/55، أ، ب).

رابعاً: دعوة محامي المتهم لحضور الاستجواب:

أوجب نظام روما على سلطة التحقيق أن تستجوب المتهم بحضور محاميه⁽⁵⁶⁾، أو أن تعمل على توفيره له إذا لم يتمكن من الاستعانة بمحام، ليتمكن من ممارسة حق الدفاع⁽⁵⁷⁾.

خامساً: حق المتهم في الكشف الطبي:

من أجل التأكد من أن المتهم لم يُمارس بحقه أي عنف أو تعذيب أو غيرها من وسائل الإكراه لإجباره على الاعتراف، فقد نصت القاعدة (113) من القواعد

(53) راجع المادة (55) من النظام الأساسي للمحكمة.

(54) أ. فوزية تراكة، حقوق المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، مرجع سابق، ص 43.

(55) أ. ربيعة العربي، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية في مرحلة التحقيق، مرجع سابق، ص 69.

(56) المادة (2/55) د، من النظام الأساسي للمحكمة.

(57) المادة (2/55) ج، من النظام الأساسي للمحكمة.

الإجرائية وقواعد الإثبات على أنه يمكن للدائرة التمهيدية بمبادرة منها أو بناءً على طلب المدعي العام أو الشخص المعني أو محاميه؛ أن تأمر بأن يخضع الشخص للفحص الطبي أو النفسي أو العقلي⁽⁵⁸⁾.

الخاتمة

من خلال بحث موضوع ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية خلال مرحلة التحقيق توصلنا إلى أهم النتائج والتوصيات التي يمكن أن تساهم في الوصول إلى محاكمة عادلة وفقاً للمعايير المنصوص عليها في الإعلانات والمواثيق والعهود الدولية ذات الصلة، وذلك على النحو التالي:

أولاً : النتائج :

1. أن النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية يتضمن أحكاماً تتعلق بالحقوق والضمانات الأساسية للمتهم خلال مرحلة التحقيق والمطابقة للمعايير الدولية المعترف بها في أية محاكمة عادلة.
2. الدور الرقابي الذي تمارسه الدائرة التمهيدية على سلطات وصلاحيات المدعي العام تهدف إلى منع المدعي العام من التعسف في استعمال هذه السلطات والصلاحيات والتزامه في الحدود الموضحة في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.
3. أن التحقيق في الجرائم الدولية وظيفته شاقة، وهذا يتطلب من المحقق أن يكون على قدر عالٍ من الاحتراف والمهنية، وأن يؤدي وظيفته بأمانة وكفاءة، مع تمتعه ببعض الصفات التي تساعده في أداء هذه الوظيفة لتحقيق العدالة الجنائية الدولية التي ينشدها الجميع.
4. يعتبر تدوين التحقيق من الضمانات المهمة للمتهم وللسلطة القائمة بالتحقيق، بسبب كونه يساهم في الحفاظ على إجراءات التحقيق من التحريف والتشويه، وكذلك يساعد المتهم ومحاميه في إعداد دفاعه الذي يُبنى على ما هو مدون في محضر التحقيق.
5. تعتبر قاعدة علانية التحقيق أيضاً من الضمانات المهمة للمتهم، فعن طريقها يستطيع المتهم ومحاميه حضور إجراءات التحقيق، وهذا ما يحقق ضمانات للمتهم في الدفاع عن نفسه وإثبات براءته.
6. نص نظام روما الأساسي على ضمانات المتهم عند القبض عليه، سواء من حيث جعل سلطة إصدار أمر القبض بيد الدائرة التمهيدية، أو من حيث بيان الأسباب التي دعت المدعي العام لإصدار أمر القبض.
7. على الرغم من أن نظام روما الأساسي قد منح المتهم ضمانات عند توقيفه إلا أنه أغفل النص على ضمانات مهمة منها عدم تحديد مدة التوقيف أو تسبب قرار التوقيف.

(58) أ. جليلا سنان، حماية حقوق المتهم في القانون الجنائي الدولي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، 2016، ص 40.

8. تتمثل ضمانات المتهم في الشهادة في تحليف الشاهد اليمين، ومنع الأقارب من الشهادة ضده، وحقه في مناقشة الشهود.
9. نظراً لخطورة الاستجواب بالنسبة للمتهم فقد أحاطه النظام الأساسي بمجموعة من الضمانات التي تكفل للمتهم الدفاع عن نفسه، وهي إبلاغه بالجريمة المنسوبة إليه، وحقه في الصمت، وعدم التأثير على إرادة المتهم ودعوة محامي المتهم لحضور الاستجواب، وحق المتهم في الكشف الطبي.

ثانياً: التوصيات:

1. تضمين نظام روما الأساسي نصاً يعهد بتدوين التحقيق إلى كاتب مختص.
2. توضيح موقف نظام روما الأساسي من قاعدة علانية التحقيق ونطاق السرية التي يجب على المدعي العام التقييد بها.
3. تضمين نظام روما الأساسي نصاً يتيح للمتهم أو محاميه الحق في الاطلاع على أوراق التحقيق.
4. تحديد مدة التوقيف أو الحبس الاحتياطي، وذلك لحماية المتهم من تعسف سلطة التحقيق.
5. تسبب قرار التوقيف أو الحبس الاحتياطي، لأنه يدفع سلطة التحقيق بالتريث، وعندم اللجوء إليه إلا بعد إحاطة تامة بمجمل ظروف التحقيق.
6. النص صراحة على ضمانات الشهادة في مرحلة التحقيق.
7. النص صراحة على خطر استخدام المواد المخدرة وكافة وسائل التأثير المادي والمعنوي على إرادة المتهم أثناء الاستجواب.
8. تضمين نظام روما الأساسي نصاً يقرر حق المتهم في الكشف الطبي.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب العامة والمتخصصة:

1. د. إبراهيم محمد العناني، المحكمة الجنائية الدولية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.
2. أ. أنثرف فايز للمساوي، المحكمة الجنائية الدولية، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، 2007.
3. أ. براء منذر كمال عبد اللطيف، النظام القضائي، (المحكمة الجنائية الدولية)، دار الحامد للنشر والتوزيع، (ب.م)، 2007.
4. أ. حسن بشيت خوين، ضمانات المتهم في الدعوى الجزائية، الجزء الأول، (خلال مرحلة التحقيق)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 1998.
5. د. سامي عبد الحليم سعيد، المحكمة الجنائية الدولية، (الاختصاص والمبادئ العامة)، دار النهضة العربية، القاهرة، 2008.
6. أ. طارق الديراوي، ضمانات وحقوق المتهم في قانون الإجراءات الجنائية، دراسة مقارنة، (ب.ن)، 2005.
7. د. عبد الحميد الشورابي، ضمانات المتهم في مرحلة التحقيق، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1996.
8. د. عبد الرؤوف مهدي، شرح القواعد العامة للإجراءات الجنائية، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، 1997.
9. د. مأمون محمد سلامة، الإجراءات الجنائية في التشريع الليبي، الجزء الأول، (ب.ن)، 1971.
10. د. منير سعود، السبعي، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، 2010.

ثانياً: الرسائل العلمية:

1. أ. أحمد سعيد عبد الكريم، ضمانات حقوق المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 2018.
2. أ. جلييلة سناني، حماية حقوق المتهم في القانون الجنائي الدولي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة العربي التبسي، الجزائر، 2016.
3. أ. ربيحة العربي، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية في مرحلة التحقيق، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، 2015.
4. أ. سامي عبد اللطيف حمود، ضمانات المتهم في المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بيروت العربية، لبنان، 2017.
5. أ. علاء باسم صبحي، ضمانات المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011.
6. أ. فوزية تراكة، حقوق المتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2019.

7. أ. مؤمن بكوش أحمد، ضمانات المحاكمة العادلة أمام المحكمة الجنائية الدولية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة الجزائر، بن عكنون، الجزائر، 2013.

ثالثاً: البحوث والمقالات:

1. أ. عمر سدي، ضمانات المحاكمة العادلة في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المركز الجامعي لتامنغست، العدد 2، الجزائر، 2012.

السياسات الوطنية لمكافحة الفساد في ليبيا بحث استكشافي لمدى التوافق مع الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد

إعداد:

مرعية عبدالله موسى العبار
قسم الإدارة العامة بكلية الاقتصاد- جامعة بنغازي

القبول: 2021 / 10 / 15

الاستلام: 2021 / 09 / 12

المستخلص :

تعد ظاهرة الفساد من أهم الظواهر التي اهتمت بها الدول وأولتها عناية خاصة، نظراً لما تشكله هذه الظاهرة من خطر كبير على جميع جوانب الحياة المجتمعية، وقد تطور الاهتمام الدولي بهذه الظاهرة لياخذ مفهوماً أوسع في السياسات العالمية وبشكل عام فقد ركز البحث في الجزء الأول على الإطار النظري للسياسة العامة وخصائصها كما تم تناول مفهوم الفساد بشكل عام. أما الجزء الثاني؛ فقد تناول الجهود الدولية والوطنية لمكافحة الفساد والجزء الثالث تناول منهجية البحث حيث أستخدم منهج دراسة الحالة نظراً للطبيعية الاستكشافية للبحث والتي تركز على معرفة أهم السياسات الوطنية لمكافحة الفساد ومقارنتها مع الأحكام الواردة في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، كما تم استخدام مدخل السياسة العامة من أجل تتبع أهم السياسات لمواجهة الفساد على المستوى الوطني أما الجزء الرابع فقد تناول التوصيات والنتائج.

الكلمات المفتاحية : السياسة العامة - الفساد- التشريعات- التوافق- التقييم الذاتي

Summary :

The phenomenon of corruption is one of the most important Phenomena that the state has paid special attention to , in view of the Great danger this phenomenon poses to all aspects of societal life ,and The international interest in this phenomenon has developed to take a broader concept in global policies and in general, the research focused in the first part on the theoretical framework of general policy and its characteristics , and the concept of corruption was examined in a general way . The second part dealt with international and national efforts to combat corruption . And the third part dealt with the research methodology where the case study approach was used due to the exploratory nature of the research, which focuses on knowing the most important national anti – corruption policies and comparing them with the provisions contained in the United Nations Convention against corruption, and the general policy approach was used to track the most important policies to confront corruption at the national level, the fourth part dealt with recommendations and results.

Key words : Public policy – corruption – legislation – consensus – self –assessment

المقدمة

تعد ظاهرة الفساد ذات طابع عالمي فهي تشكل تحدياً كبيراً على سياسات الدول التنموية، الأمر الذي يتطلب معالجتها دولياً وإقليمياً ووضعها ضمن السياسة المحلية للدولة بشكل خاص. يدل الفساد على كل "الأفعال المخالفة للقوانين والأنظمة والعرف العام بهدف تحقيق منافع شخصية على حساب المصلحة العامة"⁽¹⁾ ونظراً لخطورة ظاهرة الفساد على المستويين الدولي والمحلي، فقد قام المجتمع الدولي بالإسراع بوضع استراتيجيات عالمية لغرض تنسيق الجهود الدولية لمواجهة هذا الخطر، وكان من أهم هذه الجهود، تشكيل منظمة الشفافية* عام 1993م، ومقرها برلين وذلك لقياس مستوى الفساد، وتقويم جهود مكافحته في دول العالم المختلفة⁽²⁾ ومن أهم الاستراتيجيات العالمية أيضاً اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، والتي دخلت حيز التنفيذ دولياً عام 2005، حيث تشكل هذه الاتفاقية خطوة مهمة في إطار مكافحة الفساد في جميع دول العالم، وتندرج تحت هذه الاتفاقية مجموعة التزامات على جميع الدول، وذلك للعمل على تجريم الفساد بكافة أشكاله، وتشكيل ودعم هيئات مكافحة الفساد بكل أشكاله وفي هذا الإطار؛ فقد انضمت ليبيا إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد عام 2003م، وتم التصديق النهائي عليها عام 2005، وبدأت باتخاذ التدابير اللازمة لوضع هذه الاتفاقية في حيز التنفيذ خاصة فيما يتعلق منها بالتدابير الوقائية، التي تأتي في مقدمتها التشريعات والقوانين التي تساهم في الحد من هذه ظاهرة الفساد.

يهدف هذا البحث إلى تقديم تحليل عن أهم السياسات الوطنية لمكافحة الفساد من خلال توظيف مدخل السياسة العامة وذلك بالتركيز على أهم التشريعات التي خصصها المشرع الليبي لمواجهة هذه الظاهرة، ويتم توظيف هذا المدخل من ضمن استخدام المنهج المقارن لعرض تحديد أوجه الشبه والاختلاف بين التشريعات الوطنية وبين المواد الواردة بالاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد. مشكلة البحث: الكثير من المؤشرات؛ ومنها مؤشر الفساد العالمي لعام 2008 لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، أظهرت تراجع ليبيا أربع مراتب من المرتبة (126) في عام 2008 إلى المرتبة (130) في عام 2009 ومؤشر الفساد انخفض قليلاً من (2.6) عام 2008 إلى (2.5) عام 2009⁽³⁾، كما أظهرت مؤشرات الفساد العالمي الصادرة عن منظمة الشفافية العالمية مستوى الأداء الليبي مقارنة مع الدول العربية في المراتب 143 و 146 و 168 على التوالي خلال سنوات 2009، 2010، 2011⁽⁴⁾.

على المستوى المحلي أيضاً؛ تضمنت دراسة تحليلية لتقارير ديوان المحاسبة

(1)نورا المعادني، العلاقة بين العوامل التنظيمية والفساد الإداري، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإدارة، كلية الاقتصاد، جامعة بنغازي، ربيع 2005.

(2)عادل عبد العزيز السن، "مكافحة أعمال الرشوة"، في الفساد الإداري والمالي في الوطن العربي، (القاهرة: منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية 2011)، ص 132.

(3)مؤسسة أمان، برنامج مكافحة الفساد والنزاهة الوطنية في الوطن العربي، www.org.palestine-aman.org، تاريخ الدخول 2\12\2013.

(4)تقرير الفساد العالمي، (منظمة الشفافية العالمية، 5\7\2012) www.egypti.org تاريخ الدخول 14\2\2016.

عن السنوات 2008-2012، (باستثناء سنة 2011) لأنها تعتبر سنة استثنائية غير قابلة للمقارنة للظروف التي مرت بها الدولة، تحليلاً لمجموعة من الظواهر التي ساهمت في زيادة حدة الفساد الإداري والمالي، وكان من أهمها؛ قصور وضعف أنظمة الرقابة الداخلية في أغلب الجهات العامة كذلك مخالفة القوانين والتشريعات والتحايل عليها، الأمر الذي يؤدي إلى وجود نسبة كبيرة من المخالفات المالية داخل تلك الجهات.⁽⁵⁾ ومن خلال ما أشارت إليه مؤشرات الفساد العالمي، والتقارير المحلية، تبين أن الفساد أصبح ظاهرة واضحة في ليبيا، الأمر الذي يتطلب دراسة العديد من الأسباب منها، على سبيل المثال لا الحصر، ما يتعلق بوجود خلل في التشريعات الليبية الصادرة لمكافحة الفساد، أو نتيجة عدم إنفاذ بعض القوانين الخاصة بجرائم الفساد في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ونظرا للطبيعة الاستكشافية لهذه الدراسة فإنها تحاول الإجابة على بعض التساؤلات التي يمكن أن تبين مدى التوافق من عدمه بين التشريعات الوطنية لمكافحة الفساد وبين المواد الواردة في الاتفاقية الدولية لمكافحة هذه الظاهرة

أسئلة البحث السياسية :

يحاول هذا البحث الإجابة على أهم التساؤلات التي يتم من خلالها الاستدلال على معرفة أهم السياسات الوطنية تجاه ظاهرة الفساد، وذلك في محاولة بحثية يتم اختبارها عن طريق التحليل الكيفي لمعرفة هذه السياسات ومدى توافقها مع البنود الواردة في الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد. وتتمثل هذه التساؤلات في:

1 - هل عكست السياسة الوطنية لمكافحة الفساد والمتمثلة في التشريعات التي وضعها المشرع الليبي الأحكام الواردة في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة هذه الظاهرة؟

2 - هل هناك توافق بين التشريعات الوطنية واتفاقية الأمم المتحدة فيما يخص مكافحة الفساد؟

3 - هل يوجد قصور في التشريعات الوطنية تجاه مكافحة ظاهرة الفساد؟
منهجية البحث: سوف يتم التركيز على المنهج المقارن مرتكزا على التحليل الكيفي، أيضا يتم التركيز على مدخل السياسة العامة، كما استخدم المدخل التاريخي لتتبع الفترات الزمنية التي تم فيها إصدار التشريعات الوطنية لمكافحة الفساد.

مصادر تجميع البيانات : نظرا لكون هذه الدراسة استكشافية للتعرف على أهم التشريعات الوطنية التي أصدرها المشرع الليبي والتي تخص ظاهرة الفساد بشكل خاص، سوف تركز على العموم على أدبيات السياسة العامة والفساد من جانبها النظري للوصول إلى تفسير وفهم أوضح للسياسات الوطنية تجاه هذه الظاهرة بعرض الإجابة على تساؤلات البحث.

(5) عبد الغنى أحمد، الفساد المالي وأوجه القصور في الرقابة على المال العام في ليبيا، المجلة الجامعة، العدد السادس عشر المجلد الأول، 2014.

أهمية البحث: تبرز أهمية هذا البحث في كونه يتناول موضوع في غاية الأهمية وهو موضوع الفساد الذي يشكل موضع اهتمام كبير علي المستوى الدولي والإقليمي والمحلي، أيضا لتوضيح لدور المشرع الليبي في تشريع قوانين تخص مكافحة ظاهرة الفساد.

حدود البحث:

أولا: الحدود الزمنية: تنطلق هذه الدراسة من عام 2005 وهو تاريخ تصديق ليبيا على الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد.

ثانيا الحدود المكانية: الحدود المكانية للدراسة هي دراسة مكافحة الفساد من خلال التركيز على التشريعات التي أصدرها المشرع الليبي لمكافحة هذه الظاهرة.

الجزء الأول:

الإطار النظري للدراسة: مفهوم السياسة العامة والفساد

1.1 - مفهوم السياسة العامة :

السياسة العامة يراها البعض بأنها "وسيلة لتحقيق أهداف النظام السياسي وغاياته كما تعرف الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية السياسة العامة بأنها "مجموعة من الأهداف تصاحبها مجموعة من القرارات أو البرامج الأساسية، تحدد كيف تصنع الأهداف وكيف يمكن تنفيذها.⁽⁶⁾ وطبقا للتعريف السابق للسياسة العامة، فإن السياسات الوطنية لمكافحة الفساد، تتمثل في وجود خطط وبرامج يمكن من خلالها تحقيق أهداف الحكومة، وتتمثل هذه الخطط في إبرام الاتفاقيات الدولية مع الدول لوضع التدابير اللازمة لمكافحة الفساد. وكنتيجة للتغير الذي طرأ على النظام الدولي أصبح لديه أبعاد عامة وشاملة، فإن ذلك صاحبه تعدد في المظاهر وتنوعها لتشمل جميع مجالات السياسة العالمية، حيث أصبحت القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ذات التأثير العالمي محل اهتمام ما يعرف بالسياسات العالمية، ولعل أهم هذه القضايا هي قضية الفساد، حيث لم تعد هذه القضية تخص دولة معينة وإنما أصبحت قضية تهم جميع أطراف المجتمع الدولي.

2.1. - خصائص السياسة العامة:

للسياسة العامة تعبير عام في بلورة العلاقات بين مكونات النظام الاجتماعي والسياسي ككل، وبين النظام البيئي بمدخلاته ومخرجاته بشكل عام، وهذا يؤدي إلى أن مضمون السياسة العامة له خصائص يمكن أن تساهم بشكل كبير في رسم ملامح تلك السياسة، ويمكن سرد هذه الخصائص في النقاط الآتية: ⁽⁷⁾

1 - السياسة العامة هي ما تقوم به الحكومة من أفعال تعكس طبيعة الأهداف المطلوبة، من خلال خطط وبرامج تؤديها مؤسسات الدولة. -2 علاقة التكامل

(6) المرجع السابق.

(7) المرجع السابق، ص45.

نظريات السياسة العامة، والتطبيق العملي لهذه النظريات يساهم في تحقيق أهدافها، حيث تمثل هذه النظريات إطاراً فكرياً يساعد على تحليل وتصميم السياسات العامة بشكل كبير⁽⁸⁾.

3.1_ مفهوم الفساد :

أ- الفساد لغة: الفساد في معاجم اللغة هو في (فَسَدَ) ضد صَلَحَ (والفساد) لغة: البطلان، فيقال فسد الشيء كما أن نصوص القرآن الكريم أشارت إلى ظاهرة الفساد في أكثر من آية كريمة، وعند التتبع للفظ الفساد في القرآن الكريم؛ نجد أنه ينصرف إلى أكثر من معنى فهو يعنى الخلل والخراب والقتل وسرقة المال قال تعالى: ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ [سورة الفجر - الآية 12]، وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَخُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة الآية 33]، نرى في هذه الآية تشديد القرآن الكريم على تحريم الفساد كلياً، فلمرتكبيه الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة⁽⁹⁾.

ب- الفساد اصطلاحاً:

وردت كلمة الفساد بعدة أشكال ومعان، حيث بدأت المفردة بالانتشار والانصراف إلى معاني: سوء الإدارة، واستغلال المال العام، والنفوذ، وسوء الإدارة الحكومية، كما أن تطور الأحداث قد غير كثيراً في مفهوم "الفساد" ليشمل كل حالات "الخروج عن جادة الصواب"، حيث يعرف الفساد على "إنه استغلال السلطة بطريقة غير مشروعة" معنوية⁽¹⁰⁾. عند التدقيق في مفهوم الفساد، نجد أنه يرتبط بعدد من المفاهيم وهي "الشفافية"؛ ويقصد بها توافر المعلومات التي تتعلق بالسياسات والنظم والقوانين والقرارات واللوائح لكافة المواطنين، بالإضافة إلى "المساءلة"؛ ويقصد بها مسؤولية الأفراد وكم يقترفون من أعمال ووجوب مساءلتهم عن أدائهم، كما يرتبط الفساد بمفهوم "النزاهة"؛ وهي تشير إلى الجوانب الأخلاقية والقيم المرتبطة بسلوك الشخص وأمانته وصدقه⁽¹¹⁾. وفي إطار المنظمات الدولية؛ تم تناول مفهوم الفساد من جوانب مختلفة، فنجد أن أكثر التعريفات استخداماً هو التعريف الصادر عن البنك الدولي في تقريره لعام 1997م حيث أشار إلى أن الفساد هو إساءة استعمال الوظيفة العامة للكسب الخاص. أما منظمة الشفافية الدولية فقد عرّفت الفساد بأنه "استغلال السلطة من أجل المنفعة الخاصة، أو إنه السلوك البيروقراطي المنحرف الذي

(8) نائل عبد الحافظ العواملة، تحليل السياسات العامة تحليل السياسات العامة، تطبيقات من الأردن والخليج (عمان، منشورات جامعة الأردن، 1999) ص30.

(9) المرجع سابق، ص2.

(10) الوقاية من الفساد ومكافحته، موقع الشفافية - ليبيا www.shaffaflybia.com، تاريخ الدخول 9 / 3 / 2012.

(11) أولويات العمل وآلياته: تقرير صادر عن لجنة الشفافية والنزاهة، (جمهورية مصر العربية: وزارة الدولة للتنمية الإدارية، 2008) ص6.

يستهدف تحقيق منافع ذاتية بطريقة غير شرعية". أما برنامج الأمم المتحدة الإنمائي فيرى في الفساد أنه "مشكل من مشاكل سوء إدارة الحكم. فالحكم الرشيد يقوم على المشاركة والشفافية والمساءلة، وتتحد أولوياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بتوافق الآراء، اتفاقية الأمم المتحدة لم تتضمن تعريفاً محدداً لجريمة الفساد، وإنما نصت في الفصل الثالث منها (التجريم وإنفاذ القانون) على تجريم الفساد بجميع أشكاله، ويمكن حصر حالات الفساد طبقاً لما ورد في بنود اتفاقية الأمم المتحدة بجميع أشكاله، الفساد كالاتي:⁽¹²⁾

- 1 - رشوة الموظفين العموميين الوطنيين، إساءة استغلال الوظائف.
- 2 - اختلاس الممتلكات وتسريبها بشكل آخر من قبل موظف عمومي.
- 3 - المتاجرة بالنقود والإثراء الغير مشروع واختلاس الممتلكات في القطاع الخاص

الجزء الثاني : الجهود الدولية والوطنية لمكافحة الفساد

إن فهم السياق الدولي لمكافحة الفساد والمتمثل في دور المنظمات والمؤسسات يساعد الدول على وضع استراتيجيات تواكب التغيير المستمر في مظاهر الفساد، ويمكن حصر أبرز تجارب مكافحة الفساد دولياً على النحو التالي:

1.2 دور برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في مكافحة الفساد:

حظيت مكافحة الفساد بأهمية لدى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أول مرة في منتصف التسعينيات وتحديداً في عام 1997، حيث بدأ برنامج الأمم المتحدة في التعامل مع الفساد وبشكل مباشر عن طريق مشروعات وبرامج تتمثل في "برامج المسألة والشفافية"، حيث يركز هذا البرنامج وبشكل رئيسي على تطوير هيئات قطرية لمكافحة الفساد وتدعيم أهمية المسألة والشفافية والنزاهة حول قضايا الفساد. وتهدف الخطة العامة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى وضع تدابير وقائية لمكافحة الفساد من خلال مساعدة الدول على كيفية إصلاح مؤسساتها، وكذلك التوجيه الصحيح لسياساتها العامة، كما يقوم برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بدعم المشاريع الوطنية التي تقوم بها الدول لمكافحة الفساد، ويمكن إجمال دور الأمم المتحدة الإنمائي في مكافحة الفساد في النقاط التالية:⁽¹³⁾ - تعزيز القدرة في مجال تحسين النزاهة: ويكون ذلك من خلال تعزيز القدرة على الصعيدين المؤسسي والقطري مع ضمان مراعاة الأبعاد المتعددة (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية) لأنشطة تحسين النزاهة، كذلك القيام بإجراء تدريب الموظفين الحكوميين على كيفية التعامل مع التشريعات والصكوك الخاصة بمكافحة الفساد، والعمل مع الشبكات والمنظمات والخبراء في مجال مكافحة الفساد

2.2_ دور منظمة الشفافية الدولية في مكافحة الفساد:

(12) خالد محمد الخميس، "جهود دولة قطر في مجال مكافحة الفساد"، في نحو إستراتيجية وطنية لمكافحة الفساد، القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، ص 116-115.

(13) مكافحة الفساد لتحسين إدارة الحكم، ص (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: شعبة التطوير الإداري وإدارة الحكم، 1998)، 21-20.

تعد منظمة الشفافية الدولية من أهم المنظمات الدولية في مجال مكافحة الفساد، وهي منظمة غير حكومية تأسست عام 1993م، وأمانتها العامة في برلين بألمانيا، ويتضمن شعار المنظمة "الاتحاد العالمي ضد الفساد" كهدف أساسي تعتمد عليه المنظمة في تحقيق أهدافها لمواجهة خطر الفساد، وقد أنشئت لتساعد الدول والمؤسسات الحكومية لتحقيق النزاهة والحكم الرشيد. إن قياس مدى مصداقية النتائج والاستنتاجات الصادرة عن الجهود الدولية والقُطرية؛ تعتمد بدرجة كبيرة على إمكانية توفر مقاييس منهجية يمكن من خلالها التعرف على نوعية وحجم ظواهر الفساد وشدتها وآثارها وانعكاساتها، ويكون ذلك من خلال ما يعرف بالمقاييس (المؤشرات)، ويعرف المؤشر بشكل عام بأنه: "المقياس الذي يوفر البيانات التي يمكن من خلالها التعرف إلى العلاقات بين ظواهر الفساد، وبينها وبين السياق الذي تجرى فيه"⁽¹⁴⁾. ومن منظور سياسات مكافحة الفساد وقياساً بالتزام الدول ببنود الاتفاقيات والمعاهدات الخاصة بمكافحة الفساد، فإن قياس معدلات الفساد تعكس مدى التطبيق الفعلي من قبل الدول على هذه الاتفاقيات للالتزامات الواردة فيها، "يشكل دور المنظمات والمؤسسات الدولية في السياق السابق ذكره أهمية كبيرة لمواجهة ظاهرة الفساد، حيث يعمل على رسم السياسة المحلية للدول لمواجهة هذه الظاهرة مما يتطلب ضرورة تبني هذه السياسات ضمن السياسة العامة للدولة.

3.2 استراتيجية مكافحة الفساد في ليبيا:

فقد أولت ليبيا اهتماما كبيرا بهذه الظاهرة، وكان أهمها التوقيع والتصديق على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، كما كان لليبيا مشاركة في بعض المؤتمرات الدولية الخاصة بمكافحة الفساد، باعتبارها من الدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، حيث شاركت في مؤتمرات إقليمية، ويمكن الإشارة إلى إن ليبيا قد صدقت على عديد الاتفاقيات والمعاهدات الدولية والإقليمية الخاصة بمكافحة الفساد، وأهمها الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد (2010)، واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد (2005)، ولأهمية الالتزامات الواردة في الاتفاقيات الموقعة عليها الدول، خاصة فيما يخص مكافحة الفساد، يركز هذا الجزء من البحث على معرفة أهم الاستراتيجيات والتدابير التي قامت بها ليبيا لمكافحة الفساد من خلال التعرف على أهم التشريعات التي أصدرها المشرع الليبي بخصوص هذه الظاهرة، أيضا معرفة موقف ليبيا من الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد.

4.2_ الأطر القانونية لمكافحة الفساد في ليبيا

إن النظام القانوني في ليبيا بشكل عام يقوم على نوعين من القواعد القانونية؛ الأول: القواعد القانونية المستمدة من قواعد القانون الدولي العام، وما تتضمنه هذه القواعد من معاهدات ومواثيق واتفاقيات دولية صادقت عليها

(14) مؤشر الفساد في الأقطار العربية، إشكالية القياس والمنهجية، (بحوث المنظمة العربية لمكافحة الفساد) 2010م، ص 34.

ليبيا، لذا تعتبر إلزاماً تشريعياً لها، والثاني يتمثل في القواعد القانونية التي تنشأ في إطار قواعد القانون الداخلي، التي تنظم العلاقات الاجتماعية وتحدد الحقوق والواجبات العامة. وعلى الرغم من أن ليبيا لم تشهد مرحلة صياغة دستور منذ عام 1969، لكنه تمت صياغة ما يعرف بالإعلان الدستوري ليكون أساساً لنظام الحكم، وقد عرفت ليبيا بعض الوثائق الأخرى خلال فترة سبعينيات القرن الماضي منها ما عرف بإعلان قيام سلطة الشعب في 2 مارس 1977، والوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان في 12 يونيو 1988، والقانون رقم (20) لسنة 1991 بشأن تعزيز الحرية، إلا أنها جميعاً لا تمثل دستوراً تشريعياً لليبيا بل اعتبرت أعلى قانون في الدولة تستند عليه التشريعات الأخرى⁽¹⁵⁾.

أما في المرحلة الانتقالية التي مرت بها ليبيا بعد عام 2011، فقد أصدر المجلس الانتقالي إعلاناً دستورياً تضمن أحكاماً تبين استقلالية السلطة القضائية، حيث أشارت كل من المادة الحادية والثلاثين إلى المادة الثالثة والثلاثين إلى أنه لا توجد عقوبة ولا مخالفة إلا بناء على نص تشريعي، كذلك أشارت المادة الخامسة والثلاثون من هذا الإعلان إلى ضمان استمرارية العمل في الأحكام المقررة في كل التشريعات القائمة فيما لا يتعارض مع أحكام الإعلان الدستوري.

وفي هذا السياق صدرت عدة تشريعات وقوانين خاصة بمكافحة الفساد، ما يستوجب تقسيم مرحلة إصدار القوانين والقرارات الخاصة بمكافحة الفساد إلى مرحلتين كما يلي:

1 - القوانين والقرارات الخاصة بمكافحة الفساد خلال الفترة من (1969 - 2010) يمكن ملاحظة اهتمام المشرع الليبي وتصديه لظاهرة الفساد خلال منتصف القرن الماضي، وذلك بإصدار بعض القوانين لمواجهة هذه الظاهرة منها قانون العقوبات لسنة 1953، حيث تضمن أحكاماً تخص جرائم الفساد وعقوبتها، كما هو موضح في الجدول رقم (1)، الذي بين أهم القوانين والقرارات الخاصة بمكافحة الفساد خلال الفترة منذ 1969 وحتى 2010. ومن بين القوانين والقرارات المهمة خلال هذه المرحلة أيضاً قانون رقم (2) لسنة 1979 الخاص بالجرائم الاقتصادية الذي يتضمن أحكاماً تخص الجرائم الاقتصادية، وقانون الحجز الإداري رقم (152) لسنة 1970، وقانون تجريم الوساطة والمحسوبة رقم (6) لسنة 1985، وقانون من أين لك هذا رقم (3) لسنة 1986. وأيضاً قانون رقم (2) لسنة 2005 الخاص بغسل الأموال كما يمكن الإشارة إلى قانون رقم (12) الخاص بعلاقات العمل الذي ينظم العلاقة بين الموظفين داخل المؤسسة الحكومية، كما هو موضح في الجدول رقم (1) الذي يوضح أهم القوانين والقرارات الخاصة بمكافحة الفساد خلال الفترة 1969 - 2010. جدول رقم (1) أهم القوانين والقرارات الخاصة بمكافحة الفساد من الفترة (1969-2010)

(15) فتحي محمد البعجة، "مالم ينتبه إليه تقويم التنافسية في الجماهيرية"، في مؤتمر السياسات العامة، بنغازي، 12 - 14 / 6 / 2007، ص 328.

| ت | اسم القانون أو القرار | الرقم | العام | المواد |
|----|---|-------|-------|-------------------------------------|
| 1 | قانون العقوبات | - | 1953 | جميع المواد |
| 2 | قانون الحجز الإداري | 152 | 1970 | 1-28-36-50 |
| 3 | قانون مزاولة الأعمال التجارية | 17 | 1977 | |
| 4 | قانون الجرائم الاقتصادية | 2 | 1979 | جميع المواد |
| 5 | قانون تجريم الوساطة والمحسوبة | 6 | 1985 | 2/ف2 |
| 6 | قانون بشأن مكافحة المخدرات | 7 | 1990 | 42 |
| 7 | قرار اللجنة الشعبية بشأن تبسيط الإجراءات | 1 | 1990 | |
| 8 | قرار تعديل اللائحة التنفيذية للقانون رقم (8) لسنة 1988 بشأن أحكام النشاط الاقتصادي | 361 | 1992 | |
| 9 | قانون التطهير | 10 | 1994 | 1، 4، 5، 6، 15، 3، 4، -، 16، 20، 24 |
| 10 | قانون تعديل بعض أحكام قانون العقوبات والإجراءات الجنائية | 11 | 1998 | 1 |
| 11 | قانون خاص بفصل الرقابة المالية والفنية عن الرقابة الإدارية | 13 | 2003 | |
| 12 | قانون ضريبة الدخل ولائحته التنفيذية والصادر بقرار اللجنة الشعبية العامة بقرار رقم (157) لسنة 2004 | 11 | 2004 | جميع المواد |
| 13 | قانون مكافحة غسل الأموال | 2 | 2005 | جميع المواد |
| 14 | قانون المصارف | 1 | 2005 | 94 |
| 15 | قانون إنشاء جهاز المراجعة المالية والفنية | 3 | 2007 | 8-9-10-11-12-13-14 16-17 |
| 16 | قرار خاص بإصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم (2) لسنة 2005 بشأن مكافحة الفساد | 300 | 2007 | |

المصدر: الجدول من إعداد الباحثة من خلال تجميع بيانات عن التشريعات الوطنية التي أصدرتها ليبيا خلال هذه المرحلة.

ومن خلال تحليل بيانات الجدول يمكن استنتاج وجود عدد من التشريعات الوطنية التي تناولت موادها مظاهر الفساد بشكل عام، مما يعكس ذلك اهتمام المشرع الليبي بتلك الظاهرة وإدراك مدى خطورتها على المجتمع. 2 - القوانين والقرارات الخاصة بمكافحة الفساد خلال الفترة من (2011 - 2014): تم في المرحلة الانتقالية للدولة الليبية التي بدأت منذ عام 2011، إصدار مجموعة من القرارات والقوانين، سواءً من قبل المجلس الانتقالي المؤقت، أو من

قبل المؤتمر الوطني العام، التي تخص مكافحة الفساد بشكل عام، ونظراً لخصوصية كل مرحلة فإنه سوف يتم تقسيم هذه القوانين والقرارات كل حسب فترة صدورها. ولغرض الدراسة تم تقسيم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل، وهي تشمل أولاً القوانين والقرارات التي صدرت من قبل المجلس الوطني الانتقالي خلال الفترة 2011-2012، وثانياً القوانين والقرارات التي صدرت عن المؤتمر الوطني العام خلال الفترة 2012-2014، ثم ثالثاً القرارات والقوانين التي صدرت عن مجلس النواب بعد أول اجتماع له في أغسطس 2014، وإن كانت هذه المرحلة الأخيرة لم تنشر فيها معظم ما صدر عن مجلس النواب.⁽¹⁶⁾ وبصفة عامة يمكن الإشارة إلى أبرز القوانين والقرارات التي تم إصدارها خاصة من قبل المجلس الانتقالي المؤقت، والمؤتمر الوطني العام كما هو موضح في الجدولين رقم (2)، و(3).

جدول رقم (2) أهم القوانين والقرارات التي تم إصدارها من قبل المجلس الوطني الانتقالي (2011 - 2012)

| ت | القانون أو القرار | الرقم | السنة |
|---|---|-------|-------|
| 1 | قانون خاص بإنشاء ديوان المحاسبة | 119 | 2011 |
| 2 | قرار خاص بتسمية رئيس وأعضاء هيئة مكافحة الفساد | 69 | 2012 |
| 3 | قرار خاص بتعديل القرار (66) لسنة (2012) الخاص بتجديد المعاملة المالية لرئيس ووكلاء ديوان المحاسبة | 68 | 2012 |
| 4 | قرار خاص بتسمية رئيس ديوان المحاسبة | 61 | 2012 |
| 5 | قانون خاص بإنشاء هيئة مكافحة الفساد | 63 | 2012 |
| 6 | قانون تعديل بعض أحكام القانون رقم (6) لسنة (2006) بشأن نظام القضاء | 58 | 2012 |
| 7 | قانون خاص بوضع ضوابط لتقلد بعض الوظائف | 52 | 2012 |
| 8 | قانون بشأن تعديل قانون (26) لسنة (2012) الخاص بالهيئة العليا لتطبيق النزاهة والوطنية | 53 | 2012 |
| 9 | قانون خاص بتعديل بعض الأحكام الخاصة بشأن التسجيل العقاري وأملاك الدولة | 48 | 2012 |

المصدر: الجدول من إعداد الباحثة من خلال تجميع للتشريعات الوطنية المعنية بمكافحة الفساد خلال هذه المرحلة.

(16) لم تتمكن الباحثة من الحصول على أية قرارات أو قوانين صدرت من قبل مجلس النواب في المرحلة المشار إليها نظراً لعدم نشرها، منها القرار المتعلق بإعادة اختيار أعضاء هيئة النزاهة والذي لم ينشر، على الرغم من أن هناك إشارة إليه إعلامياً وفي صفحات التواصل الاجتماعي.

جدول رقم (3) أهم القوانين والقرارات التي تم إصدارها من قبل المؤتمر الوطني العام
(2012 - 2014)

| ت | القانون أو القرار | الرقم | السنة |
|---|---|-------|-------|
| 1 | قانون خاص بتعديل القانون رقم (19) لسنة (2013) في شأن تنظيم ديوان المحاسبة | 24 | 2013 |
| 2 | قانون خاص بإنشاء هيئة الرقابة الإدارية | 20 | 2013 |
| 3 | قانون خاص بتعديل القانون رقم (36) لسنة (1968) بشأن الأحوال المدنية | 15 | 2013 |
| 4 | قانون خاص ببعض أحكام القضاء | 14 | 2013 |
| 5 | قرار خاص بتسمية رئيس لديوان المحاسبة | 67 | 2013 |

المصدر: الجدول من إعداد الباحثة من خلال تجميع للتشريعات الوطنية المعنية بمكافحة الفساد خلال هذه المرحلة.

من خلال تتبع الجدولين رقم 2 و رقم 3، ومقارنة كل مرحلة من مراحل صدور التشريعات فيها، يمكن التأكيد على وجود عدد من القوانين الخاصة بمكافحة الفساد بكافة أنواعه المالية والإدارية والاقتصادية والسياسية، حيث تضمنت هذه التشريعات أحكاماً واضحة تجاه مواجهة ظاهرة الفساد، ومن أهم ما يمكن ملاحظته هو الاهتمام الكبير من قبل المشرع الليبي بالمخالفات المالية والإدارية بشكل خاص كما أفرد لها أحكاماً مميزة نظراً لما يشكله الفساد الإداري والمالي من خطر كبير على مؤسسات الدولة.

5.2 - موقف ليبيا من الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد :-

من الأمور المهمة التي تقوم بها الدول الأطراف قبل وبعد تصديقها على الاتفاقية أن تنظر فيما إذا كانت تشريعاتها الوطنية تتماشى مع متطلبات الاتفاقية أم لا، وغالباً ما تجرى تعديلات على قوانينها الداخلية بموجب ما تنص عليه الاتفاقية التي وقعت وصادقت عليها. وغالباً تقوم الدول بالالتزام بالقانون الدولي من ناحية كونه نظاماً من القواعد الملزمة للدول،⁽¹⁷⁾ ونظراً لأهمية الاتفاقيات الدولية، إضافة إلى التشريعات الوطنية المختلفة التي تعكس هذه الجوانب، فإن هذا الجزء يسعى إلى معرفة موقف ليبيا من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، وأهم التدابير التي اتخذتها للإيفاء بالتزاماتها الدولية، التي تمثلت في جهود مجلس التطوير الاقتصادي خلال الفترة الزمنية 2003 - 2009، وفي هذا السياق فقد تم تشكيل لجنة تسييره لمشروع مكافحة الفساد، كذلك تشكيل فريق وطني لمكافحة الفساد وتعزيز الشفافية، كما كان هناك مذكرة اتفاق بين مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، والمعهد العالي للقضاء، غير أن العمل على وضع الاتفاقية موضع التنفيذ قد توقف لأسباب من

(17) أساس القانون الدولي العام وعلاقته بالقانون الداخلي، com.stsrimes.www، تاريخ الدخول 3 / 4 / 2015.

أهمها عدم وجود جهة ثابتة معينة تقوم بمتابعة الاتفاقية بشكل دائم، أيضاً لطبيعة المرحلة الانتقالية التي مرت بها ليبيا بعد عام 2011، وفي هذا السياق فقد أشار ناصر سويسي إلى "إنه تم توقيع اتفاق بين مكتب الأمم المتحدة في ليبيا ومجلس التطوير الاقتصادي في سنة 2009 وتم تشكيل فريق وطني مناظر لخبراء الأمم المتحدة لمكافحة الفساد وتمت بعض الإجراءات في هذا الصدد، ولكن توقف عمل الفريق في سنة 2013 بسبب تجميد الاتفاق بين الطرفين⁽¹⁸⁾، ويمكن توضيح آلية العمل التي يقوم عليها الفريق الوطني المناظر لخبراء الأمم المتحدة لمكافحة الفساد من خلال ما يلي: 1- الفريق الوطني لمكافحة الفساد وتعزيز الشفافية: أنشئ الفريق الوطني المناظر لخبراء الأمم المتحدة بموجب قرار مدير عام المجلس الوطني للتطوير الاقتصادي⁽¹⁹⁾* رقم (151) لسنة 2009، وذلك في إطار تنفيذ الاتفاق المبرم بين المجلس ومكتب الأمم المتحدة لمكافحة الفساد والجريمة الموقع في 30 / 6 / 2009 استجابة لمتطلبات اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المصادق عليها من طرف ليبيا سنة 2005، ويتكون الفريق الوطني المناظر من خبراء القطاعات التنفيذية العامة، ومجتمع الأعمال والإعلام واتحاد الجمعيات الأهلية⁽²⁰⁾، وقد كانت آلية عمل الفريق الوطني لمكافحة الفساد وتعزيز الشفافية تتم وفقاً لخطة زمنية وضعها مكتب الأمم المتحدة المعنى بمكافحة المخدرات والجريمة، أعدت للتطبيق خلال ثلاث سنوات اعتباراً من شهر أغسطس / 2009 إلى شهر يوليو / 2012، وتتضمن الخطة تنفيذ عدة نشاطات منها: (تصنيف القوانين ومراجعتها، عقد ورش عمل، ودورات تدريب، حلقات دراسية، تصميم حملات توعية)، وقد تخلل عمل هذا الفريق الكثير من ورش العمل أهمها الآتي:⁽²¹⁾

- 1 - ورشة العمل المقامة في فيينا في الفترة من (11) إلى (22) نوفمبر 2009 حيث تم خلال هذه الورشة: الاطلاع على اتفاقية الأمم المتحدة في مكافحة الفساد وتعزيز الشفافية والنزاهة، شرح وتحليل تجارب بعض الدول في مكافحة الفساد.
- 2 - ورشة العمل التي أقيمت في طرابلس في الفترة من 17 إلى 19 يونيو 2010 بمشاركة خبراء مكتب الأمم المتحدة المعنى بمكافحة الفساد في فيينا وتناولت الورشة جملة من الجوانب منها: شرح وتحليل اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد وضرورتها. كيفية إجراء التقييم الذاتي من خلال المسح الإحصائي. المنهج الكمي المستخدم في التقييم مبيناً مزاياه وعيوبه.

(18) مقابلة مع ناصر سويسي، رئيس الفريق الوطني المناظر لخبراء الأمم المتحدة لمحاربة الفساد (2008 - 2013)

(19)*مجلس التطوير الاقتصادي تم إنشاؤه في سنة 2007، وذلك استجابة لضرورات وطنية لمعالجة القصور في الأداء الاقتصادي والإداري للقطاع العام، ولا تقتصر آلية عمل المجلس على تدريب الكوادر الإدارية فقط، بل يهدف إلى اقتراح نماذج إدارية واقتصادية متطورة لتحسين الأداء الإداري لمؤسسات الدولة بشكل عام.

(20) تقرير عن نشاطات الفريق الوطني المناظر لخبراء الأمم المتحدة لمكافحة الفساد وتعزيز النزاهة والشفافية من الفترة 15 / 10 / 2009 إلى 30 / 6 / 2010.

(21) المرجع السابق.

2 - آلية التقويم الذاتي:

كل الجهود التي قامت بها ليبيا ما هي إلا محاولة للبدء في مسألة التقويم الذاتي، وذلك لرصد مواطن الخلل والمشاكل المختلفة في التشريعات التي وضعتها ليبيا لمواجهة الفساد، ومحاولة مراجعتها ومقارنتها باتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد.

إن عملية التقويم الذاتي؛ هي آلية من الآليات المقترحة من قبل الأمم المتحدة لحث الدول الأطراف التي وقّعت على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد على مدى تنفيذها لاتفاقية مكافحة الفساد، وذلك من خلال إجراء تحليل مقارنة يوضح إلى أي مدى تتنزم أنظمة مكافحة الفساد الوطنية في الدولة، وعلى وجه الخصوص القوانين، واللوائح والسياسات والمؤسسات بمتطلبات الاتفاقية، سواء من ناحية النص أو التطبيق⁽²²⁾، حيث تم في شهر نوفمبر 2009 وخلال مؤتمر دول الأطراف في دورته الثالثة في الدوحة وضع آلية استعراض للاتفاقية، كما تم الاتفاق في المؤتمر على مراجعة تنفيذ الدول الأطراف للاتفاقية في دورتين متتاليتين، مدة كل دورة خمس سنوات، وضمن هذه الخطة ستقوم كل دولة طرف بمراجعة نظرائها من الدول الأطراف في الاتفاقية، ويهدف التقويم الذاتي إلى تحقيق الآتي:⁽²³⁾

تشجيع عملية تنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة لغرض إجراء إصلاحات لمكافحة الفساد، عن طريق تقويم قدرات الأنظمة الرقابية، والقوانين، والمؤسسات الوطنية لمكافحة الفساد في النص والتطبيق، ودعم آلية الاستعراض والإسهام فيها.

ويمكن تحديد الصعوبات العامة التي واجهت ليبيا للإيفاء بالتزاماتها الدولية والخاصة بمكافحة الفساد التي يمكن ذكرها علي النحو التالي :-

1 - عدم وجود جهة ثابتة لمتابعة الاتفاقية، وهذا انعكس في وجود جهتين للمتابعة الاتفاقية هما مجلس التطوير الاقتصادي ووزارة العدل متمثلة في المعهد العالي للقضاء.

2 - ضعف ثقة المواطن في إجراءات الدولة في مجال محاربة الفساد.

3 - وجود ثغرات في القوانين والنظم والتعليمات الإدارية ، وعدم المبادرة لمعالجتها ما يعطي الفرصة لبعض المسؤولين ضعاف النفوس استغلال تلك الثغرات لتحقيق مصالحهم .

الجزء الثالث: منهجية البحث

أستخدم منهج دراسة الحالة نظرا للطبيعية الاستكشافية للبحث والتي تركز على معرفة أهم السياسات الوطنية لمكافحة الفساد ومقارنتها مع

(22) مذكرة إرشادية: التقويم الذاتي لتنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، دليل عملي، 2010، ص.6.

(23) المرجع السابق، ص.8.

الأحكام الواردة في اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، كما تم استخدام مدخل السياسة العامة من أجل تتبع أهم السياسات لمواجهة الفساد على المستوى الوطني حيث تم تقسيم مرحلة إصدار التشريعات الوطنية الخاصة بمكافحة الفساد خلال ثلاث مراحل تاريخية خلال الفترة من عام 1969 وحتى عام 2010 لفترة سياسية أولى، ثم فترة سياسية ثانية تمتد في التحليل من عام 2010 وحتى عام 2012، ثم فترة سياسية ثالثة تمتد في التحليل من عام 2012 وحتى عام 2015، حيث تم عرض هذه التقسيمات في الجزء السابق البحث واستخدام المنهج المقارن لغرض تحديد أوجه الشبه والاختلاف بين هذه الفترات من أجل الإجابة على أسئلة البحث .

3.1 وحدة التحليل:

في هذا البحث تم تحليل السياسات الوطنية لمكافحة الفساد بالتركيز على التشريعات التي أصدرها المشرع الليبي صفة خاصة، أما التحليل الكيفي يتم من خلال تقويم هذه التشريعات مع بنود اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد من خلال المقارنة ما بين الأداء المعياري والذي يتمثل في الالتزامات الليبية نحو المجتمع الدولي بناءً على مصادقتها على الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد أما الأداء الفعلي فهو يتمثل في مدى تنفيذ ليبيا لهذه الالتزامات استناداً إلى المقابلات، ومن خلال تحليل المضمون لتحديد أبرز جوانب الالتزام حيال الاتفاقية الدولية، إلى جانب الإجابة على أسئلة البحث المتمثلة في الآتي:

- 1 - هل عكست السياسية الوطنية لمكافحة الفساد الأحكام الواردة في الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد؟
- 2 - هل يوجد توافق ما بين التشريعات الوطنية لمكافحة الفساد والاتفاقية الدولية للفساد؟
- 3 - هل هناك قصور في التشريعات الوطنية تجاه مكافحة ظاهرة الفساد؟

الجزء الرابع: التحليل والنتائج

لتقييم التشريعات الليبية وفق المعايير الدولية في مجال مكافحة الفساد فقد تم بالاستناد إلى نتائج المقابلات ومن خلال تحليل المضمون بتحديد أبرز جوانب الالتزام حيال الاتفاقية التي منها على سبيل المثال لا الحصر، تكوين هيئات مكافحة الفساد ومساهمة التشريعات الوطنية في مكافحة الفساد، ودور التقارير الصادرة عن الأجهزة الرقابية في مجال مكافحة الفساد، وغيرها من القضايا التي أشارت إليها اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد.

وقد تم رصد الأداء الفعلي من خلال مدى التزام ليبيا بهذه الجوانب، من خلال المقابلات مع المهتمين بهذا الموضوع حيث تم تقسيم التقويم من (صفر إلى 5) لتشير كل درجة إلى معدل الأداء الفعلي، كما هو موضح في الجدول رقم (5). الجدول رقم (5) المقارنة بين الأداء المعياري والفعلي للتشريعات الليبية،

واتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد.

| الأداء الفعلي | | | | | | الأداء المعياري | | | | | | | | | |
|---------------|---|----------|---|-----|---|--|---|------|---|---------|---|--|--|--|--|
| 5 | 4 | 3 | 2 | 1 | 0 | الالتزامات حيال الاتفاقية | | | | | | | | | |
| | | X | | | | 1. مساهمة التشريعات الوطنية في مكافحة الفساد. | | | | | | | | | |
| | | | | X | | 2. تكوين هيئات لمكافحة الفساد. | | | | | | | | | |
| | | X | | | | 3. مستوى أداء الأجهزة الرقابية المعنية بمكافحة الفساد وامكانية تطويرها | | | | | | | | | |
| | | | X | | | 4. التعاون الدولي والإقليمي في مجال مكافحة الفساد. | | | | | | | | | |
| | | | | X | | 5. دور التقارير الصادرة عن أجهزة الرقابة في الحد من ظاهرة الفساد | | | | | | | | | |
| | X | | | | | 6. أثر تعديل بعض التشريعات على مكافحة الفساد. | | | | | | | | | |
| | X | | | | | 7. التدابير والخطط الوطنية التي يتم اتخاذها لتطبيق اتفاقية الأمم المتحدة المعنية بالفساد | | | | | | | | | |
| | | X | | | | 8. مدى التوافق بين التشريعات الوطنية والاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد. | | | | | | | | | |
| ممتاز | 5 | جيد جداً | 4 | جيد | 3 | متوسط | 2 | ضعيف | 1 | لا يوجد | 0 | | | | |

من خلال تحليل مضمون المقابلات التي أجرتها الباحثة مع بعض الخبراء والمهتمين بهذا الموضوع، ومقارنتها ببنود اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، إضافة إلى بعض الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة، وكما هو مبين في الجدول رقم (5) يمكن القول بأن أبرز جوانب المقارنة يمكن ذكرها على النحو الآتي:

1. مساهمة التشريعات الوطنية في مكافحة الفساد: أعطى المشرع الليبي أهمية كبيرة لظاهرة الفساد، وقد تمثل ذلك في إصدار الكثير من التشريعات التي اهتمت بهذه الظاهرة ومن أهم هذه التشريعات ما يخص قضايا الفساد المالي والإداري ومن أهمها ما يلي:

- قانون العقوبات الصادر لسنة 1953.

- القانون رقم (2) لسنة 1979 بشأن الجرائم الاقتصادية.

- القانون رقم (6) لسنة 1985 بشأن تجريم الوساطة والمحسوبية.

- القانون رقم (2) لسنة 2005 بشأن مكافحة غسيل الأموال.

- القانون رقم (12) لسنة 2010 بشأن إصدار قانون علاقات العمل.

اهتمت كل هذه القوانين بمظاهر الفساد وتناولت موادها أحكاماً بشأن المخالفات المالية والإدارية داخل المؤسسات الحكومية في الدولة، وعلى الرغم من المرحلة الانتقالية التي مرت بها الدولة الليبية خلال مرحلة إعداد هذه الدراسة، إلا أن هذه التشريعات ظلت سارية المفعول من ناحية مضمونها الشكلي

من ناحية، ووجودها داخل منظومة التشريعات الوطنية من ناحية أخرى، وفي هذا السياق فقد أكد طارق التاجوري⁽²⁴⁾ على "أن التشريعات الوطنية قائمة على قاعدة جيدة الأساس، خاصة إذا طبقت بفاعلية تجاه قضايا الفساد التي تواجهها مؤسسات الدولة، غير أنه وفي الوقت الراهن فإن هذه التشريعات تعرضت لنوع من عدم الجدية في التنفيذ، وقد أرجع إبراهيم أبو اصبح⁽²⁵⁾ "أن السبب في ذلك يعود إلى عدم وجود إرادة سياسية لمكافحة الفساد من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يوجد تفعيل لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد خلال هذه الفترة الزمنية للظروف الاستثنائية التي تمر بها ليبيا"، إضافة لما سبق يمكن استخلاص ما يلي:

1 - هناك مساهمة جيدة للمشرع الليبي في تكوين قاعدة أساسية للتشريعات المعنية بمكافحة الفساد، وهذا يتوافق إلى حد كبير مع ما أقرته المادة الخامسة من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد⁽²⁶⁾.

2 - إن ما يعيق التشريعات الوطنية المعنية بمكافحة الفساد هو التطبيق الفعلي لها في مواجهة مظاهر الفساد، الأمر الذي يشكل عائقاً في مواجهة هذه الظاهرة بشكل أفضل.

2. تكوين هيئات مكافحة الفساد:

يعتبر تكوين هيئة لمكافحة الفساد نقطة جوهرية مهمة في مكافحة هذه الظاهرة من خلال قدرة هذه الهيئة على العمل بصفة رسمية أما على المستوى الوطني أو الدولي، كما يشكل وجود هيئة رسمية ذات معايير دولية عاملاً مهماً في تتبع مظاهر الفساد بشكل عام، وفي هذا الإطار أشار إبراهيم بالخير إلى "ضرورة تفعيل القرارات والقوانين الخاصة بإنشاء هيئة مكافحة الفساد، وأهمها قانون رقم (63) لسنة 2012 الذي يهدف إلى إنشاء هيئة خاصة بمكافحة الفساد يمكن من خلالها وضع سياسات فعالة للوقاية من الفساد بكافة أنواعه، أيضاً قانون رقم (11) لسنة 2014 الخاص بإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد التي من أهم اختصاصاتها مراجعة وتقويم التقارير الصادرة عن المنظمات المحلية والإقليمية والدولية المتعلقة بمكافحة الفساد"⁽²⁷⁾ ومما سبق يمكن أن نشير إلى ما يلي:

1 - عدم وجود هيئة رسمية لمكافحة الفساد خلال فترة إعداد هذه الدراسة، وإن كانت هناك قوانين صادرة بخصوص إنشائها كقانون رقم (63) لسنة 2012 الذي يهدف إلى إنشاء هيئة خاصة بمكافحة الفساد، وقانون رقم (11) لسنة 2014 الخاص بإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، إلا إنها لم تفعل إلى الآن.

(24) مقابلة مع طارق التاجوري، مستشار قانوني بديوان المحاسبة، بتاريخ 29 / 5 / 2015

(25) مقابلة هاتفية مع إبراهيم أبو اصبح، رئيس مجلس إدارة جمعية الشفافية الليبية، تاريخ المقابلة 20 / 7 / 2015.

(26) أنظر المادة (5) من اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد.

(27) مقابلة مع إبراهيم بالخير، رئيس ديوان المحاسبة سابقاً، بنغازي، بتاريخ 5 / 6 / 2015.

- من خلال آراء الباحثين يتبين وجود ضعف في مستوى الأداء الحكومي بخصوص إنشاء هيئة رسمية لمكافحة الفساد، وهذا يؤثر سلباً على مواجهة مخاطر الفساد بشكل عام.

3 - مستوى أداء الأجهزة الرقابية وإمكانية تطويرها :

تعتبر الأجهزة الرقابية من الآليات التي تستخدمها الدولة في الكشف عن أهم مظاهر الفساد داخل المؤسسات الحكومية، وبناءً على المقابلات التي أجريت مع الباحثين في هذه الدراسة، فإن المعلومات تشير إلى وجود تدنى في مستوى أداء أجهزة الرقابة كديوان المحاسبة وهيئة الرقابة الإدارية، فقد بين إبراهيم بالخير أسباب تدنى مستوى أداء هذه الأجهزة إلى "عدم الاهتمام بالرقابة الداخلية لعمل تلك الأجهزة، إضافة إلى أن معايير الأداء الخاصة بأجهزة الرقابة لم تتوافق إلى الآن مع المعايير الدولية المعمول بها"⁽²⁸⁾، وفي السياق ذاته أشار ناصر سويبي إلى "ضرورة العمل على زيادة مستوى أداء أجهزة الرقابة المعنية بمكافحة الفساد من خلال وجود إرادة سياسية قوية لمحاربة الفساد لدى أعلى هرم الدولة، ووضع استراتيجية وطنية لمحاربة الفساد، الفساد"⁽²⁹⁾، وفي دراسة محمد زكري عن مدى فاعلية قوانين وتشريعات ديوان المحاسبة الليبي في محاربة الفساد، فقد أشارت إلى ضرورة تبني وتطبيق المعايير الدولية للرقابة من قبل ديوان المحاسبة الليبي من أجل رفع كفاءته، كذلك العمل على مواكبة التطورات الحديثة في مجال الرقابة على المؤسسات الحكومية والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة بهذا المجال⁽³¹⁾، ومن خلال ما تقدم يمكن الإشارة إلى الجوانب التالية: تعمل أجهزة الرقابة الإدارية كديوان المحاسبة وهيئة الرقابة الإدارية على قاعدة تشريعية جيدة وخاصة فيما يتعلق بالقوانين التي تنظم العمل الداخلي لتلك الأجهزة، غير أن ما يعيق عمل هذه الأجهزة بالدرجة الأولى هو التطبيق الفعلي لهذه القوانين.

2 - إن مستوي أداء الأجهزة الرقابية جيداً في حالات الكشف عن المخالفات المالية والإدارية، خاصة في التقارير الصادرة عنها، ولكن ما يعيب هذه التقارير هو عدم صدور أي أحكام قضائية تجاهها.

4.التعاون الدولي والإقليمي في مجال مكافحة الفساد:

خلال فترة إعداد هذه الدراسة لم تكن هناك هيئة رسمية معنية بمكافحة الفساد، مما انعكس على حجم التعاون الدولي والإقليمي في مجال مكافحة

(28)مقابلة مع إبراهيم بالخير، رئيس ديوان المحاسبة سابقاً، مرجع سابق.

(29)مقابلة مع ناصر سويبي، رئيس الفريق الوطني المناظر لخبراء الأمم المتحدة سابقاً، (2008 - 2013)، تاريخ المقابلة، 10/ 6 / 2015.

(30)مقابلة مع إبراهيم أبو سعد، كبير المراقبين بمكتب التخطيط بهيئة الرقابة الإدارية، بتاريخ، 29 / 8 / 2015.

(31)محمد زكري، مدى فاعلية قوانين وتشريعات ديوان المحاسبة الليبي في محاربة الفساد المالي والإداري، ورقة قدمت في ندوة حول ديوان المحاسبة، زليتن، 2013، ص 26.

الفساد، فقد تضمنت أغلب المعلومات الواردة من بيانات عينة الدراسة بشكل خاص على محدودية التعاون الدولي والإقليمي في مجال مكافحة الفساد حيث أشار إبراهيم بالخير إلى "أن التعاون الدولي كان في إطار دقيق جداً، حيث إنه لم يكن في الجانب المؤسسي التقني بشكل خاص، وإنما اقتصر على عقد ورش عمل بسيطة لبعض المفاهيم الخاصة بالفساد"⁽³²⁾، أيضاً وفي مقابلة مع إبراهيم أبو اصبح "أشار إلى وجود نوع من التعاون في مجال تبادل الخبرات القانونية وخاصة في مجال مكافحة غسل الأموال مع بعض الدول"⁽³³⁾، وفي هذا السياق أيضاً فقد أقرت الاتفاقية الدولية في الفصل الرابع منها أهم مجالات التعاون الدولي في مكافحة الفساد، فقد أشارت المادة الرابعة والأربعون إلى المادة الخمسين؛ إلى ضرورة أن تتعاون الدول الأطراف وفقاً لنظامها القانوني الداخلي في مساعدة بعضها البعض في التحقيقات والإجراءات الخاصة بالمسائل المالية والإدارية ذات الصلة بالفساد⁽³⁴⁾، وطبقاً لما سبق يمكن أن

نستنتج الآتي:

- 1 - التعاون الدولي والإقليمي في مجال مكافحة الفساد متوسط إلى حد ما، حيث اقتصر على التدريب وورش العمل دون وجود تعاون على مستوى المؤسسات والهيئات.
- 2 - إن ما أقرته الاتفاقية في مجال التعاون الدولي لمكافحة الفساد؛ لم ينعكس بشكل مباشر في ليبيا لعدم وجود هيئات رسمية ذات معايير دولية في مجال مكافحة الفساد.

5. دور التقارير الصادرة عن أجهزة الرقابة في الحد من ظاهرة الفساد :

تشمل التقارير الصادرة عن الأجهزة الرقابية كافة أنواع المخالفات المالية والإدارية داخل المؤسسات الحكومية للدولة، غير أن هذه التقارير قد لا تساهم بشكل مباشر في الحد من وجود ظاهرة الفساد بقدر ما تسعى هذه الأجهزة في الكشف عن هذه الظاهرة، إلا أنه لا توجد جدية كافية في اتخاذ الإجراءات اللازمة لمعاقبة المخالفين، وهذا ما أكده إبراهيم بالخير عندما أشار إلى أن "التقارير التي تصدر عن الأجهزة الرقابية والمتمثلة في تقرير ديوان المحاسبة وهيئة الرقابة الإدارية؛ ما هي إلا تقارير روتينية تقتصر مهمتها على تتبع الأخطاء والمخالفات، أي إنها تقارير تقوم بتحديد مستوى أداء مؤسسات الدولة بشكل عام"⁽³⁵⁾، ومن خلال ما سبق نستنتج ما يلي: 1- يقتصر دور الأجهزة الرقابية كديوان المحاسبة وهيئة الرقابة الإدارية على متابعة أداء مؤسسات الدولة الحكومية، دون التطرق

(32) مقابلة مع إبراهيم بالخير، رئيس ديوان المحاسبة سابقاً، مرجع سابق.

(33) مقابلة مع إبراهيم أبو اصبح، رئيس جمعية الشفافية الليبية، مرجع سابق.

(34) أنظر المادة (43)-(50) من الاتفاقية.

(35) مقابلة مع إبراهيم بالخير، رئيس ديوان المحاسبة سابقاً، مرجع سابق.

إلى إصدار أي أحكام ضد أي مخالفات يتم الكشف عنها.-2 إن دور الأجهزة الرقابية جيداً إلى حد ما في القدرة على كشف المخالفات المالية والإدارية من خلال التقارير الصادرة عنها.

6 - أثر تعديل بعض التشريعات على مكافحة ظاهرة الفساد

وفي هذا السياق ، ففي مقابلة مع إبراهيم بالخير أشار إلى أن "التعديل لبعض التشريعات والقوانين مهماً وضرورياً بشكل عام، ولكن قد يكون التعديل هو مجرد تعديل شكلي فقط؛ دون أن يكون تعديلاً جوهرياً الغرض منه تصحيح مادة ما في القانون المراد تعديله لمواكبة تطور وتجدد مظاهر الفساد المتطورة والمتجددة،"⁽³⁶⁾ أيضاً أكد إبراهيم أبو أصبع إلى "أهمية التعديل في بعض التشريعات خاصة اذا تم هذا التعديل بما يتوافق مع بنود اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، وبالتالي سوف يؤدي ذلك إلى دعم كبير في مجال مكافحة الفساد ومتوافقاً مع الاتفاقية الدولية⁽³⁷⁾، كذلك أشار محمد أحمد إلى أن "التعديلات لبعض التشريعات قد ينعكس سلبياً على مكافحة الفساد في بعض الأحيان وخاصة عندما تكون القوانين والتشريعات السارية ذات فاعلية عالية في مواجهة هذه الظاهرة"⁽³⁸⁾، مما سبق يتضح أن التعديل الجزئي لبعض المواد في التشريعات المعنية يكون تأثيره جيداً جداً، خاصة إذا كان التعديل يقتصر على مادة أو اثنتين من مواد القانون بحيث يؤدي هذا التعديل إلى مواكبة مظاهر الفساد المتغيرة والمتطورة.

7. التدابير والخطط الوطنية لتطبيق اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد.

لكي تصبح أي اتفاقية موضع التنفيذ من قبل الدولة المصدقة أو الموقعة عليها، لابد من أن تتخذ تلك الدولة مجموعة من الخطط والتدابير تعكس مدى التزامها ببنود الاتفاقية الموقعة عليها، وطبقاً للمعلومات الواردة من عينة الدراسة فقد تبين وجود نوع من الخطط والتدابير التي قامت بها ليبيا لتطبيق اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، فقد أكد ناصر سويسي إلى أنه "تم توقيع اتفاق بين مكتب الأمم المتحدة في ليبيا ومجلس التطوير الاقتصادي في سنة 2009 تم بموجبه الاتفاق على مساعدة ليبيا للبدء في تطبيق اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، وفي هذا الإطار تم تشكيل فريق وطني مناظر لخبراء الأمم المتحدة، وتمت بعض الإجراءات في هذا الصدد، ولكن توقف عمل الفريق في سنة 2013 بسبب تجميد هذا الاتفاق بين الطرفين"⁽³⁹⁾، إضافة إلى ما سبق يتضح أن:

- مستوى التدابير التي اتخذتها ليبيا لمواجهة ظاهرة الفساد كانت جيدة جداً، حيث تم اتخاذ مجموعة من التدابير والخطط والبرامج

(36) مقابلة مع إبراهيم بالخير، رئيس ديوان المحاسبة سابقاً، مرجع سابق.

(37) مقابلة مع إبراهيم أبو أصبع، رئيس جمعية الشفافية الليبية، مرجع سابق.

(38) مقابلة مع محمد أحمد، رئيس سابق لإدارة القوانين والتشريعات في هيئة الرقابة الإدارية، مرجع سابق.

(39) مقابلة مع ناصر سويسي، رئيس الفريق الوطني المناظر لخبراء الأمم المتحدة سابقاً، مرجع سابق.

التي تمت الإشارة إليها فيما سبق.

8. مدى التوافق بين التشريعات الوطنية والاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد.

من خلال ما تبين من مقارنة الأداء المعياري الذي يمثل الالتزامات تجاه الاتفاقية والأداء الفعلي لهذه الالتزامات يتبين وجود توافق نسبي بين التشريعات والاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد نتيجة لاهتمام المشرع الليبي بصفة خاصة بإصدار عدد كبير من هذه التشريعات المعنية بالفساد، مع عدم وجود التزام ببعض بنود الاتفاقية بالقدر المطلوب، وهذا يعكس وجود قصور في إيفاء ليبيا بالتزاماتها الدولية تجاه اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد.

من خلال ما سبق؛ ومن خلال مقارنة الباحثة لبنود اتفاقية الأمم المتحدة مع بعض التشريعات الوطنية؛ تبرز الحاجة إلى بعض القوانين التي تساهم في تفعيل الاتفاقية وتنفيذ بعض بنودها، من هذه القوانين ما يلي: قانون كشف الذمة المالية للأفراد والعاملين في الوظائف العمومية، قانون إتاحة المعلومات، الذي يعزز مبدأ الشفافية ويمنح الحق في الوصول إلى المعلومات، مدونة سلوك للموظف العام، وهي وثيقة تتضمن مجموعة من المبادئ والقيم التي تتعلق بضبط وتنظيم العمل بالنسبة للوظيفة العامة. إضافة إلى ما سبق فإن الباحثة تؤكد على ضرورة وجود هيئة وطنية لمكافحة الفساد، تأخذ على عاتقها وضع استراتيجية وطنية لمكافحة الفساد.

أجابة أسئلة البحث وأهم التوصيات:- تتجه إجابة السؤال الأول حول معرفة مدى انعكاس السياسة الوطنية لمكافحة الفساد على الأحكام الواردة في الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد من خلال التحليل لأهم السياسات الوطنية فيما يخص التشريعات، فقد تبين وجود قاعدة تشريعية قوية أصدرها المشرع الليبي تخص مكافحة الفساد عند تحليل المراحل التاريخية التي سبق عرضها في الإطار القانوني، غير إن التقصير يعود إلى عدم تطبيق هذه التشريعات في المخالفات المالية أو الإدارية بشكل فاعل داخل مؤسسات الدولة، كما لا يوجد هيئة رسمية لمكافحة الفساد واقتصر الأمر على وجود مؤسسات رقابية تمثلت في ديوان المحاسبة وهيئة الرقابة الإدارية، وهذه المؤسسات تقوم بإصدار تقارير سنوية عن المخالفات المالية والإدارية داخل مؤسسات الدولة فقط حيث إنها لا تملك أي جوانب رادعة ضد المخالفين بشكل عام، ومما سبق يقر لنا بتوصية تتمثل في ضرورة تكوين هيئة رسمية على مستوى الدولة تخصص بمكافحة الفساد تكون قادرة على توقيع الجزاءات ضد المخالفين، أما إجابة السؤال الثاني فمن خلال وجود التشريعات الوطنية الخاصة بمكافحة الفساد تبين ومن الناحية النظرية وجود توافق بين هذه التشريعات وبين بنود اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد حيث يتمثل ذلك في عدم وجود أي تعارض بينهما، فقد جاءت التشريعات الوطنية عامة وشاملة لبنود الاتفاقية فيما يخص مكافحة الفساد وتأتي إجابة السؤال الثالث من خلال الإشارة إليه بوجود بعض الجوانب لم يتم فيها

التطابق الكامل بينها وبين الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد، ويتمثل ذلك في عدم تكوين هيئة وطنية لمكافحة الفساد وفقاً للمعايير الدولية التي حددتها الاتفاقية الدولية لمكافحة الفساد، إضافة وجود ضعف في مشاركة المجتمع المدني وضعف دور الإعلام لمواجهة ظاهرة الفساد، وبناءً على ما تم استخلاصه من نتائج فإن هذا البحث يعرض أهم توصياته في الالتزام الكامل ببنود اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بالفساد، كذلك العمل على إجراء دراسات وأبحاث حول معرفة أوجه القصور في بعض التشريعات الوطنية، والعمل على إجراء مؤتمرات وورش عمل عربية ودولية لتبادل الخبرات القانونية في مجال مكافحة الفساد ودعم السياسة الوطنية بشكل عام، أيضاً العمل على تفعيل أنظمة الرقابة داخل مؤسسات وتطويرها بما يتناسب مع المعايير الدولية المعمول بها في مجال مكافحة الفساد.

ويتلخص البحث إلى أن تتخذ الدول كافة التدابير لمكافحة الفساد وفقاً لما تنص عليه المادتين الخامسة والسادسة من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد وفق الآتي: تشكل المادة الخامسة من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد الأساس الذي يحدد للدول وجوب وأهمية وضع سياسات مكافحة الفساد، التي من شأنها أن تعكس جهود مكافحة الفساد من قبل الدول، وتعرض هذه المادة الأهداف الرئيسية للوقاية والأساليب الواجب إتباعها في هذا الخصوص، وذلك وفقاً للمبادئ الأساسية للقانون الداخلي للدولة، بما يعزز تشجيع مشاركة المجتمع عامة في أنشطة مكافحة الفساد، وفي هذا الإطار؛ يُطلب من الدول الأعضاء أن تنفذ مجموعة من الالتزامات ذات الصلة بالسياسات العامة والمنسقة والفعالة لمكافحة الفساد⁽⁴⁰⁾، كما تشدد المادة الخامسة على أهمية الوقاية⁽⁴¹⁾، والحاجة إلى عملية تقويم مستمرة للتدابير القائمة لمكافحة الفساد، إضافة إلى التشديد على أهمية التعاون الدولي في مكافحة الفساد⁽⁴²⁾. أما المادة السادسة فهي تقدم الإطار العام لإيجاد هيئة أو هيئات مستقلة إدارياً ومالياً بصورة كافية لكي تتولى منع الفساد عبر تنفيذ السياسات التي تشير إليها المادة الخامسة من الاتفاقية وزيادة المعرفة المتعلقة بمنع الفساد.

(40) أنظر: الدليل التشريعي لتنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، (منشورات الأمم المتحدة، إعداد مكتب الأمم المتحدة المعنى بالمخدرات والجريمة: شعبة شؤون المعاهدات، 2006) ص13.

(41) أنظر الفقرة الفرعية (أ) من المادة (1) من الاتفاقية.

(42) أنظر الفقرة الفرعية (ب) من المادة (1) من الاتفاقية.

قائمة المراجع

- أولاً : القران الكريم:
 ثانياً : القوانين والوثائق والتقارير:
- 1 - مكافحة الفساد لتحسين إدارة الحكم. نيويورك: منشورات منظمة الأمم المتحدة، مكتب السياسات الإنمائية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 1998.
 - 2 - اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد. الجمعية العامة: منشورات منظمة الأمم المتحدة، 2003.
 - 3 - تقرير الفساد العالمي. منشورات منظمة الشفافية الدولية، 2013
 - 4 = تجربة منظمة الشفافية الدولية في تقييم الفساد. مؤثر مدركات الفساد 2008.
 - 5= مؤثر الفساد في الاقطار العربية :إشكاليات القياس والمنهجية. القاهرة : المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2010.
 - 6 - نظام النزاهة العربي في مواجهة الفساد. منظمة الشفافية الدولية، 2009.
 - 7-المذكرة الإرشادية للتقويم الذاتي لتنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة الفساد، منشورات الأمم المتحدة.
 - 8 - الدليل التشريعي لتنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد. مكتب الأمم المتحدة المعنى بالمخدرات والجريمة: منشورات منظمة الأمم المتحدة، 2006.
 - 9 - أولويات العمل وآلياته.القاهرة: لجنة الشفافية والنزاهة، وزارة الدولة للتنمية الإدارية، 2008 - 10 - تقرير عن نشاط الفريق الوطني المناظر لخبراء الأمم المتحدة لمكافحة الفساد وتعزيز النزاهة والشفافية، 2009 - 2010.

ثالثاً :الكتب:

- 1 - السن، عادل عبد العزيز. "مكافحة أعمال الرشوة" في الفساد الإداري والمالي في الوطن العربي. القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2007.
- 2 - العواملة، نائل عبد الحفيظ. تحليل السياسات العامة: تطبيقات من الأردن والخليج. عمان: منشورات جامعة الأردن، 1999
- 3 - البعجة، فتحي. "ما لم ينتبه له تقيم التنافسية الجماهيرية" في السياسات العامة. تحريرمحمد زاهي المغربي وآخرون، بنغازي: منشورات جامعة بنغازي، 2007، ص ص 340-314.
- 4 - الخميس، خالد محمد. "جهود دولة قطر في مجال مكافحة الفساد" في نحو استراتيجية وطنية لمكافحة الفساد في الوطن العربي. القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2011. رابعاً: رسائل ماجستير ودكتوراه .
- 5 - المعداني، نورا. "العلاقة بين العوامل التنظيمية والفساد". رسالة ماجستير ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة بنغازي، 2005.

خامساً: الدوريات

- 1 - زكري، محمد أبو القاسم. "مدى فاعلية قوانين وتشريعات ديوان المحاسبة في محاربة الفساد المالي والإداري بالمؤسسات الحكومية". ورقة قدمت في الندوة الأولى حول ديوان المحاسبة "الواقع والافاق"، كلية الاقتصاد، زليتن، 2013.
- 2 - إبراهيم، جاد المولى حامد. "ظاهرة الفساد الإداري في الشركات العامة في ليبيا". رسالة ماجستير، غير ، أكاديمية الدراسات العليا، بنغازي، 2008.

سادساً: شبكة المعلومات الدولية

- 1 - منظمة الشفافية الدولية، تقرير عن الفساد العالمي، www.egvofi.org.eg، تاريخ الزيارة، 2 / 4 / 2011.
- 2 - مؤسسة أمان، برنامج مكافحة الفساد والنزاهة الوطنية في الوطن العربي، www.aman-palestine.org، تاريخ الزيارة 5 / 7 / 2011.
- 3 - بوزيد سائح، سبل تعزيز المساءلة والشفافية لمكافحة الفساد وتمكين الحكم الرشيد في الدول العربية، www.univ-ouargla.dz، تاريخ الزيارة 6 / 9 / 2013.
- 4 - أساس القانون الدولي العام وعلاقته بالقانون الداخلي، www.startimes.com، تاريخ الدخول 3 / 4 / 2015.

تأثير جودة التقارير المتكاملة في قيمة الوحدة الاقتصادية

The Impact Quality of Integrated Reporting on the Value of Economic Entity

إعداد :

د. علي خلف كاطع الجبوري

المعهد التقني في الناصرية - الجامعة التقنية الجنوبية - العراق

أ.د. حيدر علي جراد المسعودي

كلية الادارة والاقتصاد، جامعة كربلاء - العراق

القبول : 26 / 10 / 2021 م

الاستلام : 17 / 09 / 2021 م

المستخلص :

إن إعداد التقارير المتكاملة هو شكل جديد من التقارير يهدف إلى تقديم صورة شاملة لأداء الوحدة الاقتصادية، ولأن جودة الإبلاغ هي جانب حاسم من التقارير المتكاملة، لذا فإن البحث يهدف إلى بيان تأثير جودة التقارير المتكاملة وانعكاساتها في قيمة الوحدة الاقتصادية، واتخاذ قرارات الافصاح والتكامل في المعلومات المقدمة بهدف الاستفادة منها في بناء رؤى متكاملة عن الوحدة الاقتصادية، بافتراض أن لجودة التقارير المتكاملة ارتباط وتأثير في قيمة الوحدة الاقتصادية، توصل البحث إلى نتائج أهمها لأن جودة التقارير المتكاملة تساهم في تعزيز قيمة الوحدة الاقتصادية، وبما أن التقارير المالية لم تعد تلبي احتياجات وأصحاب المصالح، والتي تسعى إلى تطوير والحفاظ على عمليات مرنة ومسؤولة، فإن البحث يوصي بضرورة دمج الأداء المالي مع الأداء الاجتماعي والبيئي للوحدة الاقتصادية، والذي يتطلب تحديد نموذج الاعمال الامثل لتحقيق الاهداف الاستراتيجية، بما في ذلك توسيع فاعلية الضوابط الداخلية طوعية، لتشمل التعاملات والأحداث غير المالية، والبيئية، والاجتماعية في إطار إبلاغ متكامل، عن جميع الأنشطة التي يمكن أن تؤثر حالياً أو مستقبلياً على خلق القيمة.

الكلمات المفتاحية : ، التقارير المتكاملة، الجودة، القيمة، الوحدة الاقتصادية.

Abstract

The preparation of Integrated Reporting is a new form of Reporting that aims to provide a comprehensive picture of the performance of the Economic Entity, and because the quality of reporting is a critical aspect of the Integrated Reporting. Research aims to demonstrate the impact of quality of Integrated Reporting and their reflections on the value of the Economic Entity, and methods of preparing them, and making decisions about disclosure and integration in the information provided with the aim of benefiting from it in building Integrated visions about the Economic Entity, assuming that the quality of Integrated Reporting has a correlation and impact on the value of the Economic Entity. The quality of Integrated Reporting contributes to enhancing the value of the Economic Entity, and since financial Reporting no longer meet the needs and stakeholders, which seek to develop and maintain flexible and responsible processes, the research recommends the need to integrate financial performance with the social and environmental performance of the Economic Entity, which requires defining a business model Optimization to achieve strategic objectives, including voluntarily expanding the effectiveness of internal controls, to include engagement and non-financial, environmental, and social events within an Integrated reporting framework, of all activities that may present or future affect value creation.

Keywords: Integrated Reporting , Quality, Value, Economic Entity.

المقدمة

إن إعداد التقارير المتكاملة هو شكل جديد من التقارير يهدف إلى تقديم صورة شاملة لأداء الوحدة الاقتصادية، كما أن التطور الدراماتيكي للظروف الاقتصادية يبرز أوجه قصور فعلية ومحتملة، في المعلومات التاريخية للوحدات الاقتصادية، لأنها لا تستطيع تلبية احتياجات المستثمرين المتنوعة من المعلومات المتسقة مع احتياجات التنمية الاقتصادية، وعدم القدرة على تزويد أصحاب المصالح برؤية كافية، فيما يتعلق بعوامل النجاح الحاسمة والفرص والمخاطر وخطط الإدارة كمنظور أكثر تكاملاً، أن هذا التغير في بيئة الأعمال والتعقيد المتزايد، نتيجة الحاجة المتزايدة للمعلومات غير المالية للوحدات الاقتصادية في ظل عدم قدرة التقارير المالية لها في توفير معلومات ذات صلة باتخاذ القرار من أصحاب المصالح، والتي قد تتعلق بالعلاقات الاجتماعية أو البيئية وكذلك التنوع الثقافي والمعرفي للأفراد العاملين فيها، دعا إلى ظهور نوع جديد من الإبلاغ المتكامل والذي يطلق عليه التقارير المتكاملة (IR - Integrand Reporting) ليكون بديلاً عن الإبلاغ المالي التقليدي المقتصر على الأنشطة المالية أو تلك التي تلتزم الوحدة الاقتصادية بالإبلاغ عنها بسبب طبيعتها التي من الممكن أن تؤدي إلى تكوين التزام محتمل مستقبلي، اكتسب الإبلاغ المتكامل (IR) اهتماماً كبيراً في السنوات الأخيرة كنهج ناشئ للتقارير المتكاملة عن أنشطة الوحدات الاقتصادية المالية وغير المالية.

منهجية البحث

تمثل المنهجية خارطة لترتيب افكار الباحث لعرض مشكلة البحث وأهميته والاهداف التي يسعى الباحث إلى تحقيقها، اعتماداً على فرضيات بحثية أو عقلية تصاغ علمياً، وبالنتيجة فأن منهجية البحث المقترحة ستشتمل على الآتي:

1.2. مشكلة البحث: تشوب عملية الإبلاغ عن نتائج اعمال الوحدة الاقتصادية، مشاكل مختلفة دفعت لظهور نوع متقدم من التقارير، والتي تهدف إلى تحقيق مستوى أعلى من جودة الإبلاغ المحاسبي، إذ يمكن تلخيص مشكلة بمدى تأثير جودة الإبلاغ في التقارير المتكاملة على قيمة الوحدة الاقتصادية، وأدراك الوحدات الاقتصادية العراقية لمفهوم الإبلاغ المتكامل؟

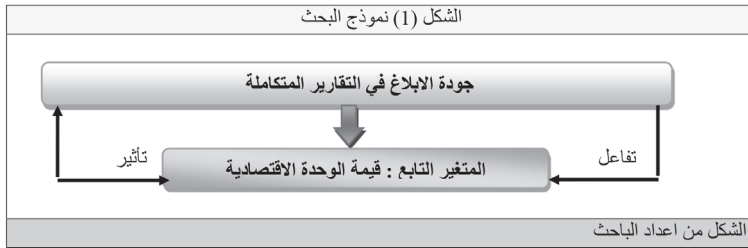
2.3. أهمية البحث: تُعد مشاكل الجودة في الإبلاغ عن نتائج الاعمال، احد الامور ذات الأهمية لدى المستفيدين من التقارير المالية، ونتيجة توسع الاعمال والتداخل الاقتصادي والمالي لمختلف الأنشطة والقطاعات الاقتصادية، أصبحت المعلومات المالية غير كافية لاتخاذ القرارات الناجمة ذات البعد المستقبلي، نتيجة لذلك ظهرت الحاجة لتقارير اكثر تفصيلاً، والتي ظهرت بصيغة تقارير الإبلاغ المتكاملة، وأهميتها في تقديم نموذج متكامل لاتخاذ القرارات من اصحاب المصالح.

3.3. أهداف البحث: يسعى البحث إلى تحقيق أهداف عدة يمكن توضيحها منها بيان مدى ملائمة عناصر التقارير المتكاملة للبيئة العراقية، وتحديد التحديات

التي تواجه تطبيقها، والتكامل بين الاطر المفاهيمية للمحاسبة المالية والتقارير المتكاملة، وأمكانية جذب أنظار الوحدات الاقتصادية العراقية وأصحاب المصالح، إلى أهمية التقارير المتكاملة في إستراتيجية اتخاذ القرارات، عن طريق قياس جودة الإبلاغ في التقارير المتكاملة وتأثيرها على قيمة الوحدة الاقتصادية.

4.3. فرضيات البحث: أن الفرضيات التي يقدمها الباحث مرتبطة بالمشاكل المطروحة والاهداف المراد تحقيقها، كونها اجابات أو حلول مقترحة ناتجة عن دراسة للأبعاد التي طرحتها مشكلة البحث، إذ يفترض البحث الاتي:
” توجد علاقة ارتباط وتأثير ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05) بين جودة التقارير المتكاملة وقيمة الوحدة الاقتصادية“

5.2. نموذج البحث: يتعلق أنموذج البحث بمدى التكامل بين متغيرات البحث وكالاتي:



6.1. حدود وعينة البحث: أن عينة البحث ستكون الاداة الرئيسة التي تساعد الباحث في الوصول الى نتائج تتلاءم مع طبيعة مشاكل واهداف وفرضيات البحث، ولهذا ستتكون عينة البحث من الوحدات الاقتصادية العراقية المدرجة في سوق العراق الأوراق المالية، والتي تتمثل في الاكثر نشاطاً كونها تعكس مدى ثقة المستثمرين في نتائج أعمالها وجودة إبلاغها في التقارير، التي تصدرها وبعدها (10) وحدة اقتصادية، للفترة (2018 - 2020).

| الجدول (1-1) عينة البحث | | | | | |
|---|-------------------------------|--------|--|----------------------------|----------|
| الوحدات الاقتصادية الأدنى نشاطاً لسنة 2020 | | | الوحدات الاقتصادية الأعلى نشاطاً لسنة 2020 | | |
| ت | الوحدة الاقتصادية | % | ت | الوحدة الاقتصادية | % |
| 1 | المعمورة للاستثمارات العقارية | 74.4 % | 6 | مصرف الموصل | 18.8 % - |
| 2 | مصرف ايلاف الاسلامي | 66.7 % | 7 | فندق فلسطين | 15.7 % - |
| 3 | المصرف الاهلي العراقي | 50.8 % | 8 | مصرف المنصور للاستثمار | 14.9 % - |
| 4 | المنصور للصناعات الدوائية | 50.5 % | 9 | مصرف الاستثمار العراقي | 14.8 % - |
| 5 | مصرف بغداد | 36.7 % | 10 | مدينة ألعاب الكرخ السياحية | 9.2 % - |
| المصدر: تقرير سوق العراق للأوراق المالية للعام 2020 - بتصريف الباحث | | | | | |

الدراسات السابقة

دراسة (El Deeb, 2019): أثر التقارير المتكاملة في قيمة وأداء الشركة The
 impact of integrated reporting on firm value and performance : تهدف الدراسة
 إلى تحديد التحديات والفرص ونقاط القوة والضعف الرئيسية التي ستواجهها
 الشركات في اعتماد التقارير المتكاملة، إذ اشتملت عينة البحث على (42) شركة
 مدرجة في سوق الأوراق المالية المصرية للفترة (2017-2013) لدراسة نتائجها اعتماداً
 على المنهج الوصفي الاستقرائي وتحليل البيانات، وتوصلت إلى وجود علاقة تأثير
 ذات بعد ايجابي بين مستوى الالتزام بالتقارير المتكاملة وأداء الشركة وقيمتها
 ومستوى الرافعة المالية للشركات، وبما يعزز الافصاح عن المعلومات المالية
 وغير المالية، وتوصي بضرورة الاهتمام بالعوامل التنظيمية والاستراتيجية بما في
 ذلك نموذج الأعمال، الحوكمة، لدورها في تعزيز أداء الشركة وقيمتها السوقية.
 2.3. دراسة (Moloi & Iredele, 2020): قيمة الشركة وجودة التقارير المتكاملة
 Firm Value and Integrated Reporting Quality : يهدف البحث إلى بيان أهمية الإبلاغ
 المتكامل الإلزامي للشركات المدرجة في بورصة جنوب افريقيا، عن طريق دراسة
 بيانات (20) شركة مدرجة بورصة جنوب افريقيا للفترة (2013 - 2018)، وتوصل
 إلى وجود تأثير في قيمة الشركة تبعاً لثقة اصحاب المصالح في جودة التقارير
 المتكاملة، تماشياً مع نظرية الوكالة، التي تدعو إلى إعداد تقارير متكاملة
 عالية الجودة من أجل تقليل عدم تناسق المعلومات بين الإدارة ومقدمي رأس
 المال، ويوصي بضرورة الالتزام بمعايير اصدار التقارير المتكاملة لجميع الشركات
 المدرجة في بورصة جنوب افريقيا، عن طريق تطبيق أدوات القيادة والتحكم، لفرض
 الامتثال لمستوى مقبول من الكشف عن الجودة.

الاطار المفاهيمي للتقارير المتكاملة

تعد التقارير المالية الاداة الأكثر تطوراً في الممارسات المحاسبية، إذ تسعى
 الوحدات الاقتصادية، والمنظمات القائمة على اصدار المعايير وتنظيم عملية
 الإبلاغ، الى تحسين عملية التواصل مع أصحاب المصالح، عن طريق إصدار تقارير
 وقوائم مالية، تتضمن معلومات وافية لمراقبة أنشطة الوحدة الاقتصادية، إلا
 أن تغير بيئة الأعمال ودخول العلاقات الدولية طرفاً في الأنشطة الاقتصادية، أدى
 إلى زيادة الطلب على معلومات وبيانات أكثر تفصيلاً، عن الأنشطة غير المالية
 التي تمارسها الوحدات الاقتصادية؛ والتي أصبحت أكثر تعقيداً، بالإضافة إلى أن
 التقارير المالية التقليدية، لم تُعد قادرة على تلبية الإفصاحات المطلوبة، بسبب
 القيود التي يمكن ان تواجهها نتيجة المعايير التي تحكم الافصاح المالي، او رغبات
 الادارة بذلك، والتي تخص النشاط الاجتماعي والبيئي وغيرها من المعلومات،
 وبسبب الحاجة إلى تلبية الاحتياجات المعلوماتية المتزايدة لأصحاب المصالح، بات
 إيجاد طرق لتحقيق التواصل الفعال أمراً ضرورياً، والذي أدى الى ظهور التقارير

المتكاملة، كمفهوم إبلاغ متكامل يسعى إلى موازنة المعلومات ذات الصلة، حول استراتيجية الوحدة الاقتصادية، وأنظمة الحوكمة والأداء والأفاق المستقبلية، بطريقة تعكس الأثر الاقتصادي والبيئي والاجتماعي على الأنشطة الاقتصادية، واحداث نقلة نوعية من نمط الإبلاغ المالي، إلى نمط إبلاغ أكثر شمولية يتضمن المعلومات المالية وغير المالية، بطريقة متكاملة عن طريق تحسين جودة المعلومات المقدمة، إذ سيتم تناول الاطار المفاهيمي للتقارير المتكاملة كالاتي:

1.4 مفهوم الإبلاغ المتكامل

إذ يمثل التفكير الاستراتيجي حجر الزاوية في الجمع بين المساءلة وشفافية الإبلاغ عن الأنشطة ذات الطبيعة المالية وغير المالية، لمجلس الإدارة والبيئة التنظيمية، التي تقوم بها الإدارة العليا، والإفصاح عن حقيقة الأنشطة الاقتصادية والتشغيلية للوحدة الاقتصادية، فعادة ما يطلب وبشكل متزايد، بأن تكون الوحدات الاقتصادية مسؤولة أمام أصحاب المصالح وليس فقط المساهمين، وأن تكون هنالك شفافية ووضوح بشأن أنشطتها وأدائها المالي وغير المالي، وكيفية تأثيره على البيئة والمجتمع، بالنتيجة ظهرت الحاجة الى نمط من الإبلاغ المتكامل يجمع بين الإبلاغ عن الجوانب المختلفة للأنشطة التنظيمية على منصة مشتركة مع هدف موحد، ينظر إليها كطريقة لإظهار كيف "تناسب" الاستراتيجية مع الجوانب المالية داخل الوحدة الاقتصادية، وكذلك تمكن اصحاب المصالح، من فهم كيفية تأثير استراتيجيتها على اداء وقيمة الوحدة الاقتصادية في الاسواق المالية (Abeysekera,2013:228). بالنتيجة فأن مفهوم التقارير المتكاملة، كما نص عليه الاطار المفاهيمي (IIRC)، هو اتصال موجز حول كيفية قيام استراتيجية الوحدة الاقتصادية، وحوكمتها وأدائها وأفاقها، في سياق بيئتها الخارجية، بإيجاد وخلق قيمة على المدى القصير والمتوسط والطويل، وأن الغرض الأساس من التقرير المتكامل، هو الشرح لمقدمي رأس المال كيف تخلق الوحدة الاقتصادية قيمة بمرور الوقت، ولذلك فهو يحتوي على المعلومات، المالية وغير المالية ذات الصلة، وبما يفيد جميع أصحاب المصالح، والعاملين، والزبائن، والموردين، وشركاء الأعمال، والمجتمعات المحلية، والمشرعين، والمنظمين، وصانعي السياسات (IIRC,2013:7).

إذ أن البيانات الحالية التي تقدمها الوحدات الاقتصادية في تقاريرها السنوية، تحتوي على أنشطة غير مترابطة، قد لا تؤدي الى اتخاذ القرارات بناءً على معلومات ذات صلة، بالنتيجة فأن التقارير المتكاملة ستؤدي إلى شرح أوسع للأداء، بشكل أكثر من التقارير التقليدية، عن طريق وصف العناصر المادية لخلق القيمة، والعلاقات بينها وقياسها، وكذلك التركيز على معرفة كيفية ادارة رأس المال، عن طريق أنشطة ومخرجات الوحدة الاقتصادية، بالنتيجة فأن أطار عمل التقارير المتكاملة، يمثل الأداء المالي والاستدامة داخل الوحدة الاقتصادية، ويؤكد

على الروابط القائمة بين البيئة التنافسية، واستراتيجية الإدارة، ونموذج الأعمال، والإدارة المتكاملة للمخاطر، ونظام الحوكمة (Busco,2013:38).

وفي السنوات الأخيرة اكتسبت التقارير المتكاملة اهتماماً كبيراً كنهج تطوري للإبلاغ، يهدف تحديداً إلى التغلب على قيود الإبلاغ "التقليدي" في الإفصاح غير المالي، وتقديم وثيقة موحدة تمثل الأداء المالي، والاجتماعي، والبيئي، بهدف إعطاء صورة أكثر شمولية لأداء الوحدات الاقتصادية، لا سيما فيما يتعلق بالاستدامة والإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية (CSR)، وأن التقارير المالية التقليدية تزود أصحاب المصالح، بمجموعة محددة من المعلومات، تعتمد على الأداء الاقتصادي السابق، والذي على الرغم من كونه مفيداً في كثير من الأحيان لاستقراء الاتجاهات المستقبلية، لكن قد يكون غير كافٍ لتقييم المخاطر الفعلية الكامنة، والتي يمكن أن يكون الإبلاغ المتكامل، فرصة للتغلب على حدود التقارير المالية التقليدية، فيما يتعلق بالإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية للوحدة الاقتصادية (Camodeca et al,2018:4).

كما إن تطوير التقارير المتكاملة جاء مدفوعاً بإخفاقات أطر عمل إعداد التقارير المالية، لتعكس بدقة النطاق الكامل للمخاطر والتأثيرات والفرص الخاصة بالوحدة الاقتصادية، وتوافر صورة كاملة عن أدائها من خلال تضمين المعلومات غير المالية حول الأداء البيئي والاجتماعي والحوكمة جنباً إلى جنب مع المعلومات المالية (Jeyaretnam & Siddle,2010:33). وأن أوجه القصور في التقارير المالية يمكن ملاحظتها بأربعة أسس رئيسة هي (Wood,2010:29):

1) التعقيد (Complexity): تواجه التقارير المالية التحدي المستمر المتمثل في مواكبة تعقيد المعاملات الاقتصادية الناتجة عن عولمة الاقتصاد، مصادر القيمة، الأدوات المالية والالتزامات المالية، الأصول غير الملموسة، المشتقات، التحوط، وخيارات الأسهم، الصناديق الائتمانية، وكذلك التعقيد والقياس النوعي والكمي للأداء الاجتماعي والبيئي والحوكمة، فضلاً عن تقييم استراتيجية الإدارة التي تدعم تقييم الأداء.

2) المستفيدون المتنوعون (Diverse beneficiaries): تم تصميم التقارير المالية أساساً لتلبية احتياجات المستثمرين لاتخاذ القرارات، بينما يستفيد أصحاب المصالح الآخرين بدرجة أقل، من هذه الإفصاحات لأغراض أخرى غير صنع القرار الاستثماري، كالعاملين، المنظمات المجتمعية، المنظمات غير الحكومية، الموردين، الهيئات المهنية وواضعي المعايير، وغيرها من الفئات التي تتداخل في الاستفادة من المعلومات الواردة في التقارير المالية.

3) الأهمية النسبية (Materiality): بالنسبة لواضعي معايير التقارير المالية والجهات التنظيمية، فليس كل الإفصاحات الواردة في القوائم المالية هي عبارة عن إفصاحات جوهرية، بالنتيجة فأن تحديد الأهمية النسبية للمعلومات ذات الصلة بأنشطة الوحدة الاقتصادية والتي لها تأثير على قرارات المستثمر تواجه

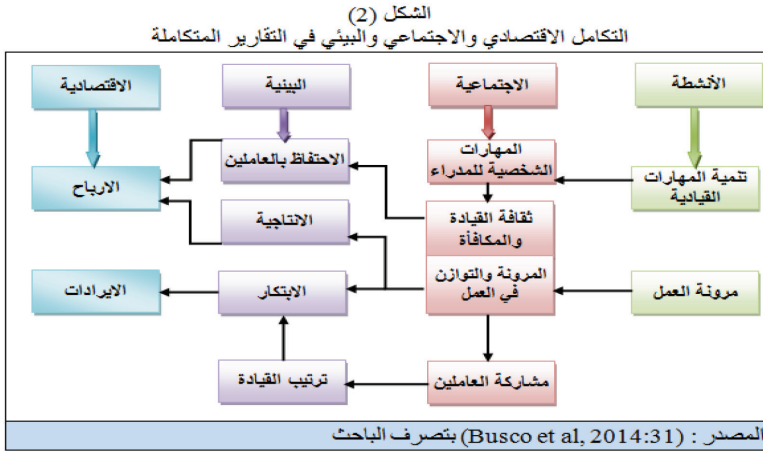
تحدياً مستمراً في الاقتصاد العالمي سريع التغير، ناتجة عن المخاطر المتجددة والفرص المتاحة في بيئة الاعمال.

4 (عرض المعلومات المادية (presentation of material information): تتباين أهمية العوامل البيئية والاجتماعية، وبحسب قطاعات الاعمال الصناعية التي تمارس فيها الوحدة الاقتصادية انشطتها، فتغير المناخ والصحة وحقوق العاملين، هي خيارات صعبة في الافصاح وكذلك فأن مخاطرها وتأثيراتها تختلف من نشاط الى آخر.

وبصورة عامة فأن التقارير المتكاملة تهدف لأحداث تغيير جوهري، في طريقة إدارة الوحدات الاقتصادية وتقديم التقارير إلى أصحاب المصالح لاتخاذ القرارات، عن طريق انشاء علاقات بين مكونات الوحدة الاقتصادية، الانتاجية والادارية والوظائف الاخرى، وربطها مع عناصر رأس المال التي تستخدمها أو تؤثر عليها، لتقديم رؤية طويلة الأمد، وجزء من الممارسات السائدة في بيئة الاعمال الاقتصادية، التي تؤدي إلى تخصيص رأس المال بكفاءة وإنتاجية، ودعم الاستقرار المالي، وأن هذه الاهداف تشتمل على الآتي (IIRC,2020:2):

1. تحسين جودة المعلومات المتاحة لمقدمي رأس المال لتحقيق كفاءة وإنتاجية أكبر.
2. توفير منهج أكثر تماسكاً وفاعلية للتقارير وتوصيل معلومات ذات صلة، عن كيفية خلق القيمة بمرور الوقت.
3. تعزيز المساءلة والإشراف على ادارة الاصول المالية، والفكرية، والبشرية، والاجتماعية وتعزيز فهم الترابط بينها.
4. دعم التفكير المتكامل واتخاذ القرار والإجراءات، التي تركز على خلق القيمة على المدى القصير والمتوسط والطويل.

كما إن دور التقارير المتكاملة لا يقتصر على ايصال المعلومات الى اصحاب المصالح، بل يسهم في تعزيز الترابط بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية دخل الوحدة الاقتصادية، بشكل أكثر فاعلية للعلاقات بين المؤشرات المالية وغير المالية، والتي يوضحها الشكل (2) :



إن الفوائد المتوقعة لإعداد التقارير المتكاملة، لا تقتصر على تعزيز البيئة التنظيمية الداخلية فقط، بل توفر أيضاً إمكانية نقل قدرة الوحدة الاقتصادية، على كيفية خلق القيمة السابقة والحالية والمستقبلية إلى جميع المساهمين، والتي من الممكن اكتشاف أن الوحدات الاقتصادية، قدمت معلومات معقدة بشكل مضغوط وقصير وموجز ومفهوم، لكن هذه المعلومات لم تكن شاملة وأحياناً متكررة، لذا من فأن توفير معلومات متكاملة سيكون مهماً وأساسياً لاتخاذ القرارات الاستثمارية المستقبلية، ووفقاً لأطار (IIRC)، فأن تحسين جودة المعلومات يهدف لتمكين تخصيص رأس المال بشكل أكثر كفاءة وإنتاجية. (Aras & Yildirim, 2021:3) ونظراً لأن القيمة التي تم إنشاؤها تستند إلى رؤوس أموال مختلفة، لأصحاب المصالح وفي فترات زمنية مختلفة، لا يمكن التركيز على بعض رؤوس الاموال وتجاهل الأخرى، فليس من المنطقي إنشاء قيمة طويلة الأجل بسياسات غير مناسبة، تجاه رأس المال البشري، لزيادة رأس المال المائي، والتي تستوجب تبني منظور متكامل وواسع لخلق قيمة مستقبلية وجودة معلومات أفضل (King & Roberts, 2107:48).

2.4. مبادئ الإبلاغ في التقارير المتكاملة

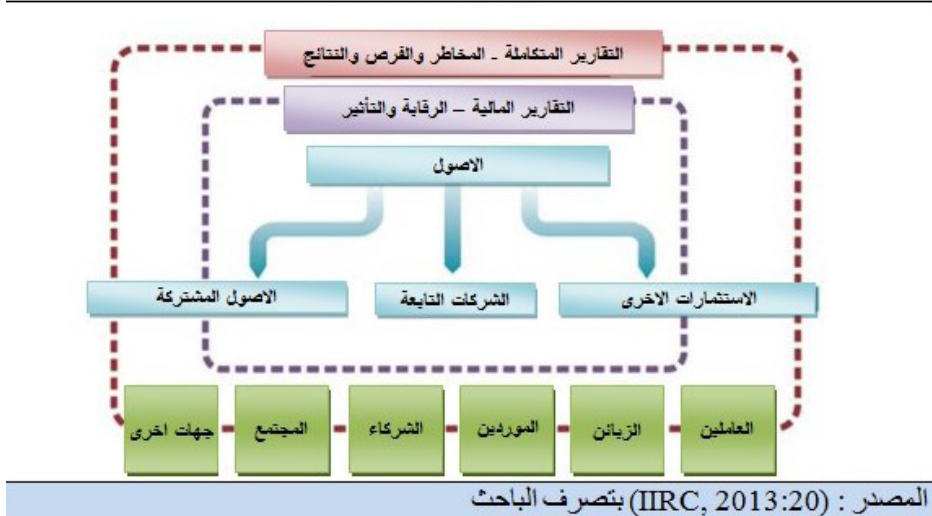
أن ظهور التقارير المتكاملة هو استجابة للأزمة المالية العالمية، بعد سلسلة من إخفاقات الوحدات الاقتصادية التي قوضت الثقة في البيانات المالية التقليدية، إذ تمثل تطوراً في تقديم المعلومات الاجتماعية والبيئية والمالية، استناداً إلى فلسفة متكاملة، بهدف توفير معلومات ذات جودة أفضل، لشرح الترابط بين الأبعاد الاجتماعية والبيئية والاقتصادية للوحدة الاقتصادية (de Villiers et al, 2017:451).

كذلك لتحسين جودة المعلومات المقدمة لأصحاب المصالح، تأخذ التقارير المتكاملة بنظر الاعتبار، الأهمية النسبية للمخاطر والفرص والمعلومات الواردة في البيانات المالية، التي قد تكون بمثابة نقطة ارتكاز أو نقطة مرجعية لأصحاب المصالح، والتي ترتبط بها المعلومات الأخرى في تقرير متكامل لها تأثير كبير على قدرة الوحدة الاقتصادية في خلق القيمة عند الإبلاغ. (IIRC,2013:19) إذ تعتمد التقارير المتكاملة على عدد من المبادئ، التي تركز عليها في الإبلاغ والتي تشتمل على الآتي (Busco et al,2013:36):

1. التركيز الاستراتيجي والتوجه المستقبلي ومدى قدرة التقارير المتكاملة على توفير نظرة ثاقبة لاستراتيجية الوحدة الاقتصادية وكيفية تنفيذ تلك الاستراتيجية.
2. قدرة الوحدة الاقتصادية على خلق القيمة، وتأثيرها على استخدامات راس المال.
3. الترابط والاتصال بين المعلومات الواردة في التقارير المتكاملة.
4. تقديم رؤية متكاملة حول جودة العلاقات بين الوحدة الاقتصادية.
5. الأهمية النسبية وجوهر المعلومات الواردة في التقارير المتكاملة، لتقييم قدرة الوحدة الاقتصادية على خلق القيمة.
6. الموثوقية والاكتمال في عرض جميع الأمور الجوهرية، وبطريقة متوازنة وبدون أخطاء جوهرية.
7. الاتساق والقابلية على مقارنة المعلومات على أساس متسق وبطريقة تمكن من المقارنة مع بيئة الأعمال الخارجية.

أن الغرض من النظر إلى ما وراء البيانات المالية، هو تحديد المخاطر والفرص والنتائج التي تؤثر بشكل جوهري على قدرة الوحدة الاقتصادية على خلق القيمة، إذ تضع التقارير المتكاملة الحوكمة، ورأس المال بأنواعه (المالي، الفكري، الاجتماعي، البيئي) في منصة مشتركة، يمكن عن طريقها توحيد الأبعاد المتنوعة للأداء التنظيمي، في ظل الرؤية والقيم والاستراتيجية التي تحقق اهدافها (Abeyse- kera,2013:239). بالنتيجة فأن (IR) ستدمج المعلومات المالية والبيئية والاجتماعية والحوكمة، وبما يشمل الاستراتيجيات والمخاطر والأداء المالي والاستدامة، في تقرير متكامل يوفر نظرة مستقبلية شاملة (Singha et al,2019:3). والشكل (3) يوضح حدود الإبلاغ في التقارير المتكاملة وكما يأتي:

الشكل (3) حدود الإبلاغ في التقارير المتكاملة



1. أما أبرز التحديات التي تواجه إعداد التقارير المتكاملة فهي (IIRC,2011:21):
اللوائح التنظيمية: عادة ما تكون اللوائح والتعليمات والقوانين المحلية، حاکمة في الإبلاغ عن أنشطة الوحدة الاقتصادية، لذلك فأن من المرجح ان تختلف درجة الإبلاغ المتكامل، تبعاً للبيئة القانونية التي تعمل بها الوحدة الاقتصادية.
2. مجلس الإدارة: في حالات عديدة يتم توجيه الإبلاغ في التقارير المتكاملة، نحو جهات معينة تبعاً للثقافة التنظيمية داخل الوحدة الاقتصادية، او بناءً على رغبات الإدارة العليا.
3. مسؤولية الإدارة: نظراً لأن نطاق إعداد التقارير المتكاملة سيغطي موضوعات جديدة، والتركيز بشكل أكبر على المستقبل، فإن المخاوف المتعلقة بمسؤولية المكلفين بالحوكمة، سوف تحتاج إلى قواعد حكم عادلة ومتسقة.
4. سرية المعلومات: يجب ان تكون هنالك موازنة بين الرغبة في الإفصاح، وتجنب الكشف عن المعلومات التنافسية.
5. بناء القدرات: أن بناء المعرفة والخبرة عبر نظام إعداد التقارير ضروري للنجاح على المدى الطويل.
6. نظم المعلومات: ستحتاج الوحدات الاقتصادية، إلى إنشاء أو تعزيز نظم المعلومات، لتجميع وتحليل وتصنيف البيانات الخاصة بالأنشطة المالية وغير المالية.
7. مراجعة التشريعات واللوائح والمعايير: يتطلب مراجعة التشريعات واللوائح

- والمعايير والتنسيق بينها، وكذلك الموارد والإجراءات التنظيمية الأخرى كقوانين البيئة والتداول والأوراق المالية).
8. الأساليب التحليلية: تتطور الأدوات التحليلية التي تتضمن مجموعة واسعة من العوامل المالية وغير المالية، لتطوير الإفصاحات ذات الصلة بتحليل الاستثمارات.
9. سلسلة التوريد الاستثمارية: تدفع العديد من هياكل التعويض والحوافز الحالية على طول سلسلة التوريد الاستثمارية التركيز على المدى القصير، إذ يتم اتخاذ خطوات من الجهات التنظيمية وغير التنظيمية لإعادة التوازن من خلال مجموعة من الإجراءات التي تؤثر على عوائد الاستثمار على المدى الطويل.
10. التدقيق المستقل: يمثل دوراً مهماً في أسواق رأس المال، عندما يكون التقرير المتكامل هو التقرير الأساسي للمؤسسة، فإن المستفيدين سيرغبون في أن يخضع هذا التقرير لتدقيق مستقل.
11. خصائص التقارير المتكاملة

يتسم الواقع الاقتصادي والاجتماعي بمستويات عالية من التغيرات الديناميكية، كالعولمة، وانفتاح الأسواق، والتطور التكنولوجي، فضلاً عن التغيرات في أنماط الحياة، والتي أثرت جميعها على أساليب الاتصال بين الوحدات الاقتصادية وأصحاب المصالح. (Matuszyk, 2018:2) إذ أن الغرض من التقرير المتكامل هو التواصل بطريقة موجزة، حول كيفية إنشاء استراتيجية الوحدة الاقتصادية، وحوكمتها، وأدائها، ضمن البيئة الخارجية لخلق القيمة والحفاظ عليها، ويختلف التقرير المتكامل عن التقرير السنوي الذي تصدره الإدارة للتواصل مع أصحاب المصالح، والذي يتضمن البيانات المالية بالإضافة إلى تقرير مجلس الإدارة وتقرير التدقيق، كتعزيز لمفهوم الإفصاح والشفافية، بينما يقدم التقرير المتكامل معلومات أكثر تفصيلاً عن أداء الوحدة الاقتصادية، والتي تشمل على المعلومات المالية، والبيئية، والاجتماعية، والحوكمة، وكيفية الترابط بينها، إذ تمتلك تلك المعلومات، نفس قدرة تأثير المعلومات المالية على اتخاذ القرار، والتي من المفترض ان توفرها التقارير المتكاملة للمستخدمين الداخليين كفهم أفضل للأداء المالي وغير المالي، وللمستخدمين الخارجيين كمعلومات شاملة من ناحية المقاييس غير المالية وكذلك اسواق المال (Du Toit, 2017:7). وقد حددت خمس خصائص نوعية للتقارير المتكاملة، تتكامل مع الخصائص النوعية للتقرير المالية وتقارير الاستدامة وعمل الاطار المفاهيمي للتقارير المتكاملة، بالتنسيق بين مجلس معايير المحاسبة الدولية، والمبادرة العالمية لإعداد التقارير، والتي يوضحها الشكل (4) وكما يلي:

الشكل (4)
الخصائص النوعية للتقارير المتكاملة

| الوقتية | الخصائص التعزيزية | | قابلية التحقق | التمثيل الصادق | | | الملائمة | | | الخصائص النوعية للتقارير المالية |
|---------|-------------------|--------------|---------------------|-----------------|---------|----------|---------------------------|-----------------|--------------------------------------|------------------------------------|
| | قابلية المقارنة | قابلية الفهم | | الخروج عن الخطأ | الحياد | الاكتمال | (الاهمية النسبية) المادية | القيمة التنبؤية | القيمة التوكيدية | |
| الوقتية | المقارنة | الوضوح | الموثوقية | الدقة | التوازن | الاكتمال | المادية | | | الخصائص النوعية للتقارير المستدامة |
| الوقتية | الاتساق والمقارنة | الايجاز | الموثوقية والاكتمال | | | المادية | | | المبادئ التوجيهية للتقارير المتكاملة | |
| الوقتية | المقارنة | الفهم | التمثيل الصادق | | | الملائمة | | | الخصائص النوعية للتقارير المتكاملة | |

المصدر : (Cooray 2020,12) بتصرف الباحث

5) جمع البيانات وتحليلها (الجانب العملي) 1.5 قياس جودة التقارير المتكاملة

أن جودة التقارير المتكاملة تعتمد على جودة المعلومات التي تحتويها القوائم المالية وغير المالية (تقرير الإدارة)، اعتماداً على ما توفره تلك التقارير من علاقات بين فقراتها، والتي يمكن ان تقدم رؤية متقدم في الإبلاغ المتكامل، وتعكس كيفية قيام الوحدة الاقتصادية بخلق القيمة الحالية والمستقبلية، ولغرض قياس جودة التقارير المتكاملة، تم مراجعة العديد من الدراسات والبحوث السابقة، لغرض تكوين صورة أكثر واقعية يمكن تطبيقها في البيئة العراقية، بناءً على ما يتم الافصاح عنه ضمن تقاريرها السنوية، ومن أهم الدراسات التي تناولت قياس جودة التقارير المتكاملة، كانت دراسة ((Pistoni et al, 2018) والتي ركزت على أربعة عناصر رئيسة لمحتوى التقارير المتكاملة، اشتملت على الخلفية التي تتمتع بها الوحدة الاقتصادية في عرض تقاريرها، ومدى ضمان مصداقية البيانات

المفصح عنها، وعدم وجود تضارب في المصالح مع المستفيدين عن طريق تعزيز موثوقية الإبلاغ المتكامل، بوضوح المحتوى و استقلالية عرض البيانات.

أما دراسة (Raimo et al, 2019) فقد ركزت على مدى امتثال الوحدات الاقتصادية للإطار المفاهيمي، الصادر عن المجلس الدولي للتقارير المتكاملة (IRCC)، والتي شملت استراتيجية الوحدة الاقتصادية، وتخصيص الموارد، والحوكمة، والعلاقة مع البيئة الخارجية، والمخاطر والفرص المستقبلية، وعلاقتها بالأبعاد الثقافية والتي اعتمد على قياس قيمها ضمن البيئة الثقافية الوطنية للعيينة البحث.

بينما اعتمدت دراسة (Moli,2020) على تصنيف مؤسسة (Ernst & Young⁽¹⁾) في قياس جودة التقارير المتكاملة، على أساس المقارنة بين درجة الافصح وعلاقتها مع حوكمة الوحدة الاقتصادية، والتي تركز على توزيع السلطات بين مراكز اتخاذ القرارات.

وبالنتيجة فأن نموذج قياس جودة التقارير المتكاملة الذي تطرحه الدراسة، لقياس جودة التقارير المتكاملة، التي تصدرها الوحدات عينة البحث والتي يفترضها الباحث ضمن عينة البحث، وفقاً للآتي:

$$IR\ QUALITY = \beta_0 + \beta_1 PER + \beta_2 SIZE + \beta_3 ROE + \beta_4 SHARE\ P. + \beta_5 PD + \beta_6 UA + \beta_7 IVC + \beta_8 MVF + \beta_9 LTO + \beta_{10} IVR + \beta_{11} SEN + E. \quad (1)$$

إذ تمثل العناصر الآتي :

1. (PER) يعكس أداء الوحدة الاقتصادية في الاسواق المالية على المدى الطويل والقصير، وكذلك يساعد في الالتزام بالمعايير بالتعليمات والقوانين ذات الصلة بنشر وتعديل التقارير المالية وغير المالية.
2. (SIZE) حجم الوحدة الاقتصادية وهي نسبة أصول الوحدة الاقتصادية القطاعية.

(1) هي إحدى أكبر الشركات المهنية في العالم مقرها في المملكة المتحدة، تقوم بتحديد المعايير والسياسات العالمية، واتساق الخدمات التي تقدمها الوحدات الاقتصادية.

3. (ROE) العائد على حقوق الملكية والذي تم اختياره بسبب أن الأداء الاقتصادي هو العامل الذي يحدد جودة تقاريرها مع الأخذ في الاعتبار أن إعداد تقرير متكامل له تكاليف عالية.
4. (SHARE P). سعر السهم في الأسواق المالية، إذ يعكس ثقة المستثمرين في أداء الوحدة الاقتصادية.
5. (PD) التفاوت في السلطة وهو مدى استخدام السلطة واتخاذ القرارات الاستراتيجية.
6. (UA) تجنب عدم اليقين هي قدرة الوحدة الاقتصادية على التنبؤ بالأحداث المستقبلية.
7. (IVC) الفردية مقابل الجماعية والتي تمثل قدرة الوحدة الاقتصادية على توزيع الصلاحيات واتخاذ القرارات بصورة جماعية او فردية.
8. (MVF) الذكورة مقابل الأنوثة والتي تمثل التنافسية والتنوع في تكوين الآراء وشغل المناصب واعتمادية القرارات المتخذة من الجنس الاخر.
9. (LTO) التوجه طويل الأمد مقابل قصير الأمد ويقصد به سلوكيات الوحدة الاقتصادية الموجهة نحو المستقبل كالتخطيط والاستثمار.
10. (IVR) التساهل مقابل ضبط النفس وهو مدى الالتزام المجتمعي بالمعايير الصارمة.
11. (SEN) تمثل الحساسية البيئية للصناعة التي تعمل فيها الوحدة الاقتصادية، هذا المتغير له قيمة (1) إذا كان لأنشطة الوحدة الاقتصادية تأثير على البيئة.

2.5 جميع البيانات

لتفرض جميع البيانات الخاصة بالوحدات الاقتصادية عينة البحث تم ترتيبها بالشكل الآتي:

الجدول (1) مقاييس قياس جودة الإبلاغ المتكامل لمتىة البحث لسنة (2018)

| ت | القطاع | PER | SIZE | ROE | SHARE P. | PD | UA | IVC | MVC | LTO | IVR | SEN | IRO |
|----|---------|-----|-------|--------|----------|-------|-------|--------|--------|-------|--------|-----|-------|
| 1 | الخدمات | 14 | 0.571 | 0.046 | 1.86 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 40.16 |
| 2 | المصرفي | 7 | 0.02 | 0.004 | 0.22 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 30.92 |
| 3 | المصرفي | 14 | 0.031 | 0.029- | 0.34 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 38.05 |
| 4 | المصرفي | 14 | 0.006 | 0.01 | 0.64 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 38.34 |
| 5 | المصرفي | 14 | 0.027 | 0.016 | 0.29 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 38.01 |
| 6 | المصرفي | 13 | 0.015 | 0.01 | 0.16 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 36.87 |
| 7 | البنكي | 14 | 0.159 | 0.239 | 11 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 49.08 |
| 8 | المصرفي | 13 | 0.056 | 0.005- | 0.63 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 37.37 |
| 9 | المصرفي | 14 | 0.058 | 0.071 | 0.28 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 38.09 |
| 10 | الخدمات | 14 | 0.026 | 0.001 | 4.18 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 41.89 |

المصدر: اعداد الباحث بالاستناد على تقرير سوق العراق للأوراق المالية للسنوات (2018-2019-2020)
الجدول (2) مقاييس قياس جودة الإبلاغ المتكامل لمتىة البحث لسنة (2019)

| ت | القطاع | PER | SIZE | ROE | SHARE P. | PD | UA | IVC | MVC | LTO | IVR | SEN | IRO |
|----|---------|-----|-------|--------|----------|-------|-------|--------|--------|-------|--------|-----|-------|
| 1 | الخدمات | 15 | 0.406 | 0 | 1.76 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 40.85 |
| 2 | المصرفي | 8 | 0.017 | 0.004 | 0.18 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 31.88 |
| 3 | المصرفي | 15 | 0.058 | 0.036 | 0.61 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 39.38 |
| 4 | المصرفي | 15 | 0.009 | 0.356- | 0.95 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 39.64 |
| 5 | المصرفي | 15 | 0.029 | 0.027 | 0.3 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 39.04 |
| 6 | المصرفي | 14 | 0.015 | 0.013 | 0.16 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 37.87 |
| 7 | البنكي | 15 | 0.112 | 0.066 | 9.49 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 48.35 |
| 8 | المصرفي | 14 | 0.049 | 0.027 | 0.67 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 38.43 |
| 9 | المصرفي | 15 | 0.064 | 0.03 | 0.27 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 39.04 |
| 10 | الخدمات | 15 | 0.026 | 0 | 4.8 | 3.838 | 3.788 | 3.7543 | 3.6337 | 3.863 | 3.8033 | 1 | 43.51 |

المصدر: اعداد الباحث بالاستناد على تقرير سوق العراق للأوراق المالية للسنوات (2018-2019-2020)

الجدول (3) مقترحات قياس جودة الإبلاغ المتكامل لميعة البحث لسنة (2020)

| IRQ | SEN | IVR | LTO | MVC | IVC | UA | PD | SHARE P. | ROE | SIZE | PER | القطاع | الوحدة الاقتصادية |
|-------|-----|--------|-------|--------|--------|-------|-------|----------|--------|-------|-----|---------|------------------------------|
| 43.30 | 1 | 3,8033 | 3,863 | 3,6337 | 3,7543 | 3,788 | 3,838 | 3,07 | 0,001 | 0,551 | 16 | الخدمات | المعمورة للاستشارات العقارية |
| 33.02 | 1 | 3,8033 | 3,863 | 3,6337 | 3,7543 | 3,788 | 3,838 | 0,3 | 0,014 | 0,03 | 9 | المصرفي | مصرف اليراق الاسلامي |
| 40.76 | 1 | 3,8033 | 3,863 | 3,6337 | 3,7543 | 3,788 | 3,838 | 0,92 | 0,065 | 0,091 | 16 | المصرفي | المصرف الاهلي العراقي |
| 41.12 | 1 | 3,8033 | 3,863 | 3,6337 | 3,7543 | 3,788 | 3,838 | 1,43 | 0,050- | 0,011 | 16 | الصناعي | المعمور للمنتجات الوراثية |
| 40.20 | 1 | 3,8033 | 3,863 | 3,6337 | 3,7543 | 3,788 | 3,838 | 0,41 | 0,073 | 0,041 | 16 | المصرفي | مصرف بغداد |
| 38.83 | 1 | 3,8033 | 3,863 | 3,6337 | 3,7543 | 3,788 | 3,838 | 0,13 | 0,005 | 0,013 | 15 | المصرفي | مصرف الموصل |
| 47.78 | 1 | 3,8033 | 3,863 | 3,6337 | 3,7543 | 3,788 | 3,838 | 8 | 0,258- | 0,1 | 16 | البنكي | بنك فلسطين |
| 46.02 | 1 | 3,8033 | 3,863 | 3,6337 | 3,7543 | 3,788 | 3,838 | 7,31 | 0,038- | 0,034 | 15 | المصرفي | مصرف المعمور للاستثمار |
| 40.23 | 1 | 3,8033 | 3,863 | 3,6337 | 3,7543 | 3,788 | 3,838 | 0,47 | 0,024 | 0,056 | 16 | المصرفي | مصرف الاستثمار العراقي |
| 39.93 | 1 | 3,8033 | 3,863 | 3,6337 | 3,7543 | 3,788 | 3,838 | 0,23 | 0 | 0,023 | 16 | الخدمات | مدينة ألعاب الكرخ السياحية |

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على تقرير سوق العراق للأوراق المالية للسنوات (2018-2019-2020)

الجدول (4) القيمة السوقية للوحدات الاقتصادية (حصة البصة) في الأسواق المالية الميعة للإبلاغ بطلبات الناشر

| ت | المنطقة | القطاع | جودة الإبلاغ المتكامل | 2018 | | 2019 | | 2020 | | | |
|----|---------|------------------------------|-----------------------|----------------|-----------------|-----------------------|-----------------|----------------|-----------------------|-----------------|-------|
| | | | | القيمة السوقية | الحصة السوقية % | جودة الإبلاغ المتكامل | الحصة السوقية % | القيمة السوقية | جودة الإبلاغ المتكامل | الحصة السوقية % | |
| 1 | الخدمات | المعمورة للاستشارات العقارية | 40,16 | 42,371 | 0,571 | 40,85 | 40,093 | 0,406 | 69,935 | 43,30 | 0,551 |
| 2 | المصرفي | مصرف اليراق الاسلامي | 30,92 | 55,000 | 0,020 | 31,88 | 45,000 | 0,017 | 75,000 | 33,02 | 0,030 |
| 3 | المصرفي | المصرف الاهلي العراقي | 38,05 | 85,000 | 0,031 | 39,38 | 152,500 | 0,058 | 230,000 | 40,76 | 0,091 |
| 4 | الصناعي | المعمور للمنتجات الوراثية | 38,34 | 4,140 | 0,006 | 39,64 | 6,146 | 0,009 | 9,251 | 41,12 | 0,011 |
| 5 | المصرفي | مصرف بغداد | 38,01 | 72,500 | 0,027 | 39,04 | 75,000 | 0,029 | 102,500 | 40,20 | 0,041 |
| 6 | المصرفي | مصرف الموصل | 36,87 | 40,400 | 0,015 | 37,87 | 40,400 | 0,015 | 32,825 | 38,83 | 0,013 |
| 7 | البنكي | بنك فلسطين | 49,08 | 49,170 | 0,159 | 48,35 | 42,420 | 0,112 | 35,760 | 47,78 | 0,100 |
| 8 | المصرفي | مدينة ألعاب الكرخ السياحية | 37,37 | 4,180 | 0,056 | 38,43 | 4,800 | 0,049 | 4,350 | 46,02 | 0,034 |
| 9 | المصرفي | مصرف المعمور للاستثمار | 38,09 | 157,500 | 0,058 | 39,04 | 167,500 | 0,064 | 142,500 | 40,23 | 0,056 |
| 10 | المصرفي | مصرف الاستثمار العراقي | 41,89 | 70,000 | 0,026 | 43,51 | 67,500 | 0,026 | 57,500 | 39,93 | 0,023 |

المصدر : اعداد الباحث بالاعتماد على تقرير سوق العراق للأوراق المالية للسنوات (2018-2019-2020) ومخرجات برنامج (SPSS) الجداول (42,38-34-4)

بعد أعداد كافة البيانات الخاصة بمتغيرات المعادلة (1) يمكن قياس جودة التقارير التي تصدرها الوحدات الاقتصادية العراقية - عينة البحث- وإدخالها ضمن برنامج (spss) والتي يوضحها الجدول (3,2,1)، وتهيئة البيانات الخاصة بالقيمة السوقية للوحدات الاقتصادية عينة البحث للفترة (2018-2020) والتي يوضحها الجدول (4) وكالاتي:

إذ يوضح الجدول (4) القيمة السوقية للوحدات الاقتصادية عينة البحث والتي تم احتسابها على أساس المعادلة

$$\text{Markt value} = \text{share out side} \times \text{price per share} \quad (2)$$

ولغرض معرفة درجة الارتباط والتأثير بين المتغير التابع (y4) والذي يمثل القيمة السوقية للوحدة الاقتصادية، والمتغير المستقل (X4) والذي يمثل جودة التقارير المتكاملة، سيتم إجراء العمليات الاحصائية، وبالشكل الآتي:

الجدول (5)

ملخص مدخلات قياس الجودة والقيمة السوقية لعينة البحث (2018 - 2020)

| M.V.2020 | M.V.2019 | M.V.2018 | IRQ2020 | IRQ2019 | IRQ2018 | البيان |
|---|-----------|-----------|---------|---------|---------|-------------------|
| 20 | 20 | 20 | 20 | 20 | 20 | المدخلات |
| 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | المفقودات |
| 99.4722 | 95.3607 | 94.0778 | 41.4201 | 40.5477 | 39.3704 | الوسط الحسابي |
| 162.54139 | 131.72137 | 143.22003 | 5.72200 | 6.37200 | 6.00862 | الانحراف المعياري |
| 26419.703 | 17350.519 | 20511.976 | 32.741 | 40.602 | 36.104 | معامل الاختلاف |
| المصدر : أعداد الباحث بالاعتماد مخرجات برنامج (SPSS). | | | | | | |

يبين الجدول (5) المدخلات الصحيحة للوحدات الاقتصادية عينة البحث وبالباغة (20) وحدة اقتصادية وأن جميع البيانات مقبولة، والتي تم استخراج الوسط الحسابي لها كما موضع أعلاه. والجدول (6) يوضح علاقة الارتباط والتأثير بين المستقل جودة التقارير المتكاملة (X4)، والمتغير التابع قيمة الوحدة الاقتصادية (y4)، وبالشكل الآتي:

الجدول (6)

علاقات الارتباط بين جودة التقارير المتكاملة والقيمة السوقية للوحدة الاقتصادية

| M.V.2020 | M.V.2019 | M.V.2018 | X4 | Model | Variable |
|----------|----------|----------|--------|---------------------|-----------|
| .987** | .986** | .984** | 1 | Pearson Correlation | X4 |
| .000 | .000 | .000 | | Sig. (2-tailed) | |
| 20 | 20 | 20 | 20 | N | |
| .952** | .959** | 1 | .984** | Pearson Correlation | M.V. 2018 |
| .000 | .000 | | .000 | Sig. (2-tailed) | |
| 20 | 20 | 20 | 20 | N | |
| .961** | 1 | .959** | .986** | Pearson Correlation | M.V. 2019 |
| .000 | | .000 | .000 | Sig. (2-tailed) | |
| 20 | 20 | 20 | 20 | N | |
| 1 | .961** | .952** | .987** | Pearson Correlation | M.V. 2020 |
| | .000 | .000 | .000 | Sig. (2-tailed) | |
| 20 | 20 | 20 | 20 | N | |

المصدر : أعداد الباحث بالاعتماد مخرجات برنامج (SPSS).
**. (Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

بينما يشرح الجدول (7) قوة العلاقة بين المتغير المستقل (X4) والقيمة السوقية للوحدة الاقتصادية وكالاتي:

الجدول (7)

اختبار (T) لجودة علاقة الارتباط بين متغيرات جودة التقارير المتكاملة والقيمة السوقية للوحدة الاقتصادية

| Test Value = 0 | | | | | | |
|---|---------|-----------------|-----------------|----|-------|----------|
| 95% Confidence Interval of the Difference | | Mean Difference | Sig. (2-tailed) | df | t | |
| Upper | Lower | | | | | |
| 163.5688 | 29.0383 | 96.30353 | .004 | 19 | 2.997 | X4 |
| 161.1068 | 27.0488 | 94.07780 | .004 | 19 | 2.938 | M.V.2018 |
| 157.0081 | 33.7132 | 95.36065 | .003 | 19 | 3.238 | M.V.2019 |
| 175.5439 | 23.4004 | 99.47215 | .001 | 19 | 2.737 | M.V.2020 |

المصدر : أعداد الباحث بالاعتماد مخرجات برنامج (SPSS).

أن الجدول (7) يعكس قوة علاقة الارتباط، بين متغيرات جودة التقارير المتكاملة

والقيمة السوقية للوحدة الاقتصادية، بدلالة قيمة (T) المحسوبة تراوحت بين (2.737 - 3.238) وهي أكبر من (T) الجدولية والبالغة (2.093).
و بدلالة الجداول (8,7) تتحقق الفرضية الرئيسة والتي تنص على أن " توجد ارتباط وتأثير ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05) بين جودة التقارير المتكاملة وقيمة الوحدة الاقتصادية.

المناقشة والاستنتاجات والتوصيات

المناقشة

أن التغيير الحصل في بيئة الأعمال وتعقيداتها الاقتصادية، أوجد نوع من القصور في التقارير المالية في تلبية احتياجات الحاجات المتجددة للمعلومات من اصحاب المصلح، وعدم القدرة على مواكبة التطورات، بسبب تركيزها على المعلومات المالية فقط التي تخص الأنشطة التشغيلية والاستثماري، وإهمال الأنشطة الأخرى التي من الممكن أن تؤثر، على نتيجة النشاط الاجمالية، والتي تشتمل على معلومات غير مالية تخص البيئة الاجتماعية والصحية والمناخ وغيرها من المعلومات، ذات الصلة بتعزيز قيمة الوحدة الاقتصادية بمرور الوقت، بالنتيجة اكتسب الإبلاغ المتكامل (IR) اهتماماً كبيراً لتحسين جودة المعلومات المقدمة لمستخدميها، بالإضافة إلى تعزيز الرقابة والافصاح، وتخصيص الموارد المتاحة في عملية صنع القرار، واتاحة تحسين العلاقات الدولية بين الكيانات الاقتصادية، والتي توجه اغلبها الى دمج الإفصاحات المالية وغير المالية في تقاريرها السنوية.
بالنتيجة فإن عملية الإبلاغ المتكامل، هي نتيجة تطور الحاجة لمعلومات متكاملة، تهدف إلى توحيد التقارير التي تصدرها الوحدات الاقتصادية بأنواعها المالية وغير المالية وتقارير الاستدامة بشكل موحد، يسهل عملية قراءتها من أصحاب المصالح الرئيسيين والمستفيدين الآخرين، والتي تتطلب من الإدارات، الالتزام بالاطار المفاهيمي للتقارير المتكاملة (IR)، بالإضافة إلى المعايير المحاسبية الدولية (IAS)، ومعايير الإبلاغ المالي (IFRS)، ومدى تطبيقها لمفهوم التفكير الاستراتيجي المتكامل، الذي يزود أصحاب المصالح بمعلومات مفيدة و مترابطة عن الواقع المالي والاجتماعي والبيئي للوحدة الاقتصادية، بما يحقق خلق القيمة المستقبلية لاتخاذ القرارات، وعملية الاتصال بين معلومات الأنشطة التشغيلية والتمويلية داخل الوحدة الاقتصادية.

2.6. الاستنتاجات

بناءً على ما جاء في الجانب النظري للدراسة والتي تناولت الاطار المفاهيمي التقارير المتكاملة، وكذلك الجانب العملي لاختبار الفرضية التي اعتمدها الباحث في تحقيق أهداف الدراسة، ندرج في أدناه أهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها وكالاتي:

1. أن الغرض الرئيس للتقارير المتكاملة، هو التواصل بطريقة موجزة حول كيفية إنشاء استراتيجيات الوحدة الاقتصادية، وحوكمتها وأدائها وأفاقها في سياق بيئتها الخارجية لخلق القيمة والحفاظ عليها.
2. أن التقارير المالية لم تعد تلبي احتياجات وأصحاب المصالح، والتي تسعى إلى تطوير والحفاظ على عمليات مرنة ومسؤولة، كما ان البيانات المالية تستند إلى المعلومات التاريخية فهي تعكس النشاط في الفترة الماضية، والتي تركز بشكل كبير على عمليات رأس المال، بينما هناك موارد اخرى تساهم في النجاح مثل خبرة العاملين، أو الملكية الفكرية والبحث والتطوير.
3. التقارير المتكاملة هي نتيجة منطقية لتطوير أطر عمل إعداد التقارير المالية، لتعكس بدقة النطاق الكامل للمخاطر والتأثيرات والفرص الخاصة بالوحدة الاقتصادية، وتوافر صورة كاملة عن أدائها من خلال تضمين المعلومات غير المالية حول الأداء البيئي والاجتماعي والحوكمة جنباً إلى جنب مع المعلومات المالية.
4. وجود تباين في إبلاغ الوحدات الاقتصادية عن أنشطة أعمالها المالية وغير المالية، ضمن تقاريرها التي تصدرها والتي تحتوي على نوعين من التقارير المالية وتقارير الإدارة، بما يمثل سياق عمل التقارير المتكاملة التي نص عليها المجلس الدولي للتقارير المتكاملة (IIRC) ضمن الاطار المفاهيمي للتقارير المتكاملة (IR).
5. أن إعداد التقارير المتكاملة يمنح أصحاب المصالح، نافذة يمكن عن طريقها معرفة وتشخيص كيف تبني الوحدة الاقتصادية رؤية المستقبلية ودورها في المجتمع، لتحقيق أهداف محددة مسبقاً أو نتيجة استجابتها لمتطلبات مجتمعية وثقافية محيطية بيئة الأعمال، وهو الغرض الرئيس للتقارير المتكاملة الذي نص عليه الاطار المفاهيمي (IIRC) في التواصل بطريقة موجزة حول كيفية قيام استراتيجيات الوحدة الاقتصادية وحوكمتها وأدائها وأفاقها - في سياق بيئتها الخارجية - بإنشاء القيمة والحفاظ عليها.

3.6. التوصيات

- بصورة عامة فأن التقارير المتكاملة تهدف لأحداث تغيير جوهري، في طريقة إدارة الوحدات الاقتصادية وتقديم التقارير إلى أصحاب المصالح لاتخاذ القرارات، عن طريق انشاء علاقات بين مكونات الوحدة الاقتصادية، الانتاجية والإدارية والوظائف الأخرى، وربطها مع عناصر رأس المال التي تستخدمها أو تؤثر عليها، لتقديم رؤية طويلة الأمد، وجزء من الممارسات السائدة في بيئة الأعمال الاقتصادية، التي تؤدي إلى تخصيص رأس المال بكفاءة وإنتاجية، ودعم الاستقرار المالي، وبناءً عليه فأن الدراسة تقدم مجموعة من التوصيات تشتمل على الآتي:
1. أن إعداد التقارير المتكاملة بشكل فعال، يتطلب وجود نهج شامل لإدارة

- الأعمال، وبنية تحتية متكاملة بما فيها إشراك أصحاب المصالح، ونهج إداري يضع خلق القيمة كقضية استراتيجية ومن الأهداف الرئيسية للوحدة الاقتصادية.
2. أن دمج الأداء المالي مع الأداء الاجتماعي والبيئي للوحدة الاقتصادية يتطلب تحديد نموذج الأعمال الأمثل لتحقيق الأهداف الاستراتيجية، والذي يمكن عن طريقه إنشاء القيمة والحفاظ عليها، وكيفية إدارة المخاطر المستقبلية.
 3. تحسين مستوى الإبلاغ المتكامل للوحدات الاقتصادية المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية، عن طريق تشجيع المحتوى الإلكتروني التفاعلي بواسطة لغات البرمجة ومنها (XBRL)، لتسهيل المقارنة بين المعلومات ذات الصلة واتخاذ القرارات.
 4. توسيع فاعلية الضوابط الداخلية طوعية، لتشمل التعاملات والأحداث غير المالية، والبيئية، والاجتماعية في إطار إبلاغ متكامل، عن جميع الأنشطة التي يمكن ان تؤثر حالياً أو مستقبلياً على خلق القيمة.
 5. توحيد نموذج الإبلاغ للوحدات الاقتصادية والمدرجة في سوق العراق للأوراق المالية، وإلزاميتها بتواريخ محددة لنشر تقاريرها المالية وغير المالية.
 6. تطبيق نظام الحوكمة بصورة الزامية للوحدات الاقتصادية وتشكيل لجان الامتثال والتدقيق الداخلية، لتعزيز الشفافية والموثوقية في البيانات المفصح عنها ضمن تقارير الوحدات الاقتصادية.

الآفاق والدراسات المستقبلية

لاشك أن اعتماد التقارير المتكاملة هي مرحلة مقدمة في الإبلاغ عن الأنشطة المالية وغير المالية للوحدة الاقتصادية، لكنها ليست الا محطة في عملية التطوير المستمرة، إذ أعلن المجلس الدولي للتقارير المتكاملة (IIRC)، ومجلس معايير محاسبة الاستدامة (SASB)، رسمياً اندماجهما لتشكيل مؤسسة تقارير القيمة (Value Reporting Foundation)، لدعم اتخاذ قرارات الأعمال والمستثمرين بثلاثة موارد رئيسية، تشمل على مبادئ التفكير المتكامل وإطار إعداد التقارير المتكامل ومعايير محاسبة الاستدامة، لمساعدة الوحدات الاقتصادية وأصحاب المصالح، على تطوير فهم مشترك لقيمة الوحدة الاقتصادية، وكيفية إنشائها أو الحفاظ عليها أو تأكلها بمرور الوقت، كما تلتزم مؤسسة الإبلاغ عن القيمة أيضاً بتقديم نظام تقارير أكثر تماسكاً عن طريق العمل مع مجلس المعايير الدولية لإعداد التقارير المالية (ISAB).

Reference:

1. Abeysekera, I. (2013), "A template for integrated reporting", *Journal of Intellectual Capital*, Vol. 14 No. 2, pp. 227-245.
2. Aras, G., & Yildirim, F. M. (2021). Development of capitals in integrated reporting and weighting representative indicators with entropy approach. *Social Responsibility Journal*, Vol.17, No.4,pp.1-22.
3. Busco, C., Frigo, M. L., Paolo, Q., & Angelo, R. (2014). Leading practices in integrated reporting: management accountants will guide their companies on the journey to value creation, *Strategic Finance*,23-32.
4. Camodeca, R., Almici, A., & Sagliaschi, U, (2018), Sustainability disclosure in integrated reporting: Does it matter to investors? A cheap talk approach, *Sustainability*, 10(12), pp.4393-5027.
5. Cooray, T., Gunarathne, A.D., & Senaratne, S, (2020), Does Corporate Governance Affect the Quality of Integrated Reporting?, *Sustainability*, 12(10),pp. 4262-4292.
6. De Villiers, C., Hsiao, P.-C.K. & Maroun, W. 2017. Developing a Conceptual Model of influences around Integrated Reporting, *New Insights, and Directions for Future Research, Meditari Accountancy Research*, 25(4), 450-460.
7. Du Toit, E. (2017). The readability of integrated reports. *Meditari Accountancy Research*,pp.1-37.
8. El Deeb, M, S (2019), "The Impact of Integrated Reporting on Firm Value and Performance: Evidence from Egypt", *Alexandria Journal of Accounting Research, Faculty of Commerce, Alexandria University*, Volume No,3, Issue 2, ISSN: 2682 – 3144.
9. IIRC, (2011), *Integrated reporting, The International Integrated Reporting Council, UK*, pp.1-6.
10. IIRC, (2013), *THE International <IR> Framework, The International Integrated Reporting Council, UK*, pp.1-35.
11. IIRC, (2020), *THE International <IR> Framework, The International Integrated Reporting Council, UK*, pp.1-8.
12. Jeyaretnam, T. L., Siddle, K ,N., (2010), *Integrated Reporting: A Perspective from Net Balance, Part II: The Concept of Integrated Reporting, Harvard Business School*,pp.33-37.
13. King, M. and Roberts, L. (2017), *Entegre Du'su'nce. c.ev. Erkin Erimez, Argu'den Governance Academy Publications, Istanbul*.

14. Matuszyk, I., & Rymkiewicz, B. (2018). Integrated Reporting as a Tool for Communicating with Stakeholders—Advantages and Disadvantages. In E3S Web of Conference, Vol. 35.
15. Moloi, T., & Iredele, O, (2020), Firm Value and Integrated Reporting Quality of South African Listed Firms, Academy of Strategic Management Journal, 19(1), 1-12.
16. Singha, J., Sadiqb, M., & Kaurc, K. (2019). Integrated reporting: challenges, benefits and the research agenda. International Journal of Innovation, Creativity and Change, 7(8), 1-16.
17. Wood, D., (2010), What Should Be Done with Integrated Reporting?, Part I: The Role of the Corporation in Society, Harvard Business School, pp.25-27.

تطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصال من منظور هيكلية نظرية تكوين البنية نموذجا

إعداد: د. حسين موسى عبدالجليل جبريل
دكتوراه الإعلام والاتصال - جامعة طبرق

الاستلام: 2021 / 09 / 15

القبول: 2021 / 10 / 28

المستخلص:

دراسة تكنولوجيا المعلومات والاتصال محور رئيسي في العلوم الاجتماعية التي تركز على دراسة النشاطات ذات الصلة بالمعلومات والاتصال. من جهة أخرى تكنولوجيا المعلومات والاتصال أخذت في التطور وخصوصاً بعد ظهور التطبيقات الجديدة الرقمية منها. لذا انطلقت هذه الدراسة لإيضاح مكانة استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال من منظور هيكلية استناداً على رؤية نظرية جديدة في مجال علم الاجتماع تفسّر تكوين الإنظمة الاجتماعية من خلال نظرية الهيكلية او ما تعرف بالنظرية الانبثائية لانطوني جيدنز فعلى الرغم من هذه النظرية لا تقع في مجال الاتصال والمعلومات إلا إن هناك بعض المحاولات الامبريقية لإدماج عناصرها في الممارسات اليومية للأفراد بالمؤسسات في حالات استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تنفيذ المهام الادارية لغرض تحقيق أهداف المؤسسات. الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا المعلومات والاتصال، نظرية الهيكلية، المؤسسات.

Summary:

Information and communication technology (ICT) is considered a major principal in the social studies that focus on the activities related to information and communication. In addition, information and communication technology is growing especially after the emergence of new digital applications. Therefore, this study seeks to clarify the status of using the information and communication technology from a structural perspective based on a new structuration theoretical vision developed by Anthony Giddens. Even though the structuration theory does not fall into the field of communication and information, there are some empirical attempts to integrate its elements into the daily activities of individuals in institutions and organizations to perform administrative tasks that achieve overall organizational goals.

Keywords: Technology of information and communication (TIC), The theory of structuring, Institutions.

مقدمة:

الشركات مجتمعات إنسانية تعتمد على التواصل بين الأفراد لتحقيق الأهداف المشتركة. والممارسات التنظيمية بين الأفراد عُرفت منذ آلاف السنين وبطرق اتصالية مختلفة. فالأصل اتسم بالتعقيد نظراً لارتباطه بحالات الأفراد ورغباتهم ومشاعرهم وتحقيق أهدافهم. كذلك الحال في الشركات يعبر الاتصال بكافة مستوياته عن حالات سلوكية وتنظيمية. نستطيع القول إن الإهتمام بدراسة الشركات والممارسات التنظيمية ولاسيما عملية الاتصال جاءت نتيجة عاملين اساسين:

الأول / اهتمام علم الاجتماع بدراسة المنظمات.

الثاني / بروز النظريات الإدارية التي تفسر سلوك المنظمات والافراد.

في قلب النظريات التي تُفسر عمل الشركات الإهتمام يُركز على الأفراد والعمليات التنظيمية الذين يعتمدون بدون شك على التواصل. من هنا نلاحظ أنّ النشاطات ذات صلة بتبادل المعلومات والاتصال ويبدو أنها اخذت مكانة متميزة. لذلك لاحظنا أنّ نظريات المنظمات تُحلل عملية الاتصال في الشركات بطرق مختلفة وفقاً للأساس الفكري لكل نظرية. على سبيل المثال النظريات الكلاسيكية الإتصالات تتسم بالرسمية وتتحكم فيها نظم إدارية مركزية ولاتسمح بالاتصال الا من خلالها، في حين أنّ نظريات التنظيم تعرض مفهوم أكثر تطوراً للاتصال. نحن نؤمن أنّ قوة الاتصال تكمن في التأثير على المستويين السلوكي (التفاعلي، توجيه السلوك) والمستوى التنظيمي.

نستطيع القول أنّ عملية الاتصال مرت بمراحل مختلفة من خلال مراحل تطور الشركات وخاصة أنّ هناك بعض المؤشرات التي تدعم هذه الرؤية.

- ظاهرة التضخم الكبير في حجم المؤسسات.

- التشعب الواسع في فروع الشركات.

هذه المؤشرات بلاشك نخمن أنها تؤثر على نظامها الاتصالي.

من جهة اخرى ظاهرة انتشار أدوات جديدة للاتصال وخاصة الرقمية منها مثل التطبيقات الإلكترونية مثل الأنترنت، الأنترنت، الإكسرانت، البريد الإلكتروني... الخ، والقيم المنبثقة عنها كالاتصال، التفاعل بين الافراد، مجموعات العمل، المؤتمرات الإلكترونية، الإعلانات.... الخ. بالإمكان ادماجها في العمليات الاتصالية. إذن العناصر المكونة لعملية الإتصال (من المرسل الى المستقبل) والخصائص التكنولوجية ولاسيما الرقمية منها متلائمان، لذا نلاحظ أنّ أغلب المؤسسات أصبحت تسعى لإدماجها في العمليات التنظيمية بالشركات وهو مايعرف بالهيكل التنظيمية. في هذا السياق حظي دور إستخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في عملية الهيكله باهتمام العديد من الدراسات وفي هذه الدراسة سنتناول مفهوم الهيكله من وجهة نظر علم الاجتماع من خلال طرح بعض عناصر (نظرية

الهيكلية)⁽¹⁾ والتي أشارت إليها معظم المحاولات التي فسرت إمكانية إدماجها في دراسة إستخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال من منظور هيكلية. ماهية نظرية الهيكلية:

بشكل عام نظرية الهيكلية (لانطوني جيدنز)⁽²⁾ هي محاولة لفهم طبيعة العلاقات بين الافراد. في الحقيقة إن إعادة بناء موضوع علم الاجتماع لدى جيدنز كان من خلال نظريته والتي ظهرت في شكلها المتكامل عام 1984 في كتابه (دستور المجتمع) الذي يقدم العناصر الأساسية للنظرية. لكن الشئ الذي يجب التنويه اليه هنا هو أن معالم مشروع جيدنز النظري كان نتيجة لإعمال سابقة تكشف عن رغبته في تحول النظرية الجديدة في علم الاجتماع شريطة أن لا تتجاوز ما انجزه الآباء المؤسسون. لذلك فقد استفاد جيدنز من كتابات علماء الاجتماع من أمثال دور كايم وفيبر وماركس ونقده لإوجه التشابه والاختلاف وهذا ما اوضحه في كتابه الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الصادر عام 1971 (احمد، 1996، ص69، 59). النقطة الاساسية في نظرية الهيكلية هي محاولة خلق تكوين رؤية جديدة بين إستنتاجات النظريات السابقة (البنائية، الوظيفية والتفسيرية) في تفسير تكوين الأنظمة الاجتماعية ويولي إهتماماً في البحث عن العلاقات المتبادلة بينها. السؤال هنا ماهي العلاقة بين مضمون نظرية الهيكلية والنظريات السابقة؟ وفقاً لجيدنز أنه ليس من مصلحتنا التمييز بين النظريات السابقة ونظرية الهيكلية، فجيدنز يرفض مبدأ الثنائية بين مفهومي الفعل والبناء وأنهم شيئين منفصلين فالاختلاف في تأثير كل منهما على الآخر يشكل نقطة الاختلاف بين هذه النظريات.

في الواقع نظرية الهيكلية تقدم فهماً مغايراً لمفهوم البناء الاجتماعي وتكوينه برؤية جديدة تختلف عن النظريات السابقة. في هذا السياق يشير الدكتور (احمد زايد) الى أن نظرية الهيكلية ماهي "الإعادة بناء موضوع علم الاجتماع" (احمد، المرجع السابق، ص61). ويذكر أن ظهور نظرية الهيكلية لانطوني جيدنز هي محاولة للفت الأنظار الى شيئين:

1. الحاجة إلى التحول من عالم النظم الى عالم الحياة اليومية للأفراد وممارستهم العادية ونظالمهم لبناء حياة اجتماعية.
2. الرغبة في عدم فرض مقولات على الواقع، والبدء في دراسته من مسلمات نصيغها في وعينا وعقولنا (احمد، المرجع السابق، ص69).

إن جيدنز من خلال نظريته يحاول الكشف عن القواعد والمصادر التي يمكن من خلالها تكوين البناء الاجتماعي. على الرغم من ان هذه النظرية تقع في حقل علم

(1) في هذه الدراسة سنستخدم مفهوم نظرية الهيكلية على الرغم من الاختلاف في الترجمة لمفهوم النظرية سواء في اللغة الانجليزية او الفرنسية (structuration la de Théorie) فالبعض يطلق عليها نظرية (تكوين البنية) في حين ان البعض الاخر يصفها بالنظرية (البنائية). وتعتبر نظرية الهيكلية لانطوني جيدنز بانها اخر نظريات علم الاجتماع في العصر الحديث وقد قام جيدنز بصياغة عناصرها في كتابه (دستور المجتمع) عام 1984.

(2) أنطوني جيدنز ولد في لندن 18 يناير عام 1938 عالم اجتماع انجليزي معاصر اشتهر بنظرية الهيكلية (البنائية).

الاجتماع، غير أن هناك بعض المحاولات لإدماجها في دراسة المؤسسات ولاسيما في دراسة دور الافراد في استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في إنشاء الهياكل التنظيمية من المنظور النظري الذي قدمه للوقوف على بعض العناصر التي اشار اليها في كتابه دستور المجتمع. فان هذه الدراسة ستحاول التعرض لها للبحث والتفسير عن:

1. إمكانية إستخدام هذه العناصر في دراسات حقل الاتصال والمعلومات.
 2. دراسة كيفية دمج هذه العناصر في دراسة استخدامات تأثيرات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في إنشاء الهياكل التنظيمية.
- عناصر نظرية الهيكلية :

في هذا الجزء سنحاول عرض وتحليل البعض من عناصر نظرية الهيكلية والتي أشارت اليها معظم الدراسات⁽³⁾ التي حاولت تطبيق النظرية في استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في هيكلية المنظمات.

1. الممارسات الاجتماعية:

إنّ عناصر نظرية الهيكلية التي تطرق لها جيدنز لا يمكننا بأي حال من الأحوال النظر اليها على أنها أجزاء متفرقة تُدرّس كل على حده فهي متشابكة ومعقدة التفاصيل ومكلمة لبعضها البعض فعلى سبيل المثال لايمكننا الحديث عن مفهوم الممارسات الاجتماعية منفصلاً عن مفهوم الفعل وكذلك الحال بالنسبة لمفهوم الفعل دون التطرق لمفهوم النتائج الغير مقصودة وهكذا. يبدو ان القصد من توضيح كل عنصر على حده في كتاب دستور المجتمع كان الهدف منه التوضيح المفصل ومعرفة الخصائص الكامنة وراء هذه العناصر وتباين أوجه العلاقات مع بعضها البعض. ولكن بالرغم من كل هذا التشعب وعدم وجود مدخل حقيقي لنظرية الهيكلية فسنحاول جاهدين شرح اهم هذه العناصر. نستطيع القول ان مفهوم الممارسات الاجتماعية لدى جيدنز تعتبر نقطة البداية بالنسبة له ويفسرها على انها" التي تشكل البنية. حقيقة أن تكرارها واطرادها يشكلان عنصرين هامين في استمرار البنية وإعادة انتاجها"(احمد،المرجع السابق،ص،79).

(3) من أمثلة الدراسات التي حاولت تطبيق عناصر نظرية الهيكلية في المؤسسات من منظور هيكل ولاسيما دور إستخدامات التكنولوجيا (دراسة Orlikowski 2000، تطبيقات التكنولوجيا في المؤسسات من خلال مفهوم ثنائية التكنولوجيا). للإطلاع من خلال الرابط التالي:

<https://dspace.mit.edu/bitstream/handle/1721.1/2300/SWP-3141-22161783-CCS-TR.105-pdf?sequence&1=isAllowed=y>

دراسة Briand Louise et Bellemare Guy نظرية الهيكلية والتطبيقات الحديثة في المؤسسات، 2002. للإطلاع على الدراسة من خلال الرابط التالي:

<https://depot.erudit.org/bitstream001656/dd/1/ET0214.pdf>

دراسة Vaujany de Xavier-François الابتكار الاجتماع ي واستخدامات التكنولوجيا الحديثة للمعلومات والاتصال، 2003. للإطلاع من خلال مجلة:

Finance n ,3 °Lyon ,Juin ,2003 p ,,3.Revue Management Information

إذا كنا في عملنا هذا نسعي للحديث عن نظرية الهيكلية للبحث عن رؤية جديدة للبناء التي يقدمها احد اشهر علماء الاجتماع في الوقت الحاضر فان هذا سيقودنا الى معرفة الطريقة التي يتكون بها هذا البناء وفق هذه النظرية. فمفهوم الممارسة عند جيندز مفهوما مركزياً فهو يعتبر نظريته نظرية حول الذات ويركز على الفاعل البشري فهو ينظر الى الذات بوصفها كائن فاعل يحدد علاقته بالمجتمع من خلال الممارسات الاجتماعية. وعليه لتوضيح ماسبق نقول "لا الفعل سابق على البناء ولا البناء سابق على الفعل فكلاهما متضمن للأخر وتفسير العلاقة بين هذين المستويين هي نقطة الارتكاز في كيفية الشكل البنائي للممارسات الاجتماعية وإعادة انتاجها في الزمان والمكان" (احمد، المرجع السابق، ص،69). جيندز يرى انه بالإمكان الاتجاه مباشرة نحو المادة الخام (إن صح التعبير) للعلوم الاجتماعية دون فرض مسلمات ذات طبيعة انطولوجية حول العالم، اننا نقصد بالمادة الخام هنا هي الممارسات الاجتماعية، ولكن الى أي شيء يقودنا مفهوم الممارسات في نظرية الهيكلية؟ عليه نقول إن الممارسات هي كل ما يؤدي الى سلوك معين يقوم بها الافراد الفاعلون داخل نظمهم الاجتماعية والممارسة تكشف عن الطريقة التي تشكل بها الحياة الاجتماعية. ويمكن لنا ان نضرب هنا مثالا بالعلاقات الوطيدة الفردية او الجماعية. حول هذه النقطة يقول احمد زايد "إن الممارسات الاجتماعية تكشف عن الطريقة التي تخلق من خلالها أنواع السلوك بدء من السلوك الفردي وحتى أنماط الجماعات البشرية وما ترتب على هذا من نتائج ومن علاقات اجتماعية مستقرة" (احمد، المرجع السابق، ص،70).

في نظرية الهيكلية أيضاً يؤكد جيندز على أهمية البدء في دراسة ممارسة الفاعلين الأفراد في حياتهم اليومية ودراسة الطريقة التي يشكلون بها أبنيتهم الاجتماعية التي هي قابلة للتحويل والتشكل المستمرين. أخيراً نستطيع القول إن الممارسات الاجتماعية يمكننا أن نعتبرها المادة الخام لعملية الهيكلية ولكن السؤال الان:

كيف يمكن ان تتشكل البنية الاجتماعية في نظم او ابنية؟

2. الهيكلية وثنائية الهيكل :

تنطلق نظرية الهيكلية من فرضية أن البناء ينطوي على العلاقات المترابطة بين الأفراد من خلال ممارستها للأنشطة المتكررة من وجهة نظر جيندز الأنظمة الاجتماعية في ممارستها لا تملك هياكل ولكن البناء يعتمد على الخصائص الهيكلية التي يصفها بأنها "الرجوع الى الصفات المؤسسية التي تمنح الانظمة الاجتماعية ثباتاً في الزمان والمكان" (Giddens, 2012, P.73). بمعنى أن المؤسسات الاجتماعية بانها أكثر رسوخاً لأنها ممارسات منتظمة بشكل متكرر ومتصفة بخصائص معينة ولها تمدد زمني مكاني. من جهة أخرى، جيندز يشير الى أن البناء بانه القواعد والمصادر التي تعمل على إنتاج وإعادة إنتاج الافعال

الاجتماعية والخصائص الهيكلية ومن ثم يشير الى مفهوم ازدواجية الهيكل بانها "القواعد والموارد المستخدمة من قبل الأفراد في انتاج واعادة انتاج افعالهم وفي نفس الوقت هو وسيلة لاستنساخ النظم الاجتماعي (Giddens, Ipid, p.68). الباحث احمد زايد يشير لمفهوم ثنائية الهيكل عند جينز في ثلاث نقاط رئيسية:

1. البناء لا يكون خارج الافراد.
 2. الخصائص الهيكلية أداة ونتيجة للممارسات الاجتماعية.
 3. الخصائص الهيكلية تمنح البناء الاستمرارية والتمدد في الزمان والمكان.
- هذه الرؤية التي عرضها جينز للهيكلية يمكننا التعبير بانها دائرية وهي ما ميزت أفكاره.

وعليه بالامكان ان نتسأل:

كيف فسرت الدراسات التي استندت على نظرية الهيكلية في استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المؤسسات والشركات مفهوم ثنائية الهيكل؟ وهل الممارسات اليومية في المؤسسات هي نتيجة وشرط للفعل الانساني؟

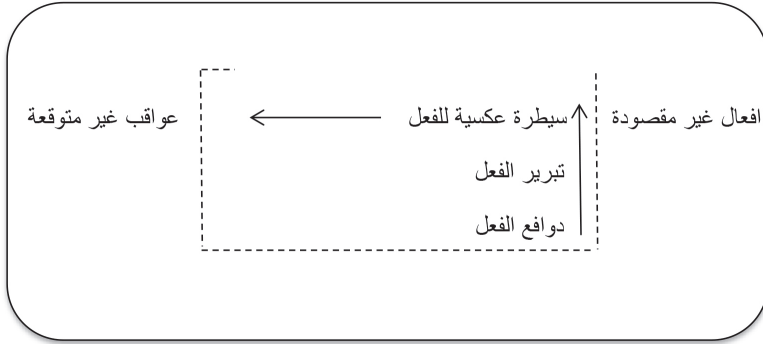
| الهيكلية | الانظمة الاجتماعية | البناء |
|--|---|--|
| هي الظروف التي تحكم استمرارية الهياكل وبالتالي اعادة انتاجها | العلاقات بين الافراد التي يتم انتاجها واعادة انتاجها بطريقة منتظمة. | القواعد والموارد او مجموعة العلاقات المنظمة كخصائص للانظمة الاجتماعية. |

ثنائية الهيكل. المصدر: Giddens, p.74, La constitution de la société.

3. الافراد، الفعل و الهيكلية :

في نظرية الهيكلية الأفعال والأفراد الفاعلين لديهم مكانة رئيسية في عملية الهيكلية. ويشير جينز الى بعض المفاهيم التي توضح دورهم وينطلق من مبدأ الفعل الحر والمكنة للفرد. بمعنى أن الأفراد لديهم القدرة على إنتاج نفس الظروف والأسباب للقيام بأفعالهم، وحول أهمية دور الأفراد في عملية الهيكلية يشير جينز الى أن "كل الافراد يؤمنون بما يقومون به من افعال وإعادة انتاجه" (Rojot, 200, p.79). هذا المفهوم يقودنا الى ما يعرف بالسيطرة العكسية في نظرية الهيكلية. السيطرة العكسية أو الانعكاسية للفعل لا تقتصر على سلوك الفاعل فقط ولكن على سلوك الاخرين بطريقة روتينية في الابعاد الاجتماعية والمادية للسياقات التي تناسب هذه الأفعال كما هو الحال في سياق التفاعلات مثلا. (Rojot, Ipid , p.80) يفهم من ذلك ان سياق التفاعلات بين الأفراد يخلق التبرير للفعل بمعنى الأفراد باستطاعتهم ان يسئلوا لماذا هم يفعلون ما يفعلون. إذن الأفراد يستطيعون صياغة أسباب سلوكياتهم. من وجهة نظر نظرية الهيكلية

الدوافع والتبرير تعمل بمثابة عمليات ذاتية يكتسبها الأفراد في تسيير أفعالهم والتبرير يفهم في اطار السيطرة العكسية للفعل و ضمان قدرتهم على الأنشطة بطريقة روتينية. أمّا الدوافع تحتوي على الرغبات التي تحدث الفعل وتحدد الغايات العامة للفعل.



La constitution de la société, p.53, Giddens : المصدر: الفعل والسيطرة العكسية.

هذا من جانب ومن جانب آخر جيدنز يشير في العلاقة بين الأفراد والفعل في عملية تشكيل البناء الى أهمية المعرفة المتبادلة بين الأفراد في تشكيل سلوكهم. هذه المعرفة المشتركة تميز طبيعة الوعي لدى الأفراد سواء كان وعياً عملياً (المهارة في أداء السلوك) او خطابياً (المعاني والدلالات ذات الصلة بالممارسات تداخل الممارسات في ضوء المعرفة المشتركة يؤدي الى تشكيل بنية لها القدرة على إعادة نفسها. نستطيع القول ان هذه العلاقة تعبر عن المعرفة بالقواعد السلوكية لدى الأفراد كونها تتعلق (القواعد السلوكية) بالإجراءات المفهومة لدى الأفراد ويعرفونها حق المعرفة . جيدنز أشار الى نوعين من هذه القواعد وهي كالتالي:

1. الجانب الدلالي او الاشاري والذي يرتبط بالمعاني والدلالات القريبة من الممارسات الاجتماعية.

2. الجانب المعياري الذي يشير الى نفس الممارسات من وجهة نظر الحقوق والواجبات التي تحدد بدورها الطابع الشرعي واللاشرعي لهذه الممارسات (احمد، 1996، ص، 71). نفهم من ذلك ان جيدنز يشير الى أي بناء اجتماعي لا يمكن ان يستمر دون فهم مشترك بين افراده.

4. القوة:

نظرية الهيكلية تميزت باختلافها مع النظريات السابقة حول تشكيل الأنظمة الاجتماعية النظرية من هنا اقترح جيدنز أن المجال الأساسي لدراسة العلوم الاجتماعية ليس خبرة الفرد الفاعل ولا أي شكل للكليات الاجتماعية

واستبدلها بمفهوم الممارسات اليومية المنتظمة عبر الزمان والمكان ليكون الأساس في دراسات العلوم الإجتماعية، ولعل من الأشياء التي لاحظها جيدنز هو أن استخدام مفهوم القوة في العلوم الإنسانية جاء ليعكس ثنائية (الموضوع، والذات) لذلك تعرف القوة وفق هذه النظريات بانها "القدرة على تحقيق الرغبة الذاتية من ناحية وتحقيق الأهداف الموضوعية للجماعة والمجتمع من ناحية أخرى" (ادهم، 1985، ص، 67). لكن في نظرية الهيكلية يربط جيدنز مفهوم القوة بالفكرة المركزية لنظريته فحسب مفهوم ثنائية البنية أن "الخصائص الهيكلية هي أداة ونتيجة للممارسات اليومية المتكررة. (Giddens, 2012, P.75) يمكننا ان نوضح مفهوم القوة من خلال ثنائية البنية، أن القوة ليست بذاتها مصدراً، فالمصادر والموارد كما تحدثنا سابقا هي التي تشيد وتبنى في النظم الاجتماعية وتستحضر ويعاد انتاجها من قبل الفاعل البشري في مسار مهم جداً وهو التفاعل، فالقوة هنا في هذا المجال يمكننا أن نشير اليها بأنها "تتمتع القوة ببعض الاستمرارية عبر الزمان والمكان لتقيم علاقات منظمة من الاستقلال والاعتماد بين الفاعلين او الكليات الاجتماعية في سياق التفاعل الاجتماعي" (محمد، 2002، ص، 68). من جهة اخرى جيدنز يعطي لمفهوم القوة بعداً اجتماعياً من منظور يختلف عن ربط مفهوم القوة بالصراع مباشرة. فقد فضّل الابتعاد عن الناحية القهرية للقوة باعتبارها محرّضة للصراع فهو يرى دور القوة في الحياة الاجتماعية من وجهة نظر نظرية الهيكلية "أن الحياة الاجتماعية تتشكل بشكل جوهري عن طريق النضال من اجل القوة" (محمد، المرجع السابق، ص، 70، 69). عندما تحدثنا عن مفهوم ازدواجية الهيكل قلنا بأن المصادر والموارد هي التي تنتج وتعيد إنتاج الخصائص الهيكلية من خلال الممارسات فالنظم الاجتماعية يعاد تشكيلها من قبل الأفراد في مسار التفاعل لذلك فإن مفهوم القوة من وجهة نظر جيدنز هي "وجود القوة يفترض هياكل للهيمنة تدور بسلاسة في عملية إعادة الإنتاج الاجتماعي" (Giddens, 2012, p.319). في هذا السياق يشير جيدنز الى نوعين من مصادر القوة التي تعمل على إعادة الإنتاج الاجتماعي (عملية الهيكلية) الأولى الموارد المادية (التخصيصية) التي تعرف بأنها "الموارد المادية التي تولد القوة مثل الموارد والبيئة الطبيعية" (Giddens, Ipid, p.443) واما النوع الثاني فهي القوة الغير المادية (مصادر السلطة) والتي تشير الى "القدرة على التحكم في أنشطة البشر" (Giddens, Ipid, p.443) ويشير جيدنز الى اهمية العلاقات المتبادلة فيما بينها ويشدد على أن أي نظام اجتماعي ينبغي ان يكون مزيجاً من هذين النوعين من موارد القوة (Giddens, Ipid, p.420).

| الموارد المادية (التخصيصة) | | الموارد الغير مادية (موارد السلطة) |
|---|---|--|
| التنظيم الزمني والمكاني الاجتماعي | 1 | الخصائص المادية للبيئة (المواد الخام، مصادر الطاقة) |
| إنتاج وإعادة إنتاج العلاقات بين الأفراد في إطار التفاعلات | 2 | ادوات الإنتاج والتقنية |
| تكوين وتطوير التعبير عن الذات | 3 | الإنتاج التقني الناتج عن التفاعلات (المشار إليها في رقم 2،3 من الموارد الغير المادية). |

مصادر القوة لجيدنز: المصدر: Giddens, la constitution de la société, p.320.

وفقاً لما سبق نظرية الهيكلية تقترح أن الأفراد في حال ممارستهم اليومية وتفاعلاتهم المتبادلة يمتلكون موارد يؤثر من خلال نشاطاتهم على من يسيطرون عليهم فجيدنز يصرّف النظر عن مقولة أن القوة تُمكن من أحد الأطراف في التحكم والتأثير على الطرف الآخر ولهذا الأمر نتائج إجتماعية سلبية. أخيراً يذكر (محمد الحوراني) أن جيدنز أعلن عن موقفه النظري لمفهوم القوة ضمن مجموعة من الملاحظات يمكننا أن نوجزها في الآتي:

1. يلاحظ جيدنز أن القوة قابلة للإختزان، وذلك يقتضي ان ظهور القوة الى حيز الوجود مرتبط بالممارسة فقط، بمعنى أن صاحب القوة قد يمتلك المصادر والمقومات التي تهيئ له الاستخدام الفعلي ولكنه يحجم عن الممارسة فهو بإمكانه ان يستخدم قوته في ظروف مواتية بشكل أكبر وهكذا فان القوة ذات بعد مستقبلي.

2. إن العلاقة بين القوة والصراع علاقة إعتمادية وليست سببية، وذلك يعني أن مفهوم القوة لا ينطوي منطقياً وجود صراع.

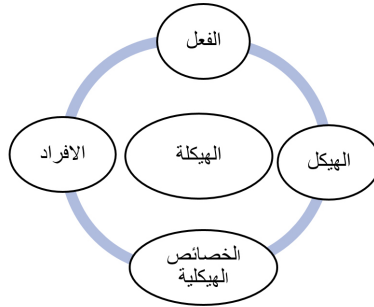
3. يبرر جيدنز المقولة السابقة بأن مفهوم المصالح وليس القوة مرتبط مباشرة بالصراع، فإذا كان ثمة تلازم في العادة بين القوة والصراع فان هذا لا يعود الى أن أحدهما لا ينطوي منطقياً على الآخر ولكن لأن القوة ترتبط بالسعي لتحقيق المصالح، ومصالح الناس تتعارض مع بعضها ويريد جيدنز من ذلك أنه في حين تعد القوة خاصية لكل أشكال التفاعل الإنساني (محمد، 2002، ص،72).

5. الروتين واللقاءات:

الروتين وفق نظرية الهيكلية سمة أساسية للتعبير عن إستمرار الحياة اليومية. لذلك جيدنز يعتبره راسخاً في الوعي المعرفي. الأفراد من خلال الممارسات الروتينية مسبقاً يستخدمون نماذج جديدة جاهزة في مجرى حياتهم وهذا ما اطلق عليه جيدنز (بالأمن الوجودي) الذي له القدرة على بناء الشخصية واستمرارها في الحياة ويدعم هذا بشكل أكبر من خلال الثقة التي تستطيع منع مظاهر القلق التي يمكن ان تتسرب الى الأفراد (احمد، 1996، ص،79). من جهة أخرى الممارسات اليومية للأفراد في عملية إعادة إنتاج الهياكل الاجتماعية وثيقة

الصلة بالنشاط الروتيني فالنشاط الروتيني عندما يكون شائعاً بين الأفراد يصبح نشاطاً مؤسسياً (أحمد، المرجع السابق، ص، 79). في هذا السياق جينز اشار الى حالات (الحضور الوجودي) للأفراد الذي، يشير الى عملية متصلة من التنظيم الادراكي الفعال، تحدث في إطار فيزيقي، وفي نطاق ظروف مادية محددة“ (أحمد، المرجع السابق، ص، 76). في نفس السياق يشير جينز الى أهمية المكان الذي تتم فيع عملية التفاعلات وبتكرار التفاعلات بين الأفراد في نفس المكان وماحتويه من معدات مادية تبرز مظاهر للتفاعلات المؤسسية بين الافراد. نستطيع القول ان نظرية الهيكل تحاول ان توي الأهمية الممارسات المتكررة التي تفسر العلاقة بين مفهومي الهيكل والفعل من خلال بعض الوسائط ومن ضمنها الأنشطة الروتينية والتي تحدث في أماكن محددة في ظل الحضور الوجودي للأفراد. بعد عرض هذه العناصر نستطيع القول ان مفهوم الهيكل لدى جينز يمكن ان نوجزها في النقاط التالية:

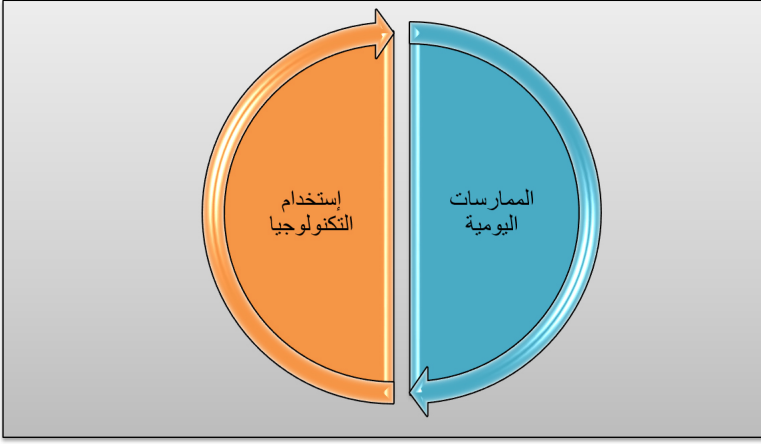
1. إنَّ النظام الاجتماعي هو من صنع الأفراد وهو جزء منهم.
2. إنَّ إنتاج الهياكل الاجتماعية نتيجة للممارسات الاجتماعية المتكررة في الزمان والمكان.
3. وجود الهياكل يفترض علاقات متبادلة بين الأفراد وفهم ومعرفة مشتركة.
4. يشير مفهوم الخصائص الهيكلية الى إستمرار الممارسات بشكل مستمر مما يعطي الهيكل البنائي شكل مؤسسي.



مفهوم الهيكل وفقاً لجينز

ادماج التكنولوجيا في نظرية الهيكل.

في هذا الجزء سنتحدث عن التفسيرات النظرية التي اشارت للعلاقات المتبادلة بين مفهومي التكنولوجيا وإنشاء الهياكل التنظيمية إستناداً على مفاهيم الهيكل لانطوني جينز.



الهيكلية والتكنولوجيا

في الحقيقة اتاحت عناصر نظرية الهيكلية لبعض الدراسات الاستناد عليها في توضيح إستخدامات دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في التغيير في الهياكل التنظيمية من منظور هيكلي. وفق نظرية تكوين الهيكلية كما اسلفنا الذكر أن الأفراد في حالة تفاعل مستمر ضمن ممارستهم اليومية لإنتاج وإعادة إنتاج نظمهم الاجتماعية. الأفراد في المؤسسات أيضا في حالة تفاعلات مستمرة لإنشاء هياكلهم التنظيمية. في هذا السياق نستطيع القول أن التكنولوجيا اعتبرت كأحد مصادر الهيكل في المؤسسة. في الحقيقة أن الأعمال التي ركزت على العلاقات بين التكنولوجيا وتفاعلات الافراد سعت لتحليل جوانب أخرى كعناصر للهيكلية مثال على ذلك البيئة التنظيمية، أنشطة الافراد، دور القادة في تنظيم العمل، دور الافراد في عملية التواصل لتنظيم العمل، ثقافة المؤسسة.. الخ. الدراسات التي فسرت استخدام التكنولوجيا وفق نظرية الهيكلية أشارت الى عرض التكنولوجيا في سياق الاستخدام.

ثنائية التكنولوجيا :

وفقاً لمفهوم ثنائية التكنولوجيا (ارلوكويسكي، 1992). في نموذجها والذي استندت فيه على نظرية الهيكلية تعرض مفهوم ثنائية التكنولوجيا من خلاله تحاول الجمع بين جانبي التكنولوجيا (المادي، الاجتماعي) بمعنى أن التكنولوجيا بإمكانها دمج السلوكيات الاجتماعية للأفراد الأمر الذي ينتج عنه إبراز خصائص هيكلية للمنظمة وإطفاء الطابع المؤسسي عليها وبالتالي تحاول من خلال نموذجها أن تقدم التكنولوجيا كأداة

تساهم في إنشاء الهياكل التنظيمية وقدرة الأفراد على استخدامات التكنولوجيا والتأثيرات الناتجة عن هذا الإستخدام ((Freyre,2010,p.89. الباحثة (كارول،2001) تقدم مسألة دراسة استخدامات التكنولوجيا من منظور نظرية تكوين الهيكلية تأتي على أساس القاعدة البنوية وتشير الى أن الفعل الإنساني ناتج عن علاقات سببية. لذلك فهي تقترح أن تطبيق نظرية الهيكلية في إستخدامات التكنولوجيا تستند على البعدين الاجتماعي والمادي للتكنولوجيا ((Freyre,Ipid,p.89. كما لاحظت أن هناك نوعين من الأبحاث، الأولى تستخدم مقاربات نظرية تناقش أن التكنولوجيا مكون مادي واجتماعي. أما النوع الثاني تشير الى الذين استخدموا نظرية الهيكلية لشرح النتائج المرتبطة باستخدام نفس التكنولوجيا المدمجة مع الفعل الانساني لذا نستطيع القول أن مفهوم ثنائية التكنولوجيا يعبر عن "سلسلة من المهارات التي تتحقق نتيجة الفعل الانساني المدمج مع المكون المادي للتكنولوجيا"

((Autissier et wacheux,2000,p.155). لذا فان التطرق الى مفهوم ثنائية التكنولوجيا بالإمكان أن يتيح دراسة:

1. نوع الهياكل المدمجة في التكنولوجيا المتقدمة.
2. الهياكل التي تنشأ من افعال الأفراد عندما يتفاعلون مع التكنولوجيا.

العلاقات المتبادلة بين التكنولوجيا وتفاعلات الافراد:

كما أشرنا سابقاً في نظرية الهيكلية عن مفهوم ثنائية البناء من خلال أدوار الفاعلين في إنتاج وإعادة إنتاج البنى الاجتماعية فاننا لاحظنا أن المنظور التحليلي للدراسات التي استندت على نظرية الهيكلية تعطي فرصة للفرد في إستخدام التكنولوجيا من خلال العلاقات المتبادلة فيما بينهم. في هذا السياق بإمكاننا فهم مفهوم المرونة التفسيرية الذي اشارت اليه (ارلوكويسكي) في نموذجها لوصف دور الافراد في الحياة التكنولوجية. من جانب اخر ولا يبرز العلاقات بين الأفراد والتكنولوجيا من منظور الاستخدام ، النموذج الهيكلية للتكنولوجيا ووفقاً لها يتكون من ثلاث عناصر ئيسية وهي كالتالي:

1. المصمون الذين يقومون بتطوير التكنولوجيا.
2. المستخدمون الذين يستخدمون التكنولوجيا لاداء المهام.
3. المدراء وصناع القرار بالمؤسسات الذين يضمنون استخدام التكنولوجيا وفق الخطط والاستراتيجيات التي قاموا بوضعها.

وكما سبق أن ذكرنا أن نظرية الهيكلية تفترض البحث عن أشكال الممارسات المنتظمة في الزمان والمكان، جيدنز انطلق من مفهوم الفعل الحر فالافعال الاجتماعية تتجه نحو خلق الممارسات وإعادة انتاجها لإنتاج النظام الاجتماعي، ووفقاً لجيدنز فان هذه الأخيرة تتسم بالدينامية وعدم الجمود والتشكل والتبيين لأن "الخصائص الهيكلية توجد فقط عندما يعاد إنتاج صور السلوك الإنساني بشكل تتابعي عبر الزمان والمكان" (احمد،1996،ص،75). لفهم هذا المنظور من

خلال إستخدامات التكنولوجيا في عملية الهيكله لاحظنا بعض الدراسات أشارت الى أهمية مفهوم ازدواجية التكنولوجيا في تكوين الخصائص الهيكلية وعليه فان "أهمية دراسة التكنولوجيا في إطار زمني مكاني ووبالتالي أهمية مراحل استخداماته" (Frenandez et Joma,2005,p.6).

وعليه بالامكان القول ان هذا المنظور يسمح لنا بتتبع دراسة تأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المؤسسات لعدة أسباب:

1. إن المؤسسات تعتمد على الأفراد كعنصر أساسي في عمليات التغيير والتطوير التنظيمي.
2. إمكانية دمج التكنولوجيا كعنصر في الهيكل التنظيمي للمؤسسة.
3. قدرة الأفراد باستخدام التكنولوجيا في تشكيل هيكل المؤسسة.

الممارسات الروتينية المتكررة المدمجة مع التكنولوجيا:

في نظرية الهيكله الروتين يشير بشكل عام إلى استخدام نماذج جاهزة للممارسات بسبب معرفتهم بها ومقدرتهم على ممارستها. في عالم المؤسسات والشركات الأفراد يمارسون نشاطهم المهني بصفة متكررة، لذا فهم على دراية بما يقومون به، ومن جهة أخرى يمارسون مقدرتهم على إنجاز العمل. في هذا السياق تشير (ماجى 2003) الى ان موضوع دراسة موضوع الهيكله بالمنظمات يعني دراسة ديناميات التنسيق والهيكل والفعل الانساني من خلال علاقات العمل وهذا الموضوع مرتبط ارتباط مباشر بمسألة استخدامات التكنولوجيا. من جهة اخرى انماط التواصل التنظيمي يؤثر بشكل مباشر على تنفيذ مهام التنسيق والعلاقات بين اعضاء المؤسسة والتكنولوجيا اصبحت الاداة الفاعلة لتميرير التواصل (Freyre,2010,p.133).

وعليه لدراسة عملية الهيكله من الضروري اجراء دراسة على مراقبة الممارسات اليومية حيث تمثل هذه المراقبة طريقة مميزة لتحليل الممارسات اليومية لاعضاء المؤسسة ولاسيما من خلال مفاهيم الفعل والسيطرة العكسية التي اشار اليها جيدنز في نظريته. لذا فان دراسة الممارسات اليومية والتفاعلات لاجراء العمليات التنظيمية لاعضاء المؤسسة يتيح تحليل استخدامات التكنولوجيا من منظور العلاقات المتبادلة بين الفعل الانساني وانشاء الهياكل التنظيمية نتيجة لاستخدامات التكنولوجيا.

الخلاصة:

لغرض توضيح الاجتهادات العلمية التي تناولت محاولة ايضاح إمكانية تطبيق احدى نظريات علم الاجتماع في دراسات المعلومات والاتصال وتحديداً الدراسات التي تُعنى باستخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال تعرضت هذه الدراسة لعرض بعض التفسيرات النظرية لمفهوم الهيكله. فعلى الرغم من ان عناصر نظرية الهيكله تشير الى بناء الهياكل الاجتماعية على المستوى الكلي

- (المجتمعات) الإإننا كما لاحتظنا من خلال الدراسات التي اشارات ان هذه العناصر قد تتوافق كثيرا في إنشاء الهياكل باستخدامات التكنولوجيا حتى على صعيد المستوى المحلي (المؤسسات). وانطلاقاً من مفهوم المكنة الذي اشار اليه جيدنز والتي يعبر عن قدرة الأفراد في تشكيل هياكلهم الاجتماعية من خلال ممارستهم اليومية من خلال بعض الوسائط التي تعرضنا لها في سياق هذه الدراسة ولهذا فان إستخدام التكنولوجيا في المؤسسات كان ضمن هذا السياق، ولهذا فان أسس دراسة إمكانية تطبيق نظرية الهيكلية في معرفة دور استخدامات التكنولوجيا في المؤسسات يتيح التعرض للجوانب التالية:
1. التعرض لمفهوم ثنائية الهيكل من خلال دراسة الممارسات اليومية المتكررة والمدمجة مع استخدام التكنولوجيا.
 2. التعرض لمفهوم ثنائية التكنولوجيا باعتبار الأخيرة مكون مادي لديه خصائص هيكلية بالإمكان ادماجها مع الفعل الانساني. (مكون اجتماعي).
 3. يتيح دراسة تكنولوجيا المعلومات والاتصال بالمؤسسات عرض التكنولوجيا كعنصر من عناصر القوة المادية (التخصيصية) والقوة الغير مادية (السلطة) التي تتيح لإعضاء المؤسسة ملكيتها لتنفيذ المهام الادارية.
 4. دراسة العلاقات الإنسانية والتفاعلات وروود الافعال لإعضاء المؤسسة المدمجة مع استخدامات التكنولوجيا.
 5. تتيح إمكانية التعرف عن دور استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في إنشاء الهياكل التنظيمية.
 6. تتيح دراسة تأثير استخدامات التكنولوجيا في الجوانب التنظيمية بالمؤسسات على سبيل المثال (التطوير التنظيمي، وضع الإستراتيجيات ، دور القادة في اتخاذ القرارات، دور وأهمية الاتصال التنظيمي...الخ).

المراجع

المراجع العربية :

- (1) أحمد زايد، افاق جديدة في نظرية علم الاجتماع، نظرية تشكيل البنية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 33، العدد 1، 2، 1996.
- (2) انطوني جيدنز، دراسات في النظرية الاجتماعية والسياسية، ترجمة، ادهم عظيمه، الناشر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1985.
- (3) محمد عبدالكريم، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، الناشر، المكتبة الوطنية، عمان، 2002.

المراجع الاجنبية :

1. Antoni GIDDENS, (2012). La constitution de la société, éléments de la théorie de la structuration, 2, ed, Paris : PUF.
2. David AUTISSIER et Frédéric WACHEUX (dir.), Structuration et management des organisations. Gestion de l'action et du changement dans les entreprises, L'Harmattan, Paris, 2000.
3. Florian FERREYRE, (2010). La place d'une technologie d'information et de communication dans le processus de structuration d'une organisation: le cas de l'usage d'une messagerie électronique, thèse doctorat science de l'information et de la communication, université Jean Moulin Lyon 3.
4. Fernandez, V, et Jomaa, H, (2005). Usage des technologies de l'information & performance de l'organisation: repositionnement de la relation à la lumière du paradigme de A. Giddens. Enjeux et usages des TIC: aspects sociaux et culturels, Bordeaux.
5. Rojot, JACQUES, La théorie de la structuration, In : Daviad AUTISSIER, sr-
tucturation et management des organisations, Paris : L'harmattan, 2000.